العراق الحديث

من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠

الجزء الثاني



تأليف
ستيفن همسلي لونگريگ

ترجمة وتعليق
سليم طه التكريتي

الفجر
للنشر والتوزيع بغداد

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد في ٢٢/رجب/١٤٤٢هـ
٢٠٢٢/٢/٢٥م

م. سرمد حاتم شكر

العراق الحديث

من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠
تاريخ سياسي، اجتماعي، واقتصادي

طبع بمطبعة حسام

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٤٨٤ لسنة ١٩٨٨

منشورات الفجر
شارع السعدون ٨٨٨٥٤٨٨ - ٧١٩٨٤٢٢

العراق الحديث

من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠

تاريخ سياسي، اجتماعي، واقتصادي

تأليف

ستيفن همسلي لونكريك

ترجمة وتعليق

سليم طه التكريتي

الجزء الثاني

الطبعة الاولى ١٩٨٨

الفصل السابع

الاستقلال التام (٦)

١ ـ تقييم الوضع في سنة ١٩٣٢
٢ ـ ذروة المشكلة الآثورية
٣ ـ الوزارة الهاشمية
٤ ـ انقلاب بكر صدقي
٥ ـ البر والجو والبحر
٦ ـ الشؤون الخارجية

١ - تقييم الوضع في سنة ١٩٣٢

ابرزت الفصول السابقة عظم المسافة التي قطعها العراق في سنة ١٩٣٢، من عمره الطويل بصفته مجموعة من ثلاث ولايات تركية نائية ومتأخرة تقع في شمالي الجزيرة العربية، اما اللحظة التي اكمل بها مدة اثني عشرة سنة بصفته دولة دستورية، منذ ان انشئت اول حكومة عراقية فيه، وتحقيق الاستقلال التام، فان تلك اللحظة لن يساء اختيارها لتقييم انجازه ذاك، وكذلك تقييم مطامحه بالصفة التي ظهرت بها فيما بعد.

لقد تم ايجاد مملكة العراق، واعترف العالم بوجودها، واستطاعت ان تضمن ماقد يجري التساؤل عنه من مستقبل ثلثها الشمالي، اي ولاية الموصل، ذلك الثلث الذي كان الاخرون يطالبون به بكل تصميم. لقد استطاعت المملكة ان تثبت، او انها كانت تعمل على تثبيت حدودها في ناحيتي الشرق والغرب، وقطعت شوطا بعيدا في اقامة علاقات ثابتة وودية مع جاراتها، وفي اكمال ماينبغي اكماله، مما يعد مهمة غير جسيمة بالنظر الى السنوات المتعاقبة.

في داخل العراق اصبحت الامة تتمتع بالفوائد الكبرى الواضحة، فلم تعد تخشى تزايد السكان، كما هو الامر بالنسبة الى مصر، ولا قلة الاراضي مثلما عليه الوضع في لبنان، وليست اراضيها حفنة من الواحات في صحارى شاسعة كما هو عليه وضع العربية السعودية، ذلك ان المملكة تمتلك فراغا واسعا من الارض وانهارا عظيمة، وخصباً شهيرا، وجوا صحيا ان لم يكن قاسيا، كما تملك التحقق من زيادة عدد السكان.

«ولم يكن شعبها باي حال من الاحوال، احط من مستوى الانسانية في الصفات الاعتيادية، بل انه كان اعلى من ذلك المستوى في الذكاء، ولهذا كان تقييم التقدم المتوقع، والرغبة في تحقيق هذا التقدم، واسع النطاق.»

اما بالنسبة الى قضية الادارة، فانه مهما كانت صفة التمرد وعدم الولاء المحلي، قد تشوب حدود المملكة، فان ادعاء حكومة بغداد بالسلطة لم تكن لتنازعها فيه اية ادعاءات منافسة، ولذلك كانت سلطة الحكومة مؤثرة وفعالة في كل انحاء البلاد تقريبا.

---

(١) كتب المؤلف عنوان هذا الفصل «الاستقلال التام» باللفظ العربي على النحو التالي AL - ISTI& LAL AL- TAMM

ومهما يكن الامر فعند هذه النقطة يشير الانعكاس الى بعض الصفات. ذلك ان صورة السلام غير المثير للتساؤل، والتي كانت ترفرف على كل انحاء العراق، كانت هي الصورة المفضلة جدا. فمناطق السهوب العربية، والجبال الكردية، التي يندر ان تتغلغل اوامر الحكومة الى داخلها، مما يمكن تجاهله حقا. ذلك لانه لابد ان تمتد سلطة الحكومة الى هذه المناطق دون شك، بقوات وبمواصلات متطورة، بمرور الوقت.

ولكن ينبغي ان يتغير الكثير، قبل ان يشرع الجمهور العراقي في المناطق الرئيسة من القطر، ان حسناً ام سيئا، في تكوين امة عصرية تستطيع فيها الحكومة ان تعمل بصفة مفيدة بشكل من شأنه ان يسمح بتطبيق مثل هذه العملية وتقييمها. ومن دون الاصرار على المشابهة التي قد تكون غير ذات قيمة او قاتلة، كانت الحالة السياسية المعافاة، والقدرة الادارية للامة، مناقضة لظهور اي من الفروق الثقافية العميقة، او الولاء او المستويات المتفاوتة بشكل قاطع للتطور الاجتماعي.

ولقد ظل وجود الاقليات المميزة في العراق، وحيويتها، والمجاميع الثقافية ذات الوعي الذاتي، يمثل المظهر المعاكس لتقدم العراق. ولكن اذا ماتركنا هذه الاقليات والطوائف جانبا، فاننا نجد، بكل جلاء، ان الجماهير العراقية، بل الطبقات الدنيا منها حتى في المدن وضواحيها، كانت تعيش في جهالة سحيقة، وفي فقر قاتل. ومع انها لم تكن غريبة بالنظر الى بعض الظواهر الحكومية الملموسة، فانها لم تستطع، بل لم تستذوق ان تساهم في اقامة نظام ديمقراطي للسيطرة على مصائرها الخاصة بها.

فبين العشائر التي مازالت تؤلف المجموع الاعظم من السكان، كان الجهل اشد عمقا، وكان المحيط اكثر بداءة. وكان المفهوم الاقطاعي الابوي للمجتمع، لدى هذه العشائر، على خلاف تام مع نظرة المواطن الذي يعيش في دولة عصرية. ذلك ان سكان العشائر في سنة ١٩٣٢، لم يتغيروا بصفة جوهرية الا نادرا، عن المستوى الذي كان يعيش فيه اباؤهم، وعلى هذا فان التقدم الدستوري لدولة العراق، كان قد سبق اي تقدم اجتماعي او مادي لهذا القسم الكبير من افراد الدولة.

ومع كل ذلك فانه بالنسبة الى جميع الذين كان في مستطاعهم ان يتقبلوا جهود الحكومة، وكانوا يرغبون ان يدوروا في فلكها، تم انجاز الكثير من ذلك. فلقد تألف جيش وطني، وقوة شرطة كاملة للاغراض الداخلية وما ماثلها. وبمثل هذا التطور الذي تأتي به السنون المتلاحقة، سوف تصبح هذه القوة قادرة على ضمان سلامة الحياة والثروة.

كانت ادارة امور العدل مرضية بصفة عامة. وكان يؤمل في السنوات القادمة ان تزيد هذه الادارة من تقبل الناس بها، ومن الثقة الشعبية فيها. وفي خلال خمس عشرة سنة تمت دراسة المشاكل المادية التي تعاني البلاد منها وكذلك امكانياتها، وتم تحليل تلك المشاكل بنظرات

وعقول حديثة. فقد غدا مستطاعاً ان يصلح التأخير المحيق بالزراعة، وذلك كما يبدو ، بطرق وزراعة حديثة غير عسيرة. وكان تقديم كل ذلك ، مع انقاذ الزراعة تدريجيا من الطرق البدائية والناتج المنخفض، يمثل مظهرا محققاً من مظاهر المستقبل.

وكانت مشاكل الارواء في العراق، والحماية من اخطار الفيضان ومحافظة المياه من الجفاف الموسمي، وعمليات البزل، كل هذه المشاكل قد تم حلها بصفة جزئية على الورق على الاقل. وهناك اكثر من مشروع واحد مهم، قد وضعت صيغته استعدادا لتنفيذه، في حين كانت الاعمال الصغرى جارية،واعمال اخرى غيرها ظاهرة للعيان. اما المشكلة المعقدة التي تتعلق بالصيغ المتناقضة والمعمول بها لتسوية قضايا الاراضي والتي لم يتواصل العمل فيها، فقد اصبح الطريق مفتوحا لتنقية تلك الصيغ ولاعادة العمل بها، وذلك لان لجان التسوية قد سبق لها ان اخذت تباشر اعمالها في الميدان.

كانت الثروة المعدنية من الامور التي تم التطلع اليها،لكن هذه وجدت بانها غير تامة، ماخلا الاهمية التي رافقت ظهور مادة معدنية واحدة هي النفط. فقد بدأ التطور في استثمار النفط بداية جيدة، وذلك لان امكانياته لم تكن محدودة، ولأن مساهمته في مالية العراق يمكن اعتبارها جوهرية بالنسبة لكل آمال العراق.

اما الصناعة، وان كانت الرغبة قوية في انشائها،اوا انها كانت تضلع نتيجة نقص المواد الخام، ونقص الاسواق، وكذلك نقص اللياقة والاستعداد، ومع ذلك فقد كان يتوقع تحقيق مكانة متزايدة لها ، ولو بصفة معتدلة، في الاقتصاد العراقي.

كانت التجارة في المستوى وفي الاسس التي يشير اليها التقليد والحاجات الراهنة، واستطاعت ان تبقى بصفة جيدة خلال فترة الركود العالمية الواسعة.

وتطورت وسائل المواصلات من كل نوع تطورا واسعا جدا خلال نصف الجيل الماضي، واصبح محققاً بانها سوف تلبي حاجات الاقتصاد المتوسع، وكذلك الحاجات الاجتماعية والدولية. وكانت عناصر الخدمات العامة المنظورة بصفة جيدة على الاقل، موجودة حقا. واذا ما سمحت الاموال المتوفرة فان هذه الخدمات ستزيد بالتدريج من نشاطها ومن نطاقها الاجتماعي. فهذا الامن، وهذه التطورات النافعة والخدمات الاجتماعية، قد تطلبت ولسوف تتطلب هدفين هما الادارة الكفوءة الشاملة اولا، وثانيا السلطة الموطدة النافعة في الدولة ذاتها. وبناء الحياة السياسية على اسس مستقرة .

فاما بالنسبة الى الهدف الاول ، فان الادارة التي كانت موجودة في سنة ١٩٣٢، وان لم تكن تامة، وكانت فجة في بعض الاماكن، الا انها لم تكن اكثر تفوقا عن الادارة التركية السابقة فحسب، بل انها بدت ايضا بمرور الوقت، تترك ظلها على المظاهر التي انزلتها في الوقت الحاضر الى مادون المستوى الذي كان الموظفون العراقيون، الاكفاء، الاذكياء المخلصون،

جديرين به بشكل محقق.

وبالنسبة الى الهدف الثاني ، فان الاسس العامة للحياة وللتشريع ، كان يوجد الشيء الكثير الذي ينبغي التحدث عنه. لقد اختار العراق ، طبقاً لشكل حكومته ، الديمقراطية البرلمانية الممثلة. ويمكن توجيه الانتقاد الى هذا الاختيار، ولكن لم يكن هنالك اي معدى عنه. ذلك لان العراق ليس هو بلاد نجد، التي تخضع خضوعا تاما لرب الاسرة في الحكم،كما ان العراق ليس مثل فارس وتركيا اللتين قام فيهما حكم دكتاتوري.فالعراق لايملك سوى مرشد وحيد لطبقة سياسية تزعم بانها لبرالية تريد ان تسير الى ابعد مما وقفت ثورة ١٩٠٨ عنده، وكانت هذه الطبقة تزدري الصيغ السابقة، لكنها مع ذلك لم تكن تضم فيما بينها شخصية جديرة بالحكم المنفرد، او مجموعة جديرة بان تحكم الاقلية الخاصة،الامر الذي يمكن القبول به، ولذلك فلم يكن امام اي مراقب بريطاني أو غربي في سنة ١٩٢٠، ان لايقيم اشكال الحكومة بصفة تكون فيه مألوفة في الداخل ومطلوبة بشكل ظاهر في العراق، ومع كل ذلك فان هذه الاشكال الدستورية الصحيحة قد غدت الآن منظورة لكي توطن ذاتها في العراق، بمشقة وبنتائج مختلفة مباشرة.

واذا كان صحيحا بان فضائل النظام قد تم تقييمها في مكان ما، وان العالم الحديث لم يستطع ان يكتشف بدائل افضل من ذلك، مع هذا فلا بد من ان يتطلب هذا النظام التمثيلي والديمقراطي ظروفاً محددة. فهل ان مثل هذه الظروف كانت قائمة في العراق؟. كان يوجد في الواقع تقليد عربي طويل الامد من الديمقراطية بين افراد العشائر، وييسر الاتصال بالحكام. فحرية الكلام، والصحافة الناقدة، والاحزاب المنهمكة في نشاطاتها، والتظاهرات في الشوارع، كل هذه الامور يمكن ان يقال عنها بانها كانت مظاهر دمقراطية للحياة القائمة في بغداد. ولكن ايا من هذه المظاهر هو الصحيح؟

لقد كانت الصحافة ضعيفة التزود بالمعلومات، وغير مسؤولة ومتطرفة في الحس الوطني، ومعادية للاجانب بصفة قاسية. كان يجري تنظيم التظاهرات بصفة ايسر وبالقليل من النفقات، في اي اتجاه سياسي يراد. اما الاحزاب فلم تكن في الغالب سوى محض عصابات من الشخصيات، ليست لها تنظيمات متواصلة او واسعة، او اية سياسة ثابتة ما خلا سياسة معاداة الانكليز. وكان يسمح بحرية الكلام الى حد ابداء الاراء المتطرفة التي يندر ان تكون معتدلة. وكان العنف او المقاطعة ينتظر اية سياسة واضحة ، مهما كانت تلك السياسة حكيمة او مخلصة، اذا ما بدا عليها بانها سوف تفشل في ميدان الحمية القومية.

والواقع انه كان من الامور المشكوك فيها وجود احد المتعلمين العراقيين وسط مائة من اولئك الذين يتطلعون الى رؤية المجتمع وهو يقوم على اسس ديمقراطية حقا، وان تعطي السلطة لذلك المتعلم ، فيستطيع ان يجد نفسه راغبا في تنظيم هذا المجتمع على الاسس الديمقراطية الحقة. فقد كانت طبيعة العراقيين تتميز بالفردية، وعدم الاذعان لاحد . وكانت تقاليدهم تقوم على اسس

التسلط والتحكم ، ولذلك كانت الاوضاع القائمة في مجتمعهم مناقضة للديمقراطية ، ومؤذية لها حقا.

وكان النواب انفسهم ، في مجلس النواب ، يتم اختيارهم بالقليل من اصوات الناخبين الذين يخضعون للتعليمات ، والذين لاوجود لهم. بدلا من تعيينهم من قبل الوزارة القائمة في دست الحكم. ذلك ان قوائم المرشحين يتم نقلها الى المحافظين باعتبار انها تضم اسماء المرشحين الذين تريدهم الحكومة ،مع استثناءات غير متواصلة بالنسبة لاسماء النواب.

ولقد نتج عن هذه الكيفية ان اصبحت حكومة العراق في سنة ١٩٣٢ عبارة عن واجهة لصبغ ديمقراطية تبرز وراءها من الشوارع صور الضغوط وعنف الفتن والصلف ، والانانية التي كانت تمارس السلطة الحقيقية للطبقة الحاكمة الصغيرة ، تلك الطبقة التي كانت من احدى النواحي تضم اكثر من الاعداد الجديدة بملء المناصب الوزارية ، ومن ناحية اخرى لاتتمتع الابتنوع ضئيل جدا في وجهات النظر لكي تتنافس على الحكم ، وعن طريق الدفاع عن المناهج التي لا معدي عنها بصفة اصلية.

ولقد كانت نتيجة ذلك كله تتمثل في التعديلات القاسية التي كانت تحل في الدوائر الحكومية ، وقصر اعمار الوزارات التي لاتخلف وراءها سوى مخلفات مختصرة لكل فرد ، وان تصبح خطوط الوزارات معتمدة ليس على موقف النواب الممثلين الذين يستطيعون بابداء تلميح ، من اسقاط الوزارة ، بل على الفتن الشخصية التي كانت تجري من وراء ظهورهم. لقد غدا واضحا تماما بانه اذا لم تنغمس اليد الوحيدة التي تملك السلطة في امثال هذه الدسائس الشاقة ، فان تلك اليد سوف يتم رفعها من قبل الملك ، حيث تتوفر الفرصة ، او الحتمية في الغالب ، امام بعض السلطات الاخرى للتدخل في اتخاذ قرار في الامر ، وذلك هو الدور الذي يقوم به الجيش في مثل هذه الحالة.

قد يطرح سؤال عما اذا كانت دكتاتورية الحكومة المتمتعة بالسلطة صراحة ، وحكومة الفرد المعروفة ، او محض الحكم الذي يمارسه رب الاسرة العربي) هي المفضلة؟ ، لقد كانت كل هذه الاشكال في الواقع ، اقل تقبلا بالنسبة للجمهور ، من الديمقراطية المزيفة المفروضة عليه. ذلك لان اجراءات الديمقراطية ، مهما اسيء تطبيقها ، كانت اجراءات تهذيبية على الاقل ، وقد تظهر في الاخير ، هوة ضيقة بين الصيغة والروحية. وحتى مجلس النواب الذي كان يتم اختياره بشكل اشبه بالتعيين ، منه بالانتخاب ، كان يضم المزيد من الثقافة والتجربة ، والروحية العامة ، لان يصبح هيئة حصيفة ونقادة لها اهميتها وقيمتها ، وذلك لان السياسة والصحافة كانت على الاقل توفران مجالا للعمل امام الطبقة المثقفة التي يكون اضطهادها خطرا وعملا غير صحيح في ذات الوقت ، ولهذا فان البديل للديمقراطية قد يبرهن على قيام حكم دكتاتوري ظالم في الداخل ، ومحفوف بالخطر من الخارج ، بسبب التشابكات الدولية المتوقعة.

كان التاريخ السياسي للعراق، خلال السنوات العشر التي اعقبت انجازه لاستقلاله، يعد واحداً من البدائل، ولفترة قصيرة، عن شدة السلطة واسترخائها. فلقد كانت تصاحب فترات الشدة اجتماعات ومؤتمرات عنيفة ضد العبودية، في الوقت الذي كان يوجه فيه العيب الى فترات الاسترخاء بانها اجازة تؤدي الى الفوضى.

مرت الاشارة قبلا عن الطبقة الحاكمة. والواقع ان المطالبين بالزعامة اكثر من فرد واحد. واذا ما سمح بتحقيق مطالبيهم، فان هذه المطاليب يندر ان تكون متلائمة مع النظام الديمقراطي. ففي المجتمع العشائري ظل وضع شيوخ العشائر بما جبلوا عليه من المنافسات والانشقاق الشديد فيما بينهم. وكانت الوظائف، وهي مصدر لامعدى عنه للزعامة، وفي الوقت ذاته تؤلف العنصر الاجتماعي الرئيس، قد توسعت الآن بقبول ابناء عشائر الفرات فيها. ولقد ارتفع مستوى تهذيب الموظفين وسلوكهم، وكفاءتهم بصفة ملحوظة عما كان عليه ايام الحكم التركي. غير انه لم يكن في وضع هذه الوظائف، او في ولائها، ما يؤدي الى التضامن الصحيح مع الجماهير. ويصدق ذات الشيء على غير الموظفين من افراد الطبقة المتوسطة ذلك القسم الذي كان يضم المحامين والطلاب والصحفيين. والاطباء وكبار اصحاب الحوانيت ، والمستخدمين التجاريين، والفنيين الكبار، والمتوسطين من الرجال، والضباط السابقين.

واذ انتقلت هذه الطبقة من درجة الامية الى المطاليب التعليمية فانها كانت ذات وعي ذاتي وتمثل عنصرا متطورا وتقدمياً في بلادها. غير ان هذه الطبقة كانت تجابه نقص المنافذ الفعالة المتوفرة امامها في الحياة العامة، وعلى الاخص فشلها في اختراق الوسط الحاكم والنفاذ اليه، ومن هذه الطبقة، وقبل سنة ١٩٣٢، انبثق الساسة والجماهيريون الجدد.

وهذا العنصر الذي لاينقصه الذكاء ولا الحصافة السريعة، وفيه من المتحدثين والكتاب المؤثرين، والذي كان يتطلع بصفة متزايدة، الى ان يقود الامة، كان يضم عددا من الرجال الاكفاء المخلصين التقدميين، ولكن كان يوجد ايضا قسم اخر، اخذ يبرز نواقص الخلق السياسي العراقي، ويظهر التسرع العاطفي، وعدم المسؤولية، والانانية. ولم يبد على هؤلاء على الرغم من ادعاءاتهم بانهم من المثقفين، في الوقت الحاضر، بانهم كانوا يريدون التفوق على المدرسة القديمة كثيرا، عن طريق نكران الذات او الحكمة.

كانت المدرسة القديمة في ذات الوقت تمثل النظام الحاكم الذي يضم الوزراء والذي كان يمسك بالقسم الاعظم من زمام السلطة في سنة ١٩٣٢، والذي تحدر اعضاؤه من العوائل الثرية في المدن الكبرى، واصحاب الاراضي، وما سواهم، وكذلك من صفوف الموظفين السابقين الذين كانوا ينتمون الى تلك العوائل، اضافة الى كبار الضباط السابقين، والطبقة الصغيرة من الاشراف الاثرياء.

لقد كان هؤلاء بمجموعهم يؤلفون الهيئة المؤلفة من الرجال المتدربين ذوي الخدمة في عالم العراق. ولما كان هؤلاء قد كرسوا في الغالب كل نشاطهم لخدمة مصالحهم العائلية، فانهم لم يستطيعوا ان يتجاوزا تلك المصالح او يتخطونها. وفي الوقت الذي كانوا فيه يرغبون في تقبل الصيغ الديمقراطية، فانهم كانوا مترددين في الترحيب بالعناصر المتذمرة من خارج طبقتهم، او ممن هم دونها في المنزلة. فمثل هذه العناصر هي التي كانت تؤلف الوضع السياسي العام في العراق في سنة ١٩٣٢، او تلك التي كانت تزعم بأنها هي التي تتزعم ذلك الوضع. ولابد من ان تكشف سنين المستقبل مدى مصالحة هذه العناصر، او هضمها او البرهنة على جدارتها في الاذعان الذاتي.

وفي الوقت ذاته ومع وجود مادة كافية للمجالس المنقسمة، او التآمر، والفتنة والمصالح والمطامح الشخصية، كانت توجد عوامل مهمة لتوحيد الامة ايضا، اضافة الى الروابط العامة التي يمثلها الدين والثقافة، والمواطنة. فلقد كان الجمهور برمته وعلى حد سواء يخضع لنظام الانتداب بما كان يفرضه من سلطة، وما كان له من مجالس ذات نوايا طيبة [٢]، ذلك النظام الذي كان الجميع يعملون ضده.

اما في المستقبل وبانقضاء السلطة المباشرة التي كانت بريطانيا تمارسها، فان خدمات طائفة من الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية سوف تبقى مطبقة، مهما كانت الطريقة والدرجة التي سوف يبرهن العراقيون عليهما. ذلك ان المساعدة التي سيقدمها السفير البريطاني، الذي خلف المندوب السامي البريطاني سوف تكون متوفرة تماما لرؤساء الوزارات في المستقبل.[*]

---

(٢) يقصد بهذه المجالس، مجالس المحافظات وحتى المجالس البلدية ذاتها.

(*) كان السفراء البريطانيون في العراق خلال الفترة ١٩٣٢ - ١٩٥١ (وكلهم ممن ورد اسمه في الكتاب) يتألفون من السرفرنسيس همفريز خلال الفترة ١٩٣٢-١٩٣٥، وكان من قبل يشغل وظيفة المندوب السامي منذ سنة ١٩٢٩، والسر ارشيبارد كلارك كير خلال الفترة ١٩٣٥-١٩٣٨، والسرموريس باترسون ١٩٣٨-١٩٣٩ [٣] والسربازل نيوتن ١٩٣٩-١٩٤١، والسركنهان كورنواليس المستشار السابق لوزارة الداخلية خلال ١٩٢١- ١٩٣٥ في الفترة ١٩٤١-١٩٤٥، والسر هيو ستونهور برد ١٩٤٥-١٩٤٧، والسر هنري مارك ١٩٤٧-١٩٥٠ والسرجون تروبتك ١٩٥١. اما الخدمات التي اداها للعراق كبار الموظفين البريطانيين، وان كانت ذات قيمة كبيرة في بعض الحالات، الا انها لم تكن معروفة كليا لدى الجمهور، فمن بين الذين تولوا منصب قنصل، وكانوا في الوقت ذاته يشغلون منصب القائم بالاعمال لفترات طويلة السيد «ارغل فوربس» ١٩٣٢-١٩٣٥، والسيد بيتمان ١٩٣٥-١٩٣٨ والسيد هوستون بوزول ١٩٣٨-١٩٤٠، والسيد هولمان ١٩٤٠-١٩٤٢، والسيد تومبسون ١٩٤٢- ١٩٤٥، والسيد بسك ١٩٤٦-١٩٤٨، والسيد همفري ترفليان ١٩٤٨-١٩٥٠ [٤]، والسيد بيلي ١٩٥٠، اما سكرتاريو الشؤون الشرقية في تلك المدة فهم كل من فيفيان هولت ١٩٣٢ ١٩٤٤، والسيد بيرون ١٩٤٥-١٩٤٧ والسيد دتشموند ١٩٤٨-١٩٥١.

(٣) صاحب كتاب «على جانبي الستار الحديدي» ومن الذي عهد اليهم بالتخلص من الملك غازي في سنة ١٩٣٩.

(٤) صاحب كتاب «الشرق الاوسط في غمار الثورة» ولربما اقدمنا على ترجمة القسم الخاص بالعراق من هذا الكتاب ونشره اذا ما سمحت الظروف بذلك.

وهناك عامل آخر هو وضع الملكية ذاتها. سنة ١٩٣٢. فلم يكن هناك اي توقع بان الخدمات التي كان الملك فيصل يقدمها والتي لاتمكن مقارنتها، لن تظل متوفرة لمدة عشرين سنة اخرى، ولسوف تكون هذه الخدمات قادرة على تحييد كثير من المنازعات، او المظاهر المزعزعة للحياة العراقية العامة. ذلك لان مثل هذا الامر لايمكن بصفة رحيمة اخفاؤه عندما تحين ساعة الاستقلال.

وبما يعادل ذلك ايضا انه لم يكن من المتوقع ان تصبح احدى منظمات الامن والوحدة القومية ونعني بها الجيش الذي وضع فيه الامل، وتمثل بالطاعة قبلا وبصفة صحيحة، ان تمسك في يدها بزمام القيادة في ميدان الثورة والتنغيص، لقد اصبح ذلك الجيش، وهو من اعظم الادوات الفعالة في توحيد المظاهر، وان لم يكن حجمه ليزيد في الواقع عن فرقة واحدة وكان يقحم به في فتن مختلفة ذات درجات متباينة من بينها القومية،نقول اصبح هذا الجيش يؤلف القوة الوحيدة في السياسة العراقية المعاصرة.

لقد اتخذ الجيش العراقي، الصيغة المعتادة في البلدان الحديثة التي تختار بكل حماسة، مواقف كانت تخشاها من قبل، تلك الاقطار القديمة التي يسودها الوهم. ذلك ان فخر البلد، ورغبته في تحرره السياسي، كانا يقابلان بالترحاب بصفة عامة باعتبارهما من العواطف الممدوحة، وفي سنة ١٩٣٢ اخذ كثير من العراقيين يظهرون العواطف الوطنية باعتبارها عواطف محترمة مثلما كان عليه الامر في البلدان الاخرى. ولكن بالمشاركة مع الاقطار الاخرى، كانت القومية العراقية قد تطعمت الى حدها، بعناصر اقل احتراما.

لقد كان اصدقاء هذه العناصر يودون ان يطهروها من مظاهر تؤدي الى دمارها خلقيا، وماديا، وان تنشر الفخر الواعي للبلاد بدلا من ان تراه يتركز في طبقة صغيرة، لقد كان هؤلاء يفضلون الطموح السياسي الذي يستخدم القومية بمثابة صرخة حرب لها، وان يوجهوها نحو ضمان حياة افضل للجماهير، بدلا من توجيهها نحو الاهداف السياسية باعتبارها غايات قائمة بحد ذاتها.

فلو كانت القومية العنيفة المعادية للاجانب اقل قسوة في الواقع، واوسع قاعدة من الوطنية المتسامحة بصفة اكثر، قد اتخذت مكانتها، لكانت الآمال التي تصبو الى احراز تقدم صائب اكثر سطوعا، لقد كان عيب هذه القومية التي كانت تعمل ضد التأخر الاجتماعي. وتغتاظ من التفوق المادي والدولي للاوربيين (وغالبا ماتكتفي برياح تفوقها الاجتماعي ايضا) انها كانت تساهم في صنع التأريخ المشوه، غير المنتقد والذي يتسم بالاطراء الذاتي.

لم تظهر القومية المحلية، ماخلا بالنسبة الى قلة من الافراد، سوى الشيء القليل من التثمين لما تستطيع المدنية الغربية ان تقدمه، وفي احسن حال تكون عليه، في ميدان التسامح، والكرم، والحرية الصادقة، والمساواة في الفرص، والقليل من الفهم للحكمة العملية التي تتسم بالمحافظة

الذاتية بالنسبة الى الامم الصغرى، وتقبلها بود لمكانة هذه الامم الصغرى، الى جانب دول اقوى. غير ان الحساسية العنيفة او المدمرة كان يجري توجيهها ضد الاذى من امثال مخاوف التدخل الامبريالي، او الحركات المشبوهة التي كانت تقوم بها الامبريالية.

وما ان تم تشخيص القومية خطأ بالوطنية ، حتى اصبحت ميدانا للتنافس السياسي الذي يكون فيه اشد المعادين للاجانب ، هو الوطني الاعظم [٥] فهذا المظهر الملح للسياسة العراقية قد كلفها تصرفها، في بعض الاحيان، حياة البعض من خيرة ابنائها، وحرم الشعب من المنافع الحقيقية.

كانت في الميدان الدولي ، ثلاث مهام اساسية قد تؤول الى الامة العراقية بعد سنة ١٩٣٢. اولاها هي الافادة الى اوسع مدى، من المساندة والمساعدة اللتين قد يهيؤها حليفها لها، من دون تدخل او بحث ذاتي لتقديم تلك المساعدة. والمهمة الثانية هي ان يساير العراق السياسية العالمية ويلائم نفسه معها كي يضمن سلامته في اي ضرب من الصراع بين الدول قد ينشب . اما المهمة الثالثة فهي ان يتخذ خطوات ، من امثال الاحساس الشعبي، قد يشير الى الاتجاه لاقامة علاقات اوثق مع بقية اقطار العالم العربي.

فالاولى من هذه المهام ، وان لم تكن تتطلب اكثر من صيانة العلاقات الودية المتبادلة مع البريطانيين ، فانها لم تكن مهمة شاقة، ذلك لانه لا يوجد فعلا ميدان للتصادم في المصالح بين الحليفين، وان الحملات الصحفية الشديدة ضدالاجانب من المستطاع تقييمها، دون شك من قبل الطرفين. اما بالنسبة الى الشؤون الدولية خارج العراق، فلم يكن امام حكومة العراق اي خيار الى حين ان وصل الحزب النازي الى الحكم في المانيا، وانجذاب كثير من العراقيين الى صيغ ذلك الحكم النازي وطرائقه، الامر الذي اوجد اغراءا لقيام حركة: داخل السياسة العراقية، مجانبة لبريطانيا، وباتجاه الاعداء المحتملين لها، ذلك الاغراء الذي فشلت في مقاومته حكومة عراقية قامت بعد عشر سنوات من ذلك الوقت.

اما بالنسبة الى العالم العربي فان هذه الحركة قد سارت قدما بصفة حتمية، وكان ينظر اليها نظرة عطف عام . ذلك لان فكرة «الوحدة العربية» قد اخذت تظهر في المناهج الوزارية حتى قبل ان تنتهي فترة الانتداب. ومع ان كل رجال الدولة لم يعطوا تفسيرات محددة لها، او يولوها الاولية ، الا ان الفكرة لم تخفق في جذب اهتمامهم. لقد كانت هذه الوحدة في الواقع ، من النوع الذي يقع بصفة ضمنية، في نطاق المحيط اللغوي والثقافي المشترك للعرب، وتقاليدهم المشتركة،

---

(٥) هنالك فرق في مفهوم الوطنية لدي الغربيين عنه لدى الشرقيين والعرب خاصة فالقومية NATIONALISM تختلف اختلافا كبيرا في المعنى والقصد عن الوطنية PATRIOTISM الى درجة ان كلمة «القومية» اصبحت في النهج السياسي في الغرب ولدى اليساريين بصفة اخص، تعني المحافظة او التعصب ولذلك اتهمت الحركات القومية لدى اليساريين بالفاشية والنازية.

والدين والعزة القومية، وابتداء من العراق حتى المغرب، كما انها كانت من الناحية السياسية، تعكس ذكرى الامبراطوريات الاسلامية التي قامت في العصور الوسطى (وان كانت تلك الامبراطوريات بصفة اساسية غير عربية في الواقع). كما انها كانت وريثة للقومية العربية المصممة التي ظهرت في اوائل سني القرن العشرين.

كان العراقيون شديدي الاهتمام، وبصفة خاصة جدا، بالوعود التي قطعت للملك حسين اثناء الحرب عندما اصبح انشاء حكومة عربية واحدة امرا متصورا، وحين اشتد الالحاح على لأم كيان امة عربية اوسع، كما تصبح مثل هذه الامة الكبيرة موازنة اكثر ثقلا بالنسبة الى السيطرة الاوربية، ولاصلاح التمزق الذي اصاب البلاد العربية بعد الحرب، وادى الى اثارة السخط والتذمر، وللتمتع بحياة اقتصادية واجتماعية اكثر سعة.

ولكن كانت هنالك عوامل اخرى لم يكن من اليسير الكشف عنها، والتي ينبغي التوقع بانها سوف تجعل الوحدة السياسية امرا يصعب تحقيقه. ولم تكن مثل هذه المؤثرات تقتصر على الانفصال الجغرافي الواضح وحده حسب، وانما كانت تشمل الولاءات المحلية المميزة التي تطورت منذ سنة ١٩١٨ بفعل التشجيع التام الذي كانت تلقاه من لدن الحكومات المتعاقبة في البلدان العربية.

على مثل هذه الشاكلة برزت الخلافات في التوجيه، وفي المصالح الاقتصادية والزعامات الشخصية للاسرة الحاكمة، او لرجال الدولة، ومراحل التطور التي تحققت في مختلف البلدان. يضاف الى ذلك، التباين، بصفة عامة، بين العطف الاخوي الموروث غير المجرب والمطالب الهينة المؤكدة للوحدة السياسية الحاضرة. وهناك عقبة اخرى لابد من تحملها ونعني بها فردية الشخصية العربية التي تقاوم الخضوع والمصالحة. لقد كان ينبغي مجابهة كل هذه المشاق عندما اصبحت الوحدة العربية بعد اثنتي عشرة سنة، تؤلف، في نطاق الأماني العراقية وعلى مدى واسع، حقيقة سياسية اصولية، ولتبرهن على جسامتها.

٢ ـ ذروة المشكلة الاثورية

كانت المظاهر الادارية والسياسية للحياة العراقية، والمماثلة لتلك المظاهر التي وجدت في سنة ١٩٣٢، قد استمرت في سيرها المعتاد لمدة ثلاث سنوات اخر واكثر من ذلك. ولكن في خريف تلك السنة برزت دلالة صغيرة لحدوث تغيير مفاجئ كان يشير الى ازالة الضغوط والى تعاظم الاتجاهات الخطرة التي جئنا على وصفها في الصفحات السابقة. فلم يعد نوري السعيد متلهفا لاطالة امد رئاسته للوزارة، وذلك لان مركزه القوي في البرلمان، قد تعرض للهجوم الشديد من خارج البرلمان، على يد حزبين هما حزب الاخاء والحزب الوطني. ذلك ان صحافة هذين الحزبين اخذت تهاجم بصفة متكررة الوزارة القائمة وتستنكر مجددا المعاهدة البريطانية، الى ان تم تشريع قانون «حظر الدعاية المضرة» لكي يكبح جماح تلك الصحافة.

كانت الفئة اللبرالية او الاصلاحية التي تكونت الان بين المحامين والصحفيين والعناصر المثقفة التي نفد صبرها، والتي اتجهت لاول مرة نحو القضايا الاجتماعية باعتبار ان هذه القضايا هي اساس السياسة، تأمل ان تساوق نفسها وصحيفتها «الاهالي» في اتجاه قيام حكومة اكثر تقدمية

وكان الملك ومستشاروه الذين كانوا يفكرون في استعمال عبارة «المقدمات المحددة» قد اخذوا يكيفون انفسهم بالنسبة الى العهود الجديدة لغرض البدء بمقومات تهدف الى ايجاد وحدة وطنية اوسع بين السنة والشيعة، وبين الاقطاعيين والفلاحين، وبين ابناء العشائر وسكان المدن، وبين الاكراد والعرب، وايجاد ادارة افضل، وتحقيق تطوير اوسع، وبناء جيش اقوى.

ومثل هذا المنهاج يمكن ان يتحقق بصفة افضل عن طريق تأليف حكومة تشترك فيها كل الاحزاب، وهذا معناه انه يشير الى تشكيل وزارة من حزبي «الاخاء» و «العهد»، وبعض العناصر المستقلة. وفضلا عن ذلك كان الاحساس السيئ ينبع من القضايا الشخصية والخاصة، ولربما كانت من ضمن ذلك صبغة خفيفة من غيرة الملك فيصل من النجاح الذي حققه نوري السعيد، ذلك النجاح الذي جعل مركز نوري السعيد منيعاً.

كان التحالف الذي قام بين حزبي «الاخاء» و «الوطني» مايزال حديث العهد، ولم يستطع الملك ان يتقبل الشرط الوحيد الذي اشترطه ياسين الهاشمي، وكذلك رشيد عالي الكيلاني،

الذي يشغل منصب رئيس الديوان الملكي الان، ورفاقها ، للقبول بتأليف الوزارة، الا وهو اعادة النظر في المعاهدة. على ان التوفيق الذي تم اختياره آنذاك، كان ينطوي على تأليف وزارة حيادية يرأسها ناجي شوكت، كانت تضم بين اعضائها مجموعة من المحامين المبرزين، من بينهم نصرت الفارسي ذلك الرجل القدير الحذر، وجميل الوادي، وجلال بابان، وهو ابن عم بعيد لجمال بابان، اختير مثل جمال بصفته من الاكراد للاغراض الوزارية. ولقد تولى هؤلاء وزارات المالية، والعدل، والاشغال بالتتابع. وهناك رشيد الخوجة، وهو ضابط سابق وقدير عمل محافظا لبغداد، وقد اسندت اليه وزارة الدفاع، وعين عباس مهدي المعتدل لوزارة التربية، في حين اختير الرجل الحصيف «عبد القادر رشيد» لوزارة الخارجية[1].

تألفت الوزارة الجديدة في اوائل شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٢[2] وكان ينظر اليها نظرة خالية من الحماسة من لدن المعتدلين، ونظرة كلها نفور من قبل «الأخائيين». ، ولذلك فان منهاجها الذي ضم قائمة اعتيادية من الاهداف التي لايمكن تطبيقها، ولاتحقيقها على نطاق واسع ، لم يفعل سوى الشيء الضئيل لتركيزها. وعلى هذا الاساس قرر ناجي شوكت ان يدعم وزارته هذه، بمساندة برلمانية اوسع عن طريق اجراء انتخابات نيابية جديدة، في ذات الوقت الذي سمح فيه لحزب العهد ، حزب نوري السعيد بان يلفظ انفاسه.

لقد جاءت تلك الانتخابات التي قاطعها عبثا حزب «أبي التمن» بمجلس نيابي معقول، راغب في تأييد وزارة ناجي شوكت. كما ان ناجي شوكت نفسه كان بدوره على استعداد، مقابل ذلك ، لأن يستبدل موقفه المؤقت بتأليف وزارة دائمة. غير ان افتتاح شهر اذار سنة ١٩٣٣ ، قد كشف عن ان الوزارة الشوكية لم تكن تحظى الابحماسة ضئيلة في الوقت الذي تعرضت فيه لهجمات حزب «الاخاء». ولما لم يستطع ناجي شوكت ان يكيف نفسه وفقا لرغبة الملك في تأليف وزارة من كل الاحزاب، وتضم كل عناصر الدولة المبرزين لدى الملك، فقد تظاهر، اي ناجي شوكت بالمرض وقدم استقالة وزارته[3].

كان تأليف وزارة يرأسها رشيد عالي، وبوجود مجلس نيابي تم انتخابه بصفة مغايرة لاكثرية

---

(١) كان المرحوم عبد القادر رشيد اول من اخرج ترجمة عربية موجزة عن الفرنسية لقصة الكاتب الاسباني الشهير «ميجويل سرفانتس» المعنونة «دون كيخوت» وطبعها طبعا انيقا في القاهرة في اواخر سني العشرينات.

(٢) تألفت وزارة ناجي شوكت في اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٣٢ ، وتولى فيها «جلال بابان» وزارة الاقتصاد الى جانب وزارة الاشغال والمواصلات.

(٣) استقالت وزارة ناجي شوكت هذه في يوم ١٨ اذار ١٩٣٣ ، في حين الف رشيد عالي وزارته في اليوم العشرين من الشهر ذاته واستمرت حتى اليوم التاسع من ايلول ١٩٣٣ نتيجة وفاة الملك فيصل الاول ، لكن الكيلاني اعاد تشكيلها في ذات اليوم وليثت حتى اليوم الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول من ذات السنة.

الاخائيين، صور تصويرا جيدا تلك المفارقة القائمة بين الوزارات العراقية والمجلس النيابي. ذلك لأن النواب الذين تم انتخابهم باعتبارهم مؤيدين للفئة الحكومية اي «اصحاب الكرات البيض» لابد وان يساندو المعارضين «اصحاب الكرات السود» من باب المجاملة والملاطفة، مما جعل مقاعد اولئك النواب المؤيدين معرضة للخطر اكثر من اية هيئة اخرى لها مبادؤها.

بدأ رشيد عالي يطالب بان تطلق يده في تعديل المعاهدة، غير ان الملك، لم يستطع ان يقنع رشيد عالي بالتخلي عن هذه الفكرة، الا بعد ان هدد بالتنازل عن العرش(٤).

ولذلك اعلن في اليوم العشرين من الشهر ذاته عن تأليف وزارة جديدة برئاية ياسين الهاشمي، تولى فيها – الى جانب الرئاسة – منصب وزارة المالية، واعطيت فيها وزارة الداخلية الى حكمت سليمان، والخارجية الى نوري السعيد، والدفاع الى جلال بابان وعين عباس مهدي وزيراً للتربية ورستم حيدر للاشغال والمواصلات، واستوزر احد المحامين، وهو محمد زكي البصري وزيرا للعدل.

وسرعان ما قوبلت هذه الوزارة بالتعاون الوطني الاصيل، فسارعت الى نشر منهاج يثير الدهشة عن الاصلاحات التي تنوي القيام بها ولكن مع كل ذلك فقد خسرت هذه الوزارة تأييد الوطنيين لها بسبب الضعف الذي اظهرته ازاء المعاهدة. ولقد نشر اولئك الوطنيون، في شهر حزيران من تلك السنة، بياناً استنكروا فيه موقف الحكومة(٥).

ومرة اخرى كان هناك عنصر منفرد في الدولة قد اظهر رغبته في اثارة العنف العشائري، تمهيدا للاتيان بحكومة وحدة وطنية جديدة. وعلى الرغم من كل هذه الامور فان الحوادث المؤسية التي وقعت في خريف سنة ١٩٣٣، هي التي انقذت وزارة الاخائيين من الخطر المحيق

---

(٤) لايوجد ادنى شك في ان الملك فيصل الاول كان في تلك الايام يركز كل اهتمامه في الغاء فترة الانتداب البريطاني على العراق، وقبول العراق عضوا في عصبة الامم، ولذلك كان فيصل في تلك الفترة يعارض اجراء اي تعديل او مساس بمعاهدة سنة ١٩٣٠ مخافة ان يؤدي مثل هذا العمل الى اثارة نقمة الانكليز واستغلال ذلك مبررا لاطالة امد الانتداب، وتأخير اعلان استقلال العراق، ومن هذا المنطلق انبعثت معارضة الملك فيصل لما حاوله رشيد عالي بشأن المعاهدة والاصرار على ان تبقى المعاهدة دون مساس الى ان يتحقق الاستقلال ويزول الانتداب.

(٥) يراد بكلمة «الوطنيين» هنا اعضاء الحزب الوطني الذي يترعمه جعفر ابو التمن وكان الحزب الوطني قد انفصل عن حزب الاخاء الذي تآخى معه منذ سنة ١٩٣٠. في اليوم التاسع من حزيران ١٩٣٣، نشر الحزب الوطني بيانا هاجم فيه الوزارة الكيلانية لانها لم تتألف من الكتلة النيابية المعارضة، ولانها كانت تعتبر معاهدة سنة ١٩٣٠ «خطوة الى الامام لاتنكر» كما نوه الحزب بالمخاوف التي قد تنجم عن موضوع حراسة المطارات الانكليزية وما اذيع عن عزم الحكومة الحصول على قرض من عوائد النفط لانفاقه على انشاء قسم من سكة حديد «حيفا – بغداد» وسد العجز في الميزانية، وغير ذلك من النقاط التي جاء البيان على ذكرها.

بها[٦] حيث توحدت كل انحاء البلاد، ولو بصفة مؤقتة، في تأييد الاخائيين باعتبارهم انهم هم حماة الامة.

كان الملك فيصل الاول الذي دعي للقيام بزيارة رسمية الى انكلترا، والتي احسن توقيتها، قد ترك ابنه غازي الذي يبلغ الحادي والعشرين من عمره، وصيا عنه في بغداد. وقد وصل فيصل الى لندن في اليوم العشرين من شهر حزيران، بصحبة ثلاثة من الوزراء هم ياسين الهاشمي، ونوري السعيد، ورستم حيدر، كانت تلك الزيارة ناجحة نجاحا تاما. فبعد اقامة امضاها في قصر بكنغهام، قام فيصل بزيارة سكوتلندا، وديفو نشاير، كما امضى اياما اخرى في سويسرا[٧]

انتهى التمرد الاثوري وانسحبت القوات العراقية، وعاد القرويون الى منازلهم، واقيم مخيم للاجئين في الموصل على نفقة الحكومة العراقية، انها اعادة غريبة لذات الاوضاع التي شهدتها بعقوبة في سنة ١٩١٩ عندما تم جمع الاثوريين هناك في مخيم اقيم لهم فيها. كذلك تم نقل المئات من الاثوريين العاملين في قوات المرتزقة الى مواقعهم في معسكر الهنيدي، وامتلأت الموصل بالمئات من اللاجئين العاطلين عن العمل وغير الصالحين له. وخوفا من تفاقم المشاعر، تم اخراج والد مار شمعون، واخيه، وعمته من الموصل.

وجد الملك فيصل الذي لم يلق المساحة على تدخله بانه قد تم تجاهله وسط التهليل والترحيب اللذين كان يلقاه ولده «غازي» والقادة. ولذلك عاد فيصل في اليوم الثاني من ايلول الى اوربا للعلاج الطبي مريضا فاقد الحمية، في الوقت الذي تم فيه نقل المارشمعون على متن احدى طائرات القوة الجوية البريطانية الى مكان امين في جزيرة «قبرص»، ومن ثم انضمت اليه اسرته هناك، وخصصت الحكومة العراقية مخصصات لمعيشته شريطة ان يقلع عن الاقدام على اية سياسة تحريضية، ولكن المارشمعون مالبث ان خرق هذا الشرط منذ اول ساعة قبل به فيها، وشرع من قبرص، يمطر عصبة الامم بوابل من ادعاءاته ومطاليبه.

كانت عودة السفير البريطاني السر فرنسيس همفريز الى بغداد في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب، وهو يحمل الى الحكومة العراقية تأكيداً بعدم حدوث اي تدخل بريطاني لصالح الاثوريين، قد اتاحت الفرصة امام الوزارة الكيلانية لكي تتنفس الصعداء، وهكذا اخذ التوتر وثورة العواطف اللتين شهدهما منتصف شهر آب، بالاختفاء تدريجيا، وهكذا وصلت الانباء في اليوم الثامن من شهر ايلول الى بغداد، تعلن بان الملك فيصل، الذي كان الى جانبه اخوه الملك علي، ونوري السعيد، ورستم حيدر، قد توفى فجأة على اثر نوبة قلبية اصابته في مدينة «برن» بسويسرا.

---

(٦) يقصد المؤلف بالحوادث المؤسية تمرد الاثوريين في صيف سنة ١٩٣٣ واضطرار الحكومة العراقية لاستخدام قوات الجيش العراقي في ضرب ذلك التمرد، الذي وقت القيام به في الموعد المحدد لاستقلال العراق، وانتهاء الانتداب البريطاني عليه.

(٧) انظر تفاصيل هذه الزيارات التي قام بها فيصل الاول في مذكرات الدكتور سند رسن التي ترجمناها وصدرت لها ثلاث طبعات آخرها الطبعة التي صدرت في سنة ١٩٨٥.

٢ - الوزارة الهاشمية

كانت الرجة التي احدثتها هذه الخسارة التي لاتعوض مفاجئة بصفة مؤثرة . وصاحبتها موجة من الاحتقار الناكر للجميل ، وحولت اتجاه الرأي العام في غضون ساعة واحدة[١] ولكن فيصل مالبث بعد ذلك ان استعاد بكل استحقاق ، ماكان له من مكانة في اعتبار العراقيين ، وهو اعتبار بدا واضحا لدى وصول جثمانه من مينائي «تريست» و «حيفا» في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول ، وذلك في التعبير عن الحزن الواسع الذي اصاب الامة العراقية. لقد كانت خدمات فيصل في الواقع تتجاوز الثمن بالنسبة الى دولة كان هو روحها ومجسدها معا على حد سواء. ولسوف تبرهن تلك الخدمات في الايام المقبلة ، بانه لايمكن الاستغناء عنها قط . فلم يعد مستطاعا لاي احد سواه ان يحتل مكانه بصفة موازن للقوى ، او ان يحتفظ بعلاقاته المتعادلة مع اصحابه المتطرفين ، ومع البريطانيين ، وطائفة المثقفين في المدن ، ورجال العشائر الشرسين. كما ان احدا غيره لم يكن في مستطاعه ان يهيمن بميزته الشخصية ، على الطبقة الحاكمة ووزرائها الذين كانوا يثيرون الفتن . لقد كان مستطاعا تجنب الكثير من الاضطرابات التي حدثت خلال الفترة من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤١ لو ان حكمة فيصل وتجربتها قد تم ادخارها لدولة العراق في تلك السنوات .

اقسم «غازي» ووريث الملك فيصل الذي ارتقى العرش ، يمين الاخلاص الرسمي ، وتبادل البرقيات مع الملك جورج الخامس ، كما تقبل استقالة الوزارة القائمة . كان غازي انذاك في

(١) كان التهمة الموجهة الى فيصل من الطامعين في التحكم والتسلط سواء في ذلك رجال المدرسة القديمة في السياسة ، ام المثقفون الجدد المحرومون ، ام العناصر التي الفت التمرد واثارة الفتن من رجال الدين وشيوخ العشائر ، انه كان يمالئ الانكليز ويسايرهم . وقد نسي هؤلاء جميعا ، وعلى الاخص بعد ان فشلت ثورة سنة ١٩٢٠ ذلك الفشل المريع في تحقيق اهدافها ، بان العراق لم يكن منذ الغزو المغولي ومابعدها شيئا مذكورا لا في تأريخ العالم ولا بين الامم . وان فيصل بمساعدة المخلصين من العراقيين وغيرهم ، قد استطاع لاول مرة ان يضع اسس قيام حكومة عراقية يديرها العراقيون بانفسهم . ولم يكن في مستطاع اي حاكم مثله يبرز في بلد تحتله الجيوش الغازية ، ويعوزه النصير من اي بلد اخر في العالم ، عربيا كان ذلك النصير ام غير عربي ، ان يقف بوجه الانكليز ويصارعهم لانه لايملك القوة لعمل ذلك . وهذه حقيقة ماتزال تغيب حتى اليوم عن اذهان كثير ممن يدعون الالمام بالحقائق ، ودراسة الموضوعات المتعلقة بالحكم ، من الذين يحكمون او يؤرخون الوقائع بحكمة وانصاف ونحن لانريد بهذا القول ان ندافع عن فيصل ورجاله ، وانما الحقيقة تقتضي مثل هذا القول

الحادية والعشرين من عمره ، فتى نشطا ووطنيا حمسا ، ومحبوبا . وكان يتمتع بالشعبية من لدن الجماهير ومن ضباط الجيش الذين درس معهم في كلية «هارو» لفترة غير ناجحة . ولكن ، مع ذلك ، كان ينقصه الاعداد الذهني والأهتمام بالشؤون العامة . وهذا النقص بالاضافة الى تكريسه وقته للمرح والالعاب قد اضعف الامل في البرهنة على كماله للنهوض بوظائف الملكية في العراق .

تم استيزار رشيد عالي الكيلاني ، واستطاع هذا ان يستفيد من الالتحام الوطني الذي حصل بين ابناء الشعب وعودة الامور الى حالتها الاعتيادية بعد الهجمات الصحفية والتظاهرات الشعبية التي وقعت في شهر آب.ولكن مهما كانت نوعية الالتزامات السابقة التي التزم بها رشيد عالي فانه لم يستطع الان ان يفعل شيئا ما ، اكثر من ان يعيد التأكيد بانه سوف يقتني سياسة فيصل «والتي كانت تتمثل في المعاهدة وفي الصداقة مع بريطانيا .

ولكن الحزب الوطني الذي يتزعمه جعفر ابو التمن ، والذي بقي مثابرا على خطته التحريضية السابقة حتى في فشل تلك الاحوال ، هذا الحزب مالبث في اليوم الثالث لتأليف الوزارة الجديدة ان اصدر بيانا اخر معاديا للوزارة الاخائية (٢) ولذلك قرر رئيس الوزراء ان يعزز مركزه بالدعوة الى اجراء انتخابات جديدة ، وتأليف مجلس نواب جديد ، يكون اكثر انقيادا للوزارة . غير ان الملك غازي وبنصيحة من علي جودت الايوبي ، رئيس الديوان الملكي ، رفض الموافقة على حل مجلس النواب (٣) ولم تلبث ان حدثت رجة للوزارة عندما استقال وزيران منها (٤) ثم اعقب ذلك سقوط الوزارة بكاملها في اليوم الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٣٣ .

كان رئيس الوزراء المقبل ، جميل المدفعي ، شخصية صائبة ومخلصة ، ولكن كان ينقصه الالهام . ولما لم يكن المدفعي راغبا في البقاء في رئاسة الوزارة طويلا ، فانه كان يطالب بالتأييد

---

(٢) هاجمت المعارضة ، ومنها حزب ابي التمن من الكلمة التي القاها الكيلاني في اعقاب اعادة تأليفه الوزارة عندما قال فيها ان السياسة التي سارت عليها البلاد ، والتي من اهم اركانها الاعتماد على الصداقة بين العراق وبريطانيا سوف لايطرأ عليها اي تغيير فقد اعتبرت المعارضة ان هذا التصريح جاء مخيبا للآمال المعقودة على تعديل معاهدة ١٩٣٠ ولذلك اصدر الحزب الوطني في الحادي عشر من ايلول بيانا قال فيه بان الحزب لم يكن يتوقع في مثل هذا العهد الجديد السير على الخطة الماضية التي حققها حزب الاخاء والحزب الوطني معا والتي تنم عن تأييد المعاهدة. وذكر هذا البيان بان الحزب سوف يبين موقفه ازاء هذه السياسة الرجعية بعد انتهاء ايام الحداد الرسمي ولكن بيان الحزب لم يصدر بل صدر بيان ابي التمن عن اعتزاله السياسة في اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ .

(٣) من هذه اللحظة برزت الاطماع والمصالح الذاتية للشخصيات التي كانت ملتفة حول فيصل وبدأت منا وراتها ومؤامراتها لاضعاف مركز غازي ولنشر الفساد في السياسة العراقية التي تدهورت تدهوراً واسعا في السنوات القلائل التي اعقبت وفاة فيصل والتي كانت من العوامل الاساسية التي ساعدت على وقوع انقلاب بكر صدقي ، وماتلته من ازمات ورجات اختتمت بثورة ايار سنة ١٩٤١ ولقد فصلنا العوامل الرئيسة لانقلاب بكر صدقي في كتابنا الذي اعددناه والذي نأمل ان يتسنى لنا نشره في ظروف مناسبة قادمة .

العام له ، لكنه لم يضغط على اجراء انتخابات جديدة . ضمت وزارة المدفعي كلا من جمال بابان للعدل ، ونوري السعيد للخارجية ، وناجي شوكت للداخلية ، ورستم حيدر للاشغال ، ونصرت الفارسي للمالية وصالح جبر للتربية ، وهو شاب شيعي جديد ذو قابلية عالية !! واذ شرعت الوزارة باجراء تغييرات اعتيادية بين كبار الموظفين ، فقد استطاع المدفعي ، وبافضل مايستطيع ، ان يكبح جماح جماعته القلقة ، وان يوجه الترتيبات اللازمة لاعلان خطوبة غازي على اول مولودة لعمه علي ، هي الاميرة عالية ، وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٤. عايش وزراء المدفعي المقاطعة التي امتدت مدة شهر في بغداد ، لشركة التنوير الكهربائي ، تلك المقاطعة التي نظمها اصحاب المقاهي ، والمنتفعون من اليهود ، وبالعمل الموجه المباشر الذي شارك فيه الساسة . غير ان فظاظة حدثت في الاوساط الوزارية ، اوجدت هوة بين النواب عندما جرت مناقشة مشروع «سدة الكوت» والتي ادت اول الامر الى استقالة رستم حيدر من منصبه ، ومن ثم الى استقالة رئيس الوزراء نفسه في اليوم العاشر من شهر شباط ١٩٣٤

* * *

بقي غازي ، وفقا للنصح الذي قدم اليه ، يرفض اجراء انتخابات عامة ، وذلك هو الشرط الذي قد يستعيد الاخائيون به الوزارة . وبدلا من ذلك رأى غازي ان من الحصافة ان يستدعي جميل المدفعي مرة اخرى الى تأليف الوزارة ، لكن المدفعي ، نبذ الوزراء الذين ادت خلافاتهم الى اسقاط وزارته الاولى ، وهم نوري السعيد ، ورستم حيدر ، وناجي شوكت ، وصالح جبر ، فاختار بدلا منهم كلا من ناجي السويدي ، وعباس مهدي ، ورشيد الخوجة ، وجلال بابان ، والطبيب عبد الله الدملوجي لاول مرة ، والذي كان وزيرا للخارجية خلال سنتي ١٩٣٠ - ١٩٣١ .

على ان هذه الوزارة التي اعيد تأليفها كانت اكثر نجاحا ، ولو بنسبة اقل ، من الوزارة السابقة . ذلك لان انحطاط الادارة منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وسني العشرينات من القرن الحالي ، اصبح من الامور المؤكدة وعلى نطاق واسع . ولذلك تعرض رئيس الوزراء ، ومن دون انصاف ، الى اللوم الذي وجهه اليه خصومه. فلقد كانت هجمات صحافة الاخائيين مفرطة ، الى درجة ان الاحتفالات التي نظمت في شهر حزيران سنة ١٩٣٤ ، احتفاء بذكرى ثورة ١٩٢٠ ، لم تنجح لاتخاذها وسيلة من وسائل التلهية . ذلك لان تأييد البلاط كان فاترا ، ولان المدى الذي تأكد فيه الان بان الملك الشاب سوف يقصر فيه عما كان لوالده ، لابد وان يقلل من قيمة مثل هذا التأييد . ولقد تفاقم انعدام شعبية الوزارة بعد ان ضمت اليها شخصا

ثانيا من اسرة السويدي ، حين حل توفيق السويدي محل عبد الله الدملوجي في وزارة الخارجية (٥) .

لم يكن الامر ينقصه تدبير مكيدة ضد رئيس الوزراء في الاوساط المعارضة العليا ، القريبة من العرش ، ولذلك قوبلت المصادقة على قرض قانون التجنيد الاجباري خلال فترة طويلة ، باختلاف ظاهر . واخيرا وفي شهر اب قدم المدفعي استقالة وزارته . ولم يجر تناسي «علي جودت» رئيس الديوان الملكي ، والذي كان منصبه المفضل هذا ذا تأثير على الملك ، وفي تنظيم المحالفات الملائمة ، ولذلك تقبل علي جودت رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية في اليوم الثامن والعشرين من اب ، ولقد احتل رستم حيدر مكانه في البلاط ، في حين تولى نوري السعيد ، الذي عاد الى دخول الوزارة ، منصب وزير الخارجية ، واعطيت وزارة الدفاع الى جميل المدفعي نفسه وعين «ارشد العمري» وهو مهندس تركي الثقافة ومن اسرة شهيرة في الموصل ، وزيرا للاشغال في حين اعطيت وزارة المالية الى الاقتصادي المسيحي «يوسف غنيمة» وسلمت وزارة التربية الى عبد الحسين الجلبي .

كان اول عمل اقدم عليه علي جودت هو حل البرلمان ، وتلك خطوة مشكوك في دستوريتها ، ولذلك استنكرها الاخائيون ، لكنها كانت ضرورية لضمان التأييد البرلماني (٦) وفضلا عن ذلك سار علي جودت الى ابعاد لم تكن مأمونة في العراق ، كما زعم خصومه ، في اعطاء الاوامر الى موظفي المحافظات بشأن الاشخاص الذين يجب ان يعودوا الى مقاعدهم في مجلس النواب . اجتمع البرلمان الذي نجم عن تلك الانتخابات في الاسبوع الاخير من سنة ١٩٣٤ (٧) ولما كان ذلك البرلمان مدعما من قبل الاشخاص الذين رشحهم رئيس الوزراء نفسه ، فانه لم يكن ليمثل المعارضة الاخائية.

---

(٥) كان لابد ان تنتهي مدة عضوية عبد الله الدملوجي في الوزارة في اليوم العشرين من شهر اب الا اذا تم انتخابه نائبا او عين عضوا في مجلس الاعيان قبل ذلك اليوم تطبيقا للدستور ولهذا السبب رفع الدملوجي استقالته الى رئيس الوزراء في اليوم الثامن عشر من تموز ملمحا فيها الى موضوع العضوية في مجلس النواب او الاعيان ولكن ذكر ان سبب الاستقالة هو مانمي الى رئيس الوزراء جميل المدفعي من كلام تفوه به الدملوجي مع حاكم «كرند» الفارسي من كلمات لم يرض عنها رئيس الوزراء . ومما تجدر الاشارة اليه ان توفيق السويدي كان في ذلك الوقت يشغل منصب ممثل العراق الدائم في مجلس عصبة الامم .

(٦) وجهت الاتهامات الى علي جودت بشأن موقفه السابق من البرلمان ، واقدامه بعد توليه رئاسة الوزارة ، على حل ذلك البرلمان الذي عارض في حله قبلا عندما اراد المدفعي ذلك ، وقد رد تلك الاتهامات بالادعاء بان الظروف التي تولى فيها رئاسة الوزراء تختلف عن سابقتها بحجة ان البلاد قد فجعت بوفاة فيصل/وان الظروف انذاك لم تكن ملاءمة لاجراء انتخابات جديدة

(٧) اخطأ المؤلف عندما ذكر ان البرلمان الجديد قد اجتمع في الاسبوع الاول من سنة ١٩٣٤ والصواب هو ان البرلمان قد اجتمع في يوم السبت التاسع والعشرين من شهر كانون الاول ١٩٣٤ .

على ان علي جودت ، لم يستطع ان يحقق التعاون المرغوب فيه نتيجة ضعفه امام الناطقين باسم العشائر والتظلم الذي كان الشيعة يظهرونه ، ولان المبادرة التي اقدم عليها في تأسيس «حزب الوحدة الوطنية» الذي يندر ان يكون قد تمتع بالحياة قبل زواله[٨]. لقد انتقدت الاجراءات التي اتخذت في الانتخابات انتقادا صارما في مجلس النواب ، كما عارض الاعيان ذلك النظام ايضا، الى درجة انهم اخذوا يتغيبون عن حضور الجلسات . وثار سخط الاوساط السياسية في بغداد ، نتيجة استبعادها ، وفي كثير من التصرفات اللاقانونية المزعومة الصقت شعارات ومنشورات معادية على الجدران ، ووزعت في المقاهي، وهكذا ظهرت كل النواقص الادارية مرة اخرى ، وكانت تعزى بصفة غير معقولة ، الى رئيس الوزراء نفسه.

لم تكن الوزارة في حال تحسد عليها. فقد اخذ المدفعي والعمري يشعران بان اخلاصها مشكوك فيه ، في الوقت الذي لم يكن فيه يوسف غنيمة يمثل سوى مجرد تظاهرة سياسية . ومع ذلك فقد كان العنصر الشرير كثيرا هو نهر الدعاية المدمرة الذي كان يتدفق باستمرار من العاصمة، لاثارة ابناء العشائر في التعبير عن عواطف كانت ترتبط في النهاية بالعنف المضاد للحكومة . كان مفهوما ان تلك الدعاية كانت تنبع من لدن مجموعة من رجال الدولة المعارضين المتشددين في مخاوفهم، والذين كان يتزعمهم حكمت سليمان . كانت تلك الدعاية موجهة الى العناصر الكردية التي يتوقع ان تنهد الى التمرد في اقصى الشمال ، كما كانت موجهة بصفة منتظمة ايضا الى عشائر الفرات التي تسيطر النجف عليها ، حيث تم استبعاد بعض الساسة من شيوخ العشائر ، من امثال عبد الواحد الحاج سكر رئيس عشيرة «الفتلة» عن البرلمان بصفة غير حكيمة.

كانت لدى الشيخ عبد الواحد مطاليب خاصة واخرى عامة جعلته يأمل الحصول عليها من وراء تغيير الحكومة . وهناك اخرون على شاكلته من بينهم محسن ابو طبيخ وعلوان الياسري وغيرهما . وفي آن واحد ، وبرد فعل ضد مطاليب هؤلاء الاشخاص وادعاءاتهم ، كان نصف آخر من العالم العشائري لايقل تمردا ولاتحمسا لحقوق الشيعة ، يتطلع الى فضائل الوزارة القائمة في الحكم . ومن دون اثارة العنف لحظتئذ ظهرت صفة خطيرة هيمنت على عشائر محافظة الديوانية ، وانتقلت الى محافظة الحلة ، وقد برزت تلك الصفة الخطيرة في الاجتماعات الهائجة ورقصات الحرب التي كان افراد العشائر يمارسونها وازدهار عملية حمل السلاح . وصلت تلك المطاليب والنداءات الى علماء النجف ، وبصفة خاصة الى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء المجتهد العربي البارز، وهي تطالب بالدعم الموحد. تم ارسال البرقيات الى الملك ، ونظم

---

(٨) تألف حزب الوحدة الوطنية من علي جودت الايوبي رئيسا وصالح باش اعيان نائبا للرئيس وسالم قاسم اغا سكرتيرا اما الاعضاء فهم علي باشا اللوغره بجي ، وعبد الهادي الجلبي والشيخ رايح العطية وبهاء الدين النقشبندي ، ونجيب الراوي ، وحازم شمدين اغا وقد اصدر الزميل المرحوم عادل عوني صحيفة نصف اسبوعية باسم «الوحدة» كانت تنطق بلسان هذا الحزب وقد توقفت عن الصدور بعد استقالة الايوبي وموت حزبه .

طلب استرحام هائل الحجم ، واخيرا عقد اجتماع مع الملك نفسه في شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٥.

لم تنتج عن هذه التحركات اية نتائج،ذلك لان علي جودت بذل كل مالديه لاعادة النظام الى نصابه ، عن طريق الاقناع ، وفرض الرقابة ، وحظر الاجتماعات ، وتعطيل الصحف. ولكن هذه الاجراءات والتقييدات التي اتخذت تمهيدا للاحتفال بافتتاح خطوط انابيب النفط من كركوك الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، وحدوث فيضانات ربيعية مدمرة ، وتشييع جنازة الملك علي(٩) والازمة التي نشأت في المفاوضات مع حكومة طهران ، كانت هذه الاجراءات قد ذهبت سدى ولذلك استقالت الوزارة التي فقدت فعاليتها في اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٣٥(١٠).

ولغرض استبدال الوزارة باخرى غيرها اوصى النصحاء الملك بتأليف وزارة انحائية ؛ من دون الاقدام على اجراء إنتخابات جديدة ، وان لاتضم هذه الوزارة ياسين الهاشمي او رشيد عالي الكيلاني في صفوفها . فقد كان الاعتقاد السائد لدى الساسة بان المكائد التي دبرها هذان الشخصان هي التي ادت الى هذه الحالة القريبة من الفوضى . لم يكن هناك من مناص من تأليف وزارة مدفعية اخرى وقد تألفت هذه الوزارة فعلا في اليوم الرابع من شهر اذار ١٩٣٥(١١) وكانت تضم شخصيات محترمة من امثال نوري السعيد ، وعبد العزيز القصاب ، وامين زكي ، ويوسف غنيمة وتوفيق السويدي ورشيد الخوجة .

غير ان هذه الوزارة لم تكن لها اية فائدة جوهرية تتفوق بها على الوزارات التي سبقتها . ذلك لانها لم تحظ الا بالقليل من مساندة البلاط او الدعم الشعبي لها،ولم تستطع ان تتحرك الى العمل لاعن طريق الدبلوماسية المستوحاة،ولاعن طريق السياسة الصارمة القاسية . لقد كان جميل المدفعي يأمل تهدئة مناطق الفرات بالوسائل الشرعية ، ولذلك كان يرسل الوزراء للتجول في

---

(٩) توفي الملك علي في الثالث عشر من شباط ، وشيع باحتفال الى مرقده الاخير ، حضره اخوه عبد الله امير شرق الاردن واعلنت الحكومة الحداد الرسمي لمدة ثلاثة ايام .

(١٠) قدمت الوزارة استقالتها في الثامن والعشرين من شباط وقبلت الاستقالة في اليوم السابع والعشرين منه .

(١١) هي الوزارة المدفعية الثالثة التي تولى فيها عبد العزيز القصاب وزارة الداخلية ويوسف غنيمة وزارة المالية ، وتوفيق السويدي وزارة العدل،ونوري السعيد وزارة الخارجية ، ورشيد الخوجة وزارة الدفاع ، ومحمد امين زكي وزارة الاشغال والمواصلات،وعبد الحسين الجلبي الوزير المزمن وزارة التربية،ووجه وزير الداخلية عبد العزيز القصاب برقية الى موظفي الالوية يناشدهم فيها الاهتمام بالسلوك الحسن والسهر على واجبات الوظيفة ، وانذرهم باستعمال الشدة ضد المهملين ومكافأة المهتمين منهم .

المناطق التي يسودها الاضطراب ، ويحاول عبثا اقناع الاعيان باستئناف واجباتهم ، ويطلب من المعارضة والصحافة بان تعمل على تحقيق الوحدة ورص الصفوف[١٢]

• • •

بعد مرور ثلاثة عشر يوما على تأليف وزارة المدفعي التعسة هذه ، قدمت تلك الوزارة استقالتها فاعقبتها على الاثر وزارة اخائية خفيفة ترأسها ياسين الهاشمي الذي دعي لتولي الحكم وذلك في اليوم السابع عشر من شهر اذار سنة ١٩٣٥ . ولقد ضمت هذه الوزارة بين اعضائها كلا من رشيد عالي للداخلية ، وجعفر العسكري للدفاع ، ونوري السعيد للخارجية ، ورؤوف البحراني ، المفتش المالي السابق للمالية ، ورضا الشبيبي الاديب للتربية ، ومحمد امين زكي للاشغال[١٣]

لم يكن في هذه الوزارة اي ممثل للجناح اليساري (جماعة جريدة الاهالي) الذي كان يتزعمه جعفر ابو التمن ، كما ان استبعاد حكمت سليمان من الوزارة ، قد اثار حنقه الشديد الذي ادى في الاخير الى نتائج خطيرة[١٤]

لقد برز الآن ، وللمرة الاخرى ، الطريق اليسير الذي كان شيوخ العشائر يرغبون السير فيه

---

(١٢) يسرد المؤلف هنا حوادث التمرد العشائري واحزابه التي قامت في مناطق الفرات والمناورات التي بدأها حكمت سليمان وجعفر ابو التمن وجماعة الاهالي وتوسيع مداها حيث بدأت في عهد وزارة علي جودت الايوبي عملية تحريض الساسة الطامعين في الحكم لرؤساء العشائر على التمرد ونشر الفوضى مما اتسم به الوضع العام في الشمال والجنوب خلال الفترة التي بدأت بعد وفاة فيصل الاول وامتدت طيلة عهد غازي الذي استغل الساسة وعلى الاخص البارزون منهم من امثال حكمت سليمان وجعفر ابو التمن ونوري السعيد وياسين الهاشمي ورشيد عالي وغيرهم ، نقول استغلوا حداثة سنه وعدم تمتعه بالحنكة والفهم لادارة شؤون المملكة الامر الذي ادى الى اعاقة حدوث اي تقدم في سير الحكومة والذي انتهى فيها بعد بالنكبات التي تعرض لها العراق ، سواءا في ذلك الانقلاب الذي قام به بكر صدقي ، ومقتل غازي ، وحدوث ثورة ايار ١٩٤١ . ذلك لان حركات العشائر التي كان المجتهدون يحرضون عليها في اكثر الاحيان قد اظهرت الدولة بمظهر الضعف والعجز . كل ذلك لكي يظل الطامعون في الحكم يتناوبونه فيما بينهم من دون ان يأبهوا بالخراب الذي كانت البلاد تسير اليه ، وبالطبقات المثقفة التي يئست من الاصلاح ، فراحت بدورها تنشد الوصول الى الحكم هي الاخرى وتتشبث بكل الوسائل لبلوغ ذلك . ولذلك فقد ضربنا صفحاً عن ترجمة ماسرده المؤلف عن حركات التمرد هذه ولقد فصلنا مواقف هؤلاء الطامعين المتنافسين على الحكم في كتابنا الجديد «مصرع الملك غازي» الذي انتهينا من تأليفه وانتظار الموافقة على طبعه ونشره.

(١٣) عين المحامي البصري المعروف محمد زكي وزيرا للعدل في هذه الوزارة ايضا

(١٤) دعي حكمت سليمان للمشاركة في وزارة ياسين الهاشمي هذه لكنه اشترط مقدما ان يعطيه وزارة الداخلية فلما لم يعط له هذا المنصب رفض الاشتراك في الوزارة والتجأ الى المعارضة يقودها ضد ياسين ووزارته ، حيث انتهى الامر مؤخرا الى قيام انقلاب بكر صدقي للاطاحة بالوزارة الهاشمية .

على غرار مافعلوه قبلا، وذلك عن طريق مساهمتهم في اية حركة يبدو عليها بانها توفر لهم فوائد شخصية ، او عشائرية ، من امثال الزعامة التي تفرضها الحكومة على العشيرة ، والحصول على مقاعد في مجلس النواب ، وفض المنازعات التي تثار حول التصرف بالاراضي ، اومنح الاراضي التي تزرع بالرز ... الخ

ولقد استطاع ياسين الهاشمي ببيان القته الطائرات ، ان يحقق تهدئة جوهرية مباشرة ، وتلا ذلك وقوع زيارات قام بها الشيوخ المؤيدون للاخائيين الى بغداد ، حيث ملأت السيارات التي تحمل اتباعهم المحتفلين ، شوارع العاصمة،وفقاً لاذن مؤدب سمح به وزير الداخلية ، وان كانت تلك التظاهرة العشائرية قد اثارت الفزع بين الناس الذين كانوا يتفرجون عليها. ولما كان اولئك الشيوخ يتطلعون الى الحصول على بعض المكاسب المباشرة من عصيانهم الاخير ، فقد راحوا يسيرون في شوارع بغداد مع زملائهم من النواب الاكراد الذين جاءوا من المحافظات الشمالية ، والذين تم تنظيمهم من قبل الاخائيين لاعلان الاحتجاج ضد التصرفات التي اقترفها وزراء علي جودت وجميل المدفعي ، الذين وصلوا في الوقت المناسب لتقديم التهنئة الى من خلفوهم في مقاعد الحكم .

تم تكريم غازي ، الذي توفيت امه في شهر اذار ، بعد ان اصبح ابا لولد هو الوريث الواضح له ، ونعني به فيصل الثاني الذي ولد في اليوم الثاني من شهر ايار سنة ١٩٣٥ . كما جرى حل البرلمان في اوائل شهر نيسان من تلك السنة ، ومن ثم صدرت الاوامر باجراء انتخابات عامة . غير ان الغليان الذي اصاب مناطق الفرات لم يبرد بيسر. فلو ان فئة كبيرة من الاخائيين قد اكتفت بالتطلع الى الحكم ، فان المنافسين لها ، لابد وان تكون لديهم الاسباب التي تجعلهم يرتابون في وزارة ايدها خصومها في وقت متأخر؟

كان رفض ياسين الهاشمي لكل التفضيلات التي ارادها حزبه ، وللوعود التي قطعها لنوابه بان يتبوأوا ، مقاعد الخصوم السابقين ، واقدامه في النهاية على حل حزب الاخاء الوطني[١٥] ، كل هذه الخطوات التي خطاها ياسين الهاشمي لم تستطع ، ان تقنع الغير بصوابها ، ولم تنجح المحاولة التي اريد بها استخدام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء وسيطا للسلم

---

(١٥) لقد ارتاع اهل بغداد حقا من تلك التظاهرة العشائرية المقيتة ، لان الاكثرية اعتبروا تلك التظاهرة تشجيعا للعشائر وللعناصر الطائفية على التمرد والتدخل في الامور السياسية لاغراض شخصية وطائفية . كما ان تلك التظاهرة قد ولدت لدى العشائر والعناصر الطائفية في مدن الفرات ، مفهوما بانه في مستطاع هذه العشائر والعناصر التي تدعمها ان توجه الحكم الوجهة التي تريد منها . وان في مقدورها ان تتحكم بالشخصيات الحاكمة في بغداد ذاتها ، وبذلك وضعت قاعدة تحريك العشائر لاسقاط اية وزارة لايرضى عنها خصومها حيث استمر الوضع على مثل هذا التردي الى حين وقوع الاحتلال الانكليزي الجديد للعراق في اعقاب فشل ثورة ١٩٤١ .

وللتهدئة .[١٦] كان كاشف الغطاء محاطا على الدوام بجماعة معادية لـ «عبد الواحد سكر». لكنه لم يكن راغبا في ان يثير غضب اصدقائه السابقين، وان يساير الاوضاع.

اما الاضطرابات العشائرية الاخرى التي حدثت في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، فقد كان العامل الكبير فيها يتمثل في الخوف من تطبيق قانون التجنيد الالزامي ، حيث تمردت قرية «المدينة» (بالتصغير) في جنوبي العراق ، ضد ذلك القانون . ولقد كانت المنازعات على الاراضي التي لم تتم تسويتها بعد ، والخوف من التجنيد الالزامي ، والمقت الذي قوبل به هذا القانون من لدن ابناء العشائر ، وسوء الادرة المحلية ، وفسادها ، من الامور التي ينبغي اضافتها الى الاسباب الاساسية للاضطراب العشائري .

يعود فشل ياسين في تحقيق الهدوء والامن اللذين وعد بهما الى اسباب سبق لنا ان اتينا على تحليلها قبلا ، كما يعود ذلك الفشل ايضا ، الى حد ما ايضا الى الطيش والتسرع الذي تميز به وزير داخليته . على ان الاضطراب الذي كان يشابه ما وقع منه اثناء ثورة العشرين والذي ساد مناطق الفرات ، لم يؤثر تأثيرا بالغا في بقية انحاء البلاد الاخرى . فقد كانت المدن هادئة ومأمونة ، ولم يحدث الاضطراب في المحافظات، ولا في كل المناطق التي تقع على ضفاف نهر دجلة . والحقيقة ان فترة رئاسة ياسين الهاشمي ، كانت حسب المستويات العراقية من اكثر الوزارات صرامة وصوابا ولقد بدا عليها في اواخر صيف سنة ١٩٣٦ بان عمرها سيكون طويلا ، ذلك لان الحادث الذي وقع فيما بعد نتيجة التدخل العسكري العنيف[١٧] لم يكن له اي ظل امامها .

جاءت الانتخابات العامة التي اجريت في شهر نيسان ١٩٣٥ ، خلال شهر اب من تلك السنة، بمجلس نواب ارتفع عددهم من ثمانية وثمانين عضوا الى مائة وثمانية اعضاء . وقد ارتفع عدد المقاعد في المجلس النيابي ، نتيجة الزيادة التي ظهرت في عدد السكان التي كشفت عنها دائرة احصاء النفوس العام[١٨] وقد كانت هذه الزيادة في عدد مقاعد مجلس النواب نافعة في ترضية المزيد من شيوخ العشائر والوطنيين.

---

(١٦) في هذه الفترة العصيبة عقد المؤتمر العام لحزب الاخاء الوطني في اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان ١٩٣٥ وقرر تعطيل اعمال الحزب بدعوى «ان البلاد كانت بامس الحاجة لتوحيد الكلمة» ولكن ذلك الاجراء قد ادى الى نتائج معكوسة وخطيرة جدا . ذلك لان مثل هذا الاجراء قد اشاع الحكم الاستبدادي ، وقضى على الحريات ، وزاد في تكتل العناصر الساخطة والعمل سرا ، حيث نشطت عدة منظمات سرية متضاربة الغايات والافكار للعمل في ذلك الجو في سبيل اهداف شخصية وطائفية وعنصرية ، مما كان له تأثيره الفعال في اضطراب الوضع والتمهيد لانقلاب بكر صدقي ، وسقوط الوزارة.

(١٧) المقصود به انقلاب بكر صدقي الذي اطاح بالوزارة الهاشمية في ٢٩ تشرين اول ١٩٣٦ .

(١٨) جرى احصاء النفوس العام في سنة ١٩٣٤ .

شهدت الجلسات الاولى للبرلمان اضطرابا بسبب الاتهامات العنيفة التي تبودلت بين الكتل النيابية حول اقتراف جريمة تحريض العشائر ضد الحكومة ، وهي في الواقع جريمة خاصة لم ينفرد اي حزب مفرد باقترافها . ولقد مضت الادارة قدما في اصدار عفو عام عن جميع المحكومين السياسيين في الشهور الاخيرة[١٩] ، والمبادرة بعملية تطهير الدوائر من الموظفين المشكوك فيهم ، ومعالجة المفاسد في الادارة،وذلك بتعيين اشخاص يعتمد عليهم اكثر من غيرهم .

كذلك بذلت في الحقيقة ، جهود صادقة لوقف الفساد الجاري في الادارة ، ولو ان الخفض الجديد الذي حصل في عدد كبار الموظفين البريطانيين قد قصد به المعنى المضاد لذلك.وكان من نتيجة هذا الخفض في عدد كبار الموظفين البريطانيين في سنة ١٩٣٥ ، ان فقد العراق الخدمات التي قدمها السر كنهان كورنواليس لفيصل الاول وللعراق ، حيث خلفه في منصبه[٢٠] السيد «ادمونز» صاحب الالمام الواسع العميق بالشؤون العراقية وعلى الاخص الشؤون الكردية منها[٢١] . وفي ذات السنة استقال «برسكوت» الذي اوجد الشرطة العراقية من منصبه مخلفا وراءه فيها «كونس» الذي امضى عشر سنوات في وظيفة مفتش الشرطة . اما «سيفرايت» خبير الكمارك الشهير ، فقد تقاعد عن عمله في الكمارك ، حيث اعقبه فيها في سنة ١٩٤١ «سوان» مستشار وزارة المالية،في حين عاد المدقق العام «بارلبي» الى الهند،كما توقف «هالينان» في سنة ١٩٣٣ عن ممارسة خدماته بصفة مفتش عام للصحة،واستبدل بطبيب عراقي .

اما دائرة التسجيل العقاري فقد تبعثرت بعد وفاة «الدرمان» (الذي خلف «رويدز» فيها في سنة ١٩٣٣) في سنة ١٩٣٤.ويصدق الامر ذاته على دائرة الزراعة التي غادرها «وبستر» في نفس السنة،بينما تخلى «نبولاند» مدير المساحة عن منصبه في سنة ١٩٣٥ الى نائبه «بوت» الذي مكث فيها ست عشرة سنة تالية . وترك «جاد ويك» دائرة البيطرة في سنة ١٩٣٤،ثم عاد اليها مرة اخرى في سنة ١٩٤٢ ليبقى فيها حتى سنة ١٩٤٧.اما الجيولوجي الحكومي الدكتور «مكفيدن» فانه بعد ان مكث سنتين في العمل غادر العراق في سنة ١٩٣٧،ولم يعين غيره في مكانه بصفة مباشرة ،

---

(١٩) صدر قانون العفو العام في اليوم السابع من شهر ايلول سنة ١٩٣٥ ولم يكن ليخص المحكومين السياسيين ، وانما اقتصر على الذين قاموا باعمال التمرد والاضطراب والشقاوة في الوية الديوانية والمنتفق وديالى وكركوك والسليمانية . اما المتهمون والمحكومون السياسيون فقد صدر العفو عنهم في الايام الاول من تأليف الحكومة الانقلابية .

(٢٠) كان كور نواليس طيلة بقائه في العراق يعمل مستشارا لوزارة الداخلية .

(٢١) بقي ادمونز يشغل منصب مستشار وزارة الداخلية حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقد اودع قسما مما اطلع عليه وخبره من شؤون العراق في كتابه القيم «عرب واتراك واكراد» الذي ترجمه جرجيس فتح الله الى العربية ونشرته جريدة التآخي في اوائل السبعينات . وقد قيل عن «ادموندز» هذا بانه رفع ، قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، الى السلطات المختصة تقريرا عن سوء الوضع ، وعن الانفجار المتوقع قريبا من لدن الجيش العراقي.

بينما تقاعد «الارد» من دائرة الري التي خلفه فيها احد العراقيين بصفة مدير عام.

غير ان رئيس المهندسين البريطاني، والموظفين البريطانيين في المحافظات، بقوا يخدمون في اماكنهم. ومثل هذا يمكن ان يقال عن دوائر الاشغال والبريد والبرق. فقد تخلى «تينش» عن منصب المدير العام لسكك الحديد بعد خمس عشرة سنة، الى العقيد «وورد» الذي غدا مديرا لها اضافة الى استخدامه مديرا لميناء البصرة لمدة ثلاث سنوات. كذلك تخلى «وابتلي» عن وظيفة مستشار وزارة الاشغال والمواصلات في اوائل سنة ١٩٣٧.

كانت علاقات ياسين الهاشمي مع السفير البريطاني السر ارشيبالد كلارك كير، الذي خلف السفير السابق فرنسيس هموغرريز في اذار ١٩٣٣، علاقات وثيقة وودية. تم تعزيز دائرة احصاء النفوس، اضافة الى تعزيز دائرة النشر والدعاية التي غدت تمثل تطورا، بالنسبة الى مكتب الصحافة القديم. وتم الحفاظ ايضا، وبصفة جيدة، على المحاكم بما كانت تحتفظ به من حكام بريطانيين وفقا لاتفاق سنة ١٩٣٠. ومن ناحية اخرى كانت الرغبة في وضع نظام شامل للتعليم تحظى بالاهتمام الاول، وحدث تطور محدد في عدد المدارس االابتدائية والثانوية وازداد عدد المدرسين المصريين المعارة خدماتهم للعمل في العراق، كما شرع بنشر الكتب المدرسية من قبل وزارة التربية، واحرز التعليم التقني الذي تمت دراسته من قبل خبراء اجانب زائرين، تقدما ضئيلا في حين بقي مشروع جامعة بغداد على حالته السابقة.

اعيد افتتاح الكلية العالية لتدريب المعلمين في سنة ١٩٣٥ [٢٢] وكمل انشاء مديرية للتعليم النسوي في سنة ١٩٣٤، لكنها الغيت في السنة التالية لها. وافتتحت في الشطرة والغراف كليات لتدريب المعلمين الريفيين وذلك تنفيذا لما ورد في التقرير الذي وضعته بعثة الدكتور «مونرو» سنة ١٩٣٤، ومن ثم نقلت الى بغداد، وانشئت كلية للمعلمات الابتدائيات في الديوانية لكنها لم تعش طويلا، واسست كلية الصيدلة في سنة ١٩٣٦. اما المدارس التي كانت تديرها طوائف الاقليات وبعثات التبشير المسيحية من البروتستانت والكاثوليك، وكذلك مدارس الطائفة اليهودية، فانها قد ازدهرت بدورها هي الاخرى.

اما المشروع الذي حصل التفكير فيه لانشاء مدرسة عامة على النمط الانكليزي، فلم يكن قد تحقق بعد في ذلك الوقت، كما توقف استخدام مستشار بريطاني لوزارة التربية، وازداد

(٢٢) الذي يقصده المؤلف من كلمة «كلية» بالنسبة للتعليم هنا هي دور المعلمين فالمقصود بالكلية العالية لتدريب المعلمين هو «دار المعلمين العالية» التي تعرف الان باسم كلية التربية، وكلية تدريب المعلمين الريفية هي دار المعلمين الريفية التي افتتحت في بغداد في منطقة الرستمية وكانت تقبل الطلاب من خريجي الدراسة الابتدائية، وكلية المعلمات هي دار المعلمات وكانت هذه المدرسة في بغداد تعرف باسم «مدرسة تطبيق دار المعلمات» ومازال بنايتها القديمة قائمة على الجانب الايسر من شارع الخلفاء وقد حولت الى مدرسة للبنات.

تدريس اللغة الالمانية(٢٣) واصبحت الكتب المدرسية تتصف بالسمة القومية بصفة متزايدة حيث تعاظمت نغمة مقت الاجانب . كما طبق التعليم العسكري(٢٤) لاول مرة في المدارس سنة ١٩٣٥ ولم يلبث هذا التعليم ان اصبح فيما بعد مظهرا شائعا لحياة المدرسة ، ومارافقه من حركة متطورة للشباب الذين كانوا يرتدون البزات العسكرية .

بقيت الاثار القديمة في العراق ، تجتذب في كل شتاء بعثات المنقبين الاجانب عن الاثار. فقد اجريت تنقيبات على ايدي ممثلي الجامعات والمتاحف والهيئات العلمية من الامريكيين والالمان والبريطانيين والفرنسيين والايطاليين خلال الفترة ١٩٣٣ – ١٩٣٩ (٢٥) وذلك في المواقع الاثرية شمالي العراق في «غورا» ونينوى ، وخرسباد ، وفي منطقة ديالى وموقع خفاجة على نهر ديالى(٢٦) وفي سلوقية(٢٧) وكذلك في المدينتين السومريتين القديمتين «الوركاء» و «لارسا» والمواقع الواقعة جنوبيها. ولكن طعنة وجهت الى هذه النشاطات الاثرية في سنة ١٩٣٣ حين اقدم وزير التربية (٢٨) على وضع مسودة لقانون الاثار ، اعتبرت بما تضمنته من قيود غير مشجعة لعمليات التنقيب في المستقبل.غير ان وزارة الهاشمي ادخلت تحسينات عليها ، كما نصبح مقبولة،وان يتواصل العمل في التنقيب وفق شروط معقولة .

ولقد ظهر بان دائرة الصحة التي انهال النقد ضدها ، لانها لم تكن تتوقع وافدة الملاريا التي وقعت في بغداد سنة ١٩٣٦ ، كانت تتطلب الاصلاح وبذل نشاط موسع،يشمل المناطق الريفية والمتأخرة مثلما يشمل المدن ذاتها. وكانت تلك الفترة من الفترات التي ظهر التحسن خلالها ، في كثير من البلديات ، وتقدم حركة البناء بصفة واسعة ، وتخطيط المدن ، وانشاء مشاريع الكهرباء وتوسيع الشوارع ، ومشاريع اسالة المياه ، والاهتمام بصيانة الغابات والانهار الطبيعية وانشاء الحدائق البلدية. فقد غدت هذه الامور من المظاهر البارزة للبلديات التي كانت تعتبرها من احقر الاعمال .

---

(٢٣) لم يقتصر تدريس اللغة الالمانية وحدها بل الفرنسية ايضا فقد كان على كل طالب في الدراسة الاعدادية ان يختار واحدة من اللغتين الالمانية والفرنسية الى جانب الانكليزية ولقد كنت من بين الذين اختاروا اللغة الفرنسية بعد تخرجي من الدراسة المتوسطة في صيف سنة ١٩٣٦ وقد الغي تدريس هاتين اللغتين بعد فشل ثورة ايار ١٩٤١ .

(٢٤) المقصود به نظام الفتوة الذي طبق على طلاب المدارس المتوسطة والاعدادية ابتداء من السنة الدراسية ١٩٣٥ – ١٩٣٦ ثم توسع فيما بعد ليشمل طلاب الكليات

(٢٥) انظر عن الاكتشافات الاثرية الاول في العراق كتابنا «سومر» الذي ترجمناه عن منقب «الآثار الفرنسي الشهير «اندريه بارو» وطبعته وزارة الثقافة والاعلام في سنة ١٩٧٧ .

(٢٦) الصواب موقع «خفاجي»

(٢٧) تقع قرب الدورة على الضفة اليمنى من نهر دجلة

(٢٨) صدر هذا القانون في عهد الوزارة المدفعية الثالثة التي تألفت في الرابع من اذار ١٩٣٥ .

وكان من سياسة ياسين الهاشمي في الواقع ، تشجيع تطوير الخدمات المحلية المودعة الى البلديات وتوفير الاموال اللازمة لذلك،مما جعل رؤساء الوزارات الذين جاؤوا من بعده يقتفون اثره في هذا المضمار. وكانت المصادقة على قانون العمل في سنة ١٩٣٦ تمثل الضغط الواقع على الحكومة ، لكي تصر ، ولو بصفة ظاهرية ، على تطبيق نوع من المستويات العصرية في معاملة العمال الصناعيين. غير ان هذا القانون لم تكن له في اللحظة التي اصدر فيها سوى تأثير عملي ضئيل .

وصدر في سنة ١٩٣٦ قانون ، تضمن فرض عقوبات صارمة ، الغي بموجبه استعمال الالقاب التركية من امثال باشا ، وبك وافندي ، واستبدالها بلقب عربي بسيط هو لقب «سيد» الذي يقابل كلمة «مستر» في الانكليزية ، ولكن الجمهور العام مالبث ان تجاهل هذا القانون مثلما تجاهله الاوربيون والوزراء انفسهم،وبعض الاشخاص الاخرين الذين كانوا في الحكم. اما تطبيق «قانون الخدمة الوطنية» الذي شرع في سنة ١٩٣٤ فقد آل الى الحكومة الهاشمية لكن النقص كان يعتوره وذلك لان مناطق عشائرية واسعة قد اعفيت من تطبيق هذا القانون عليها ، في حين استغلت المناطق التي يمكن الوصول اليها ، وكذلك المناطق الضعيفة لتطبيقه عليها. ولكن المقاومة المسلحة ضد تطبيق القانون كما شاهدنا لم تكن متواصلة في حين كانت حركات التهرب من التجنيد شائعة ، وكان دفع مبلغ واطئ من المال للاعفاء من اداء الخدمة العسكرية من الامور المعتادة. ولكن في الوقت ذاته كانت اداة التجنيد غير كفوءة وقوائم النفوس غير صحيحة،وكانت القوات العسكرية الناتجة عن هذا التجنيد في العادة ، اقل من القوة الممنوحة لها .

ومع كل ذلك فقد كان الجيش العراقي ، بالبعثة العسكرية البريطانية التي كانت تدعمه دعما ثابتا قد تحسن تدريبه وتجهيزه ، وتوفير التسهيلات اللازمة للسكن تلك الامور التي كان «غازي» يدعمها دعما ساميا . فلقد ازداد عدد افراد الجيش العراقي من احد عشر الف وخمسمائة شخص في سنة ١٩٣٣ الى ضعف ذلك العدد في نهاية سنة ١٩٣٦،فاصبح منظما في فرقتين ، وموزعا من ناحية البلاد في اربع مناطق . وكانت قدرته واسلحته كافيتين للاغراض الداخلية،واصبح ذوو الرتب الواطئة من ضباطه من النوع الجيد ، في حين اصبح الضباط ذوو الرتب العالية على خلاف من ذلك،او اضعف منه .

ولما كان الجيش لم يستخدم خلال سنة ١٩٣٤ في اية عمليات عسكرية سوى ماحصل في حادث واحد ، فقد غدا منهمكا في ضرب تمرد العشائر خلال السنتين ١٩٣٥ - ١٩٣٦،حيث [...]ر بعد مدة قصيرة بانه هو الهيئة التي تقرر مصائر العراق السياسية . وفي الوقت ذاته نمت القوة

الجوية العراقية من بضع طائرات الى ثلاثة اسراب تم تشكيلها مؤخرا،اما القوة الصغيرة الباقية من قوات المرتزقة ، والتي تضم حوالي الف وخمسمائة من الجنود الاقوياء ، فقد تخصصت الان في واجبات حماية مطار قيادة القوة الجوية البريطانية . ولقد تحطم الان احتكار الاثوريين للعمل في قوات المرتزقة هذه،على اثر تجنيد سرايا كردية، واخرى عربية فيها .

بقيت قوة الشرطة حتى تقليص المساهمة البريطانية فيها،قوة ذكية يمكن الاعتماد عليها ، وتستطيع ان تطبق بصفة جيدة ، الواجبات المتزايدة التي كان يعهد اليها القيام بها. وكانت قوة الشرطة هذه تضم خلال السنوات الاولى اقل من تسعة الاف نفر من بينهم قوة متحركة مؤلفة من سبعمائة وخمسين رجلاً[٣٠] اما القوة الجوية البريطانية والتي لم تلعب منذ سنة ١٩٣٢ ، اي دور فعال في توطيد الامن الداخلي في العراق ، رغم الطلبات الوطنية التي كانت الحكومة تتقدم بها اليها ، فانها بقيت تحافظ على قواعدها ومؤسساتها التدريبية . وقد سلمت معسكرات الهنيدي والموصل ، والمطارات والاراضي التي كانت الطائرات الانكليزية تهبط فيها قبلا ، الى السلطات العراقية في انتهاء هذه الفترة،حيث بدأت القوة الجوية البريطانية في اواخر سنة ١٩٣٦ تنشئ قاعدة لها في موقع معسكر «سن الذبان» عند بحيرة الحبانية .

استمرت الادارة المالية تبرز الحصافة والاصالة اللتين كانت تدار بهما المالية العراقية منذ الاول،فغدا ذلك من الامور اليسيرة ، لان فترة الركود الاقتصادي العالمي قد انتهت سنة ١٩٣٣، في حين ابرزت السنوات التي اعقبتها حالة من الرخاء النسبي . ذلك لان التحسينات قد ادخلت على استحصال ضريبة الدخل وايرادات الاراضي والكمارك ، وكانت العملة العراقية ثابتة ومحترمة وقد انتهت البقية الباقية من الديون الاجنبية على العراق ، وافتتحت مفاوضات في لندن للحصول على قرض جديد عن طريق «مصرف بارنغ اخوان» ولكن تلك المفاوضات ظلت غير عملية حتى سنة ١٩٣٧ .

كانت بدلات ايجارات النفط الميتة قد جرى تسلمها لاول مرة في سنة ١٩٣٢ واخيرا كرست عوائد النفط للقيام بالاعمال الرئيسة من امثال مشاريع الري ، والمواصلات ، وبناء الطرق والتي ادرجت في منهاج جرى تعديل مواده خلال سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٥،وبقي عرضة للتعديل كل سنة فيما بعد ذلك التأريخ،وفي سنة ١٩٣٥ صودق على قانون لتأسيس مصرف زراعي صناعي بدأ اعماله بشكل متدن اول الامر ، في السنة التي اعقبت سنة تشريعه .

---

(٣٠) يقصد بها قوة الشرطة السيارة التي اتينا على ذكرها في شرح سابق .

٤ ـ انقلاب بكر صدقي

بدت الوزارة الهاشمية في صيف سنة ١٩٣٥، وكانت في الواقع اقوى وزارة عراقية تألفت بعد سنة ١٩٣٢، وكأنها تود ان تطيل امد مكوثها في دست الحكم. ولقد اشار ياسين الهاشمي صراحة، الى اعتزامه في ان يبقى في الحكم لمدة عشر سنوات [١] ومع انه لم يول الديمقراطية سوى القليل من الأحترام، الا أنه لم يكن يفكر في فرض الاسلوب الدكتاتوري في الحكم، ولذلك سرى الخوف الى نفوس شيوخ العشائر، وأصبح البلاط ضعيفا، وتم اخضاع المعارضة بالشدة.

ولكن قوى اقل وضوحا كانت تعمل بصفة جادة ضد الوزارة الهاشمية.ذلك ان الملك غازي الذي ضعف مركزه نتيجة تصرفاته الشخصية، وانعدام التحالف، وفرار شقيقته مع خادم فندق من جزيرة «رودس» واعتناقها الدين المسيحي [٢] كل هذه الأمور جعلت غازي يود أن يرى بديلا للوزارة القائمة، بل لقد سبق له ان لمح بذلك الى ياسين الهاشمي عن طريق بعض الوسطاء.

أما في داخل الوزارة الهاشمية ذاتها، فقد كان يندر حصول الأنسجام بين ياسين الهاشمي ونوري السعيد وزير الخارجية، والذي كان على الدوام في خصام وشجار مع وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني، والواقع ان رشيد عالي الكيلاني هو الذي كان يبدأ الهجوم عادة، وذلك

---

(١) لم يذكر ياسين الهاشمي صراحة انه يريد البقاء مدة عشر سنوات في الحكم وأنما كان يتمنى في خطاب القاه في البصرة أن يطول بقاؤه في الوزارة تلك المدة كيما يستطيع ان ينفذ الوعود، وينجز المشاريع التي تحدث عنها في منهاج وزارته في كثير من المناسبات. وقد أستغل خصومه السياسيون وشيوخ عشائر الفرات ذلك التلميح فشرعوا يؤلبون الصفوف ضده حتى اسقطوه.

(٢) لم يثبت رسميا أن «عزة» اخت غازي قد اعتنقت المسيحية بعد هربها مع ذلك الخادم وذلك خلال سفرها مع شقيقاتها الى اوربا في شهر ايار ١٩٣٦، لقد كانت تلك الفرية من مبتدعات اعداء البيت الهاشمي من العراقيين وغيرهم، وعلى الأخص اقطاب المعارضة الذين كانوا يخططون لاسقاط الهاشمي، وكانت الصحف التركية اول الصحف التي نشرت ذلك الحادث وشنت حملة واسعة من التشهير والتشنيع، وعززتها بنشر صورة الأميرة الهاربة مع عشيقها. وكانت «عزة» بعد ان هجرها ذلك الخادم بعد فترة قصيرة قد اصبحت تعيش في «نابولي» على نفقة الحكومة الايطالية عيشة الكفاف الى ان التقت مع عبد الاله في روما في اعقاب الحرب العالمية الثانية وتمت اعادتها الى «عمان» لتقضي فيها بقية حياتها (أنظر لقاء عزة مع عبد الاله في مذكرات ستلدرسن ص ٣٦٨ ومابعدها الطبعة الثانية ١٩٨١).

بما كان يصدره من قرارات عنيفة متهورة، وبما اشتهر به من المحاباة والطمع الذي دفعه الى ان يتحدى احدى السوابق فيحاول ان يحصر في نفسه الوصاية المربحة على الأوقاف القادرية بعد وفاة السيد محمود النقيب في سنة ١٩٣٦.وفي شهر ايلول ١٩٣٥ استقال محمد رضا الشبيبي من وزارة التربية، فأستبدل به وزير شيعي من نمط اخر هو المحامي صادق البصام[٣].

تعاظمت علاقات العراق مع الاقطار العربية الاخرى تعاظما مشهودا، تمثل في عقد معاهدة مع المملكة السعودية، وفي تبادل الزيارات التي قام بها الامراء والوزراء بين العراق وهذه المملكة بالاضافة الى استقبال العراق للوفود والبعثات القادمة من سوريا ومن اليمن ومصر. وأخذ رجال الدولة العراقية، وعلى الأخص نوري السعيد، يتجاوبون مع الرأي العام القوي في العراق، حيث قام العراق في سنة ١٩٣٦ بالمشاركة مع ابن السعود، بدور بارز في انهاء الاضراب الطويل الأمد الذي اعلنه عرب فلسطين[٤].

ومع كل ذلك فان منتقدي الوزارة الهاشمية في بغداد، كانوا يريدون منها ان تقوم بعمل ما ضد الصهيونية، اقوى مما دعوه بتطبير البرقيات وارسال المبعوثين، والنداءات الأخرى التي كانت الوزارة توجهها،ولذلك اخذ اولئك المنتقدون يذكرون ياسين الهاشمي بأن المعارضة التي حصلت في سنة ١٩٣٢، وقيادته المقاومة ضد المعاهدة وضد السياسة البريطانية في العراق، كانت تختلف كل الاختلاف عن سياسة الملاطفة التي يبديها في الوقت الحاضر[٥].

---

(٣) استقال الشبيبي من الوزارة بسبب عدم انسجامه مع طه الهاشمي الذي كان يتولى منصب مدير المعارف العام انذاك.

(٤) اعلن عرب فلسطين الاضراب العام في شهر نيسان ١٩٣٦ بعد التحديات والأعتداءات التي أخذ اليهود يمارسونها ضد ابناء فلسطين الاصليين منذ ذلك الوقت. وكان من أهم اهداف ذلك الاضراب وقف هجرة اليهود الى فلسطين، وعلى اثر ذلك اعلنت الأحزاب الفلسطينية ارجاء سفر الوفد الذي يمثلها الى لندن تلبية للدعوة التي وجهها وزير المستعمرات البريطاني، الى زعماء الاحزاب كي تقدم الى لندن لعرض وجهة نظرها امام الوزير المذكور. وبعد ان تفاقت الثورة قررت الحكومة الانكليزية استعمال الشدة ضد الثوار والمضربين وعززت قواتها العسكرية في فلسطين بأرسال فرقة جديدة الى هناك، وتوجيه انذار الى المضربين بأن يكفوا عن الاضراب، وبعد مرور ثلاثة ايام على ذلك البيان الأنكليزي العنيف استقبل المندوب السامي الأنكليزي في فلسطين المستر «واكهوب» ثلاثة من زعماء الاضراب هم الحاج امين الحسيني، وعوني عبدالهادي، وراغب النشاشيبي، كلا على انفراد، فأكدوا له استعدادهم لحث أبناء فلسطين على وقف الثورة وحل الاضراب دون أي شرط سابق، اذا ما طلب ملوك العرب منهم ذلك، وفي اواخر شهر ايلول توجه وفد من اللجنة العليا للاجتماع بابن السعود، كما توجه عوني عبدالهادي الى الأردن للاجتماع بالأمير عبدالله وطبقا لأستشارات مسبقة مع الحكومة الأنكليزية، وجه ابن السعود وغازي، وعبد الله في اليوم العاشر من تشرين الأول ١٩٣٦، نداءا مشتركا دعوا فيه الى حل الاضراب ووقف الثورة، وسرعان ماتوقف الاضراب والثورة بالفعل وسمح للمنظمات المسلحة ان تحل نفسها وللثوار القادمين من الأقطار العربية ان يعودوا الى بلادهم (أنظر عبدالوهاب الكيالي : الموجز في تاريخ فلسطين ص ١٥٧ - ١٥٨ طبعة ١٩٧١).

(٥) لم يكن موقف الهاشمي من الصهيونية او الثورة الفلسطينية ضعيفا كما وصفه المعارضون. فعلى النقيض من هذه الأتهامات كانت وزارة الهاشمي هي الوزارة العراقية الوحيدة التي ساندت القضية الفلسطينية بالمال والسلاح والرجال فلقد أستفاد ياسين

اما التلميحات الأخرى التي كان يبديها ساسة المعارضة، الذين تعاظمت مرارتهم نتيجة ابعادهم عن دست الحكم، فقد كانت موجهة ضد القسوة التي استعملت في ضرب عشائر الفرات المتمردة، وفي عدم موافقتهم على استخدام الجيش بشكل متكرر، في ممارسة الاجراءات التي تكون من اختصاص قوات الشرطة عادة. كذلك كان المعارضون يشيرون أيضا الى الثروات الخاصة التي قيل ان بعض الوزراء كانوا يجمعونها بصفة سرية، والمبالغة في الحديث عن نظام التجسس المزعوم الذي فرضته الوزارة، والذي كان واحدا من الاجراءات التي لجأت الوزارة اليها لضمان سيطرتها، ومارافق ذلك من تعطيل الصحف التي كانت تميل الى انتقاد بعض الوزراء. أنبعث التذمر بصفة خاصة من لدن جماعة «الأهالي» اليسارية . ذلك أن هؤلاء لم يكونوا يرون اي أمل، في ظل رئاسة الهاشمي للوزارة، في تحقيق الاصلاحات التي كانوا يدافعون عنها. ولما كانت جماعية «الأهالي» تظلل في بعض الحالات، اقلية متطرفة شيوعية حقا كانت، ام قريبة من الشيوعية، فان عدد الملتفين من حولها قد تعاظم وعلى الأخص بعد ان نضم اليها بعض الساسة العاطلين عن العمل. ومع ان افراد جماعة الاهالي لم يكونوا في ذلك الوقت قد الفوا ضربا من الأحزاب، الا انهم كانوا يقفون الى جانب الاصلاحات الاجتماعية، واصلاح الاراضي وفق اسس يجب ان تشتمل على بعض الاجراءات الخاصة بتوزيع الثروة، بعد أن تستبعد الحرب الطبقية، وتحقيق شيء من التحسن في أحوال الطبقة العاملة، وفرض بعض القيود على الامتيازات التي يتمتع بها الاقطاعيون وأصحاب الثراء[٦] .

الهاشمي، من وجود أخيه طه في رئاسة الاركان فأمر بنقل بعض التجهيزات العسكرية المشتراة من جيكوسلفو كيا انذاك الى فلسطين ووضعها تحت تصرف الثوار، وخصصت وزارة الهاشمي مبلغ عشرة الاف دينار في سنة ١٩٣٦ للصرف على متطوعي العراق الذين ذهبوا الى فلسطين (سامي عبدالحافظ القيسي : ياسين الهاشمي : دوره في السياسة العراقية ج٢ ، ص ٢٧١) ويكفي ان ندلل على موقف حكومة الهاشمي الشديد ازاء الصهيونية بالتقارير التي بعث بها القنصل العراقي في حيفا الى وزارة الخارجية ومانشرته الصحف الصهيونية من مقالات ضد العراق ولاسيا صحيفتا «ها ارتس، ودافار»[المصدر السابق ص ٣٧٣]

(٦) لم يكن جماعة الأهالي من الشيوعيين او المؤمنين بالشيوعية وأنما ابتدعوا لهم مذهبا وسطا بين الشيوعية والاشتراكية بالمفهوم الغربي، اطلقوا عليه أسم «الشعبية» فراحوا يبشرون به بما اصدروه عنه من كراريس وكتب.وكان الأستاذ عبدالفتاح ابراهيم هو المهندس الأول لذلك المبدأ، ووضع الكتب والمؤلفات عنه،ولاسيا كتاب «الشعبية في المبادىء السياسية الحديثة» الذي صدر باعتباره الرسالة الثالثة من رسائل الأهالي في سنة ١٩٣٣،غير ان العناصر الشيوعية على ضعفها وقلة عددها في تلك الأيام كانت تؤازر جماعة الأهالي وتساهم في تحرير الصحف التي كانت تصدرها الى ان حلت سنة ١٩٣٥ حين الف الشيوعيون اول حزب لهم في تلك السنة واصدروا صحيفة سرية تطبع بالرونيو باسم «كفاح الشعب». وحين اصدرت جماعة الأهالي في اواسط ١٩٣٥ كراسها الثالث عن الشعبية بعنوان «مطالعات في الشعبية» انبرى الشيوعيون في الرد على تلك الرسالة بأصدار رسالة مناقضة لها كان المحامي قاسم حسن قد الفها وهو الذي تولى زعامة الحزب الشيوعي بعد اعتقال عاصم فليح وتخليه عن العمل السياسي وانصرافه الى مهنة الخياطة وهي مهنته الاصلية. واذ علم جماعة الأهالي بطبع تلك الرسالة،بادر المرحوم كامل الجادرجي الى الأتصال شخصيا بالسيد قاسم حسن وجماعته، واقنعهم بعدم الاقدام على توزيع ذلك الكراس حرصا على وحدة الحركة اليسارية، وعدم اظهارها بمظهر التمزق منذ ذلك التاريخ، ولذلك اوقف توزيع كراس قاسم حسن.

كان من بين المبرزين في جماعة الأهالي جعفر ابو التمن [7] ويوسف عز الدين وهو خبير مالي ومن اصل كردي، وستة افراد من المثقفين ثقافة انكليزية او أمريكية [8]. ولقد ادى عدم عطف الحكومة على هذه الجماعة، واعتقال من هم اقل حصافة منهم [9] الى مقاومة الحكم القائم بضراوة، الأمر الذي جعلهم يكسبون الأنصار والحلفاء من اي مصدر كان.

لم يكن بين جميع رجال الدولة من كان يشعر بنفاد صبره، نتيجة ابعاده عن الحكم، مثل حكمت سليمان. فقد أخذ هذا الرجل الذي اشتهر بقابليته الفاخرة، وبشعبيته العامة، يعمل بكل ذكاء على تكتيل مختلف القوى المعادية لياسين الهاشمي، كذلك كان حكمت سليمان يعجب اعجابا شديدا بالنمط الدكتاتوري للسياسة التركية، وعلى الأخص بعد ان زار تركيا مرة اخرى في سنة ١٩٣٥، اما في بغداد فقد تحالف حكمت سليمان مع الجناح اليساري،وكان شديد الامتعاض من الهجمات الصحفية التي كانت توجه ضده، والتي كانت تؤثر فيه بصفة شخصية،ولذلك اخذ يزيد من اتصالاته القوية مع قادة الجيش.

اما الجيش الذي ارتفعت معنوياته بعد قضائه على حركات التمرد والعصيان فقد كان يتساءل عما اذا كانت خدمة الساسة في بغداد ومطامعهم تعتبر هي الخدمة المثالية له، ام ان عليه ان يباشر بالسيطرة على الدولة بقواته المسلحة، على غرار ماهو موجود في تركيا ام في بلاد فارس، وعما اذا لم يكن مثل هذا الاجراء اكثر تجانسا؟ هنا تلاقت خطى حكمت سليمان مع شرور بكر صدقي الفعالة. لتؤلف اتفاقا اوثق، وعلى هذا تخلى بكر صدقي في النهاية عن ولائه لياسين الهاشمي، ولم يعد اخوه طه الهاشمي من الناس الذين يجب ان تقتفى خطواتهم . اما حكمت سليمان فقد كانت

---

(٧) تم كسب ابي التمن الى جانب جماعة الأهالي بعد ان اسس هؤلاء «جمعية السعي لمكافحة الأمية» وانضمامه اليها. وبعد ان اطلع على اول كراس صدر عن الشعبية ووثق بأنها تعادي الشيوعية التي كان يخشاها ويقاومها كثيرا انضم الى جماعة الاهالي وحين عطلت صحف الاهالي حصل ابو التمن على امتياز بأصدار صحيفة يومية سياسية بأسم «المبدأ» تولى جماعة الأهالي اصدارها وتحريرها وقد صدر عددها الأول في اليوم السادس والعشرين من شهر كانون الثانية سنة ١٩٣٤ وعطلت في اليوم الخامس من شهر شباط سنة ١٩٣٥، بعد صدور عددها الثامن والعشرون.

(٨) يقصد بالستة المثقفين كلا من محمد حديد، وعبدالفتاح ابراهيم، وجميل توما وابراهيم بيثون وعلي حيدر سليمان حسين جميل، الذي درس الحقوق في دمشق، وكان معظم هؤلاء ممن درسوا في الجامعة الامريكية ببيروت في حين درس محمد حديد في لندن، وعبدالفتاح ابراهيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٩) سبق لكل من حكمت سليمان وجعفر ابي التمن ان قابلا الملك غازي اكثر من مرة واحدة خلال سنتي ١٩٣٥ ، و ١٩٣٦ وتحدثا اليه عن تردي الأوضاع في عهد وزارة ياسين الهاشمي، واوغرا صدره عليه. وذلك بما نقلاه الى غازي عن نية الهاشمي في اعلان الدكتاتورية، والتمسك بالحكم لمدة اطول، وقد استغلا في ذلك التمنيات التي اوردها الهاشمي في احدى تصريحاته في أن يبقى في الحكم لمدة عشر سنوات. كذلك نشرت الصحف السورية البيان الذي اعده جعفر ابو التمن واطلع عليه الملك غازي عند مقابلته له في احدى المناسبات.

الرغبة الملحة المباشرة لديه، هي تغيير الحكم لصالحه، وان الجيش هو الاداة الوحيدة التي تستطيع ان تفعل ذلك التغيير.

كانت مطامح بكر صدقي في الواقع تتركز في توجيه ضربة تضمن للجيش بأن يصبح هو الأداة المسيطرة على أمور البلاد، وان تصبح قيادة هذا الجيش في يد بكر صدقي نفسه. ويبدو ان احداً من المغامرين لم يكن يتطلع في اي وقت، الى الحصول على الدكتاتورية الشخصية او الرسمية. وفي شهر تشرين الأول غادر طه الهاشمي في زيارة الى تركيا، وعهد الى بكر صدقي قائد الفرقة الأولى بأن يتولى رئاسة الاركان نيابة عنه. وحدث ان هيأت المناورات التي يجريها الجيش خلال فصل الخريف في اواسط منطقة ديالى الفرصة لتركيز كل القوات العراقية المسلحة تقريبا خارج العاصمة بغداد.

حينذاك امكن ابلاغ المؤامرة التي حاكها بكر صدقي مع حكمت سليمان، الى عدد من الضباط الموجودين في «قره‌غان» وعلى الأخص عبداللطيف نوري قائد الفرقة الثانية، ولهذا وضع القائدان بكر صدقي وعبداللطيف نوري مسودة رسالة موجهة الى الملك يطلبان فيها تأليف وزارة جديدة برئاسة حكمت سليمان(٩) ، وسلما تلك الرسالة الى حكمت سليمان نفسه(١٠) وعلم رؤساء الجماعة اليسارية بذلك السر.

ولم تلبث القوة الجوية التي كانت يتولى امرتها العقيد محمد علي جواد «الصديق الحميم لبكر صدقي، ان تركزت في «قره‌غان» وزودت بمنشورات كيما يتم اسقاطها فوق بغداد في اللحظة المواتية(١١) وفي ليلة التاسع والعشرين من تشرين الأول بدأت «قوة الدفاع الوطني» التي اطلق عليها هذا الأسم في تلك المناسبة، مسيرتها نحو بغداد(١٢) وفي صباح ذلك اليوم اسقطت الطائرات تلك المنشورات من الجو على بغداد، وأذ ذاك قام حكمت سليمان بنقل الرسالة المتفق عليها الى قصر الملك(١٣) حيث كان غازي قد استدعى اليه السفير البريطاني مسبقا. وكانت

---

(١٠) ذكر في حينه ان حكمت سليمان كان في صبيحة يوم الانقلاب يحمل تلك الرسالة داخل بطانة «سترته» وكان ينتظر وهو في بيت عبدالله الصافي اليعقوبي ظهور الطائرات العراقية في سماء بغداد والقاء قنابلها عليها، حتى اذا ماظهرت والقت ثلاث قنابل على مبنى مجلس الوزراء وغيره اسرع حكمت سليمان بالذهاب الى قصر الملك لأيصال تلك الرسالة.

(١١) ذكر جرالد دي غوري في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» الذي ترجمناه ونشرناه، ان مقر القوة الجوية البريطانية في معسكر الهنيدي «الرشيد» قد استغرب تحليق عدة طائرات من القوة الجوية قبل الانقلاب بيوم واحد من دون ان تكون للمقر الأنكليزي اية معلومات عن الوجهة التي اتجهت اليها الطائرات العراقية والهدف الذي كانت ترمي اليه.

(١٢) لم يطلق هذا الأسم على القوة التي دخلت بغداد واسقطت الوزارة الهاشمية وانما اطلق عليها اسم «القوة الوطنية الاصلاحية» وقد ذكر هذا الأسم في المنشورات التي اسقطت من الطائرات على بغداد.

(١٣) يحتفظ مركز الوثائق الوطني ببغداد، برسالة بخط الملك غازي موجهة الى بكر صدقي في صباح يوم الانقلاب يستغرب فيه اقدام بكر صدقي على تلك الحركة، ويحذره من المخاطر التي قد تنشأ عنها، ولعلها هي ذات الرسالة التي حملها جعفر العسكري=

النصيحة التي قدمها السفير الى الملك هي ان يستشير وزراءه في الأمر، وان يتحقق من نوايا حكمت سليمان، وان يتصرف، قبل كل شيء تصرفا دستوريا. كان جميع الوزراء الذين التقوا الان مع رفاقهم، قد ابدوا استعدادهم للاستقالة ماعدا رشيد عالي الكيلاني.

القيت القنابل في منتصف صباح ذلك اليوم، وانتهت مهلة الساعات الثلاث التي حددت لاستقالة الوزارة الهاشمية، وقد دلل مقتل بعض الافراد وجرح اخرين غيرهم، على مدى تحمس القوة الجوية العراقية للحركة. وبعد مناقشات لم تنته الا بطريقة واحدة استقالت الوزارة، وصدرت ارادة ملكية بدعوة حكمت سليمان لتأليف الوزارة الجديدة

وقع حادث مستفز، اثار قلق الجمهور، واخاف السفير البريطاني، وادى الى اشمئزاز حكمت سليمان نفسه، ذلك الحادث هو مقتل جعفر العسكري، بطريقة وحشية على يد بعض ضباط الجيش، في منتصف الطريق بين بعقوبة وبغداد، وبأوامر صادرة من بكر صدقي بصفة مباشرة كما يعتقد[١٤].

كان جعفر العسكري باعتباره وزيرا للدفاع قد غادر بغداد في سيارة وهو يحمل رسالة من الملك،ويعتزم ان يلتقي مع آمر قوة الدفاع الوطني، .ويعلمه بتغيير الحكومة، وان يرتب معه وقف اعمال العنف. وسرعان مادفنت جثة ذلك الرجل الوطني المخلص الوفي الأمين، على قارعة الطريق في الوقت الذي واصل فيه الجيش مسيرته الظافرة نحو العاصمة، حيث دخل المدينة في مطلع مساء ذلك اليوم باحتفال كبير وعلى رأسه بكر صدقي.

تم تأليف الوزارة من قبل حكمت سليمان واعلانها في نفس ذلك اليوم. وقد احتفظ رئيس الوزراء نفسه بمنصب وزير الداخلية، ثم اتى بثلاثة اعضاء من جماعة الاهالي هم جعفر ابو التمن، وكامل الجادرجي، ويوسف عز الدين، لوزارات المالية والأشغال والتربية وتعيين صالح جبر لوزارة العدل، وناجي الأصيل للخارجية، وكوفىء عبداللطيف نوري، رفيق بكر صدقي في التآمر معه، بمنصب وزير الدفاع، في حين تولى بكر صدقي نفسه رئاسة الأركان التي كان يتولاها قبلا طه الهاشمي.قوبلت الوزارة بحماسة كبيرة، لايعرف ما اذاكانت حماسة حقيقية ام مصطنعة، وكان المنهاج الذي تمت اذاعته، وكذلك البيان الذي اذاعه جعفر ابو التمن بنفسه من دار الاذاعة، غنيين بالتفاؤل والامال.

معه حين اراد مواجهة بكر صدقي قبل دخوله بغداد. ويبدو مما نشره سندرسن في مذكراته ان غازي لم يكن يجهل تلك الحركة التي ستنقذه من ياسين الهاشمي، لكنه تنبه الى خطرها بعد فوات الأوان «انظر مذكرات سندرسن ص ٢١٦ ومابعدها».

(١٤) كان جعفر العسكري قد حضر الى مجلس الوزراء في ذات الوقت الذي القت فيه الطائرات قنابلها في ساحة المجلس وعلى مقربة من النقطة التي كان يقف فيها. فلم يفزع ولم ترعبه هذه المفاجاة. وأنما سارع بالذهاب الى مقره في وزارة الدفاع واصدر بخطه اوامر الى بعض قادة الوحدات العسكرية بالتحرك الى بعض الجهات محاولة منه لتطويق الوحدات التي تنوي الزحف على بغداد.

نظمت التظاهرات الكبرى في بغداد، وكانت الشوارع الرئيسة في بغداد، مسرحا لرقصات واهازيج حشود افراد العشائر والعمال، وجرى تشويه سمعة الوزارة الساقطة في كل مكان، واختفى عن الأنظار اعضاؤها الذين فضل بكر صدقي اغتيالهم مع غيرهم من الخصوم، وطلقوا الحياة العامة موقتا[١٥].

فقد غادر ياسين الهاشمي، ورشيد عالي الكيلاني تحت الحماية الى سوريا، وطار نوري السعيد على متن احدى طائرات القوة الجوية البريطانية الى مصر، وتقاعد الوزراء السابقون و بعض كبار الموظفين عن العمل، في غمرة التبدلات الكثيرة التي تمت بصفة شخصية من قبل الوزراء الجدد.

كان حكمت سليمان رئيس الوزراء في جميع الأوقات على اتصال مع السفير البريطاني، وذلك امر معيب، لكنه اخذ يفقد شعبيته القومية فيما بعد نتيجة عمله هذا. ومع كل ذلك ظل حكمت يؤكد للسفير البريطاني وللعالم اجمع،بأن ماحدث ليس دكتاتورية عسكرية، وأن وزارته محض وزارة برلمانية وديمقراطية يؤيدها الجيش المخلص، والواقع ان بكر صدقي لم يكن يتدخل الا قليلا في الأمور الادارية الجارية، ولم تكن له أية سياسة واضحة عدا عداوته الشديدة للانكليز، وقد اقصر كل الأمور الضرورية لديه على ترشيح اصدقائه لبعض التعيينات، والاصرار على ان تعطى الأرجحية للجيش، والقبول بأقتراح تشويه روح الأنتقام،يتلخص في البحث عن الأموال الخاصة للوزراء السابقين في اول الأمر، ولكن هذا الاقتراح مالبث ان أهمل في النهاية.

ومع كل ذلك فأن القوة المعارضة للوزارة لم تكن بطيئة في تنظيم صفوفها، وفي قدرتها في السيطرة على العناصر الفعالة، ذلك لأن الوزارة الجديدة لم تذكر في منهاجها سوى الشيء الضئيل عن المشاريع المناهضة للمعاهدة،بل الحقيقة ان المنهاج الذي تحدث عن الصداقة مع كل البلدان، قد تعهد بالحفاظ على المعاهدة، وعلى الرغم من التلميحات الشخصية المبررة خلافا لذلك،فقد وجه النقد الى المنهاج من قبل المتحمسين ضد الصهيونية، والمتطرفين من اعضاء «نادي المثنى» الذي كان ينادي بالجامعة العربية[١٦]. كذلك وجه الانتقاد من قبل بعض

---

(١٥) ذكر لي المرحوم كامل الجادرجي بعد ان اختارني للعمل في جريدة «صوت الأهالي» في شهر نيسان سنة ١٩٤٣، بأن بكر صدقي قدم الى وزارة الأنقلاب قائمة تضم زهاء مئتين شخصا كان ينوي اغتيالهم او اعتقالهم بشتى الاساليب، لكن الوزراء وعلى الأخص كامل وحكمت، عارضوا تلك المحاولة وهددوا بالاستقالة من مناصبهم فورا، مما جعل بكر صدقي يتراجع عن ذلك بعض الشيء.

(١٦) ليس المقصود بالجامعة العربية هنا تلك المنظمة التي مازال تتعثر في مشيتها حتى الان، اي جامعة الدول العربية، وأنما المقصود بذلك «الوحدة العربية الشاملة» PANARAB.

الصحف السورية والمصرية في بعض الأحيان، على اساس ان المنهاج كان اقل تحمسا لموضوع الوحدة العربية[١٧].

كان بكر صدقي كرديا، وكان حكمت سليمان أكثر عطفا على الأتراك منه على العرب. ولم تكن «جماعة الأهالي» لتعير سوى القليل من الاهتمام بالسياسة الدولية، وكانت لهجة المنهاج الأول للوزارة، وأحاديث كل من كامل الجادرجي وجعفر ابي التمن متوازنة، ومن اليسير تصنيفها بأنها كانت احاديث شيوعية، ولذلك أثارت الخوف لدى الطبقات القائمة. والواقع ان افراد الفئة الاصلاحية كانوا يطالبون بنصيبهم في الحكم، وتسندهم في ذلك امال رفيعة، لكن هذه الفئة بما كانت تملكه من وسيلة وهي الصحيفة و«جمعية الاصلاح الشعبي» التي أنضم اليها اربعة وزراء[١٨]، لم تظفر الا بتأييد شعبي ضئيل. فلقد عارضها شيوخ العشائر الذين كانوا يخافون على مراكزهم الخاصة، كما عاكسها الجيش الذي لم يكن ليثق بها، بل وربما كان يحتقرها أيضا.

كانت الجهود التي بذلتها الفئة اليسارية مشكورة، وذلك لأن هذه الفئة كانت كما – تدعي – تقيم بعض شرور المجتمع العراقي، وتثمن الضعف الحقيقي الكامن فيه، غير أن مثل تلك الجهود لم تكن مفيدة ونافعة لوزارة كانت الرجعية والجيش يسيطران عليها، ذلك لأن الحرية الصحافية والسياسية التي وعد الجميع بها خلافا لحكم ياسين الهاشمي، لم يعد يسمح بهما الا بعد ان تعاظم النشاط الذي كان يبديه خصوم الوزارة.

---

(١٧) لم ترد في منهاج الوزارة السليمانية اية كلمة عن الوحدة العربية او التضامن العربي لا من قريب او بعيد، بل على النقيض من ذلك شدد المنهاج على «تعزيز روح التآزر بين العراق وبريطانيا العظمى»، والعمل المتواصل لتأمين اقصى الفوائد ماليا، واقتصاديا وعسكريا، من الحلف العراقي البريطاني والتعجيل بتوقيع ميثاق عدم التعدي بين العراق وتركيا وايران والأفغان[١٩]. وبذل كل الجهود لحسم القضايا المعلقة بين العراق وايران[٢٠].

(١٨) الوزراء الذين انضموا الى جمعية الاصلاح الشعبي هم كل من جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي ويوسف عز الدين وعبداللطيف نوري. اما حكمت سليمان فانه رفض الأنضمام الى الجمعية واقترح استيعابها في حزب حكومي بعد اعادة النظر في مناهجها، وبالفعل دعا جعفر ابو التمن الى عقد اجتماع في داره حضره ثمانية وثلاثون شخصا من الصحفيين والمحامين اضافة الى رئيس الوزراء والوزراء الاخرين، للعمل على تأليف حزب قومي بأسم «حزب الاصلاح الشعبي» وذلك بعد ان قررت الهيئة الادارية لجمعية الاصلاح الشعبي الأنسحاب من الهيأة التنفيذية للجمعية وايداعها الى هيئة الوزارة «فؤاد حسين الوكيل: جماعة الاهالي في العراق ص ٤٢٤ طبعة ١٩٧٩» والذي نعتقده ان حكمت سليمان كان في مقدمة الذين لم يرق لهم اعادة تأليف الأحزاب، بعد ان حلت في عهد الهاشمي وذلك ما شدد من دكتاتورية بكر صدقي وتدخله في كل شيء مهم من اعمال الوزارة.

(١٩) المقصود به «ميثاق سعد اباد» المهد الأول لقيام حلف بغداد الاستعماري العدواني المعروف.

(٢٠) يقصد بها اتفاقية شط العرب سنة ١٩٣٧ والتي تنازل بموجبها العراق عن قسم مهم من حقوقه الأزلية في شط العرب حيث قضت تلك الاتفاقية بمنح ايران مقدار خمسة اميال من شاطيء شط العرب قبالة عبادان، وكان ذلك في الأصل لصالح شركة النفط الأنكليزي الفارسية.

تم اطلاق سراح السجناء السياسيين والمسجونين من أفراد العشائر بما في ذلك اليزيديون، واعلن العفو العام عن الجميع. ولكن سرعان ماأعقبت ذلك اجراءات تعسفية أكثر شدة من تلك التي أستخدمت في السنة الماضية، وفي الوقت ذاته شرع الكثيرون من أصدقاء جعفر العسكري، وعلى الأخص حموه نوري السعيد،ينادون من دون كلل، ويبعثون الرسائل من مصر ومن سوريا، بأنهم لن يسامحوا القتلة ولا الجناة، ولا الملك ولا الوزارة الحاضرة، في أن يظل اولئك القتلة والجناة من دون عقاب.

وبالاضافة الى عناصر الانتقاد والتذمر هذه، فأن وافدة التذمر والتمرد بين سكان اواسط الفرات، بقيت حية وسرعان مايهب اولئك السكان الى مباشرة اعمال العنف، والواقع ان المشاكل التي كانت تحيط بمركز حكمت سليمان كانت أكثر وضوحا، من المحاولات التي كان يبذلها لحل مشاكل عشائر الفرات التي لم يتم التوصل الى ايجاد حل لها، ذلك أنه كان عليه ان يجامل الساخطين من دون ان يثير الغيظ لدى اعدائهم، وأن يعفو عن المحكومين دون اظهار الضعف في ذلك، وان يحافظ على النظام ولكن دون اللجوء الى استعمال القسوة التي قد تثير السخط. على انه ما أن باشر عمله في هذا السبيل، بكل ماكان له من ثقة في نواياه، وبكل ماأوتيه من مهارة دبلوماسية، حتى اخفق في هذا المجال اخفاقا بارزا.

كان الجيشان الذي يؤججه حب الذات، وشهوة الانتقام التي تؤلف الحياة الاعتيادية لشيوخ عشائر الفرات، وللأوساط الدينية هناك، تأبى الا أن ترفض العروض التي عرضها حكمت سليمان. وكان وقوع نزاع شديد على الاراضي بين عشيرة «الأزيرج» في السماوة يمثل الفرصة الجديدة لتجمع القوى التي كانت تؤيد الشيخ عبدالواحد سكر،والسيد محسن ابي طبيخ، والقوى التي تعاديهما وتعارضهما، فقد تحدى هذان الشيخان أوامر الوزارة الى درجة اصبح من المحتم ازاءها، اللجوء الى استعمال القسوة التي كان حكمت سليمان يأمل بها أن يحل ذلك النزاع، وعلى هذا الاساس تم رفع الحصانة النيابية عن ذينك الشخصين اللذين تعودا خلق الاضطرابات،حيث جرى اعتقالهما ومن ثم صدر الحكم باحتجازهما في شمالي العراق(٢١).

أدى الاستمرار في الخروج على القانون في السماوة، خلال شهر حزيران من سنة ١٩٣٧، الى توجيه عمليات عسكرية اخرى من نوع اعتيادي الى تلك المنطقة، صاحبها تدمير القرى، ووقوع هجمات عشائرية على مركز بلدة السماوة ذاته. كما زعم في حينه بأن الجيش قد أقدم على قتل

---

(٢١) لم تقتصر الملاحقة على عبدالواحد سكر ومحسن ابي طبيخ وحدهما بل شملت العين علوان الياسري أيضا. فبعد ان قام حكمت سليمان بسفرة الى الديوانية وابي صخير وعفك والشامية اجتمع برؤساء «آل ازيرج» في النادي العسكري في الديوانية وتناول طعام العشاء معهم وذلك مساء يوم ١٣ شباط ١٩٣٧ ومن ثم عاد الى بغداد وعلى اثر ذلك قدم طلب الى البرلمان برفع الحصانة عن الأشخاص الثلاثة ونفيهم الى كركوك في اول الأمر، ومنها الى حلبجة في محافظة السليمانية، والزام كل واحد منهم بتقديم كفالة يتراوح مبلغها بين الف وخمسة الاف دينار، وعند عدم الدفع حبس كل واحد منهم لمدة ثلاث سنوات.

الرهائن الذين كانوا لديه، ومن هنا كان وقع مثل هذه المعاملة شديدا على افراد العشائر، ولذلك فلم يتوطد الأمن في تلك المناطق طيلة بقاء وزارة حكمت سليمان في دست الحكم. اما في المدن فقد كان الأمن مستتبا.

بقيت الوزارة السليمانية شقية في الميدان السياسي. ذلك لأن الانتخابات العامة التي أمرت باجرائها في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، وكملت في شهر شباط سنة ١٩٣٧، قد اتت بمجلس نواب، استبعد منه كشرط لازم استجابة لرغبات بكر صدقي، القسم الأعظم من النواب السابقين وجميع الاصلاحيين ماعدا اثنى عشر شخصا منهم(٢٢).

ودليلا على الرغبة في المسالمة والمصالحة، وافق المجلس على انتخاب بعض المذبذبين الذين اسيء اختيارهم من أفراد العشائر. وكان المجلس النيابي، اثناء اربعة أشهر من الجلسات غير الاعتيادية، اي من شباط حتى حزيران من سنة ١٩٣٧، قلقا منقسما على نفسه بالاضافة الى الاحتكاك المؤلم الذي حصل بين أتباع الوزارة ذاتها، ممن اساءت الوزارة ذاتها مدى التثبت من اخلاصهم.

ولقد أدى هذا الاحتكاك، ومارافقه من المخاوف التي أنتابت اقلية من الوزراء وتنكرها لسياسة القسوة التي انتهجتها الحكومة في السماوة، الى استقالة اربعة وزراء من الاصلاحيين في شهر حزيران سنة ١٩٣٧ (٢٣). ولقد أوحى وجود هؤلاء الوزراء، أثناء وجودهم في الحكم، وعلى الأخص كامل الجادرجي من بينهم، بحدوث اضرابات خطيرة بين العمال الصناعيين، ولربما كان كامل الجادرجي من المشجعين لها(٢٤)، وعلى هذه الشاكلة يمكن تفسير الاضرابات التي

---

(٢٢) تألف النواب الاصلاحيون في البرلمان الجديد من كل من جعفر ابو التمن عن لواء بغداد، وكامل الجادرجي عن الحلة، ويوسف عز الدين ال ابراهيم عن كركوك، وعزيز شريف عن البصرة، وعبدالقادر اسماعيل عن بغداد، وحكمت سليمان من ديالى، وصادق كمونة عن كربلاء ومكي جميل عن ديالى، وعبدالجبار الملاك عن البصرة، ونعمة المنصور عن البصرة، وذيبان الغبان عن الكوت، ومحمد الجرجفجي عن المنتفق، وحين عين ابو التمن بعد ظهور نتائج الانتخابات عضوا في مجلس الأعيان تناقص عدد الاصلاحيين الى اثني عشر عضوا (حسين جميل: الحياة النيابية في العراق ص ٢٧٦ - ٢٧٧ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢).

(٢٣) هم كل من كامل الجادرجي، وجعفر ابي التمن، ويوسف عز الدين ال ابراهيم وصالح جبر، ولم يكن صالح جبر من الاصلاحيين ولا علاقة له بهم ابدا، ولكنه استقال لأسباب طائفية محضة، ولاحراج موقف حكومة الانقلاب التي بدأ الأنكليز يتنكرون لها، بعد ان ساندوها مساندة فعالة في اعقاب حصول الانقلاب مباشرة (راجع كتاب الدكتور محمد طربوش - رسالة دكتوراه من جامعة اكسفورد، والذي صدرت طبعته الأولى بالأنكليزية في سنة ١٩٨٣ وقد اتممنا ترجمته واعداده للنشر، وهو بعنوان «دور العسكريين في السياسة العراقية».

(٢٤) لسنا نعتقد ان كامل الجادرجي كان يؤيد تلك الاضرابات العمالية كما شاهدنا ذلك بجلاء في نهجه السياسي، ومع انه قد أصبح على اشد خلاف مع حكمت سليمان نتيجة تخاذل هذا الأخير امام تسلط بكر صدقي على شؤون الحكم، الا أننا نعتقد ان كامل الجادرجي لم يكن يريد اسقاط وزارة الأنقلاب لأنه كان يخشى قيام حكم دكتاتوري ارهابي في اعقاب سقوط وزارة حكمت سليمان.

حصلت بصفة متلاحقة بين العمال العاملين في سدة الكوت، وفي مناطق حفر ابار البترول العائدة الى شركة استثمار النفط البريطانية، وفي معامل سكك الحديد الحكومية، وميناء البصرة، وكذلك اضراب النساجين في النجف[٢٥].

وسواء تم تبرير هذه الاضرابات من الناحية الصناعية، ام لا، فانها كانت قد عكست بروز روح جديدة في ميدان العمل، ووعيا ذاتيا بين العمال ليس ضروريا ان يعتبر امرا غير صالح. كما ان هذه الاضرابات أصبحت واحدا من الأسلحة السياسية الجديدة.

لم تلاق الامال التي كان حكمت سليمان يحلم بها لتعزيز وزارته بضم بعض رجال الدولة البارزين اليها، من أمثال نوري السعيد، او جميل المدفعي، سوى الفشل. ذلك لأنه لم تعد الان سوى فئة ضئيلة تثق ببكر صدقي، او بنظام الحكم القلق ذاته.

كان اثنان من الوزراء الأربعة الذين تم استيزارهم، هما علي محمود الشيخ علي، ومحمد علي محمود من المحامين والسياسيين معا، وكان عباس مهدي وجعفر حمندي من ذات الأساس حيث تولى الأربعة بالتتابع وزارات العدل، والمالية، والأشغال، والتربية[٢٦].

أصبحت القطيعة الان كاملة بين الحركة الاصلاحية والوزارة السليمانية. ولذلك اغلقت «جمعية الأصلاح الشعبي»[٢٧] وأعتقل بعض الشيوعيين البارزين، أن حقا كانوا من الشيوعيين ام ادعاءا، وهرب اثنان من أكثر هؤلاء الشيوعيين نشاطا الى باريس هما عبدالقادر، ويوسف ولدا أسماعيل[٢٨] وأصبح الجيش مسيطراً بصفة أكثر على رئيس الوزراء ووزارته.

---

(٢٥) يقصد بمعامل سكك الحديد، معامل الشالجية التابعة لمؤسسة سكك الحديد التي كانت تضم أكبر عدد من العمال الصناعيين وغيرهم من العراق انذاك. وكان عمال السكك يؤلفون الأكثرية في اول نقابة عمالية ظهرت في العراق، ونعني بها «جمعية اصحاب الصنائع» التي اجيز تأسيسها من لدن وزارة الداخلية في اليوم الأول من شهر تموز سنة ١٩٢٩. ولقد حصلت الجمعية على امتياز باصدار مجلة اسبوعية بأسم «الصنائع» صدر منها عددان، وصودر العدد الثالث من المطبعة قبل توزيعه ولقد اوردنا ذلك، في الجزء الثاني المخطوط من كتابنا «مفصل تاريخ الصحافة في العراق» والذي نأمل ان تتوفر الظروف المواتية لطبعه. ونتيجة الأنتخاب الذي اجري في بناية «المعهد العلمي» في محلة الحيدرخانة أصبح محمد صالح القزاز رئيسا للجمعية اما السيد عبدالرحيم التكريتي، الذي تقدم بطلب تأسيس الجمعية الى وزارة الداخلية، فأنه تخلى عن الجمعية وقطع علاقته بها، بعد ان فشل في انتخابات الهيئة الادارية لها.

(٢٦) تم أختيار هؤلاء الوزراء الأربعة الذين اعتبروا من القوميين نتيجة اتفاق وتداول في الاراء بين بعض الفئات القومية المعادية للحكومة السليمانية وبكر صدقي،ولم يستطع حكمت سليمان ازاء ذلك ان يظهر بمظهر المعارض لذلك «فؤاد حسين الوكيل: جماعة الأهالي في العراق ص ٤٣٣».

(٢٧) اغلقت جمعية الاصلاح الشعبي في ١٣ تموز ١٩٣٧ بقرار من وزير الداخلية اتهمت به الوزارة هذه الجمعية بأن «مقاصدها كانت مضرة بكيان المملكة وسلامة المجموع، واستهدافها بث فكرة مسمومة كالشيوعية».

(٢٨) عطلت جريدة الأهالي التي كان عبدالقادر اسماعيل يملك امتيازها بقرار من مجلس الوزراء في يوم ٢٤ تموز ١٩٣٧، ولم يهرب عبدالقادر وأخوه يوسف كما ذكر ذلك المؤلف، وأنما اسقطت عنهما الجنسية العراقية وابعدا عن العراق وشمل قرار اسقاط الجنسية ايضا «سركيس صوراني» صاحب جريدة «الدفاع» التي كانت تنطق بلسان بكر صدقي. وقد ابعد عبد القادر واخوه

كان الوضع الذي برز الان من النوع الذي لم يكن امام بكر صدقي الا ان يسيء استعماله. فبعد ان افسدته، هو والملتفون من حوله، السلطة المتعاظمة كثيرا، اخذوا يفقدون احترام العناصر الطيبة، نتيجة ادمانهم على السكر والعربدة والشجار، كما ان زواجه من راقصة نمسوية من فينا، قد جاء وبالا عليه. وفضلا عن ذلك أصبح الناس في كل مكان يعتقدون باشتراكه في مقتل «ضياء يونس» سكرتير مجلس الوزراء سابقاء وصديق ياسين الهاشمي الذي يعيش الان في المنفى[٢٩]. ولايقل عن هذا الجرم توجيهه عصابته في الهجوم على الزعيم العربي الوطني المحارب «والذي كان ينتقد بكر صدقي»[٣٠] ونعني به مولود مخلص.

ادت وفاة ياسين الهاشمي في دمشق خلال شهر حزيران ١٩٣٧[٣١] الى تكتل الاحساس الشعبي الى جانب ياسين، تلك الشخصية القومية المخلصة التي لازمها شيء من النحس. وهذه الشخصية وان لم تكن تملك سوى نصف الظرافة، الا أن الخدمات التي قدمتها الى بلادها لم يتم تقييمها.

كذلك كان انتحار شقيق جعفر العسكري[٣٢]، ووفاة اصدقاء اخرين في وقت متزامن مع وفاة ياسين الهاشمي، ومقتل شخصية كبيرة في بغداد (عبدالقادر السنوي) على يد احد الأكراد الذي كان بكر صدقي يحميه، كانت كل هذه الحوادث من النذر المفزعة بالنسبة الى بكر صدقي.

يوسف الى سوريا فأستقر عبد القادر في دمشق وفيها كتب قصته الشعبية «من بنات الناس» وطبعها في احدى المطابع الدمشقية، ومن ثم لحق بأخيه يوسف الذي سبقه في الهجرة الى باريس.

(٢٩) يقول سليمان فيضي في مذكراته «جاءني ضياء بعد الانقلاب بايام قلائل، وهو بادي القلق والارتباك، وقال لي ان بعض الضباط دخلوا مكتبه وطلبوا منه احضار أضبارة تتعلق بالتهم التي نسبت الى بكر صدقي في عهد الوزارة السابقة بقصد اتلافها فلما اخبرهم بأنه لايعلم من امر تلك الأضبارة شيئا توعدوه بالقتل ان هو لم يحضرها ثم خرجوا «سليمان فيضي: في غمرة النضال ص ٣٠٥ الطبعة الأولى ١٩٥٢».

(٣٠) تصدت عصابة بكر صدقي للمرحوم مولود مخلص في احدى الأمسيات عند المنعطف من وزارة الدفاع الى الشارع الذي يسكن مولود فيه وهو شارع العسكري فأمطرته برصاصات وهو في سيارته لم تصبه بل رد على المهاجمين باطلاقات من مسدسه. وحين خرج مولود بعد ذلك الحادث بأيام قلائل الى مزرعته في «الحمرة» شمالي تكريت ارسلت اليه ثلة من الشرطة في سيارة مسلحة حيث طلب اليه معاون الشرطة في تلك السيارة ان يرافقه الى بغداد واستطاع مولود ان يخدع ذلك المعاون بأن طلب اليه بأن ينتظره في تكريت لكنه اعد العدة للهرب بالتوجه بسيارته الى سوريا يرافقه في ذلك ابن اخيه «جاسم امين» متخذا طريق شركة النفط العراقية في «بيجي» الى «حديثة» ومن هناك عبر الحدود السورية ليستقر في دير الزور.

(٣١) توفي المرحوم ياسين الهاشمي ببيروت ليلة الخميس ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ نتيجة نوبة قلبية لم تمهله سوى لحظات ونتيجة برقية بعث بها طه الهاشمي الى الملك غازي للسماح بنقل رفات ياسين الى بغداد، وافقت حكومة الانقلاب على ذلك شرط ان لايرافق طه الهاشمي الرفات الى بغداد.

(٣٢) المقصود بذلك «علي رضا العسكري» الذي وجد ذبيحا في داره صبيحة احد الأيام ولم يعرف ان كان قد انتحر ام اغتيل.

كانت الطلبات الملحة لتوسيع الجيش، قد أربكت الوزارة من الناحية المالية، ومارافق ذلك من كثرة الصرف دون روية، وزيادة الأموال المخصصة للانفاق على القوات المجندة طبقا لقانون التجنيد العام، من الأمور التي غدت غير مستحبة من لدن جمهور السياسيين. وكان جميع الضباط الذين شاركوا في انقلاب تشرين الأول سنة ١٩٣٦ قد نالوا تعويضات عن الاضرار التي اصابتهم وفقا للقانون الذي صدر في نيسان ١٩٣٧ (٣٣). على ان الاقتراح المستهجن لاقامة تمثال لبكر صدقي بطل الثورة، لم تتم الموافقة عليه (٣٤).

بقيت ادارة التجنيد الاجباري تعمل نابضة بالحياة على نطاق واسع، وان لم تواجه سوى القليل من المقاومة. غير ان معظم الوحدات المجندة كانت اوطأ من مستوى القوات المطلوبة. كذلك أصبحت العلاقات مع البعثة العسكرية البريطانية غير ودية انذاك، وذلك لأن الشرط الذي فرضته بريطانيا على التسلح والتجهيزات العسكرية، قد اثار قضايا لها صعوبتها الخاصة. فلقد جاءت هذه الطلبات في وقت اقدمت فيه بريطانيا على تسليح نفسها على نطاق موسع، ولذلك فلم تلب الطلبات التي تقدم بها العراق للحصول على المدافع، والطائرات والتجهيزات، الأمر الذي اثار حنق العراقيين ونفاد صبرهم.

استغلت الدعاية الألمانية المنسقة التي كان يديرها الهر «غروبا» الوزير الألماني في بغداد، والزيارة الخاطفة التي قام بها الدكتور «شخت» (٣٥) والتي تضمنت طرح عروض معاكسة تقدمت بها معامل الأسلحة الألمانية والجيكية، الامر الذي ادى الى تقديم طلبات من العراق للحصول على السلاح من شركات «كروب» و «سكودا»، في حين اودعت الطلبات على الطائرات وكلها من أنواع غير ملائمة الى المجهزين الايطاليين، حيث سلمت بعض الأسلحة التي طلبت. اما بقية الاسلحة التي طلبت، وكانت قيمتها تبلغ نصف مليون جنيه استرليني، فانها قد سلمت في الوقت الذي سقطت فيه وزارة الانقلاب (٣٦).

---

(٣٣) المقصود بذلك قانون العفو العام عن القائمين بحركة الانقلاب.

(٣٤) تقدم باقتراح اقامة تمثال لبكر صدقي لفيف من النواب الانتهازيين بقصد التملق والتزلف، وهم كل من تكليف المبدر الفرعون، واحمد عارف قفطان، وخميس ضاري، ورفائيل بطي، ومكي جميل، وفرهود الفندي، وشعلان الشهد، ومظهر الحاج صكب، وعبدالقادر الطلباني، وحامد الجاف، ومحيف الكتاب، وحسين النفطجي. وكان عبداللطيف نوري على رأس المعارضين من الضباط لذلك الاقتراح. وكان تقديم الاقتراح قد جرى في يوم ٢٨ نيسان ١٩٣٧.

(٣٥) كان الدكتور شخت يعتبر اعظم اقتصادي عالمي في ذلك الوقت، وكان يتولى منصب الاقتصاد في الوزارة النازية.

(٣٦) اشترى العراق انذاك من ايطاليا دبابات من احجام صغيرة وطائرات من طراز (سافوي) و (بريدا) استخدمت معظمها خلال ثورة ايار سنة ١٩٤١، واسقط البعض منها بفعل نيران العشائر في الديوانية والناصرية حيث ظنها البعض – كما زعموا –؟؟ بأنها طائرات بريطانية!

لم تكن الحاجة ماسة لتدبير المال بقصد الانفاق على الجيش وحده حسب، بل ان حكمت سليمان كان يطمح الى تجسيد «ثورته» عن طريق الشروع بتنفيذ الأعمال المهمة التي اعدت مشاريعها من زمن طويل، من أمثال شق الطرق، وانشاء المباني، وتوسيع سكك الحديد، واكمال مشروع سدة الكوت.

ولقد تم الأتصال مرة اخرى بالسادة أصحاب مصرف «بيرنغ اخوان» لاقتراض مبلغ ثلاثة ملايين جنيه استرليني بشروط مناسبة، وعلى هذا الاساس خول البرلمان العراقي الحكومة، في ربيع سنة ١٩٣٧ امر الحصول على ذلك القرض[٣٧].

كانت شركة النفط، التي تعتبر العوائد التي تقدمها هي الضمان المفضل لذلك القرض، تميل اساسا ان تدفع هذه العوائد الى اي فريق اخر بدلا من الحكومة العراقية[٣٨] ونتيجة لذلك فلم تحصل الحكومة العراقية الاعلى قرض بمبلغ مليون جنيه ليس الا. ولقد تم التفاوض في حينه حول هذا المبلغ، ولكن لا الحكومة العراقية ولا المقرضون، ولا الحكومة البريطانية، قد تخلصت من النقد الموجه اليها، وكان هذا القرض أول دين اجنبي يتحمله العراق.

• • •

لم ينجم عن وجود قوى معادية للحكومة، اي تدخل مادي في الادارة التي كانت في صفتها مساوية للادارات التي سبقتها. ونظرا لخيبة الامال فيها، فان هذه الادارة لم تتفوق على الادارات السابقة. اما في ميدان الشؤون الخارجية، وبعض التطورات الداخلية التي حصلت، والتي ستأتي الصفحات الأخيرة من الكتاب على اعطاء وصف لها، فان شيئا من التقدم قد حصل في ذلك.

طرحت المشكلة الاثورية بعد شهر اب ١٩٣٣ على بساط البحث امام عصبة الأمم. وقد جاء الموقف الذي وقفته الحكومة البريطانية ازاء المشكلة، مخيبا لآمال المتطرفين من الاثوريين.

---

(٣٧) طرحت لائحة القانون الخاص بهذا القرض على المجلس النيابي لمناقشتها فتمت الموافقة عليها بالاجماع، ماعدا الشيخ باقر الشبيبي، الذي خالفها ومع ان مبلغ القرض كان مليون جنيه الا أن الحكومة العراقية لم تقبض منه سوى ٨٣٧٠٩١ باونا، في حين انها الزمت بتسديد مبلغ مليون واربعمائة واثنين وتسعين الف باون في النهاية.

(٣٨) تحركت شركة نفط العراق، التي تملك الحكومة البريطانية اكثرية اسهمها لاسقاط حكومة الأنقلاب، وذلك نتيجة تقربها من المانيا وايطاليا وجيكوسلوفاكيا لشراء السلاح منها. ولقد كان العراق في الواقع اول بلد عربي، وفي الشرق الأوسط كله، يقدم على كسر الطوق الأحتكاري للتسلح المفروض على الشرق الأوسط والبلدان العربية منه بصفة خاصة. ولقد كانت الوزارة الهاشمية هي اول من بدأ بكسر هذا الطوق عندما اشترت بعض الأسلحة من جيكوسلوفاكيا في سنتي ١٩٣٥، ١٩٣٦.

فليد قرر البريطانيون ان يحافظوا على دولة العراق المستقلة، بعد ان تأكدوا من النتائج الخطيرة التي لايمكن التسامح فيها. وطبقا لذلك وافق مجلس عصبة الأمم على تأليف لجنة سداسية تضم ممثلين عن بريطانيا، وفرنسا، والدانمارك وايطاليا والمكسيك، واسبانيا،عهد اليها امر البحث عن اي مكان في العالم لتوطين الطائفة الاثورية فيه. اقترحت اللجنة السداسية توطين الاثوريين في البرازيل، بينما طرح مشروع بريطاني لتوطينهم في مستعمرة «غوايانا»[٣٩]، ومشروع فرنسي لاسكانهم على ضفاف نهر النيجر في افريقيا. ولكن ظهر بأن كلا المشروعين البريطاني والفرنسي تافهان ولاينطويان على شيء. اما داخل العراق فقد بقي انصار المارشمعون يتمسكون بالامال الكاذبة في حين رفض المعارضون لمارشمعون، السكن في الاراضي التي كان «شمعون» واتباعه يطالبون بها.

كان المخيم الذي اقامته الحكومة العراقية على نفقتها في الموصل للآثوريين مايزال قائما حتى نهاية سنة ١٩٣٤، لكن هذا المخيم مالبث ان تقلص نتيجة ازدياد عدد الذين كانوا يغادرونه،اذ نقص عدد الذين جمعوا فيه الى النصف خلال سنة ١٩٣٤. وكانت عصبة الأمم قد اقترحت توطين الآثوريين في منطقة «الغاب» في سوريا على ضفاف نهر العاصي، ووضعت خطة لنقل الآثوريين الى ذلك المستوطن. ولكن الآثوريين مالبثوا انفسهم ان رفضوا هذا المشروع،وعاد من هرب منهم من العراق الى نهر «الخابور»،الى موطنهم في العراق حيث حدث تقدم في التأهيل الاقتصادي الذي وفرته الحكومة العراقية لهم، فتقبلوا الظروف الراهنة والرعوية العراقية بصفة نهائية.

لم يكن الحادث الذي ادى الى سقوط الوزارة السليمانية التي امضت في الحكم اقل من تسعة اشهر من حياة قلقة مضطربة، يعود الى اجراء دستوري،كان يندر اللجوء اليه لتغيير الحكومات في العراق، ولا الى اي تجمع من قوات المعارضة، وانما كانت اصول ذلك الحادث تكمن في حقد الجيش ذاته، فلقد خربت الذمم، واشتدت الضغائن والاحن، بسبب الامعان المعيب الذي كان بكر صدقي يظهره في تسلطه. لقد استطاع الحرس الخاص الذي كان يحيط ببكر صدقي حيثما ذهب ان ينقذه من محاولات سابقة للاعتداء على حياته خلال الاشهر التي انقضت حتى الآن من سنة ١٩٣٧. ولكن عندما كان في اليوم الثامن من شهر آب في طريقه لمشاهدة المناورات التركية، وكان ينتظر في مطار الموصل، استطاع قتلته، عن طريق الافراد الذين امدوهم بالمعلومات لذلك، ان ينجزوا واحدة من الخطط البديلة التي اعدت لاغتياله[٤٠]. فقد اطلقت عليه النار غفلا من قبل احد الجنود العراقيين، ولم يعش زميله محمد

---

(٣٩) مستعمرة غوايانا احدى المستعمرات البريطانية في جنوبي افريقيا.

(٤٠) اعدت محاولات عدة لأغتيال بكر صدقي كان من بينها قصف العربة التي سيكون فيها في القطار الذي سوف يقله الى كركوك من بغداد، من الجو قبل ان يبلغ مدينة كركوك. ويبدو بأن خبر هذه المحاولة قد تسرب اليه ولذلك سافر جوا كيلا يعلم احد بموعد وصول الطائرة الى الموصل، والمكان الذي سوف يمكث فيه.

علي جواد امر القوة الجوية العراقية، أكثر من دقيقة واحدة[٤١].

نقلت الجثتان الى بغداد، ودفنتا في تكريم عسكري تام، ولم يحدث سوى القليل من الأسف الذي رافق القائد الى قبره، ولكن مقتله، كان باتفاق الاراء يمثل فرجا للجماهير وللصحافة، كذلك لم يكن مقتله ينطوي على الظلم، ذلك لأن الصفحات التي دونها بكر من تاريخ العراق كانت حقيرة ويرثى لها على الدوام[٤٢].

اقدم القائد العسكري في الموصل، الفريق امين العمري، على اعتقال القاتل، ومحاصرة المطار، وادعى لنفسه السلطة الوحيدة في المدينة. وما ان وصلت اليه الأوامر من بغداد، بأن يعتقل بعض الافراد الذين ذكرت اسماؤهم باعتبارهم من الشركاء في الجريمة، او من المتواطئين فيها، حتى اذعن لتلك الأوامر في اول الأمر لكنه مالبث ان تحقق من الاحتمالات الخطيرة ان هو اقدم على اجراء تطهير عام لكل خصوم بكر صدقي المعروفين. وبعد مرور ستة ايام على حادثة الاغتيال اقدم العمري على اتخاذ خطوة خطرة، حين نشر بياناً اتهم فيه الحكومة بتطبيق اجراءات ظالمة، وأنه بالنسبة اليه، والى القوات التي تحت امرته، يرفض الامتثال لأوامر بغداد بأكملها[٤٣].

---

(٤١) يقول العقيد الطيار المتقاعد «موسى علي» انه دخل حديقة دار ضباط السرب الأول في الموصل بعد ظهر يوم الحادي عشر من اب ١٩٣٧ وفي الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين، فرأى بكر صدقي جالسا على اريكة ضخمة وعلى يساره اريكة ضخمة اخرى طويلة جلس في زاويتها اليمنى، اي على يسار بكر صدقي «محمد علي جواد..واشار بكر علي ان اجلس على يساره وفي محل محمد علي جواد الذي انسحب الى الجانب الآخر من الأريكة، وكان بكر يتحدث الى بصوت منخفض مما اضطرني الى ان اقرب رأسي قرب رأسه، واذا بي أسمع محمد علي جواد يتساءل «شتريد» ولما ادرت رأسي الى الخلف وجدت جنديا خيالا يلبس ثوبا خاكيا مع سروال قصير واقفاً خلفنا وبداه وراءه وهو على بعد خمسة امتار فظننت بأنه من مريدي بكر.. ولم ينظر بكر الى الخلف بل بقي ثابتا واذا بي أسمع صوت اطلاقات نارية فأدرت رأسي الى الخلف فورا لمعرفة مصدرها، واذا بي أرى الجندي الذي كان واقفا يطلق مسدسه بأستقامتي وسمعت بكر صدقي يئن انة واحدة وبعدها سكن بدون حراك (موسى علي : اضواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري وبكر صدقي ص ٥٠ ومابعدها طبعة ١٩٨١).

(٤٢) سارع الأنكليز الى مساندة الانقلاب الذي قام به بكر صدقي منذ اللحظات الأولى لوقوعه لأنه انقذهم من حكومة ياسين الهاشمي التي وقفت موقفا مشرفا من المسألة الفلسطينية وكسرت طوق التسلح. غير أن الانكليز مالبثوا ان تحركوا ضد بكر صدقي بعد أن اتجه الى المانيا وايطاليا لشراء السلاح منها، وقوى صلاته بالمر غروبا في بغداد، وكان يعتزم زيارة برلين بعد ان يشهد المناورات التركية للالتقاء بالفوهرر هتلر الذي وجه اليه دعوة خاصة لزيارة ألمانيا ولقد فصل الدكتور محمد طربوش في كتابه «دور العسكريين في السياسة» مواقف الأنكليز هذه بالتفصيل وبالأعتماد على وثائق وزارة الخارجية البريطانية قبل غيرها من المصادر الأخرى.

(٤٣) دفع عدم التبصر الفريق أمين العمري الذي يعتبره الأنكليز أنه المخطط الأول لاغتيال بكر صدقي الى اعلان انفصاله عن حكومة بغداد والاستقلال في الموصل واذاعة بيانين بهذا الشأن، حيث ادى اعتصابه، واعتصاب امر معسكر الوشاش، في بغداد العقيد سعيد التكريتي الى سقوط الوزارة السليمانية واسدال الستار على الانقلاب وحكومته.

كانت وحدات الجيش في بغداد تؤيد جماعة بكر صدقي تأييدا واسعا. واستطاع امين العمري بالرسائل التي وجهها ان يضمن مساندة الحاميات العسكرية في الديوانية وكركوك، والسليمانية لموقفه وبذلك غدت الحرب الأهلية محتملة الوقوع؛ ولكن العقيد سعيد التكريتي امر القوات المحتشدة في معسكر الوشاش في غربي بغداد[٤٤] استطاع بوقوفه الى جانب امين العمري، وبالاغلبية الواضحة للقوات ان يسيطر على العنصر المعادي لجماعة بكر صدقي، ولذلك اكد البيان الذي اصدره سعيد التكريتي على الاخلاص للملك غازي «الذي كان نفسه يؤيد ذات الطرف» وتأييد أمين العمري. وسياسة عدم الانتقام،ونقل الافراد الذين عينهم بكر صدقي من القيادة، ومن ثم ابعاد الجيش عن السياسة،ولكن هذه الكلمات كانت قد قيلت عبثا.

أما رئيس الوزراء حكمت سليمان الذي عهد الى عبداللطيف نوري بمنصب رئيس الأركان العامة، وعين جميل المدفعي الذي اسرع في القدوم الى العراق من سوريا، وزيراً للدفاع، فقد تحقق الان من تفاقم الشعور المعادي لحكمه، وأنه لم يعد في مستطاعه بعد الان ان يبحث عن اي سند له،ولذلك قدم استقالته في اليوم السابع عشر من شهر اب حيث صدرت ارادة ملكية وفي ذات اليوم، بتعيين جميل المدفعي رئيسا للوزراء.



(٤٤) كان معسكر الوشاش يقوم في ذات المنطقة التي جلى الجيش عنها، والتي يقوم فيها متنزه الزوراء وقد أريد في اول الأمر تقسيم اراضي الوشاش الى قطع وعرضها للبيع ولكن تم العدول عن هذه الفكرة وتحولت تلك الأراضي الى اعظم متنزه حدث في بغداد في الوقت الحاضر.

٥ - البر والجو والبحر

اعطت تجارة العراق الخارجية ، وان كانت محدودة في نطاقها ، خلال هذه السنوات ، صورة صحيحة بل مشجعة في الواقع .ذلك لان عرض الميزان التجاري المغاير ، مايزال يجري اصلاحه بعناصر اخرى . فلقد ازداد حجم الصادرات زيادة مشهورة من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٧ . واتخذت خطوات لتحسين اعمال كبس التمور ، وتنقية الحبوب من الأوساخ ، وتغطيس بعض الاصواف ، وازالة بعض المظاهر التي حطمت شهرة المنتجات العراقية . غير ان التقلب الذي طرأ على الكميات المصدرة ، وعلى اسعار الصادرات الرئيسة للبلاد ، مازال يجري الحديث عنه من سنة الى اخرى .

شرع بتصدير النفط الخام في سنة ١٩٣٤ . وبفضل ارتفاع اسعار الذهب في الخارج ، فقد استمرت سبائك الذهب ، تستنفد ، على نطاق واسع ، ماكان لدى العراق من احتياطي من الذهب ، وسار الحاصل الضئيل من القطن الصالح للتصدير ، سيرا منتظماً في اعقاب سنة ١٩٣٦ . وكان كل هذا القطن المصدر يذهب الى اليابان .وكانت الاستيرادات التي بقيت بصفة عامة ، ثابتة في حجمها ، او متزايدة فيه ، تخضع للرسوم المعدلة في التعريفة الكمركية التي وضعها في سنة ١٩٣٣ ، خبراء من عصبة الامم حسب الاسس الملائمة لنمو الصناعة المحلية .

حافظت بريطانيا ، بكل يسر ، على زعامتها باعتبارها البلد المصدر للسلع ، مع الولايات المتحدة الامريكية التي كانت في الغالب تحتكر توريد السيارات . اما المانيا فانها بما كان لديها رجال الاسواق الحاذقين في تقديم الائتمان ، وبالهبات التي كانت تقدمها وكالة «هافارة» اليهودية الالمانية ، استطاعت ان تزيد بصفة متواصلة من نصيبها في ميدان تصدير المواد الكيمياوية والمكائن . ورفعت اليابان ، بجهود مريبة ، حصتها من سوق التوريد خلال الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٦ ، من اثنين الى عشرين في المائة . وكانت صادراتها تتألف من السلع القطنية والصوفية والسلع المصنوعة من الحرير الصناعي ، وبعض المصنوعات المعدنية ، وهذا التوسع الذي حصل في ميدان الصادرات اليابانية قد حدى بالحكومة العراقية الى الاصرار على اليابان بأن تتقبل المنتوجات العراقية بنسبة تعادل خمس عشرة في المائة اول الامر ، ثم بنسبة خمس

وعشرين في المائة مؤخرا من الاستيرادات اليابانية[1] اما المنافسة الروسية التي بدأت بدافع ثابت في سنة ١٩٣٣ ، فانها لم تستمر طويلا .

بقيت تجارة المرور مع بلاد فارس ، والتي كانت معرضة في كل الاتجاهات الى الاختفاء والزوال . قائمة ، وان كانت قد اخذت تفقد نطاقها بالتدريج . وقد تعززت هذه التجارة باستيراد المنتجات النفطية من اواسط فارس وشماليها ، وبمروها بصفة ضئيلة من تحويل نقل منتجاتها وسلعها عن الطرق العراقية ، واختيرت بلدة المحمرة (التي اصبحت تدعى الآن باسم خرمشهر) لكي تحل محل بغداد بصفة مركز مالي للتجارة .

تغيرت عملية الصيرفة وكذلك الاسس المالية للمعاملات التجارية الداخلية في العراق تغيرا ضئيلا ، وان كانت قد برزت النية في فرض رقابة حكومية ادق ، وذلك بصدور القانون الذي يحصر بعض الحرف بالعراقيين وحدهم[2] وذلك عن طريق الاصرار على تقديم ودائع ضمان من لدن شركات التأمين الاجنبية ، وباعلان الحكومة عن رغبتها في الاسهام بصفة مباشرة ، في ميدان الصناعة ، حيث صدر في اوائل سنة ١٩٣٨ قانون الرقابة على اعمال الصيرفة. كذلك حافظت العملة العراقية على معادلتها للجنية الاسترليني ، لان مجلس العملة في لندن كان يساهم بربح سنوي في الخزينة العراقية. وكانت ادارة السلع وعملية نقلها وتوزيعها تجري بدرجة اكثر تجديداه فقد تضاعف عدد الحوانيت والفنادق المشيدة حسب الطراز الاوربي ليس في بغداد وحدها ، حيث كان اليهود والمسيحيون هم المبرزون في امثال هذه الفعاليات.

وكانت مظاهر الفترة التي ساعدت على ربط العراق الذي عاش في سني العشرينات ، بسني الخمسينات من القرن الحالي ، تمثل ظهور بدايات ضواحي المدن «والفيلات» العصرية ، وانتشار خدمات «الباصات» في المدن الرئيسة. لقد كانت هذه الخدمات تخدم جمهورا ، كان فيه ابناء المدن خلال مئات من السنين ، ينكرون على العرب ارتداء الملابس الاوربية ، اولئك الذين كانوا في الغالب يتخلون عن المميزات التي تتحلى بها السدارة العراقية ليفضلوا القبعة عليها ، او ليتركوا الرأس حاسرا ، وان يستطيع الرجل ان يخرج يتمشى مع نسوة لم يعد الحجاب امرا مطلقا بالنسبة اليهن.

---

(١) لايوجد ادنى شك في ان هذا الموقف الذي وقفته الحكومة العراقية انذاك وان كان من المواقف الوطنية حقا ، الا انها كانت مدفوعة في اتخاذه بضغوط انكليزية واضحة. وذلك لان اليابان غدت بعد انتهاء الازمة الاقتصادية العالمية في سنة ١٩٣٣ ، هي المنافس الوحيد الخطير للسلع الاوربية وعلى الاخص الانكليزية منها في البلدان الشرقية التي تخضع للنفوذ الانكليزي.

(٢) يراد به قانون حصر المهن بالعراقيين الذي شرعته حكومة ياسين الهاشمي التي وجدت ان الاجانب المقيمين في العراق انذاك وعلى الاخص الفرس والهنود،كانوا يحتكرون اكثر الاعمال وينافسون العراقيين في مجال العمل والعيش. ولكن شركات النفط الانكليزية العاملة في العراق لم تتقيد بهذا القانون واستمرت تفضل استخدام الاجانب على العراقيين في دوائرها ومحطاتها ومشروعاتها.

تقدمت الصناعة المحلية ولكن بشكل بطيء ولم يعد مستطاعا اضافة سوى القليل الى المشاريع التي اشير اليها قبلا خلال الفترة من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٣٧. وذلك لان واحدا او اثنين من معامل النسيج قد تم توسيعها نتيجة جلب مكائن المانية لهذا الغرض، واستجلاب العاملين الجيكيين. وكذلك انشئ المزيد من مصانع صنع السكاير ومعامل الطابوق الالية. وتضاعف عدد معامل الثلج «والصودا» التي كان الواحد منها يقام في غرفة واحدة. كما وضعت خطة لانشاء محلج ثالث للقطن في منطقة الكوت. على ان المشاريع الخاصة بصنع الشخاط والحلويات كانت في وضع حقير. اما مشروع معمل السمنت الذي بدأ به ياسين الهاشمي فانه لم يتحقق عمليا، على الرغم من الزيارة قام بها خبراء المان في هذا الشأن، كذلك لم يحظ بالثقة مشروع سمنت آخر كان منشؤه الانكليزي جم النشاط في هذا الميدان.

وبالنسبة الى استثمار النفط، كانت هذه السنوات من الناحية الاخرى ذات اهمية رفيعة وذلك لان شركة النفط العراقية، وشركة استثمار النفط البريطانية[٣] كانت تقدم بدلات ايجار سنوية يبلغ مجموعها بصفة مشتركة اكثر من نصف مليون باون استرليني سنويا حتى سنة ١٩٣٥، ولقد اصبحت عوائد شركة النفط العراقية وحدها بعد تلك السنة تبلغ ضعف هذا المبلغ.

وبعد الاحتفال الذي جرى في كركوك في شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٥[٤] بافتتاح الخط المزدوج من قطر اثني عشرة بوصة الذي اوصلته الشركة الى كل من حيفا وطرابلس، بدأ العمل بتصدير النفط عبر هذه الانابيب. ولقد حدد هذا الانجاز نهاية عشر سنوات من الصبر، والعمل الموجه توجيها جيدا، منذ ان تم منح اول امتياز للنفط، كما ميز هذا الانجاز ايضا تشغيل الالوف من العراقيين، وتوسيع المواصلات، وتقديم مثال امام ظهور صناعة عصرية ناجحة ذات مدى واسع، وما اضافه ذلك من فوائد للجماهير العراقية واغناء الخزانة العراقية بصفة مباشرة. اما اعمال استثمار النفط التدريجية في كركوك، واقامة المستودعات الاساسية للنفط في بيجي وفي حديثة والمدن التي اقيمت في محطات ضخ النفط القائمة وسط الصحراء بالطرق التي تربطها وخطوط الانابيب التي تصل بينها، وكذلك خطوط البرق، فان هذه كلها قد اصبحت مظهرا مميزا لمشهد العراق العصري. كذلك كان انتاج النفط الخام بمعدل اربعة ملايين طن سنويا ابتداء من سنة ١٩٣٥ او مابعدها، قد جعل العراق يعتبر بصفة مباشرة البلد الثامن بين البلدان التي تنتج النفط في العالم.

---

(٣) باشرت هذه الشركة استثمار النفط في منطقة «عين زالة» في الموصل وقد عرفت فيما بعد باسم شركة نفط الموصل. وكانت فرعا من شركة النفط العراقية وجرى تأميمها بعد تأميم شركة النفط العراقية بمدة قصيرة.

(٤) جرى هذا الاحتفال في الرابع عشر من كانون الثاني ١٩٣٥ وحضره الملك غازي ووزراؤه وممثلو الشركات الاجنبية وبعض الشخصيات الاجنبية، وقد القى غازي خطابا طالب فيه بان لا يتم هضم حقوق العمال العراقيين في الشركة

مالبثت شركة استثمار النفط البريطانية، والتي كان الايطاليون والالمان والفرنسيون والسويسيريون يسيطرون على الاسهم فيها خلال هذه السنين، ان وجدت نفسها مرتبكة ازاء التزامها بدفع مبالغ سنوية الى الحكومة العراقية، وكذلك ازاء اخفاقها في الانتاج على الرغم من حملات التنقيب الفعالة عن النفط منذ سنة ١٩٣٣، لانها لم تكشف سوى نفط فاسد يندر ان يكون صالحا لتصديره الى الاسواق. ولذلك انطوت الخطة التي اعدتها هذه الشركة بعد سنة ١٩٣٥ على تقليص مدفوعاتها النقدية، وكذلك ماتعهدت به من انشاء خط حديدي من القيارة الى تل كوجك لنقل نفطها الى ساحل البحر الابيض، وربط العراق بنظام سكك الحديد التركية، وذلك المشروع الذي رفضته الحكومة العراقية بعد مزيد من التردد.

اصبح الوضع المالي للشركة ميئوس منه بصفة اكثر. كذلك تميزت اعادة تشكيل مجلس ادارة الشركة في سنة ١٩٣٦ بتحويل رقابة الشركة الى مجموعة شركة النفط العراقية التي مالبثت ان برزت اخيرا بانها المالكة الحقة لشركة استثمار النفط البريطانية ولحقول نفط الموصل واختفاء اي من المساهمين من غير البريطانيين فيها، ماخلا اسهم شركة النفط العراقية والتابعين من حملة الاسهم الفرنسيين والامريكيين. اما قضية عدم صلاح النفط المستخرج وكثرة المواد الكبريتية فيه فقد بقيت من دون حل وفي الوقت ذاته واصلت شركتا نفط الرافدين وخانقين الصغيرتان اعمالها في استخراج النفط وتكريره في الاراضي المحولة وفي تسويقه داخل العراق. ولقد ارتؤي في هذه الفترة انشاء مصفى للنفط تمتلكه الحكومة العراقية ذاتها، وقد منح امتياز انشائه الى شركة النفط العراقية، غير ان العمل في انجازه كان بطيئا.

كان تزفييت الطرق من بين الخدمات التي استعملت المنتجات النفطية فيها في العراق. ولكن هذه المنتجات وكذلك الاموال المتوفرة والمحدودة جدا لم تستطع ان تعمل المزيد في هذا الوقت في تزويد البلاء بطرق ذات مستوى عال بل وحتى معتدل. ولقد كمل تبليط بعض الاقسام الاخرى من هذه الطرق من بينها طريق الرمادي - الرطبة في حين ظلت طرق اخرى على حالتها من الرداءة وعدم استطاعة المرور خلالها.

كانت صيانة الطرق التي تكلف كثيرا ويتعذر تمييزها، لا تحظى الا بافضلية واطئة عادة في التخصيصات الحكومية. فقد ازداد النقل في طريق النجف - المدينة المنورة، كذلك تم تطوير الطريق الى عمان فغدا منافسا قويا للطريق الشمالي الذي يصل الى بيروت. اما طريق راوندوز فانه، لخيبة الامل، لم ينجز سوى القليل من عمليات النقل، ماعدا ايصال بعض المنتجات النفطية الى شمالي بلاد فارس.

اعقب اكمال بناء جسر الفلوجة بناء جسور حديدية اخرى على الزاب الاسفل في التون كوبري وعلى الزاب الاعلى في اسكي كلك وفي اماكن اخرى. وفي بغداد تقرر استبدال

الجسرين الخشبيين فيها بجسرين ثابتين حديديين اعطى التعهد بانشائهما الى شركة «هو لواي اخوان» في سنة ١٩٣٦ (٥). وكان ذلك التطور يمثل خطوة كبرى للعاصمة. كذلك كمل بناء الجسر الحديدي الثابت في الموصل،وسارت اعمال شق الطرق التي تقوم بها البلديات في اماكن اخرى وليس في بغداد وحدها.

لم يحصل سوى تغيير ضئيل في ميدان الملاحة في نهر دجلة. فالمخاوف الناجمة عن الظن بان سدة الكوت ستجعل مرور السفن البخارية مستحيلا قد اثيرت لكنها لم تنل التأييد. ولذلك فان الحركة التي اقدم عليها المنافسون المحليون للحقوق التي تتمتع بها «شركة الفرات ودجلة» (٦) لم تؤد الى نتيجة. ومع كل ذلك تناقص النقل النهري بصفة عامة فبيعت السفينة «زبيدة» الى الهند في سنة ١٩٣٥ وتحولت السفينتان «بلوس لنج» و«دجلة» الى انقاض في ذات السنة ولحقت بهما السفينة «خليفة» ايضا في سنة ١٩٣٧ (٧). وفي سنة ١٩٣٦ انقسمت شركة «العراق - فارس» للملاحة الى شركائها الاصليين وهم شركة لنج وشركة غري مكنزي،في حين حصلت الحكومة العراقية في سنة ١٩٣٧ على اربعة زوارق صغيرة مزودة بالمدافع لاستعمالها في اعمال الشرطة النهرية لكن هذه الزوارق لم تستخدم الا قليلا.

كان ميناء البصرة يقدم خدمة وطيدة للبلاد،ولقد سمح له مدى اعمال النقل فيه بان يدفع بصفة منتظمة اقساط رأسماله الى الحكومة البريطانية،ولم يبق من ذلك الدين في سنة ١٩٣٧ سوى مبلغ ثلثمائة الف باون استرليني. اما الادارة الحصرية التي كان ينبغي انشاؤها طبقاً لمعاهدة سنة ١٩٣٠ فانها لم تظهر الى حيز الوجود، فقد ظل الميناء يدار من قبل مديرية عامة تابعة الى وزارة المالية (٨).

ظل مشروع الميناء المخصص لكري النهر يعمل بنجاح كبير وقد سددت قروضه وبقيت القناة العميقة مفتوحة وادخلت التحسينات عليها(*) وتم الحصول على كراكتين جديدتين واكملت

---

(٥) حل الجسران الحديديان محل الجسرين الخشبيين الجسر العتيق وجسر مود.

(٦) هذه الشركة ملك لشركة بيت لنج المعروفة والتي حصلت على امتيازها في العهد التركي.

(٧) كل هذه السفن كانت تابعة للاسطول الذي كانت تستخدمه شركة لنج في الانهار العراقية.

(٨) اصبحت مديرية الموانئ بعد ثورة تموز ١٩٥٨ تابعة الى وزارة الاشغال والمواصلات ويديرها مدير عام يعاونه مجلس ادارة. وكان المرحوم اللواء الركن الاستاذ مزهر الشاوي اول من تعين مديراً للموانئ بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨ وبقي فيها الى قيام ثورة شباط ١٩٦٣ ونفذ كثيرا من المشروعات المهمة في الميناء والبصرة من بينها مشروع الاسكان الخاص بموظفي الميناء وعماله وانشاء العديد من الحدائق العصرية من اهمها حديقة جزيرة السندباد.

(*) كانت اعماق المياه الواطئة في قناة «روكا» والتي انجزت في مراحل متعاقبة من مشروع كري شط العرب قد بلغت ثمانية عشر قدما في سنة ١٩٢٦، فاصبحت ٢٠/٩ قدما في سنة ١٩٢٨ وارتفعت الى ٢٣/٨ او ٢٤ قدما في سنة ١٩٣٥.

ادارة الميناء بناء المطار العصري في البصرة وزودته بفندق[٩] وبكل التسهيلات المطلوبة. كذلك كانت ادارة الميناء هي التي تزود مدينة البصرة بالقوة الكهربائية وباسالة الماء العصرية. وازدادت حركة النقل عبر المحيطات والتي كانت تستخدم الميناء زيادة جوهرية بعد سنة ١٩٣٥. ففي اول الامر ظهر خطان للملاحة البحرية اليابانية ثم ارتفعا الى اربعة خطوط فيما بعد، بالاضافة الى ظهور خطوط بواخر من ملكية المانية وهندية، وايطالية ثم ظهور بواخر روسية وسويدية ويونانية بصفة عرضية، ولكن القسم الاعظم من الحمولة بالاطنان بقي كالسابق من حصة البواخر البريطانية والبريطانية الهندية بصفة مشتركة.

حافظت السكك الحديدية العراقية على مكانتها ووظائفها، على الرغم من التدخلات العشائرية في عمليات النقل بالقطارات وعدم استعمال التجهيزات الحديثة على نطاق واسع، والمنافسة الخطيرة التي كانت الطرق تمثلها. وقد تم ادخال الوسائل العصرية على نظام الملاحة حيثما وجد ذلك ملائماً للتطبيق. فقد شرع بتقديم خدمات ملاحية يومية وسريعة بين البصرة وبغداد، ومددت المفاوضات مع الحكومة البريطانية حول الشروط التي يتم بها نقل ملكية سكك الحديد مثلما اشير الى ذلك في المعاهدة من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٣٦، وفي هذه السنة الأخيرة تم التوصل الى اتفاق بشأن ذلك، ويقضي هذا الاتفاق بان تصبح سكك الحديد المختصة ملكاً للحكومة العراقية مقابل دفع مبلغ يقل عن نصف مليون باون[١٠].

(٩) هو فندق شط العرب الذي يقع عند المطار وكان من افخم واشهر الفنادق الموجودة في البصرة منذ ذلك الوقت حتى الى ماقبل سنوات خلت.

وكانت الارباح التي يدرها هذا الفندق عرضة للاختلاس كما انه كثيراً من كبار الموظفين الذين كانوا ينزلون فيه يتهربون من دفع الاجور التي تترتب في ذمتهم. وعندما توليت العمل في مستشارية الحقوق في الموانئ في اواخر سنة ١٩٦١ نظمت قوائم بالاجور المدين بها بعض الموظفين تمهيداً لمطالبتهم بتسديدها فكان ان زادت تلك الاجور عن اكثر من مائة الف دينار قبل ثورة تموز ١٩٥٨.

---

(١٠) قام بالتفاوض مع الحكومة البريطانية لنقل ملكية السكك الى العراق وفد مؤلف من كل نوري السعيد وياسين الهاشمي ورستم حيدر في شهر حزيران سنة ١٩٣٣ وبعد ان تم الاتفاق على ذلك في الاول من تشرين الاول ١٩٣٥ في عهد الوزارة الهاشمية، وكان المبلغ الذي تقرر ان تدفعه الحكومة العراقية هو اربعمائة الف دينار، وقد ابرم البرمان الاتفاق في اليوم التاسع من نيسان سنة ١٩٣٦. في ذلك الاثناء كانت المعارضة التي تزعمها حكمت سليمان وابو التمن بالاتفاق مع جماعة الاهالي قد استطاعت الحصول على امتياز صحيفة يومية باسم حكمت سليمان تدعى «البيان» تولى اصحاب الاهالي تحريرها ونشرها، وقد صدر العدد الاول من «البيان» في يوم ١٢ اذار ١٩٣٥ وهو يضم افتتاحية موسعة بعنوان «من الخطر على سلامة الدولة» كتبه جعفر ابو التمن اما العدد الثاني الذي صدر من البيان وهو العدد الاخير منها فانه صدر باربع صفحات في اليوم السابع من نيسان ١٩٣٦ ويكاد هذا العدد يكون خاصا بانتقاد اتفاقية السكك. فقد جاء فيه الى جانب المقال الافتتاحي «نستأنف العمل» مقال صب فيه جماعة الاهالي جام غضبهم على الوزارة الهاشمية لعقدها اتفاقية السكك تلك وكان ذلك المقال بعنوان «اقتصاديات البلاد تحت الانتداب لعشرين سنة اخرى» وكان محمد حديد هو الذي كتب ذلك المقال. وقد عطلت البيان بعد ذلك العدد (انظر تفاصيل ذلك في كتاب «جماعة الاهالي في العراق» لفؤاد حسين الوكيل ص ٣٢١ – ٣٣٧).

ومما قرره ذلك الاتفاق ان تظل ادارة السكك طيلة عشرين سنة من مسؤولية مجلس ادارة مشترك تكون اكثرية اعضائه من العراقيين وان يظل الموظفون التنفيذيون البريطانيون في مناصب رئيسة وقليلة-وقد صادق البرلمان العراقي على شروط هذا التحويل في شهر تموز ١٩٣٦ باكثرية لم تخلو من صراخات اقلية من النواب،وهكذا عادت الخصومة مرة اخرى الى الهدوء.

كان مشروع سكة حديد بغداد – حيفا الذي طال الدفاع عنه، قد تم رفضه في ذات السنة. غير ان تطورا في النقل باتجاه الشمال اصبح الان مؤكداً بالاحرى، في مشروع سبق للسلطات الفرنسية ان بدأت به في سنة ١٩٣٤ حين اوصلت الخط التركي بين حلب ونصيبين الى داخل المنطقة السورية المعروفة باسم (منقار البط) فاوصلته الى الحدود العراقية في تل كوجك. لم تبق الان سوى فتحة بين بيجي – الموصل – تل كوجك، وهذه كلها داخل العراق كما يتم اكمال سكة حديد البصرة – بغداد – اسطنبول، ذلك الحلم القديم لسكة حديد بغداد.

قررت الحكومة العراقية بناء القسم الناقص من خط الحديد هذا في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ وبكلفة مقدارها حوالي مليون باون استرليني.

وكانت طلبات شراء مواد الخط التي عرضت في بريطانيا قد اجبرت الخزينة العراقية على عقد اول قرض اجنبي. ولقد بدأت الاعمال الترابية للخط في القطاع الشمالي الذي اعطيت له الاسبقية تلبية للرغبة الملحة من جانب الموصليين[١٦] وعشائر شمر والاقضية الشمالية[١٧].

تطورت المواصلات تطورا سريعا. فقد اخذت الخطوط البحرية البريطانية والفرنسية والهولندية العابرة للقارات تجتاز العراق،وتستخدمه الطائرات التي تربط الشرق الاقصى والهند نفسه ببلدان ساحل البحر الابيض المتوسط واوربا باستمرار متزايد. انشئت مطارات حديثة مزودة بتجهيزات كاملة في بغداد والبصرة،كما اخذت الطائرات المائية البريطانية بعد سنة ١٩٣٧ تستخدم بحيرة الحبانية وشط العرب. كذلك عرضت احدى الخطوط الجوية الفرنسية ان تقوم بسفرات مكوكية بين بغداد ودمشق، في الوقت الذي شرعت فيه مؤسسة مصر للطيران تمارس عملها بين بغداد القاهرة.

---

(١٦) كتبها باسم «مصلاوي» MUSLAWIS.

(١٧) بدات الاعمال الترابية في بيجي في شهر ايلول ١٩٣٦ واعطي التزام تقديم العمال الى عشيرة شمر التي يرأسها الشيخ عجيل الياور وكان ينوب عنه مشعال الفيصل. وقد استخدم التزوير علانية في قوائم اسماء العمال حيث كان بعض الرعاة والخدم التابعين لعشيرة شمر يتقاضون رواتب من ادارة سكك الحديد بصفة عمال، ولم يكونوا من العمال فعلا، وانما كانت اجورهم تسلم الى وكلاء عشيرة شمر لقاء بعض الدراهم القليلة تدفع الى كل مدع بانه من العمال. وقد بدل مسرى الخط اذ اصبح يمر بمحطة ضخ النفط في «ك ٢» تلبية لطلب شركة النفط حيث نقلت محطة القطار من بيجي الى محطة الضخ وعرفت باسم «الصينية» وهي محل استدارة شاحنة القطار واصبحت الان ناحية تابعة لقضاء بيجي. ولقد عاد خط القطار الى مسراه القديم الآن.

اقدم لفيف من المهتمين بشؤون الطيران في بغداد على تأسيس جمعية الطيران العراقية في سنة ١٩٣٦ (١٨) وتم نقل الطيران المدني الذي انشئ بصفة مدهشة في سنة ١٩٣٥ الى اشراف وزارة الدفاع. وفي ذات الوقت حصل تطور في استعمال خطوط البرق الارضية واللاسلكي مع عواصم بلدان ساحل البحر الابيض المتوسط والقاهرة، وقيام خدمات عامة في هذا الشأن بين بغداد والبصرة والرياض، وبيروت ومصر وفلسطين. وربطت هذه الخدمات عن طريق هذه البلدان ببريطانيا،وبذلك وضعت هذه الخدمات العراق ضمن شبكة من المواصلات السلكية واللاسلكية . وظهرت الاذاعة في بغداد لاول مرة لكنها بقيت حتى سنة ١٩٣٧ تجريبية (١٩) وتبث على فترات.

حصل تقدم طيب خلال هذه السنوات الخمس في النطاق المهم جدا المتعلق بتسوية الاراضي. فقد تم تشكيل ثلاث لجان للتسوية وفقاً للتشريع الذي سن في اعقاب التقرير الذي قدمه «داوسن»، حيث اخذت هذه اللجان تمارس اعمالها بشكل فاخر، وقد اضيفت اليها لجنة رابعة خاصة بمنطقة كركوك منذ سنة ١٩٣٣، واعقبتها لجان اخرى فيا بعد. ولقد وجهت الانتقادات الى التسوية التي انجزتها هذه اللجان واللجان الكثيرة التي اعقبتها من قبل بعض الذين زعموا بان التسوية كانت محابية للشيوخ، وللمزارعين المدنيين الذين كانوا كثيرا ما يتغيبون عن مزارعهم وظالمة للزراع الحقيقيين.

كان صحيحا في الواقع ان الوفا من هؤلاء الزراع قد بقوا بصفة قانونية من دون اراضي يملكونها وظلوا يعيشون بصفة تابعين لغيرهم الى الابد. ذلك لان كثيرا من الشيوخ الذين كانت وظائفهم الزراعية محدودة وبساء استعمالها دوما، غدوا من المالكين المسجلين لحقوق اللزمة الوراثية في مناطق واسعة، في الوقت الذي كوفئ فيه اصحاب المضخات من سكنة المدن بمنح مماثلة لانجاز مشاريعهم الزراعية.

لم يكن لهذه الانتقادات التي وجهت الى التسوية في هذا الشأن اي اساس،وانما كان مبالغا

---

(١٨) تولى المرحوم مولود مخلص رئاسة هذه الجمعية التي استطاعت من المشاركات والتبرعات ان تنشئ لها مقرا على الجهة اليمنى من انتهاء شارع الشيخ عمر في الباب الشرقي وشيدت غرفا فوق المقر لسكن بعض موظفي الجمعية. كما شرعت الجمعية بتدريب بعض الشبان على الطيران. وكانت تصدر مجلة شهرية باسم الطيارة تولى الاشراف عليها حميد يوسف الباقي والد المحامي ناظم حميد.

(١٩) اسست دار الاذاعة لاول مرة في سنة ١٩٣٦ وكانت ادارتها في غرفة واحدة من بناية وزارة المعارف القديمة وكان المرحوم فؤاد جميل قد عين ملاحظا لها ولم يكن عدد الموظفين فيها انذاك يزيد عن اربعة او خمسة اشخاص وكان البث ثلاث مرات في الاسبوع. وكانت الاذاعة المصرية قد سبقت الاذاعة العراقية بثلاث سنوات ولذلك بدأ انتشار استعمال الراديوات في بغداد منذ ذلك الوقت اي ما قبل تأسيس الاذاعة العراقية ذاتها.

فيها بصفة عامة [٢٠] وذلك لان لجان التسوية لم توجد اية حقوق وانما كانت تقوم بتسجيل الحقوق التي كانت قائمة فعلا. لقد كان موظفو هذه اللجان من المثقفين الذين لايعطفون على الشيوخ (وعلى العكس من ذلك بالاحرى) وكانوا يبحثون بكل اصالة بين الزراع الذين كانوا يستغلون الارض،عن المرشحين لحق اللزمة الذين يستطيعون ان يثبتوا ادعاءهم القانوني باستثمارهم تلك الاراضي سنين متواصلة، او انهم كانوا يدفعون الرسوم عنها، حيث عثر على هؤلاء المرشحين في العشرت من القضايا وتمييزهم. وفي حالة عدم وجود مثل هذه الادعاءات حسب، كانت حقوق اللزمة باسم الشيخ واسرته.

لم يخصص اي حق للشيخ المتغيب من الارض بامتلاكها وان كانت اقامة بعض الذين لهم حقوق اللزمة منقطعة او ليس في الاراضي المختصة المحددة. اما بالنسبة الى رجل المدينة الثري الذي حصل على حق تملك اراضٍ تصل الى «فدادين» واسعة، فان من العدل ان نتذكر مثل ذلك الرجل الذي انفق الرأسمال،وتقبل المخاطر المدمرة للزراعة في العراق، والمشاركة المضطربة فيها، هو الذي قد ادخل التطور والتنمية على اراض كانت مهجورة قبلا ولاامل في استثمارها. فهو باعتباره مزارعا فردا كانت تنقصه الثروة والمعرفة، غير مخول بان يمارس وظائف الاقطاع في التنظيم والتمويل والتحسين.

اما في شمال العراق، فقد كانت الاقطاعات الصغيرة هي الاساس او القاعدة ولذلك كان يتم تحديد هذه الاقطاعات وتثبيتها من قبل لجان التسوية .

وفي اواسط العراق وان لم تكن ضمانات اللزمة الجديدة وتقليص المنازعات مريحة تماما للفلاح الكادح المحروم من كل امتياز والغارق دوما في الديون والذي لم تتحسن حقوقه الشخصية الاقليلا، فان هذه الاجراءات قد ازالت جزءا كبيرا من الاسس المغايرة للتبدل الفوضوي المجرد من الحقوق بالنسبة الى لزمة الاراضي، والذي كان يسود الزراعة العراقية منذ زمن طويل.

• • •

(٢٠) حاول كثير من المتنفذين ومن ضمنهم عدد كبير من الوزراء والاعيان والنواب وغيرهم ان يسلكوا مختلف الطرق للتحايل على لجان التسوية وحق اللزمة فقد استولى امثال هؤلاء على اراضي تعود الى الفلاحين الذين تعاقدوا معهم قبلا على تجهيزهم بالمضخات ثم مالبثوا ان مدوا مساحات الاراضي الخارجة عن الحقول المزروعة فعلا فادخلوها في لزمتهم بحيث لم يعد امام لجان التسوية الا ان تسجل حقوق اللزمة لهم في تلك الاراضي

ادى الاستياء الذي اظهره جماعة جعفر ابي التمن في ظل حكم بكر صدقي من بقاء انعدام المساواة الى وقف العمل لمنح حقوق اللزمة، لكن هذا الاجراء مالبث ان استؤنف وفقاً للقانون الاصلي للتسوية. وفي الوقت ذاته وضعت الحكومة مشاريع لانشاء قرى جديدة جيدة في مفهومها لكن كانت ضئيلة في نتائجها انذاك، في ذات الوقت الذي جرت فيه محاولة لتوطين البدو عند قناة ابي غريب وفي منطقة الحويجة.

مضت الزراعة حسب خطوطها القديمة ولكن مع تزايد الوعي الوطني للنواقص الملمة بها. وذلك لان الاعداد السيِّئ للزراعة وعدم نقاء المنتوج وغشه، كل هذه كانت من الامور التي تسبب يأس التجار. كما ان ممارسة الطرق الفوضوية والخاسرة والانواع الواطئة من الحاصلات وضالة المنتوج ذاته، كل ذلك قد ادى الى انحطاط مطامح المزارعين.

. . .

اما صناعة التمور في البصرة والتي كان يهيمن عليها اصحاب محلات الكبس والمصدرون البريطانيون والامريكيون الذين كانوا يحظون بالحصة المتفوقة منها، فان الانقسامات بشأنها غدت اكثر وضوحا في سنة ١٩٣٣، وذلك نتيجة ظهور مؤسسات متنافسة فيها من امثال جمعية منتجي التمور التي كانت الحكومة تساندها من ناحية، وجمعية اصحاب مكابس التمور من الناحية الاخرى. ولقد نجم عن التصادم بين هاتين الجمعيتين في المصالح والوسائل، على الرغم من انهما كانتا تمثلان مصالحها المتطورة، اوضاع مدمرة في هذه الصناعة، وقد ادت في سنة ١٩٣٥، بعد الزيارة التي قام بها ياسين الهاشمي للبصرة الى سن تشريع قانون يقضي بانشاء مجلس لادارة التمور كان يضم ممثلين لكل مصالح التمور في البصرة وتوجيهها واعفاء وارداتها من ضريبة التصدير الطفيفة. ولقد حقق هذا التشريع تحسناً ملموسا في الظروف المحيطة بزراعة النخيل وكبس التمور وتصديرها.

وفي سنة ١٩٣٣ الفت لجنة للتحري عن امكانية انتاج سكر القصب وقد وجدت اسبابا تدعو الى التشجيع في هذا المضمار. ولقد طرحت اولى الاقتراحات عن احتكار صنع منتجات التبوغ وتسويقها، كما حصل في الوقت ذاته شيٌ من التحسن في عمليات تجفيف التبوغ الكردية وقطفها وحزمها. اما القطن العراقي الذي كان من الاهداف المنطوية على الامال الرفيعة طيلة السنوات العشر الماضية، فقد مر في فترة من الكساد.

فبعد ان تصاعد محصوله ببطء الى حد خمسة الاف بالة في سنة ١٩٢٨ هبط الى لاشيٌ، ومن ثم عاد وارتفع الى ثلاثة الاف بالة في سنة ١٩٣٤. وظهرت زيادة سنوية جوهرية بعد تلك السنة حيث بلغ المحصول خمس عشرة الف بالة في سنة ١٩٣٨. وكان من بين الذين اهتموا

بزراعة القطن هي شركة اللطيفية ، وهي مؤسسة وجدت نفسها في مبتدى عملها تجابه صعوبات خطيرة ذلك لان هذه الشركة قد اخفقت في استعادة ما انفقته على حفر القناة التي عرفت باسمها من الحكومة.

وفي سنة ١٩٣٥ اعطيت رقابة المشروع الى السادة اصحاب «شركة اندرويره» ، ولم يعد مستطاعا بعد ذلك،ان تمضي الشركة الاصلية في العمل الزراعي المتقدم في المقاطعة،الابأضافة مال جديد الى رأس مالها وتعديل اتفاقها مع الحكومة. ولقد ظلت الشركة طيلة العشرين سنة التالية يدبرها مدير بريطاني مفرد ، في الوقت الذي لم يستطع فيه المصرف الصناعي في سنواته الاولى ان يقدم المزيد من القروض والمساعدات الى الجمهور.

كان الارواء بوساطة المضخات قد تعرض لخسائر فادحة نتيجة الازمة الاقتصادية العالمية خلال السنوات ١٩٢٩ - ١٩٣١ ، والانخفاض الذي اصاب اسعار الحاصلات الزراعية. فقد ادت هذه العوامل الى توقف استعمال المضخات ولكن ذلك النشاط قد اخذ ينتعش مجددا بعد سنة ١٩٣٣ الى ان استقر فاصبح هو المظهر الرئيس للانتاج الزراعي في العراق. وادخل في الزراعة المحلية عنصر جديد لايعرف ان كان عنصرا صالحا ام طالحا ، ذلك هو عنصر رأس المال الذي يساهم به سكان المدن في ميدان الزراعة ، فقد ساعد هذا العنصر على ان يدفع بقسم من طبقة تعد اكثر ثراء الى اهتمام جديد بالشؤون الريفية وبالصيغ العصرية لاستغلال الاراضي . كذلك حصل تقدم في ارواء الارض سيحا خلال تلك الفترة التي شهدت لاول مرة فائضا من الاموال غدا متوفرا بصفة معتدلة بفضل عوائد النفط في سنة ١٩٣٦.

• • •

كملت المرحلة الاولى من قناة ابي غريب البالغ طولها اربعين ميلا من نهر الفرات الى الضفة اليسرى منه في اسفل مدينة الرمادي. ورافق ذلك توفير فدادين كثيرة من الاراضي التي تمت السيطرة عليها.كذلك كمل انشاء (ناظم المشخاب) في القسم الادنى الاوطأ من قناة الكوفة التي تأخذ الماء من نهر الفرات في سنة ١٩٣٦ ايضا. وفي ذات السنة بوشر بحفر قناة تأخذ مياهها من نهر الزاب الاعلى غربي مدينة (التون كوبري) ، وارواء الاراضي في منطقة «الحويجة».

اما المشاريع التي تخص انشاء سد ديالى واحياء نهر الاسحاقي القديم،فقد تمت دراستها. غير ان مشروع بحيرة الحبانية الذي كان هو المفضل منذ وقت طويل ، قد ظهر بانه من غير المستطاع بعث الحياة فيه من جديد،ولذلك اعيدت صياغة المشروع المذكور في سنة ١٩٣٢،ودعي المتعهدون في السنة التالية لتقديم عطاءاتهم عنه. ولكن لم يتم القبول بها. وقد ظهر في سنة ١٩٣٤ بان ذلك المشروع قد قلص الى نطاق انشاء حوض لحفظ مياه الفيضان ليس الا،ولم

يحدث بعد ذلك اي تقدم اخر في المشروع. ذلك لان مكانه المفضل قد حل محله مشروع لانشاء سدة على نهر دجلة تسيطر على نهر الغراف من نقطة تشعبه قبالة مدينة الكوت.

اعلنت مناقصة هذا المشروع الذي كان يسمح عن طريق المغالق بالملاحة المتواصلة في نهر دجلة او لتربية الاسماك في سنة ١٩٣٤. وقد بدأ العمل فيه متعهدون مختارون هم السادة «بلفور بتي وشركاه».وفي سنة ١٩٣٧ اصبح المشروع على وشك ان ينتهي منه،وبهذا يكون المشروع الثاني العظيم الذي وضعه المهندس وليم ولكوكس قد تم تحقيقه،ولكن القنوات اللاحقة للمشروع كانت ضرورية لضمان قيمته الكاملة وهذا امر يتطلب وقتا وجهدا اخرين.

كان انهيار سد ديالى في سنة ١٩٣٥ والذي تم تشييده في سنة ١٩٢٨ يمثل طعنة كبيرة موجهة الى ماسمي باسم مشروع خزن المياه على نطاق واسع، ولذلك اتخذت الخطوات اللازمة لهذا الغرض خلال السنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧. وفي الوقت ذاته استمر الحفاظ على القنوات الموجودة وتحسينها وذلك بزيادة استخدام الفنيين العراقيين وتوفير دراسة اوسع للمشاكل المتعلقة بالحماية من الفيضان، وتصريف المياه والاقتصاد في استعمال الماء والتخلص من الطمى، ولكن لم ينفق سوى القليل من المال على امثال هذه الامور.



٦ـ الشؤون الخارجية

ادت الحوادث التي حدثت في العراق والاتصالات الخارجية الطبيعية خلال هذه السنين، الى قيام علاقات موسعة كثيرا بين بغداد والعالم الخارجي، اذ كانت عملية اقامة هذه العلاقات متواصلة. وقد عمل الاعتبار الذي يحظى به العراق، واهميته الستراتيجية، دورهما في تلك العلاقات. ولم يكن هناك اي مدى من نشاط الحكومة العراقية اكثر تحررا من السياسة الحزبية. لقد واصل نظام الحكم تقدمه حينما كان تمثيل العراق في الخارج يعهد به الى الدبلوماسيين والقناصل البريطانيين، ماعدا ذلك في جنيف وفي العدد الصغير المتزايد من العواصم التي كان الوزراء العراقيون يعينون فيها. ولقد رفض الاتحاد السوفياتي لوحده ان يتقبل مثل هذا النظام او يعترف بالعراق.

اما بالنسبة الى ايطاليا التي خطط لان يقوم فيصل الاول بزيارة لها قبل وفاته، فانها قد تجاوبت مع نوايا العراقيين. وعلى الرغم من العقوبات التي فرضها العراق،وكان متفقا فيها مع الموقف البريطاني، تجاه العدوان الايطالي على الحبشة، فان ايطاليا قد لبت طلبات التسلح التي تقدم بها العراق اليها في سنة ١٩٣٦، واخيرا احتفلت ايطاليا بالزورار العراقيين لروما واكرمت وفادتهم ووافقت على فتح مفوضية عراقية في روما سنة ١٩٣٤. كذلك ظهرت في بغداد صحيفة ذات لهجة فاستشتية باسم «الشعب»[1] وعلى العموم كان نشاط ايطاليا في العراق، اقل وضوحا مما هو ظاهر في دول المشرق، وقد انعكس ذلك في تعيين اقليم العراق، الذي كان مع بلاد فارس، يمثل النصيب الذي عني به الالمان، وليس الطليان، في الشرق الاوسط. ذلك ان المانيا كانت تدفع، عن طيب خاطر، اجورا جيدة للمدرسين الالمان في العاصمة العراقية، وتأمل ان تزود العراق بالاسلحة، وتقدم إئتمانات طويلة الامد، حيث وقعت المانيا معاهدة تجارية مع العراق في سنة ١٩٣٥، وتعاظمت الجهود التي كانت المانيا تبذلها في مجال الشحن والمتاجرة،

(١) المقصود بذلك جريدة نداء الشعب لسان حال حزب الشعب الذي تزعمه ياسين الهاشمي قبل ان يؤلف حزبه الجديد الاخاء الوطني. وليس هناك ادنى شك في ان تغني نداء الشعب بالقومية العربية والافراط في ذم الانكليز ومعاهدة سنة ١٩٣٠، قد جعل المؤلف يتهم هذه الصحيفة بان لهجتها كانت فاشستية.

ورحبت الحكومة النازية بتعيين الامير زيد وزيرا مفوضاً للعراق في برلين، وانعمت على الملك غازي بوسام الماني، في الوقت الذي ادخلت فيه الى العراق المزيد من وسائل الدعاية النازية المعدة للاستعمال. وكانت هذه العمليات يجري توجيهها بلطف ورياء من جانب الوزير الالماني المفوض في العراق، يساعده في ذلك الوقت الدكتور «جوردان» مفتش الاثار في العراق، واحد النازيين النشطين[٢].

لم يتبادل الاتحاد السوفياتي التمثيل الدبلوماسي مع العراق، على الرغم من وجود عناصر شيوعية في العراق، تعرضت للعنف في ظل نظام حكم حكمت سليمان وبكر صدقي، ولربما كان اولئك الشيوعيون يتلقون المعونات من موسكو. ولم تستمر المحاولات التي بذلها الروس خلال الفترة ١٩٣٢ - ١٩٣٤ للتغلغل الى الاسواق العراقية. وكانت العلاقات الفرنسية، التي لم يكن لها سوى اهتمام ضئيل بالعراق ماخلا العلاقات الثقافية، غير ودية. ذلك لان التردد الظاهر لدى الفرنسيين في منح الحرية لسوريا ولبنان وانهاء انتدابهم عليهما. كان يدفع الجماهير العراقية الى مؤازرة كل اشكال القومية السورية المعادية للفرنسيين. والطلب الى «الفاتيكان» بان يعزل مبعوثه الرسولي الموجود في الموصل «وهو فرنسي» وقد حقق النجاح في هذا الطلب.

وبالنسبة الى الدول الاوربية الاخرى من امثال النمسا والسويد واسبانيا. فقد تم تبادل البعثات والدبلوماسيين معها. وقد تميز الاتصال الطفيف المتزايد مع الولايات المتحدة الامريكية بتعيين نائب قنصل عراقي في نيويورك، وبظهور بعض الحديث عن عقد معاهدة تجارية بين البلدين. ولقد ازدهرت مدارس التبشير المسيحية الامريكية في كل من البصرة وفي بغداد. كما شرع الاثاريون الامريكيون يواصلون اعمال التنقيب عن الاثار في العراق، في الوقت الذي شرع فيه باستخدام حفاري ابار النفط واللحامين من الامريكيين، من دون ادنى قيد، في حقول النفط. ولم يظهر لليابانيين اي مجال سوى التجارة.

كان وضع العراق في العالم العربي، هو وضع البلد المستقل الحديث، وما ناله من تقدم منظور، في حين ظهر في البلاد غير العربية، بمظهر البلد الذي يفكر كثيرا في الوحدة العربية او الجامعة العربية ويؤيدهما تأييداً وديا واسعا. فحتى في سنة ١٩٣٢ كان فيصل الاول يخطط لعقد مؤتمر عربي في بغداد، كما اعدت الخطط لاقامة اتحاد عربي على اسس ظن في حينه بانها غير قابلة للتطبيق، وعلى الاخص على يد بطل العراق، نوري السعيد[٣] ولم يستطع ان يظهر اي سياسي

---

(٢) الدكتور جوردان من علماء الاثار البارزين الذين عملوا في العراق خلال سني الثلاثينات والاربعينات.

(٣) المقصود بذلك مشروع سوريا الكبرى الذي اشغل تفكير نوري السعيد ونشاطه منذ ان اعلن استقلال العراق في سنة ١٩٣٢ فقد كان نوري السعيد يعمل ويفكر حسب الخطط الانكليزية لمد الخطوط استعمارهم الى سوريا وانتزاعها من الفرنسيين عن طريق هذه المشروع الذي يضمها الى العراق والاردن. وقد وضع الاسس الاولية لهذا المشروع وعرضها في صفة مذكرة قدمها

عراق بمظهر المتأخر عن خدمة هذه القضية، بكل ما لها من تطلعات مجيدة الى التاريخ والى الاسلام، والعزة القومية،وبكل ما تتضمنه من معاداة للغرب. ولقد نجمت عن ذلك ظهور حركات فعالة او متطرفة في هذا المجال، خلال تلك الفترة، كانت تستهدف تعزيز الروابط العربية في الشرق الاوسط.واذ شهدت تلك السنين تعاظما سريعا في الحركة المضادة للصهيونية في العراق، فقد انهمك رجال الدولة في بغداد، خلال تلك السنين باطراف «القضية الفلسطينية» المؤسية والتي اسيئت ادارتها بصفة مؤسية.

فلقد ادى الاضراب العربي في فلسطين في سنة ١٩٣٦، الى حدوث تجمعات في بغداد، كان الخطباء فيها يندبون شهداء فلسطين، وارسال مبعوثين من تلك التجمعات الى السفير البريطاني، واخذ بعض الافراد العراقيين، وعلى الاخص الضابط السوري الاصل «فوزي القاووقجي». يتطلعون الى اثارة حرب العصابات في فلسطين حيث عادوا من هناك وكانهم ابطال. وعن طريق نداء وجهه العراق، مع السعودية، والاردن، امكن وضع نهاية لذلك الاضراب ، واستطاعت هذه الدول الثلاث نفسها في سنة ١٩٣٧، ان تقنع عرب فلسطين بان يعرضوا قضيتهم على لجنة «بيل»[٤] بدلا من مقاطعتها، ولم تلبث هذه اللجنة اخيرا في تقريرها الذي دافعت فيه عن مشروع تقسيم فلسطين، ان اثارت تحذيرات وانذارات قدمها العراق الى السفير البريطاني، والى عصبة الامم. وفي الوقت ذاته ظهرت تصريحات محددة ضد التقسيم من لدن رئيس الوزراء العراقي وزملائه[٦].

وهذه الاحاسيس التي شارك فيها كثير من الانكليز، كانت احاسيس مخلصة بما لايدع اي مجال للتساءل عنها، وقد تركت تأثيرها في كل العراقيين الذين يتمتعون بالوعي السياسي. ولكن القضية الفلسطينية التي كانت اساسا متماسكا لكل المشاعر التي عبرت جميع الاحزاب العراقية عنها، كانت في الوقت ذاته تمثل نعمة للوزارات العراقية المتعاقبة. ففي الفترات التي كان يسودها الهدوء كان يتم تبادل المزيد من الزيارات بين العراق وفلسطين في الميادين الاجتماعية والثقافية.

=الى المستر «كيسي» وزير الدولة البريطاني المختص بشؤون الشرق الاوسط واستطاعت جريدة «لواء الاستقلال» لسان حزب الاستقلال في سنة ١٩٤٦ ان تنشر ترجمة تلك المذكرة في عدد خاص من اعدادها، فاثار ذلك عاصفة من الهياج لدى العناصر الوطنية.

(٤) وجه نداء ملوك العراق والاردن والسعودية لوقف الاضراب في اليوم العاشر من تشرين الاول ١٩٣٦. اما لجنة «بيل» البريطانية للتحقيق فقد توجهت الى فلسطين في الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، وعلى اثر توجه لجنة بيل اعلن وزير المستعمرات بان هجرة اليهود الى فلسطين لن تتوقف خلال الفترة التي ستقضيها لجنة التحقيق، فقررت اللجنة العليا العربية التي يتزعمها المفتي امين الحسيني عدم التعاون مع لجنة بيل، وحين وجدت اللجنة انها تواجه الانشقاق داخل صفوفها الغت في السادس من كانون الثاني ١٩٣٧ قرار المقاطعة وقدم اعضاء اللجنة العليا العربية شهاداتهم امام لجنة بيل (الدكتور عبد الوهاب الكيالي: الموجز في تاريخ فلسطين الحديث ص ١٥٨ وما بعدها طبعة سنة ١٩٧١).

وكان المفتي الحاج امين الحسيني من الزوار الفلسطينين الذين جاؤا الى بغداد في سنة ١٩٣٣. وكان الطريق المباشر بين حيفا وبغداد قد تم افتتاحه وتحسينه، كما انشئت الاتصالات السلكية، وتطورت الترتيبات الكمركية في ميناء حيفا لصالح العراقيين.

كانت علاقات العراق مع سوريا تنطوي بشكل عاطفي على منتهى الود والعطف لهذه الامة الشقيقة التي لم تتحرر بعد[٧] ولقد وجد الجمهور العراقي الكثير من المناسبات لانتقاد التعنت الفرنسي. وبث الدعوة الى وحدة العرب. فحتى في الميدان الاداري لم يكن ليتم تحديد الحدود بين العراق وسوريا من دون احتكاك، ولذلك اشتملت الاتفاقات التي عقدت في منتصف سنة ١٩٣٣، وما بعدها، على مسائل حسن الجوار، والغارات العشائرية، وما شابه ذلك. ولقد عقدت سلطات الحدود لكلا البلدين اجتماعات لها في مدينة «تدمر» في سنة ١٩٣٤، وفي «عقرة» في العراق سنة ١٩٣٦. ولقد اصر العراقيون على ان يكون التفاوض مع السوريين بدلاً من الفرنسيين، وعلى الاخص بعد وقوع حوادث الثورة الشديدة التي وقعت في دمشق، واقدام الفرنسيين على قصف المدينة بالقنابل سنة ١٩٣٦.

تم استجلاب عدد من المدرسين من مصر الى العراق في سنة ١٩٣٦ للعمل في ميدان التعليم العالي. واستعرض المهندسون الزائرون المصريون، مشاريع الري العراقية. وقوبلت المعاهدة الانكليزية المصرية التي عقدت سنة ١٩٣٦ بالترحيب والهتاف في العراق، وذلك لانها تجعل من مصر ذاتها حليفاً، كما زاد تعيين عبد الرحمن عزام، ذلك الرجل المتحمس، وزيرا مفوضاً لمصر في بغداد، في تحسين العلاقات بشكل افضل، ولذلك افتتحت مصلحة هاتف مباشر بين القاهرة وبغداد، ووضع مشروع لعقد معاهدة تجارية بين البلدين.

كذلك تعززت علاقات العراق مع شرقي الاردن التي كانت ما تزال تخضع للانتداب البريطاني، وذلك بعد ان اكملت شركة النفط العراقية مد خط الانابيب الذي يمر عبر الصحراء، والطريق المحاذي لذلك الخط، وبوشر بتدشين اعمال النقل عبر الحدود، وتبودلت الزيارات الملكية بين الحكام الهاشميين، وان كان الامير عبد الله كان يتعرض في ذلك الوقت للنقد الشديد في بغداد، بسبب ما قيل عن ضعف حماسته لمقاومة الصهيونية.

---

(٧) مايزال الغربيون، ويقلدهم في ذلك بعض الكتاب العرب، يكررون اطلاق لفظة «امة» او «شعب» على كل بلد عربي، متناسين ان اي شعب عربي يعيش في اي من الاقطار العربية، انما هو جزء من مجموع الشعب العربي، او الامة العربية الواحدة، غير المتعددة ولذلك فان من الخطأ اطلاق لفظة «الشعوب العربية» وان تستبدل بها عبارة «الشعب العربي» سواء كان هذا الشعب يسكن العراق، ام مصر ام سوريا ام الصومال، ذلك لان اطلاق كلمة «امة» على الشعب المصري او السوري، انما يراد بها اظهار اي من الشعبين وكانهما منفصلين عن مجموع الامة العربية او الشعب العربي، وعلى هذا فان الاصح ان يقال الشعب السوري في سوريا والشعب المصري في مصر وهلمجرا.

كان ابن سعود جار العراق الجنوبي ما يزال يتمتع بعلاقات هادئة واعتيادية مع العراق، خلافاً للعواصف واراقة الدماء التي شهدتها السنوات الماضية. فقد كانت الوفود الملكية والوزارية، تتنقل بين بغداد والرياض، وشرع الحجاج العراقيون يسافرون من النجف، عبر اراضي نجد مباشرة، للوصول الى الاماكن المقدسة في الحجاز، كذلك اتخذت الدولتان اجراءات ثابتة للتدخل في فلسطين، وعقدت معاهدة تحالف بينهما سنة ١٩٣٦. ولقد تميزت الاعمال التي قام بها امام اليمن في سنة ١٩٣٧، والذي استقبل بعثة من العراقيين الممتازين، وبعث بتلاميذ من بلاده الى المدارس العراقية والى الكلية العسكرية العراقية في بغداد، تقول تميزت هذه الاعمال بالحذر، ولم تكن لها اية نتائج عملية بالنسبة الى المعاهدة العراقية السعودية (٨).

سادت حالة مؤسفة من المهاترات بين العراق ومشيخة الكويت الصغيرة المستقلة. ذلك لان التساؤل عن مدى حق شيخ الكويت في تملكه مقاطعات من بساتين النخيل على شواطيء شط العرب، وعن ادعائه بان منتجات تلك المقاطعات معفاة من الضرائب، يتردد على الدوام وهو الذي يثير النزاع حول ذلك. وقد اخفقت وساطة السفير البريطاني في بغداد، والمقيم البريطاني في الخليج العربي، في التوصل الى تسوية ودية بشأن ذلك. ومما زاد في اثارة النزاع اكثر من ذي قبل، هو استمرار حركة تهريب السلع والمواد على نطاق واسع من الكويت الى العراق، حيث كانت صناعة الغوص لصيد اللؤلؤ هي الصناعة الرئيسة في الكويت قبل الفترة التي ظهر النفط فيها. اما شيخ الكويت الذي لم يكن يجهل الارباح التي يدرها هذا التهريب، فانه لم يقبل باي من الاقتراحات التي اقترحت لوقف حركة التهريب هذه. ولقد زعم في حينه بان الشرطة العراقية التي كانت تتعقب المهربين، كثيرا ما كانت تدخل الاراضي الكويتية، ولذلك كانت كل سنة تمضي تأتي بحكاية جديدة عن قضايا الحدود، تزيد من سخط كلا الجانبين وامتعاضها. كذلك وجدت الصحافة البغدادية في ذلك موضوعا للتهجم واثارة مخاوف شيخ الكويت، والتي راحت

---

(٨) كانت مقدمة العلاقات الطيبة بين العراق واليمن عندما طلب ملك اليمن الامام يحيى حميد الدين الى العراق ارسال بعثة عسكرية عراقية لتدريب افراد الجيش اليماني وقد وصلت هذه البعثة التي ترأسها العقيد اسماعيل صفوت، الى صنعاء في اواخر شباط سنة ١٩٤٠ وكان من اعضائها المقدم محمد حسن المسيبي الذي وضع عن تلك البعثة كتابا اصدره في سنة ١٩٤٧ باسم «قلب اليمن». وكانت وزارة الدفاع العراقية قد اصدرت اوامرها بارسال البعثة المذكورة الى اليمن في اوائل الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٩، وتحدد السفر الى اليمن في اوائل الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٩، وتحدد اليوم الثالث من شباط ١٩٤٠ موعداً لسفر البعثة التي سافرت بالسيارات الى سوريا ومنها استقلت البحر الى مصر، ثم الى عدن بحرا، ومنها الى صنعاء برا. وقد مكثت البعثة في اليمن زهاء ثلاث سنوات زارت خلالها السعودية وادى اعضاؤها فريضة الحج، ثم بدأت عودتها الى العراق في الاسبوع الاخير من سنة ١٩٤٢ بطريق البر عبر الكويت فوصلت الزبير ظهر التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٤٣.

تؤكد بان امارة الكويت ذاتها كانت تابعة لولاية البصرة في بعض الاوقات [٩].

تمت المصادقة على المعاهدة التجارية التركية العراقية التي وقعت في سنة ١٩٣٢، بعد مرور سنتين من التوقيع عليها، كما تم ضمان روابط الحدود بصفة جيدة، فاصبحت للعراق مفوضية في انقرة، وقنصلية في اسطنبول، واضمحلت ازمة الموصل وغدت من حوادث الماضي، وكان الخمس من عوائد النفط يجري دفعه بصفة منتظمة الى الخزينة المركزية، وغدت شهرة تركيا في العراق شامخة بما كان لها من اتصال اجتماعي تقليدي واستعارة ثقافية. فقد كانت انجازات حكومة تركيا ورئيس جمهوريتها ذات اثر فعال في العراق، وكان الافراد العراقيون، من مختلف الاحزاب، والعائدون من زياراتهم لانقرة، ممتلئين اعجابا بالنهج التركي، في ميدان التقدم والسلطة. وكان اقتراب سكك الحديد التركية من الحدود العراقية، والتوقيع المشترك على معاهدة حلف سعد اباد فيما بعد، والاهتمام المتبادل بتطور الحركات الاوربية في ذات الوقت، والزيارة التي قام بها وزير خارجية تركيا «رشدي اراس» الى بغداد في سنة ١٩٣٧، اجل كل هذه الحوادث قد عملت على توثيق العلاقات التي كانت قائمة انذاك.

اما بالنسبة الى بلاد فارس، والتي اصبحت تدعى باسم ايران بعد سنة ١٩٣٥ بصفة رئيسة، فان الحالة بينها وبين العراق كانت على شكل اخر. فعلى الرغم من اتفاق سنة ١٩٢٩، والذي تم تجديده على فترات، والزيارة التي قام بها فيصل الاول لطهران في سنة ١٩٣٢ [١٠] واتفاق الحدود الموقع عليه في تلك السنة، على الرغم من ذلك كله فان الاتصالات بين الدولتين بقيت غير ودية [١١]. لقد كان كل شهر يمر يجلب معه قضايا من عدم التعاون المزعوم بين موظفي الحدود، واختراق القوات المسلحة لتلك الحدود، ووقوع النزاع على نطاق اوسع حول المياه او

---

(٩) اعتبر الاتراك امارة الكويت جزءا من العراق، واعدوه قضاء تابعا لولاية البصرة واطلقوا على حاكم الكويت، منذ عهد الشيخ مبارك، صفة قائمقام تابع لمحافظ او متسلم البصرة.

(١٠) افرد الدكتور سندرسن في مذكراته فصلا خاصا لهذه الزيارة التي رافق الملك فيصل الى طهران مع بقية اعضاء الوفد الحاشية (انظر مذكرات سندرس ص ١٦٥ – ١٨٩ من الطبعة الثانية ١٩٨١).

(١١) لم يكن مثل هذا الموقف من جانب حكام طهران بالامر المستغرب ابدا. ذلك لان اطماع الفرس في العراق ليست حديثة العهد فقط، بل تعود الى العصور التي سبقت العمل بالتاريخ الميلادي. فبعد مرور اكثر من خمس سنوات على قيام الحكم المدني في العراق، في اعقاب الحرب العالمية الاولى، لم تعترف حكومة طهران بذلك الحكم العراقي، الا بضغط واضح من الانكليز الذين كانت لهم الكلمة الاولى في بلاد فارس منذ اواسط القرن التاسع عشر وما بعده. وحتى في العهد الملكي كانت طهران تظهر العداء السافر في اكثر من مناسبة ضد العراق، وقد تعاظم هذا العداء بعد قيام الحكم الجمهوري في العراق، ثم تحول الى عدوان عسكري سافر في سنة ١٩٨٠ عندما تحالفت الامبريالية والصهيونية للاتيان بالخميني ورفاقه من الملالي المشوهين الى دست الحكم في طهران، حيث سارع الخميني الى تنفيذ المؤامرة الكبرى التي حاكها الاستعمار والصهيونية ضد العراق بعد ثورة السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨، والتي اريد من ورائها اسقاط الحكم الوطني التقدمي الذي يوجهه الرئيس المحنك المنتصر صدام

المقاطعات الزراعية، او سوء السلوك على شواطيء شط العرب. ولم يحصل اي تقدم بشأن المصادقة على المعاهدات التي عقدت بين البلدين حول الحدود او القضايا التجارية، وقضايا الحياد، والملاحة، والاقامة تلك المعاهدات التي تم اعدادها في سنة ١٩٣٢. فلقد استمرت حكومة طهران بشكل خفي في اول الامر ثم بصورة ظاهرة مؤخرة، في سياستها الرامية الى عدم الالتزام بالنتائج التي توصلت اليها لجنة الحدود في سنة ١٩١٤.

ذلك ان حكومة طهران كانت قد انكرت مبدأ تالوغ Talweg بشأن الحدود، وحق العراق التاريخي المشروع في شط العرب، ذلك الحق الذي اقرته معاهدة ارضروم التي عقدت سنة ١٨٤٧، والمعاهدات والاتفاقات التي اعقبت تلك المعاهدة فيما بعد. واقرار هذا الحق بالمعاهدات والاتفاق التي عقدت منذ معاهدة ارضروم وما بعدها، يعتبر اكثر اهمية بالنسبة للعراق، ذلك لان العراق كان، على النقيض من بلاد فارس التي تحتفظ بساحل طويل على البحر (الخليج العربي) لايملك ممرا الى البحر سوى شط العرب ذاته.

طرحت خطة بريطانية لانشاء مجلس ادارة انكليزي فارسي عراقي مشترك، للمحافظة على الملاحة في شط العرب والرقابة عليه. ولكن بلاد فارس لم تقبل بهذه الخطة، كما فشلت المفاوضات الثنائية التي جرت بين البلدين ولذلك اودع العراق هذه القضية الى مجلس عصبة الامم في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ وفي اليوم الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٥ استمع مجلس العصبة الى القضية، فطرحت امامه كل المستمسكات القانونية، والتاريخية، والجغرافية التي كان يتمسك بها كل من الطرفين. ولقد عرض العراق احالة القضية الى محكمة العدل الدولية، فرفضت حكومة فارس ذلك العرض. كذلك فشلت الجهود التي بذلها الوسيط الايطالي «البارون الوازي» في التوفيق بين الطرفين، ولو ان المحادثات كانت قد تجددت في كل من روما وجنيف وبغداد وروما وطهران في سنة ١٩٣٥. وفي السنة التالية لذلك بعث من جديد الاقتراح الذي طرح بانشاء مجلس مشترك للمحافظة على شط العرب، ولكن حكومة فارس

= حسين، ذلك لان العراق الذي سارع، تحت قيادة هذا الرئيس العظيم، الى تأميم الثروات النفطية العراقية وصرف عوائدها على الاعمار ورفع مستوى الشعب العراقي وازدهاره، على خلاف بعض المنتجين للنفط في الاقطار العربية الذين يستثمرون اموالهم في الشركات والمصارف الغربية ولاسيا الامريكية منها، علما بان اكثرية تلك الشركات والمصارف ملك للصهاينة وتدار من قبلهم.
وعلى رغم ماقدمه العراق من تضحيات جسيمة لمقاومة العدوان الايراني السافر الذي استمر زهاء سبع سنوات كاملة، فانه، اي العراق، طالما ابدى استعداده التام لوقف القتال واحلال السلم وحل القضايا المتنازع عليها بالطرق السلمية، وما اعقب ذلك من تكاثف جهود الوساطة بين العراق وايران، ولكن حكام طهران من الملالي الذين رسمت الامبريالية والصهيونية لهم مخطط العدوان السافر ليس على العراق وحده حسب بل على الاقطار العربية الاخرى، ظلوا سادرين في غيهم، فرفضوا كل المبادرات السلمية، وبقوا ماضين في تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الكبرى التي استهدفت تحطيم الحكم الوطني الثوري التقدمي، ووقف النهضة التي اخافت ليس الاستعمار والصهيونية وحدهما حسب بل المتعاونين معهما من بعض الحكام المفروضين فرضاً على الامة العربية.

ظلت متشككة في مشاركة بريطانيا في ذلك المجلس لان بريطانيا بتملكها لتسعة اعشار الملاحة في شط العرب كانت تتوقع ان تكون من الاطراف الموقعة على ذلك الاقتراح.

ومع كل ذلك فان القلق الذي اصاب تركيا وضرورة تسوية الخلاف القائم بين هاتين الجارتين، ونتيجة للاستفزاز التي احدثه العدوان الايطالي(١٢) والذي اصبحت تشعر به كل الدول الضعيفة، قد جعل العراق وفارس يميلان الى الاتفاق. وعلى هذا الاساس ارتؤي بان ارسال مذكرة من العراق الى طهران في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، قد يوفر اساسا لقيام هذا الاتفاق.

وفي اليوم الرابع من شهر تموز سنة ١٩٣٧، تم التوقيع في طهران على معاهدة تهيء القبول المحدد للحدود التي خططت في سنة ١٩١٤، وتمنح طهران منطقة ارساء للسفن مقدارها اربعة اميال من الضفة الشرقية لشط العرب، طبقاً لمبدأ «تالوغ»، المقابل لمدينة عبادان(١٣) وكان في ذلك حل للخلافات العراقية الفارسية التي استمرت زمنا طويلا وتميزت بالاصرار من كلا الجانبين. كذلك تم التوقيع على بروتوكول يوفر المحافظة على قناة صالحة للملاحة في شط العرب، وممارسة اعمال تطهير تلك القناة، ودفع رسوم الميناء، والحجر الصحي، ومكافحة التهريب، ولكن لم تؤسس اية سلطة تنهض بممارسة مثل هذه الواجبات، ومالبث ان برزت الشكوك الفارسية مرة اخرى وتزايدت، وبقيت ادارة مياه شط العرب في يد ميناء البصرة.

اصبح السبيل الان مفتوحا ولاول مرة، امام مشروع اخر. ذلك ان الخوف من المطامع الايطالية قد دفع كلا من تركيا وفارس في اوائل سنة ١٩٣٥ للاشتراك مع العراق للتشاور في جنيف حول تشكيل حلف للشرق الاوسط يضمن الدعم المشترك لهذه الدول. ولقد شرع بوضع مسودة هذا الحلف في شهر تشرين الاول، ولكن التوقيع، استلزم بالضرورة انتظار الحل الطويل المقترح للصعوبات العراقية الفارسية. ولم يلبث هذا الحلف الذي حددت مدته بخمس سنوات ان احتضن «بلاد الافغان» ايضا، والتي كانت العراق قد وقعت معها على معاهدة في سنة ١٩٣٤، وهكذا تم التوقيع على معاهدة الحلف، بالمساهم الرابع فيه في قصر «سعد اباد» في طهران بعد مرور اربعة ايام على توقيع المعاهدة العراقية الفارسية.

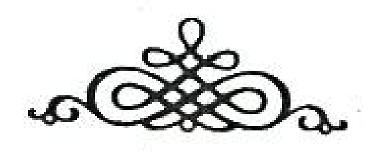
كان المعتقد ان الفائدة المرجوة من وراء هذا الحلف، ان وجدت، ستكون فائدة ادبية اكثر

---

(١٢) يقصد به عدوان ايطاليا على الحبشة واحتلالها في سنة ١٩٣٥ بعد معارك استمرت عدة شهور وعلى الرغم من المواقف العدائية التي كانت الحبشة تقفها من القضايا العربية المهمة، فقد ساندت الدول العربية الحبشة في نضالها ضد العدوان.

(١٣) كانت تلك هي معاهدة شط العرب لسنة ١٩٣٧ والتي ارغمت العراق، بضغط مباشر من بريطانيا، على التنازل عن الاميال الاربعة من ضفة شط العرب المقابلة لعبادان لكي تصبح مكاناً لرسو ناقلات النفط التي كانت تنقل نفط الاحواز الذي كانت بريطانيا تستغله لوحدها منذ سنة ١٩٠١.

منها مادية، لانها كانت تمثل الخطوة الاولى في اقامة سلامة اقليمية في القسم الغربي من اسيا، وانها قد ربطت العراق بعالم غير عربي. وكان من بين ما تضمنه الحلف، الامتناع عن التدخل المشترك، والتشاور المشترك، والمصادقة على الحدود القائمة، والالتزام بعدم الاعتداء، وقد اكد هذا الحلف من جديد ميثاق عصبة الامم، وكذلك الاتفاق الذي وضعه كل من «بريان» و «كيلوغ»[١٤] حيث تم انشاء مجلس دائم ينهض بمهمة انجاز الحلف، واكد هذا المجلس في الاجتماع الذي عقده يوم التوقيع على الحلف، الخطوات اللازمة للمساعدة المشتركة التي تمكن اعضاء الحلف من الحصول، كل على انفراد، على مقاعد لهم في مجلس عصبة الامم.



(١٤) في نيسان ١٩٢٧ اقترح «ارستيد بريان» وزير الخارجية الفرنسية على وزير الدولة الامريكي فرنك كيلوغ عقد اتفاق يحظر اعلان الحرب اداة للسياسة القومية «وقد وقع على هذا الاتفاق في مؤتمر عقد في باريس في آب ١٩٢٨ وحضرته تسع دول، واخيرا انضمت دول اخرى الى الاتفاق المذكور فبلغ عدد الدول المنضمة اليه خمسا وستين دولة (الان بالمر: قاموس التاريخ الحديث ١٧٨٩ - ١٩٤٥ ص ١٦٢).

الفصل الثامن
على أبواب الحرب العالمية الثانية

١ ـ الوزارة المدفعية الرابعة
٢ ـ وفاة الملك غازي
٣ ـ الاشهر الاولى من الحرب
٤ ـ الكيلاني والهاشمي
٥ ـ حرب الثلاثين يوما
ثورة ايار الوطنية ١٩٤١

١ـ الوزارة المدفعية الرابعة

لم تكن ناجحة تلك الوزارة التي اختير لها جميل المدفعي،واعلن عنها غداة تعيينه رئيسا لها في اليوم السابع عشر من شهر اب سنة ١٩٣٧، والتي مكثت في الحكم مدة ستة عشر شهرا، تحت الزعامة المعتدلة، ان لم نقل الزعامة الموحى بها لذلك الرجل البارد المخلص، في اعادة الثقة والحالة الاعتيادية. فلقد احتفظ بوزارة الدفاع تحت يديه، واشرك معه بعض الاداريين المجربين من امثال مصطفى العمري، وابراهيم كمال، وجلال بابان فعينهم وزراء للداخلية، والمالية، والاشغال، اضافة الى رضا الشبيبي وعباس مهدي اللذين اعطيت لهما وزارتا التربية والعدل، كما اعطيت وزارة الخارجية الى السياسي الضليع الداهية توفيق السويدي. تم استقبال اسماء الوزراء بقبول حسن، وما لبثت حامية الموصل ان اعلنت انسحابها من ميدان السياسة، وعاد الساسة الذين أبعدهم بكر صدقي الى سوريا ومصر، الى بغداد واحداً اثر واحد.

ومع ان الاوساط الاجتماعية والتجارية والعشائر،وحتى الرأي العام «لم تتأثر إلا قليلا بهذه الازمة، وغيرها من الازمات الاخرى، الا ان الحلقات السياسية والعسكرية التي كانت روحية الجريمة لديها متواصلة، واعمال الانتقام اعتيادية، لم يكن من الهين كبحها وضبطها. ذلك لان انقلاب بكر صدقي، ومقتل جعفر العسكري الذي لم يؤخذ بثأره، والفتن والمكائد الحقودة التي حدثت خلال سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥،قد خلقت تراثا مدمرا من الشدة والصرامة بين المتمسكين بالعمل الوظيفي من المدنيين والعسكريين واتباعهم، فاصبح الامن والوحدة لا يمكن احتمالها وغير مرغوب فيها.

وما ان ادرك المدفعي شرور سيطرة الجيش على امور السياسة حتى احال عبد اللطيف نوري على التقاعد، لكنه لم يقدم في الوقت ذاته لا على تعيين او تقاعد احد من اعوان بكر صدقي الذين كانوا اقل انقيادا، ولذلك اقدم على تعيين الفريق حسين فوزي بمنصب رئيس اركان الجيش لانه لم تكن لهذا الرجل بكل جلاء اية مطامع عسكرية.ولكن السهم الاكبر من ثقل السلطة في الجيش قد انتقل الان الى الفريق المعادي لبكر صدقي. ورغم كل اعمال الاحتجاج والاستنكار، بقيت جميع الوسائل المادية لوقوع انقلاب عسكري اخر قائمة،ولذلك فلم تكن

لدى المدفعي، القوة لتفتيت تلك الوسائل، مادام هو نفسه لا يرغب في استخدامها.

كانت سياسة المدفعي سياسة ترضية. فالعطف العام الذي حظي به اقدامه على الاحتفال بدفن جثمان جعفر العسكري في المقبرة الملكية، وهو عمل من اعمال التقوى بكل وضوح، لم يلزمه بالمساندة المطلقة من الاحزاب التي كانت تؤيد وزارة ياسين الهاشمي. لقد رفض المدفعي الاقدام على كل عمل انتقامي، وعفى عن شيوخ عشائر الديوانية الذين نفاهم سلفه حكمت سليمان واعادهم الى مواطنهم [1]. وفي الوقت ذاته اعلن لوزارته منهاجا «طوباتيا» غدا مألوفا مع تغييرات طفيفة، لكل الوزارات المقبلة، كما دعا في ذات الوقت الى اجراء انتخابات جديدة عامة.

التأم البرلمان الجديد في اليوم الثالث والعشرين من شهر كانون الاول ١٩٣٧، ولم يكن بين اعضائه الذين تم اختيارهم بعناية فائقة، اي من وزراء حكمت سليمان، عدا وزير واحد [2] ومع كل ذلك كانت جلسة البرلمان عاصفة، فقد عاد انصار جعفر العسكري الى الهجوم بحرارة ولكن من دون طائل. وكان اخر طلب تقدموا به لاجراء تحقيق قضائي، قد تم رفضه، لانه لم يكن ليتطابق مع قانون العفو العام عن المجرمين او المشتبه بهم في سنة ١٩٣٧. على ان سوء المشاعر بين حكمت سليمان ونوري السعيد الذي لم يكن بحد ذاته غير ملائم لاستقرار وزارة المدفعي، قد تعرض للانقطاع نتيجة غياب نوري السعيد عن البلاد، ولذلك كانت زيارات نوري السعيد للعراق تعتبر بمثابة اشارات للخطر.

شن الوزراء الذين شاركوا في وزارة الهاشمي الذين ابعدوا عن الحكم، في البرلمان الجديد، حربا مستديمة ضد الذين انتفعوا من حكم بكر صدقي، وتبودلت الاتهامات بالتآمر والخيانة، وبعد هذا لم يحدث اي تغيير في سياسة البرلمان البغدادي الذي اجلت اجتماعاته الى اليوم السابع من شهر ايار سنة ١٩٣٨. في هذه الفترة كان السر موريس باترسون قد خلف السر ارشيبالد كلارك كير، سفير بريطانيا في العراق قبل ذلك الوقت بشهرين.

كانت السياسة التي طبقت خلال سنة ١٩٣٨ واحدة من وسائل التهدئة الاستثنائية. فقد كانت كل انحاء كردستان هادئة، حيث اعتقل افراد العصابات في منطقة بازيان، او تم تشتيتهم. ولم يعد الريف المحيط بالسليمانية يعاني من اي اضطراب. واعيدت الى الشيخ محمود امواله التي صودرت سنة ١٩٣١. ولاول مرة قامت ادارة اعتيادية في قضاء «بشدر» والمنطقة المحيطة به.

---

(١) هم كل من محسن ابو طبيخ والحاج عبد الواحد سكر، وعلوان الياسري الذي نفتهم وزارة الانقلاب الى السليمانية.

(٢) هو الوزير عباس مهدي الذي كان يتولى وزارة الاشغال في وزارة حكمت سليمان بعد ترقيمها في اعقاب استقالة الوزراء الاربعة، والذي اصبح الان يتولى وزارة العدل

وكان مقتل المبشر الامريكي «كمبر لاند» على ايدي افراد من عشيرة الدوسكي في دهوك، يعتبر جريمة فردية منعزلة.

تم تجاهل المناحات التي اقيمت في كركوك عند وفاة كمال اتا تورك لانها لم تكن من الامور المؤذية. كذلك ايد الجميع اعتقال الشيوعيين ومحاكمتهم،كما اقدم البرلمان على سن تشريع يعتبر «الشيوعية» محرمة، كما يعتبر القائمين بنشرها من المجرمين الخطرين، ولذلك اضطرت الحركة الشيوعية الى العمل سرا[٣]. وفي الوقت ذاته لم تحدث اية اضرابات تعطل العمل الصناعي او الخدمات العامة، في حين بقيت اواسط الفرات هادئة هدوءا مشوبا بالحذر، وتم احتواء انفجار بين اثنتين من عشائر «العمارة» بوساطة احد المحكمين من المنتفق، بينما تواصلت المصادمات التقليدية، في الصحراء الغربية، بين عشائر شمر «والعقيدات».

بذلت الجهود للحصول على اسلحة للجيش العراقي اكثر صدقا من الجهود التي بذلها بكر صدقي[٤] كما تحسنت اوضاع الانقياد والطاعة في الجيش، وتقلصت المنافرات بين العرب والاكراد المشاركين في القوات المسلحة. واكملت القوة الجوية البريطانية انتقالها الى قاعدة الحبانية، بعد ان اقيمت لها المؤسسات المزودة بالوسائل العصرية. كذلك سارت المشكلة الاثورية في طريق الحل، او الاعتراف بعدم امكان حل لها، ذلك لان المستوطنات التي اقيمت على ضفاف نهر الخابور وعلى نفقة الحكومة العراقيةاصبحت تنال المعاضدة من ساكنيها وفقا للترتيبات التي اجرتها لجنة من عصبة الامم حيث تخلصت الخزينة العراقية بعد سنة ١٩٣٨ من اية مساهمة اخرى في اسناد هذه المستوطنات ماليا. اما الاثوريون الذين بقوا في العراق فقد طبق عليهم التجنيد الاجباري دون حدوث اي اضطراب بسبب ذلك. فلقد تم توطين هؤلاء في قرى لم تكن مزدحمة بالسكان، وليست تنعم بالرخاء التام، وكانوا مترددين في الانتقال منها واكدت الحكومة العراقية لعصبة الامم بصفة رسمية بان وضع الاثوريين باعتبارهم مواطنين عراقيين، قد تم ضمانه، ولكن عودة المار شمعون الذي قبل الجنسية البريطانية واخذ يعيش الان في قبرص، لا يمكن اعطاء تقرير بشأنها.

---

(٣) كان هذا التشريع في صفة تعديل لبعض مواد قانون العقوبات البغدادي حيث اعتبر بث الشيوعية بين افراد القوات المسلحة جرما يعاقب عليه بالاعدام، وعلى اساس مثل هذا التعديل تم اعدام اربعة من زعماء الحزب الشيوعي في سنة ١٩٤٩.

(٤) يريد المؤلف بهذا ان يشير الى تجاوب الحكومة البريطانية مع العراق في موضوع شراء السلاح منها اكثر من تجاوبها مع حكومة الانقلاب،فقد كان تردد بريطانيا ومماطلتها في تجهيز الجيش العراقي بالسلاح، هو الدافع الاول الذي دفع بكر صدقي الى شراء السلاح من المصانع الالمانية والايطالية والجيكوسلوفاكية، هذه الحركة التي استنكرتها بريطانيا وراحت من وقتها تخطط للتخلص من بكر صدقي ومن وزارة الانقلاب ذاتها. ولهذا فان اي انتقاد يوجه من لدن الانكليز الى بكر صدقي يجب ان يفسر على اساس هذا التحدي في مسالة شراء السلاح من خارج بريطانيا.

كان التقدم السريع لحركة التجارة الخارجية وللرخاء الذي تميزت به الفترة ما بين سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٧، قد توقف الان توقفا ملموسا في سنة ١٩٣٨. فقد هبطت اسعار المحصولات، ونفدت التخصيصات الحكومية لمشاريع الاعمال الرئيسة. وكانت الايام الاخيرة التي قضتها وزارة المدفعي في الحكم، اياما تعسة من الناحية المالية. ولكن على الرغم من كل ذلك، فان احتكار صادرات التمور المكبوسة الذي منح اول الامر الى مجلس ادارة التمور في البصرة، قد اعطي الآن الى مؤسسة بريطانية هي شركة «اندرويره»، في الوقت الذي قاربت فيه الترتيبات الخاصة باحتكار التبوغ ان تبلغ غايتها، في حين اصبح المصرف الزراعي الصناعي يغص بالمشاريع، وتوجهت شركة السمنت الى الجمهور للمشاركة في اموالها، وبقيت الحكومة تطمح الى انشاء مصفى للنفط خاص بها.

وفي سنة ١٩٣٨ تم منح امتياز التنقيب عن النفط في ولاية البصرة، وهذا الامتياز يشمل، على وجه الدقة، الاراضي التي تقع الى الجنوب من المنطقتين التي يشملها امتياز النفط القائم انذاك، منح هذا الامتياز الى شركة «نفط البصرة» وهي فرع من مجموعة شركة النفط العراقية، وفق شروط مشابهة للشروط التي تتحكم في الامتياز الذي منح في سنة ١٩٣٢ الى شركة استثمار النفط البريطانية. كذلك تم استقدام خبير او مستشار بريطاني لوزارة الاشغال والمواصلات من مصر هو السيد «لوغن» في اعقاب تقاعد المستشار السابق «ويتلي» في سنة ١٩٣٧، والذي اعتبر تقاعده خسارة للوزارة. كما عين خبير له خبرة طويلة في الخدمة في مصر هو السيد «اتكنسون» للري في سنة ١٩٣٩ فمكث يعمل في هذه الدائرة مدة سبع سنوات.

كذلك بقي العقيد «وورد» مديرا للميناء حتى وفاته في سنة ١٩٤٢، بعد ان تخلى عن مديرية السكك الحديدية في اوائل سنة ١٩٣٩. ولقد خلفه في منصبه في السكك خلال سنة ونصف كل من «لوغن» و «نيكولز» ثم تسلم المنصب ذاته منهما «سمث» فمكث فيه تسع سنوات ابتداء من سنة ١٩٤١. كذلك تقاعد «هوغ» من منصب مستشارية وزارة المالية في سنة ١٩٣٩ وبقي هذا المنصب شاغرا بعده لمدة سنتين.

اما في ميدان العلاقات الخارجية فقد عقدت اتفاقات بشأن حقوق البلاد والمتاجرة مع السعودية ومصر على التعاقب. وقد وجه اللوم الى تركيا بسبب الضغوط التي كانت تمارسها لضم ميناء الاسكندرونة والمحافظة التابعة لها، مع ان الصفة العربية كانت هي الطاغية عليها. وبذلك تكررت التظاهرات الكبرى في بغداد في سنة ١٩٣٩، وراحت تندد بقصر نظر السياسة الفرنسية المطبقة في سوريا. وفي الوقت ذاته عقدت معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الامريكية، وان كان العطف الامريكي على الصهيونية لم يخف او يتوقف مقابل ذلك، كما عينت الفاتيكان مبعوثا رسولياً آخر لها في الموصل، كان هولنديا هذه المرة.

اقيمت العلاقات الدبلوماسية مع بلجيكا وهنغاريا، واعيدت العلاقات مع ايطاليا رغم ان ملك ايطاليا قد اعلن نفسه امبراطورا على الحبشة، وقد تم ارسال مهندسين وطيارين عراقيين الى ايطاليا لدراسة انواع الطائرات التي يحتاج العراق اليها. وتركت الحركة الهتلرية التي هيمنت على المانيا تأثيرا لها في اذهان الشعب العراقي، حيث ظهر المزيد من الالمان في بغداد يعرضون ما لديهم من ائتمانات تجارية طويلة الامد، ولقيت بعض الدعوات الالمانية لزيارة العراقيين لمدينة برلين باجور مخفضة شيئا من القبول، كما شارك بعض الشباب العراقي في الاستعراض الكشافي الالماني في المانيا. ونظمت المعسكرات الخاصة للشباب في العطلة الصيفية، واصابت حركة «الفتوة» شيئا ملموسا من النجاح[٥].

في شهر اذار ١٩٣٨ تم توقيع المعاهدة مع حكومة طهران[٦] ورافق توقيعها قيام تظاهرات لم تكن متوقعة، اظهرت عدم موافقة الجماهير على تلك المعاهدة، في الوقت الذي تحركت فيه الى العمل: اللجنة التي اتفق على انشائها لغرض تخطيط الحدود بين البلدين، كما بوشر في ذات الوقت بتشغيل خط طيران اسبوعي لدى الفرس بين بغداد او طهران. على ان الانزعاج الذي اصاب حكومة العراق، من عدم تعاون الكويت في ذلك الوقت لمكافحة التهريب، والرغبة في انشاء ميناء بديل لميناء البصرة، على شاطيء الخليج العربي، هذان الامران قد اديا الى اقدام وزير خارجية العراق على اعلان ضم امارة الكويت الى العراق،ولقد تكررت هذه المطالبه بصفة ملحة ومتواصلة عن طريق الاذاعة الخاصة التي اقامها الملك غازي في قصره، غير ان تدخل السفير البريطاني في الامر قد ادى الى ابطال ذلك الادعاء.

ولكن ظل فلسطين كان اشد وطاة على العراق، من اي من الاهتمامات الخارجية الاخرى. ذلك لان الصهيونية، وتقسيم فلسطين كان منذ زمن طويل يثيران ليس اهتمام الحكومة العراقية وحدها والساسة حسب بل اهتمام جزء واسع من الجماهير العراقية على نطاق اوسع. فلقد حضر المندوبون العراقيون الذين رأسهم توفيق السويدي، الاجتماع الذي، عقدته عصبة الامم في خريف سنة ١٩٣٧. كذلك شارك المبعوثون العراقيون، غيرهم من المبعوثين العرب، خلال

---

(٥) يحاول المؤلف هنا ان يبسط ما يعتبره من تعاظم النفوذ الالماني في العراق ومن سريان الفلسفة النازية الى الشباب العراقي. والحقيقة ان انعطاف العراقيين نحو الحركة النازية او غيرها، لم يكن نابعا عن الايمان باهداف تلك الحركة، مثلما كان نابعا عن شدة الحقد على الانكليز وحلفائهم اعداء العروبة وحلفاء الصهيونية، حيث تظاهر الالمان الهتلريون بالعداء للصهاينة واليهودية العالمية، الامر الذي زاد في تحمس العراقيين ضد هذه الحركة وضد بريطانيا التي فرضت الانتداب على فلسطين لكي تمهد لتحقيق الوطن القومي اليهودي فيها وفقاً لوعد بلفور.

(٦) المقصود بها معاهدة شط العرب التي ارغمت العراق في ذلك الوقت، وفي عهد حكومة الانقلاب، على التنازل عن قسم من الشاطيء امام عبادان لايران بقصد استخدامه مرسى لناقلات النفط التي كانت تنقل نفط الاحواز.

تشرين الاول من تلك السنة، في اجتماع «بلودان» بسوريا. وكانت «عصبة الدفاع عن فلسطين» في بغداد، نشطة نشاطاً بالغا في اقامة التظاهرات، والصلوات، وجمع التبرعات من النقود[٧].

اعقب التمرد العربي والثورة الفلسطينية الشديدة، في اواخر سنة ١٩٣٧، بروز عطف عليهما في العراق، راحت تزوقه وكالات الانباء الالمانية. كذلك نال الشعور بالوحدة العربية، الذي اثاره مأزق فلسطين، بصفة بارزة التأييد نتيجة بعض الحوادث، من امثال انعقاد المؤتمر الطبي في بغداد، وعقد مؤتمر آخر للاطباء البيطريين، وسفر وفد من الكشافة العراقيين الى لبنان.

اقيمت احتفالات عراقية سورية مشتركة في ذكرى وفاة ياسين الهاشمي، وظهر كثير من الزوار العرب المبرزين في «نادي المثنى» الذي امس في سنة ١٩٣٥ باعتباره مركزا للدعوة الى الجامعة العربية ومقراً للجنة الدفاع عن فلسطين. ومع كل ذلك فان الفتوى التي اصدرتها الجهات الدينية العراقية بضرورة الجهاد في فلسطين، لم تنل الثقة من الحكومة العراقية التي سارعت الى تفريق التظاهرات العنيفة التي قامت وحظر قيامها في النهاية، كما تم القضاء على عمليات القاء بعض القنابل على الاحياء اليهودية في شهر آب ١٩٣٨، وقام مولود مخلص بتمثيل العراق في المؤتمر البرلماني العربي الذي عقد حول قضية فلسطين في القاهرة في شهر تشرين الاول من تلك السنة، في الوقت الذي طرح فيه نوري السعيد مقترحات وضعها هو بنفسه كانت تتميز بالاعتدال وحسن الاحساس، عرضها على الحكومة البريطانية ولم يكن توفيق السويدي هو الاخر اقل نشاطا في كل من لندن وجنيف.

ففي مؤتمر لندن الذي انعقد في اليوم السابع من شهر شباط ١٩٣٩، والذي القى انعقاده ظلالا على جامعة الدول العربية التي تألفت مؤخرا، كان نوري السعيد الذي كان يتولى رئاسة الوزارة في العراق آنذاك، على مثل ما كان عليه دوما، قد اشتهر بمقترحاته البناءة المدعمة بالاتصالات الشخصية التي قام بها في العواصم العربية، ومع الحاج امين الحسيني المفتي الذي كان يعيش انذاك في المنفى. على ان الكتاب الابيض البريطاني الذي صدر في شهر ايار ١٩٣٩، والمعارضة العربية الاولية لذلك الكتاب، والتي لابد وان تتحول الى القبول به (وقد تحولت تلك المعارضة الى القبول فعلا) كل ذلك لم يكن قادرا على تهدئة المشاعر العربية القوية ضد الصهيونية، وضد المؤيدين لها. والحقيقة انه لم يكن بالنظر الى فترة العلاقات العراقية البريطانية من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤١، من عنصر اكثر تسمما لتلك العلاقات، من القضية الفلسطينية التي اسيء التصرف بشأنها وبشكل مؤس.

---

(٧) المقصود بها «جمعية الدفاع عن فلسطين» التي تألفت في بغداد سنة ١٩٣٥ في عهد وزارة ياسين الهاشمي، وكان يرأسها سعيد الحاج ثابت. ولقد نشطت هذه الجمعية في تنظيم الاحتجاجات، واصدار نشرة خاصة عن انباء الثورة الفلسطينية الكبرى في سنة ١٩٣٦، وجمع التبرعات من الافراد والشركات والمنظمات لارسالها الى الثوار في فلسطين. وكان مقر الجمعية اول الامر في «نادي المثنى» في الصالحية، ثم انتقلت الى الدار التي استاجرتها «جمعية الجوال العربي» والتي نصبت فيها مطبعة خاصة بالجمعية في احدى الدور القائمة في محلة الصابونجية بالميدان.

اما بالنسبة الى ازمة ميونخ التي حصلت في شهر ايلول ١٩٣٨ [٧] فقد كان الموقف الذي وقفه جميل المدفعي ووزارته بالنسبة الى حليفهم موقفا صائبا جدا تميز بالشدة تجاه الدكتور غروبا وابناء جلدته. ومع كل ذلك فان ازمة ميونيخ قد لفتت نظر العراق الى الفجوات التي تنذر بالخطر في داخل اوربا، واثارت، لدى اصناف من الجماهير والجيش، روحية الاعجاب بالقسوة التي تميز بها الالمان ونجاحاتهم،التي حملت هذه الاصناف على ذلك الاعجاب خلال السنوات القلائل التي اعقبت ذلك. فقد كان ذلك الاعجاب مدعاة للتردد في مساندة اي رئيس وزراء موال للبريطانيين مهما كان صالحا وشهيرا.

اصبح اتجاه العراق نحو المحور، او ابتعاده عنه منذ ازمة ميونيخ فصاعدا، يؤلف واحدة من القضايا التي احدثت الانقسام بين الساسة في بغداد، الذين لم يعد احترامهم للمعاهدة البريطانية العراقية لسنة ١٩٣٠. بذي بال،سواء كان ذلك الاحترام روحيا او مكتوبا. ولقد كان هذا الانقسام بحد ذاته عنصرا من العناصر التي اضعفت مركز المدفعي الذي غدا واضحا كل الوضوح في ذلك الخريف. ولذلك اقتضت الضرورة اجراء تغييرات كبيرة في الوزارة خلال شهر تشرين الاول، حيث وجهت سلسلة من الهجمات الشخصية ضد مصطفى العمري [٨] ولهذا تم نقل مصطفى العمري الى وزارة العدل، ونقل عباس مهدي الى وزارة الاشغال والمواصلات، وتولى المدفعي نفسه وزارة الداخلية وكالة، وعين صبيح نجيب، لوزارة الدفاع، وهو ضابط قديم سبق له ان عمل بضع سنوات مديرا عاما للشرطة، وكان في اخر وقت يشغل منصب المدير العام لوزارة الخارجية. ومع كل ذلك فانه كان اعلى رتبة بالنسبة الى القادة الذين كانوا في الخدمة، والذين اغاظهم ترفيعه الى مرتبة وزير.

شهد افتتاح البرلمان في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني هياجا سياسيا تمثل بالاحتجاج

---

(٨) عقد مؤتمر ميونيخ (منش) من قبل رؤساء وزرات بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندة وغيرها وذلك لدراسة التهديدات الالمانية وقد اتفق المجتمعون في ذلك المؤتمر على مهادنة هتلر والسماح له باقتطاع منطقة «السوديت» والتي تقطنها اكثرية المانية، من جيكوسلوفاكيا كل ذلك على امل اقناع هتلر، بان يقلع عن اشعال نيران الحرب. والحقيقة ان مؤامرة ميونيخ تلك كان يراد من ورائها ابعاد هتلر عن اقتحام فرنسا والدول الاخرى الموالية لها بما في ذلك بريطانيا، وتوجيه انظاره الى الاتحاد السوفياتي الذي كان منذ ظهوره في اواخر سنة ١٩١٧ يؤلف الخطر الرئيس على الرأسمالية والرأسماليين، ولذلك عمدت الرأسمالية الى تهيئة الظروف الملائمة لظهور هتلر في المانيا وامدته بمختلف وسائل القوة لكي يضرب ضربته القاضية ضد الاتحاد السوفياتي وقد فعل ذلك فعلا.

(٩) كانت جريدة «الاستقلال» التي يصدرها المرحوم عبد الغفور البدري هي التي شنت تلك الهجمات ضد العمري وان لم تذكره بالذات فقد نشرت مقالتين متتاليتين شديدتين في عدديها الصادرين في ١٧ و ١٩ من تشرين الاول ١٩٣٨ ضد استشراء داء الرشوة في الدولة وبين الوزراء، الامر الذي ادى الى تعطيل الجريدة لمدة سنة وسوق البدري الى المحكمة بتهمة القذف والتشنيع فقضت المحكمة بالحكم عليه بالحبس لمدة ثلاثة اشهر.

الشديد جدا ضد امتياز البصرة، الذي تم منحه الى بعض الاشخاص[٩] وقد وجه ذلك الاحتجاج بعض المتحدثين البارزين من المعارضة، من بينهم حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني، الامر الذي انعش الخصومات التي شهدتها السنوات الثلاثة الاخيرة، في حين وجد الاخرون ذرائع لهم في مهاجمتهم الحكومة لانها اقلعت عن فصل الموظفين المشتبه بهم، ونكلت بالتظاهرة وبالصحف المتمردة التي كانت تدار بصفة غير مرغوب فيها. وعندما انفجرت في اواخر شهر تشرين الثاني، موجة القاء القنابل في بغداد ونسبت (وربما كان ذلك صحيحا) الى العناصر المحرضة ضد الحكومة، لجأت الوزارة انذاك الى قانون الدعاية المضرة الذي سبقت المصادقة عليه قبلاً ولكن لم يشرع بتنفيذه، وبذلك امتدت احكامه الى عدد من خصوم الحكومة حتى في اقصى المدن. ولقد اشتمل المحكومون باحكام هذا القانون على عدد من الضباط المعروفين بولائهم لبكر صدقي، وبعض البارزين من المحامين و السياسيين طبقا للادعاءات الوزارية، ولم تلبث الازمة الراهنة ان اخذت تقترب اكثر فاكثر، عندما ادت اعمال التحريض المكشوفة التي قام بها رشيد عالي الكيلاني الى اعتقاله ونفيه الى مدينة «عانة»[١٦].

ولكن اصدقاء هؤلاء المبعدين لم يضيعوا الوقت عبثا فشرعوا يتصلون بعدد اخر من الساخطين من امثال تفكيرهم، من ناحية، وبعدد من رؤساء الجيش من ناحية اخرى. وكان من بين هؤلاء جماعة اطلق عليها فيما بعد نعت «المربع الذهبي» وكانت قد تألفت داخل الجيش قبلا، واشتهرت بالتهور والبطش، وكانت هذه الجماعة تتألف من صلاح الدين الصباغ آمر الفرقة الثالثة التي كانت تعسكر في العاصمة وحواليها، وفهمي سعيد الذي عهد اليه بآمرية القوة الالية، وكامل شبيب امر الفرقة الاولى، ومحمود سلمان امر القوة الجوية. لقد كان هؤلاء القادة حانقين، لانهم كانوا يخضعون لامرة رجل حديث عهد بالنعمة هو وزير الدفاع، ومن الترفيعات واوامر الفصل التي لم تلائم اذواقهم الأبنسبة ضئيلة.

ولقد اشرك هؤلاء القادة في اخلاصهم المهني لرئيس اركان الجيش السابق طه الهاشمي، السيد حسين فوزي رئيس اركان الجيش الحالي وعددا اخر من كبار الضباط، واخذوا يتقربون من طه الهاشمي، دون علم من نوري السعيد[١٢]، ويطالبون بتغيير الحكومة. ولم يلبثوا ان

---

(١٠) يقصد بذلك امتياز حكر تصدير التمور الذي منح الى شركة اندروير الانكليزية.

(١١) كانت وزارة المدفعي هذه قد عطلت جلسات المجلس لمدة شهر وفي خلال هذه الفترة استصدرت امراً بنفي بعض الاشخاص، كان الكيلاني من بينهم، الى بعض الاماكن وفرض الاقامة الجبرية عليهم هناك. وكان من بين هؤلاء، اسماعيل الاغا الذي نفي الى الفاو، وعلي محمود الشيخ علي الى بدرة، وداود السعدي الى حلبجة، وشاكر الوادي الى سوق الشيوخ، وجميل عبد الوهاب الى (علي الغربي). وعلي غالب الى عنه، وعبد الوهاب محمود الى تلعفر، وفائق السامرائي الى زاخو (الحسني: الوزارات العراقية ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦).

(١٠) كان نوري السعيد منذ ان توفي فيصل هو اول من وضع اسس تدخل الجيش في السياسة. وقد دفعه نجاح انقلاب بكر

اجتمعوا في معسكر الرشيد، وقدموا التماسا الى الملك غازي، يطلبون اليه فيه تأليف وزارة جديدة برئاسة طه الهاشمي او نوري السعيد، واخذوا يكررون الطلب بالحاح على رئيس الديوان الملكي السيد رشيد الخوجة، الذي اوفده الملك اليهم للتباحث معهم. غير ان هؤلاء اقدموا في الوقت ذاته على انذار القوات التي تحت امرتهم بان تتزود بالسلاح، وان تحتل النقاط الرئيسة في بغداد، وتضع حرساً على بيت كل من طه الهاشمي ونوري السعيد، ذلك لانهم كان يخشون، او ادعوا بانهم يخشون بان يتم اعتقال ذينك الشخصين ومعاقبتهما.

وضعت هذه القضية، في الوقت ذاته، امام رئيس الوزراء جميل المدفعي من قبل ناطق عسكري كبير[١٣] اشار الى ان هذه الحركة لم يتدخل فيها المدنيون ولا قوات الشرطة. وحين اقتنع المدفعي، بعد المقابلة التي اجراها مع نوري السعيد، بان الامن سيظل مصونا، اخذ يلح على القادة بالعودة الى ممارسة واجباتهم الاصلية، ومن ثم جمع اعضاء وزارته في اجتماع عقده معهم وقدم استقالته في كتاب موجه الى الملك، ولم يلبث نوري السعيد، الذي تمرس في التظاهر بالتردد، ان تقبل منصب رئاسة الوزارة للمرة الخامسة في يوم عيد الميلاد سنة ١٩٣٨.



صدقي في سنة ١٩٣٦، الى ركوب مثل هذا المركب الصعب الذي الحق بالبلاد الخراب والدمار لعدة اجيال سابقة. فقد اصطفى نوري السعيد هؤلاء العقداء الاربعة ومن والاهم من ضباط الجيش لتنفيذ مؤامراته، وتطلعاته الخاصة. فلطالما فرضوه على غازي عدة مرات لكي يؤلف الوزارة، كما فرضوا طه الهاشمي ورشيد عالي من بعده مما سيرد ذكره في الفصول اللاحقة.

(١٣) علم بعض الضباط الكبار بما كان العقداء الاربعة ينتوون عمله فذهب كل من القادة نظيف الشاوي، ويوسف العزاوي، وسعيد التكريتي الى دار السيد جميل المدفعي، وكان صبيح نجيب وزيرا الدفاع حاضرا عنده فافضوا الى المدفعي بان في نية العقداء الاربعة ومعهم العقيد سعيد يحيى، القيام بانقلاب ضد الوزارة، ولكن صبيح نجيب انكر صحة الخبر، وطلب الى الضباط الحاضرين لدى رئيس الوزراء ان يتركوا هذا الامر اليه، اي الى الوزير الدفاع (جريدة المواطن لصاحبها محمود الدرة من حديث للواء يوسف العزاوي نشر في العدد الصادر يوم ٢٩ اذار ١٩٥٢).

٢. وفاة الملك غازي

حييت الوزارة الجديدة بالامال الاعتيادية، في ان يكون الحكم قويا وثابتا في النهاية وزوال الانقسام الاعتيادي، واعمال الثأر والانتقام، والتدخلات العسكرية الاخرى. وتم الاعلان عن تأليف وزارة ذات صفة متوسطة، ولكن للمرة الثانية، لم تكن القاعدة الثابتة من المبادئ المشتركة، موجودة لكي توحد الوزارة. استدعى ناجي شوكت، الذي كان يتولى منصب الوزير المفوض في المفوضية العراقية بانقرة، ليصبح وزيرا للداخلية؛ وذهب رستم حيدر الى وزارة المالية، وعهد الى التركماني المقتدر عمر نظمي بوزارة الاشغال والمواصلات، ومحمود صبحي الدفتري بوزارة العدل، وعين صالح جبر لوزارة التربية، وطه الهاشمي لوزارة الدفاع. واعطيت رئاسة الديوان الملكي الى رشيد عالي الكيلاني.

وكان الخطاب الذي دشن به رئيس الوزراء، وزارته معتدلا بشكل معجب، وحكيما وذا تفكير سام. ذلك لانه استنكر فيه المغامرات العسكرية والح على جميع الفرقاء بان يتقبلوا قاعدة القانون والديمقراطية الحقة [1] وسمح للصحف المعطلة بان تعاود الصدور من جديد؛ وان يعود الموظفون المفصولون الى وظائفهم، كما سمح بتأليف الاحزاب، ولو ان هذه الاحزاب كانت قد اخفقت لحظتئذ في الظهور الى حيز الوجود، ووجهت كلمات مختلطة من التعزير والتشجيع الى شيوخ عشائر الفرات المجتمعين.

اما في داخل البرلمان فان الغلظة الموجودة في النقاش لم تبطئ في أن تتكرر نفسها من جديد.

---

(١) كان خطاب نوري السعيد هذا يناقض الحال القائمة فعلا. ذلك لان مجئ نوري السعيد الى الوزارة من جديد كان نتيجة تآمر العقداء ومن شايعهم من بعض الساسة، والذين فرضوا على الملك غازي، اسقاط الوزارة المدفعية. وتعيين السعيد رئيسا للوزراء.وليس هناك ادنى شك في ان السياسة التي انتهجها نوري السعيد في الايام الاولى من تأليف وزارته. من امثال اعادة المفصولين من الموظفين، والسماح للصحف المعطلة بالصدور بل وحتى السماح بتأليف الاحزاب. انما كانت من نوع سياسة ذر الرماد في العيون تمهيدا لما كان السعيد يخطط له منذ ان عاد من المنفى. وهو الانتقام من جماعة الانقلاب. وعلى رأسهم الملك غازي، كي ينفرد وحده بالحكم ويوجهه حسب الوجهة التي يعتقدها. والتي لم يفد منها سوى الانكليز والصهاينة مما كشفته السنوات التي اعقبت ذلك عنه بكل جلاء.

وقد تضاعفت، بعد سفر نوري السعيد الى لندن في اوائل ١٩٣٩.

طالب ضحايا النفي والابعاد اللذين فرضتهما حكومة جميل المدفعي المستقيلة، بالانتقام من تلك الوزارة، وذلك نتيجة التصرفات اللاقانونية الشاذة التي اقدمت عليها. وكخطوة اولى في ذلك، راح اولئك المتضررون يضغطون على احالة النقاط المتنازع عليها الى محكمة خاصة اشترطها القانون الاساسي في مثل هذه الحالة. ولما كانت الوزارة القائمة متحدة ولا خلاف فيها، فقد صممت على ان تعزز مركزها باجراء انتخابات عامة جديدة على امل ان تنتج مثل هذه الانتخابات مجلس نواب اكثر تجانسا. ولذلك صدرت الارادة الملكية الآمرة بحل البرلمان في اليوم الثاني والعشري من شهر شباط سنة ١٩٣٩، وقبل ان يقدم ولي عهد فارس في زيارة رسمية الى بغداد [٢].

اعقب عودة نوري السعيد من لندن في اواخر شهر شباط، اصدار المنهاج الوزاري، حسب الاسس المعتادة، وماهي الا ايام قلائل حتى اعلن عن اكتشاف مؤامرة، لم يشترك فيها حكمت سليمان العدو اللدود لنوري السعيد حسب، بل قائمة موسعة من الساسة والضباط الاخرين. وقد ذكر بان المؤامرة التي اكتشفت كانت تهدف الى قتل مالايقل عن خمسين شخصا من بينهم الملك غازي، وتنصيب ابن عمه الاول عبد الاله، او عمه الامير زيد حسبما فضله المتآمرون الاخرون.

اعلنت حالة الطوارئ في معسكر الرشيد، وجرت بعض الاعتقالات، وانعقدت محكمة عرفية خاصة تضم حكاما مدنيين مع عدد مساو لهم من الضباط العسكريين. وبناء على قوة الاعترافات التي ادلى بها المشاركون من المتهمين فقد صدرت احكام الاعدام على خمسة من المتهمين من بينهم حكمت سليمان، كما صدرت احكام اخرى بالسجن لمدد طويلة على الاخرين، في حين برئت ساحة البعض منهم [٣]. وسرعان ماصدرت ارادة ملكية اعلنت تبديل احكام الاعدام بالسجن بالنسبة الى اربعة من المحكومين، ولم يخفف الحكم على حكمت سليمان الا بضغط حاد من قبل السفير البريطاني، ومن صديق بريطاني خاص [٤] وبعض الاصدقاء من العراقيين.

---

(٢) كان ولي عهد فارس- وهو محمد رضا بهلوي الشاه السابق قد وصل الى بغداد في اليوم السادس والعشرين من شباط ١٩٣٩، ونزل بضيافة الحكومة وتبودلت برقيات المجاملة بهذه المناسبة بين العاهلين العراقي والفارسي.

(٣) صدرت احكام الاعدام على كل من الضباط حلمي عبد الكريم، واسماعيل عباوي (توحلة) ويونس عباوي وجواد حسين، وعلى حكمت سليمان ايضا. وحكم كل من عبد الهادي كامل وعلي غالب بالاشغال الشاقة الموقتة لمدة سبع سنوات ووضعهما تحت مراقبة الشرطة لمدة سنتين. اما الذين خففت احكامهم من الاشغال الشاقة المؤبدة فهم اسماعيل عباوي وحكم علي جواد حسين وهو ضابط طيار بالاشغال الشاقة الموقتة لمدة خمس عشرة سنة، وعلى حكمت سليمان بالحبس لمدة خمس سنوات. وكانت الحكومة البريطانية هي التي تدخلت ،سيما بتخفيف الحكم على حكمت سليمان.

(٤) هو المستر لويدرليس جمعية التمور في البصرة.

لقد بقي بعد ذلك كله، وهم باقون الان[٥] اشخاص لهم قدرتهم الجيدة على اصدار الاحكام في كل ماحدث. وبين هؤلاء الاشخاص عدد كبير ممن كانوا يعتقدون، على الرغم من الاعترافات التي تم الادلاء بها، بان المؤامرة برمتها لااساس لها من الواقع، وان اكتشافها قد تم تخطيطه لكي يخدم غايات سياسية او شخصية. لقد تحقق احد اهداف المؤامرة عن طريق حادث مثير للاسى. فعندما كان الملك يقود سيارته بعدم الاكتراث الذي اعتاد عليه في اواخر ليلة الرابع من شهر نيسان[٦] اصطدم بعمود كهربائي على مقربة من قصره، وتوفي خلال ساعات قلائل نتيجة الكسور الشديدة التي كابدها، واصابت جمجمته.

اعلن نبأ الوفاة صبيحة اليوم الرابع من نيسان، واجتمع مجلس الوزراء على عجل، وتلي تذكرة مكتوبة من الملكة عالية تذكر فيها بان غازي كان يرغب في ان يخلفه عند حدوث اية حالة اثناء طفولة ولده، ابن عمه الاول الامير عبد الاله بن الملك علي وصيا. تم جمع عدد كاف من اعضاء مجلس النواب المنحل، للمصادقة على هذا الاجراء طبقا للدستور، واذ ذاك اعلن عن تولي الملك فيصل الثاني الذي كان بالكاد قد بلغ الرابعة من عمره، ووصاية الامير عبد الاله له. وكان غازي يوم وفاته في السابعة والعشرين من عمره وقد حكم زهاء ست سنوات تقريبا.

لم يكن غازي يهتم الا قليلا بالمهام الاعتيادية لواجباته، وقد ندر اقناعه بانجاز تلك الواجبات. وكان من اخطائه عدم الاكتراث والاستخفاف. كما كان نفاد صبره من تطبيق البروتوكول والنصح الذي يوجه اليه، من الامور التي كانت تربك الحكومات المتعاقبة في عهده، ويغدو في بعض الاحيان غير مجامل لمواطنيه. ولكن مع كل ذلك فانه لم يكن ينقصه الذكاء و لاالظرف. وكان محبوبا من لدن الضباط الشباب في الجيش الذين كانوا من رفاقه الطبيعيين والمختارين. وكان كثير من مواطنيه يحبونه عن بعد، لشبابه، وحيويته، ووطنيته الصريحة الجلية.

اما الملك فيصل الصغير، والذي كانت تعنى به على الدوام ممرضة انكليزية، واحدى المربيات الانكليزيات فيما بعد، فقد كان المعروف عنه بانه طفل ذكي وجذاب. اما الوصي الجديد شقيق الملكة عالية وخال الملك، فقد كان الان في السابعة والعشرين من عمره، وقد درس في كلية فكتوريا في الاسكندرية. ومع انه لم يعن قبلا بالشؤون العامة، الا انه يعتبر شخصا جدياً وذكيا، وانه كان يود ان يوجه ظرفه الشخصي، ومواهبه الاجتماعية، توجيها حسنا.

---

(٥) يقصد المؤلف بذلك الذين بقوا على قيد الحياة حين صدور كتابه هذا في طبعته الاول سنة ١٩٥٣.

(٦) ذكر المؤلف ان حادث اصطدام غازي وقع ليلة اليوم الثالث من نيسان على اساس ان الحادث حدث قبل انتهاء الساعة الثانية عشرة من مساء ذلك اليوم (راجع ماكتبه الدكتور سندرسن في مذكراته عن حادث الاصطدام ومافعلته الملكة عالية لانتزاع تصريح منه بانه قد سمع غازي يعلن وصيته لتعيين عبد الاله وصياً على ولده فيصل الثاني. وفي الوقت الذي لفظ فيه غازي انفاسه الاخيرة. مما سيطلع عليه القارئ في كتابنا المقبل «مصرع الملك غازي».

حضر حفل دفن الملك غازي في المقبرة الملكية كثير من الزوار العرب من الخارج، وعشرات الالوف من مواطنيه، واثار ذلك الحفل عواطف غير اعتيادية، ومالبث القصة الخيالية التي تقول بان وفاة الملك غازي كانت نتيجة تدبير اعدته «مصلحة الاستخبارات البريطانية»، ان تناقلتها وكالات الانباء الالمانية، وربما الدكتور غروبا نفسه. فلقد صدق الكثير من ذوي العقول الضعيفة من عامة ابناء المدينة الذين اكتنفهم الهياج، هذه الاكذوبة، فكانت هي المسؤولة عن الهجوم الذي وقع، بعد اقامة الصلاة على روح الملك غازي، على القنصل البريطاني في الموصل «مونك ماسون». فما ان احاط به المتظاهرون المهاجون حتى القيت الحجارة عليه، ومن ثم ضرب ضربة مميتة على رأسه وهو على سلم القنصلية. ولم يلبث رئيس الوزراء الذي تأثر تأثيراً عميقاً بهذه الوحشية، ان قدم الاعتذارات الى السفير البريطاني، وامر بدفع تعويض الى ارملة القنصل، وكان موكب تشييع جنازته في الموصل عاماً ومثيراً شارك فيه الموظفون العراقيون وضباط الجيش مشاركة فعالة. اصدرت احكام قاسية على قلة من المشاركين في الهجوم على القنصلية كان الطلاب هم البارزين من بينهم غير ان القاتل لم يتم اكتشافه (٧).



(٧) كان التعويض الذي دفعته الحكومة العراقية لعائلة القنصل البريطاني في الموصل يبلغ عشرين الف باون استرليني، ثم دفعه في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايار سنة ١٩٣٩، اما الذين اتهموا بقتله فقد بلغ عددهم حوالي خمسة عشر نفرا معظمهم من الطلاب، وقد حكم على احدهم بالاعدام، ولكن الحكم ابدل بالسجن لمدة خمس عشرة سنة. اما البقية فتراوحت احكامهم بين خمس سنوات وسنة واحدة.

٢ ـ الاشهر الاولى من الحرب

كانت الاشهر الخمسة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فترة هدوء ظاهري في العراق. فالزوار الذين حضروا موكب دفن الملك غازي، قد عادوا الان الى بلادهم، ووطن الوصي عبد الاله نفسه على اداء مهمته، واعيد تأليف الوزارة السعيدية التي استقالت في اليوم الرابع من شهر نيسان، طبقا لاحكام الدستور، بعد يومين متأخرين عن ذلك التأريخ، ومن دون اجراء اي تغيير في اشخاص الوزراء. ومالبث ناجي شوكت وزير الداخلية، بتأييده الفاتر لقضية المؤامرة، وباشياء اخرى اوجدت هوة بينه وبين رئيس الوزراء، ان استقال من منصبه في اواخر شهر نيسان[١] واذ ذاك تولى نوري السعيد نفسه وزارة الداخلية، واتى بعلي جودت الى وزارة الخارجية. كذلك كملت الانتخابات الجديدة في شهر ايار من تلك السنة، وان ظلت الاحكام العرفية قائمة حتى شهر اب في كل من الموصل وبغداد.

افتتح الوصي البرلمان في اليوم الثاني عشر من حزيران. وناشد، في خطاب العرش، الجميع بان يلتزموا بالهدوء وضبط الاعصاب. ولما كان الانتخاب قد تم حسب الاجراءات المعتادة، فقد ضم المجلس الجديد اكثرية كبرى من مؤيدي رئيس الوزراء نوري السعيد، ولذلك عاش هذا المجلس مدة اربع سنوات خلافاً لكل المجالس السابقة، ومع ذلك مايزال ظل الجيش يخيم ثقيلا على السياسة العراقية.

---

(١) كانت قضية المؤامرة المزعومة وصدور الحكم بالاعدام على حكمت سليمان من الاسباب الرئيسة لحدوث عدم الانسجام بين نوري السعيد وناجي شوكت. ولكي يستطيع نوري السعيد ابعاد ناجي شوكت عن بغداد لبعض الوقت، فقد عرض نوري السعيد على مجلس الوزراء ايفاد ناجي شوكت الى تركيا للاتصال برجال الحكومة هناك للتأكد من نوايا الجمهورية التركية وموقفها حيال الوضع الراهن في سوريا. لكن نوري السعيد مالبث - في الوقت الذي كان فيه ناجي شوكت يقوم بتلك المهمة ان اجرى تعديلا في وزارته استبعد به ناجي شوكت من الوزارة. وبعث اليه برسالة في هذا المعنى. وقد رد ناجي شوكت على رسالة نوري البرقية بان اعلن له انسحابه من الوزارة «واخيرا اخبركم باني لايمكنني، بعد هذه الاحوال، ان اقبل اية وظيفة سواء في الداخل او الخارج» (مذكرات ناجي شوكت ص ٣٨٦ ومابعدها طبعة ١٩٨٤).

كان مجلس النواب بحد ذاته يضم العدد الكافي من النواب الراغبين في تجديد كل الخلافات القديمة، وكان من بين هؤلاء رفاق الزعامة الالمانية، التي مافتئت تظهر بلا انقطاع، عداوات دامغة ضد الانكليز، ومازال ساخطة على معاهدة سنة ١٩٣٠، والقيود المزعومة التي تفرضها تلك المعاهدة على حرية العراق، والتي كانت تعاكس افكار طبقة المثقفين.

وكذلك تشدد انصار الجامعة العربية ضد الكتاب الابيض الذي صدر بشأن مستقبل فلسطين، والذي رفضه العراق. في هذه المرحلة لم يحصل اي تقدم ظاهر بالنسبة الى قضية عرب فلسطين من وراء السفرات التي قام بها رئيس الوزراء الى كل من القاهرة وعمان وبيروت خلال شهر اب، والتي كانت تبحث عن صيغة لضمان الحقوق العربية في البلاد المقدسة، وكذلك من وراء الرحلة التي قام بها علي جودت وزير الخارجية الى السعودية في شهر حزيران ١٩٣٩.

اخذ الملك الصغير الى لبنان لتمضية ايام الصيف فيها، وهناك حياه المتحمسون من ابناء القرى على قارعة الطريق، وهتفوا باسمه ملكا على سوريا. اما في بغداد فقد عين سفير بريطاني جديد هو السربازل نيوتن، وهو شخص غير ملم بمشاكل الشرق الاوسط، خلفا للسفير باترسون، وذلك في شهر اذار ١٩٣٩ [٢].

كانت الحاجات المالية للدولة قد اصبحت الان خطيرة، بسبب تجاوز الصرف فيها. وتم سد النقص بمنحة من الاعتمادات تقدمت بها الحكومة البريطانية، وذلك لمواجهة الحاجات الملحة لسكك الحديد العراقية، ولتجهيز الجيش. وبهذه الوسيلة امكن توفير حوالي اربعة ملايين باون، بضمان عوائد النفط، ووضع فائدة معتدلة، وان يتم تسديد المبلغ المذكور في اقساط خلال سبع عشرة سنة. وفي الوقت ذاته، تم تقديم قرض مجاني مهم من لدن شركة النفط العراقية، مقابل تأجيل صادراتها، وفقا للامتياز الممنوح الى شركة استثمار النفط البريطانية، حيث اصبح هذا القرض قابلا للدفع على شكل اقساط نصف سنوية يبلغ الواحد منها نصف مليون باون كل ستة اشهر على ان يتم تسديده على مهل من العوائد.

كمل خط سكة الحديد من تل كوجك الى الموصل، بكلفة لم تكن متوقعة قبلا وبذلك اصبحت القطارات قادرة الان على ان تتحرك من الموصل الى اسطنبول. وكذلك كملت مشاريع سدة الكوت، وصدور نهر الغراف في اذار ١٩٣٩، وكان الافتتاح الرسمي لسدة الكوت اخر عمل قام به الملك غازي [٣] وهذه السدة التي لها ستة وخمسون بابا تدار بصفة

---

(٢) يذكر العقيد جير الدي غوري في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد»، ان السفير باترسون هو الذي اوكلت اليه مهمة التخلص من الملك غازي فادى هذه المهمة بكل نجاح حسب قوله.

(٣) جرى الاحتفال بافتتاح سدة الكوت من قبل الملك غازي في اليوم التاسع والعشرين من اذار سنة ١٩٣٩ والقى غازي بهذه المناسبة كلمة للحاضرين تحدث فيها عن المشاريع القادمة. ولقد ادعت شركة بلفوربتي الانكليزية انها خسرت في انشاء هذه=

الية ، ولها مغالق ويبلغ عرضها ١٦١٥ قدما ولها مرقاة للسمك قد كلفت مليونا ومائتي الف باون ، ومن شأنها ان تيسر التصريف التام للماء خلالها (غدت السدة عاجزة عن ذلك في الوقت الحاضر) وكانت جديرة بان تضمن السيطرة على ارواء ارض مساحتها مليون فدان .

كذلك تم انشاء ناظم ذي سبعة ابواب في نهاية فرع الكوفة خلال الفترة ١٩٣٩ – ١٩٤٠ على يد شركة بلفوربتي ايضا. اما السد الجديد المحسن الذي اقيم على نهر ديالى فقد بوشر به هو الاخر في سنة ١٩٣٩ ايضا وكمل في نهاية سنة ١٩٤٠. وتجدد الاهتمام بتنفيذ مشروع بحيرة الحبانية ، وذلك بعد الفيضانات التي حدثت في نهر الفرات سنة ١٩٣٨ ، حيث عهد بانشائه في شهر حزيران ١٩٣٩ الى شركة بلفوربتي ذاتها بمبلغ سبعمائة الف باون للمرحلة الاولى منه ، والتي تشتمل على فتح قناة الى البحيرة عند مدينة الرمادي والسيطرة على تدفق الماء من البحيرة الى منخفض «ابي دبس الواسع».

ازداد التشدد في انجاز امثال هذه الاعمال. فقد كمل احد الجسرين الحديدين في بغداد واللذين تعهدت بانشائهما «شركة هولواي اخوان»[٤] وكان هذا الجسر بناء له تأثيره ، اذ كان طوله سبعمائة قدم ، وعرضه خمسين قدما وسمي باسم «جسر المأمون» وتم افتتاحه في احتفال حضره عبد الاله. ومما يجدر ذكره في هذا الشأن ان رسوم العبور على الجسر كانت قد الغيت في كل انحاء البلاد. كذلك قارب مشروع ظل صامدا زمنا طويلا ، من الانجاز ، هو المصرف الحكومي الذي عرف باسم «مصرف الرافدين» ، وشرع له قانون خاص به ولكن لم يتم افتتاحه بعد[٥] وقد حدد رأسماله الاول بمبلغ نصف مليون باون ، شاركت الدولة بقسم منه.

كذلك توفرت نظرة معتدلة لمناهج الاعمال الرئيسة على يد رستم حيدر وزير المالية ، حيث خصص له مبلغ احد عشر مليون دينار تصرف خلال اربع سنوات. وحدثت خسارة كبيرة آنذاك نتيجة الحريق الذي شب في اليوم السابع والعشرين من شهر اب في سوق العطارين[٦]

= السدة زهاء مليون دينار وطالبت الحكومة بدفعها ولكن الحكومة رفضت الادعاء وتمت تسوية القضية مع الشركة بدفع تعويض لها مقداره مائة الف دينار في سنة ١٩٤٣ .

(٤) هو الجسر المعروف الان باسم جسر الشهداء الذي شيد في مكان الجسر الخشبي العائم القديم الذي انشأه الاتراك .

(٥) كانت المعاملات المالية الخاصة بالحكومة العراقية يقوم بها المصرف الشرقي الانكليزي بفائدة محددة له ولذلك قررت الحكومة انشاء مصرف الرافدين ليقوم بذات المهمة وبمختلف الاعمال الصيرفية التي تقوم بها المصارف الاخرى .

(٦) ذكره المؤلف باسم سوق العطرية وقد وقع هذا الحادث في مساء اليوم الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٩٥٠ وكان الحريق قد نشب في خان يقع بمحلة باب الاغا. وذكر ان احد اليهود هو الذي تعمد احداث الحريق للاستفادة من مبلغ الضمان الذي اعطي للخان من شركة التأمين وقد استمر الحريق ثلاث ساعات وادى الى وفاة ثلاثة من رجال الاطفاء .

ولم يتم اطفاء ذلك الحريق الا بعد بذل جهود كبيرة، وقد وقع اللوم في الحريق على عاتق اليهود كالمعتاد، كما تطلبت قلة الطلب على التمور وهبوط اسعارها خلال السنتين ١٩٣٥ و ١٩٣٩، الالحاح على تحقيق التجانس بين اعضاء مجلس التمور مما ادى الى استبداله طبقا للقانون بجمعية التمور التي انشئت في ١٩٣٩،وقد منحت هذه الجمعية اموالا وسلطات اوسع، فشمل ميدان عملها جنوبي العراق كله، وكل فروع زراعة النخيل، وتسويق التمور، وقد اختير «لويد» مديراً عاماً لها ذلك الرجل المقتدر الذي اشتغل في خدمة العراق بصفة مدير اداري وحاكم. وكان اول عمل أقدمت عليه الجمعية انها منحت شركة اندر وير، امتيازاً لمدة خمس سنوات باحتكار التمور المكبوسة وتصديرها .

• • •

ادى اندلاع الحرب في شهر ايلول ١٩٣٩ بصفة حتمية إلى فترة تمثلت بالخبل المالي والتجاري في بغداد: مصحوبا بوقف الائتمان، وبالهروع الى المصارف لسحب الودائع منها، والاقدام على شراء الاطعمة والمواد المنزلية بجنون، وبشكل شاذ في الاسعار. ولكن سرعان مااستعيدت الثقة، ولو ان عدم توفر وسائل المواصلات، والنقص الحاصل في الشحنات غدا يحس به، وعادت الاوضاع الاقتصادية الى احوالها الاعتيادية في الغالب .

وعلى الرغم من اعلان حالة الطوارئ، واصدار مرسوم لتنظيم الموارد الاقتصادية، والرقابة الحكومية الاسمية على الصادرات والاستيرادات، وانشاء مجلس التموين المركزي، فان التدخل في امور المتاجرة العراقية كان طفيفا في الواقع. ولم يحدث اي تعتيم او احتياطات من الغارات الجوية، ولم تظهر سوى دلائل طفيفة من قيود الحرب، عدا الرقابة التي فرضت على الصحافة والبريد. كذلك تم اعداد تصدير التمور اعدادا جيدا في ظل الاحتكار الجديد،حيث تقدمت الحكومة البريطانية بطلبات كبيرة لشراء الشعير العراقي تلك الطلبات التي انجزت بمنتهى الراحة .

اعلن رئيس الوزراء في اليوم الرابع من ايلول بان العراق سوف يحترم بنود التحالف البريطاني احتراما تاما، وطبقا لذلك فانه سوف يوفر كل التسهيلات والمساعدات التي اشترطتها المعاهدة. اما بشأن اعلان تعبئة الجيش العراقي، فلم يعرض اي شيء ما بشأنه. قطعت العلاقات الدبلوماسية مع المانيا، وتم احتجاز الالمان الموجودين في العراق، ووضع الحجز على اموالهم، وعهد الى المفوضية الافغانية بتمشية اعمالهم. وغادر الدكتور غروبا العراق، وامتزجت منظمته الدعائية بالمنظمة التي اتخذت من طهران مركزا لها. وتبودلت البرقيات في هذا الشأن بين عبد الاله وملك بريطانيا جورج السادس، وقدمت كل التأكيدات الى السفير البريطاني في بغداد عن حسن نوايا العراق، وتقبل التزاماته .

والحقيقة ان مفاهيم نوري السعيد وتفسيراته قد ذهبت الى ابعد من هذا المدى. فقد كان السعيد يتطلع الى ادخال تعديل على «ميثاق سعد اباد» يقوم الموقعون عليه باتخاذ عمل عسكري وسياسي مشترك، وان تنضم مصر ايضا الى ذلك الحلف. غير ان شيئا من هذه المشاريع لم يتحقق[٧]. استقبلت الحكومة العراقية بسرور بالغ، الاتفاق الانكلو فرنسي التركي المعقود في اليوم السابع عشر من شهر تشرين الاول ١٩٣٩، والذي هيأ الفرصة امام الاقدام على اتخاذ عمل عسكري مشترك «في حالة اذا ماأقدمت دولة اوربية»،قال الاتراك عنها بانها لاتشمل روسيا، «على جلب الحرب الى الشرق الاوسط».

واخيرا وعلى الرغم من الانعطافات الالمانية التي كان يجري التلفظ بها بين افراد الجيش العراقي، وعدد من رجال الدولة، والسخط العام العميق الذي اثارته مؤامرة فلسطين العربية، والامتناع عن تحرير سوريا، على الرغم من ذلك كله بقيت لهجة الحكومة العراقية طيلة هذه الاسابيع مؤيدة للحلفاء بصفة ودية. ولم يحدث وصول المفتي امين الحسيني الى بغداد في شهر تشرين الاول بصفته ضيفا مكرما لدى الحكومة العراقية، وليس ضيفا سياسيا كما تم التأكيد على ذلك، اية تأثيرات مضرة بصفة مباشرة.

كذلك لم يتغير الموقف ايضا بالتغيرات التي حدثت داخل الوزارة القائمة في اواسط تشرين الاول عندما عين عمر نظمي وزيرا للداخلية، وعلي جودت للخارجية، والرجل المتحمس لحركة الفتوة الدكتور سامي شوكت (شقيق ناجي شوكت) وصادق البصام للوزارتين اللتين استحدثتا انذاك وهما وزارتا الشؤون الاجتماعية، والاقتصاد، وعين جلال بابان لوزارة الاشغال، وحكم على المذيع العراقي في برلين يونس بحري بالاعدام غيابيا، ولكنه بقي في الواقع على قيد الحياة وازدهرت حياته لسنوات كثيرة قادمة.

---

(٧) كان نوري السعيد منذ ان امسك بناصية السياسة والحكم في العراق، يبتدع مشروعات وخططا لم يكن حتى دهاقنة الانكليز يفكرون فيها، او يقدمون على التحدث بها. فما كان نوري السعيد يفكر فيه عند اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية هو ارسال كتيبة على الاقل من الجيش العراقي لكي تحارب الى جانب الحلفاء ضد دول المحور، كما فعل الصهاينة ذلك في حينه فارسلوا كتيبة من قواتهم شاركت في القتال الى جانب الحلفاء مما عزز من ثقة الحلفاء وعلى الاخص بريطانيا وامريكا وفرنسا، بالصهاينة، والاستجابة الى مطاليبهم، ومساعدتهم بعد انتهاء الحرب على تحقيق، ليس الوطن القومي اليهودي الذي وعدوا به خلال الحرب العالمية الاولى حسب، وانما انشاء دولة اسرائيل ركيزة الامبريالية في الوطن العربي والشرق الاوسط برمته، فاصبحت هذه الدولة المفتعلة، اداة فعالة في يد الامبريالية تحركها ضد اية حركة وطنية خالصة في الوطن العربي، وراحت بعد الهزائم المنكرة التي الحقتها بالحكومات العربية المتخاذلة المنصاعة لاوامر المستعمرين سواء في ذلك حرب سنة ١٩٤٨ ام حرب سنة ١٩٦٧، ام غزو لبنان وانهاء الوجود الفلسطيني فيه، الامر الذي عجل بضياع فلسطين الى الابد كما دلت عليه حوادث سنة ١٩٨٢ والسنوات التي اعقبتها، ولاسيما بعد ان حركت الامبريالية ايران تحت زعامة الخميني الى العدوان على العراق، وذلك للحيلولة دون تصدي العراق للمؤامرة الاستعمارية الصهيونية في تصفية المقاومة الفلسطينية، وطردها من لبنان نهائيا بتعاون حكومة دمشق في ذلك تعاونا مباشرا، وفرض الاحتلال الاسرائيلي على لبنان.

عقد اجتماع البرلمان في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني، وتحرك مرة اخرى للضغط على بريطانيا، في سبيل تحقيق افضل حل لقضية العرب في فلسطين، وقام رئيس الوزراء بزيارة خاطفة الى القاهرة لاجراء المزيد من المحادثات حول ذات الغرض. ولم تقم اية اهمية مغايرة لوصول اول وزير ياباني مفوض الى بغداد، في شهر كانون الاول ١٩٣٩، وقد بدا بان مهمته تختص بتطوير التجارة ليس غير بين البلدين.

وبحلول سنة ١٩٤٠ بقيت الاوضاع السائدة في العراق من دون تغيير بصفة ثابتة. اما الانشقاق الذي حدث بين ساسة العراق بالنسبة الى تأييد دول المحور او معاداتها، فلم يكن قد ظهر بصفة جلية بعد، وذلك لانه لم تتم تهدئة خصوماتهم، حيث كان الجميع يراقبون التطورات في اوربا على حد سواء. على ان ائتلاف العناصر المعادية للبريطانيين، داخل كتلة عسكرية مدنية فعالة، جعلها تقرر بان تفسر معاهدة سنة ١٩٣٠ بانها تنادي بالتزام الحياد التام، واذا مااقتضت الحاجة، ان تقرر الانسحاب من جانب الحلفاء، والالتجاء الى دول المحور. على ان مثل هذا التطور لم يحصل الا بعد الانتصارات التي احرزها الالمان في اواسط سنة ١٩٤٠، وسقوط فرنسا.

غير ان تأثير قضايا فلسطين وسوريا، وجهود المفتي التي لعبت دورا اكثر وضوحا في اثارة العواطف ضد البريطانيين، كانت من بين الوسائل التي جرى تحريكها واستعمالها خلال تلك السنة[8] وكان الوكلاء الروس ودعاياتهم، تراقب كل ذلك وتدين الامبريالية في علاقات بريطانيا بالعراق.

اشيع بان ضربة عاتية مدمرة قد اصابت وزارة نوري السعيد في اليوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني، تلك هي مقتل رستم حيدر وزير المالية بيد مفتش شرطة سابق متحمس للالمان[9]

---

(٨) حاول نوري السعيد منذ ان ... امين الحسيني الى العراق، ان يتظاهر بانه يريد التقرب من دول المحور. وقد افضى بذلك فعلا الى امين الحسيني بحضور جميل مردم في شهر كانون الاول ١٩٤٠. ولكن المفتي لم يقبل بالتعاون مع نوري السعيد، لانه كان واثقا من ان نوري السعيد يسعى بزعمه هذا الى اكتشاف مدى تعاون المفتي مع المحور، تمهيدا للايقاع به، وابلاغ الانكليز بكل نشاطات المفتي (راجع مذكرات غروبا: رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق: ترجمة اللواء فاروق الحريري ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١).

(٩) قتل رستم حيدر قبل ظهر اليوم الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٤٠ اما القاتل فهو مفوض شرطة مفصول من الوظيفة ولم يعرف منه انه كان من المتحمسين للالمان كما ذكر المؤلف ذلك هذا. وقد سرت اشاعات في حينها بان بعض المسؤولين قد حرضوا القاتل على ارتكاب تلك الجريمة ولذلك اوقف وزيران سابقان هما صبيح نجيب وابراهيم كمال، واثنان من المحامين نجيب الراوي وشفيق نوري السعيدي، وموظفان مفصولان هما المحافظ السابق احمد عارف قفطان، ومدير الشرطة حسن فهمي وغيرهم ممن اتهمهم القاتل بانهم هم الذين حرضوه على موضوع القتل. وقد اظهرت الدلائل بان نوري السعيد كان وراء توجيه تهمة التحريض الى المذكورين (الحسني: الوزارات العراقية ج ٥ ص ١١٦).

كان رستم حيدر قد ادى خدمة طويلة الامد مكرسة ومشكورة، مثل اي رجل اخر، للبلد الذي اختار الاقامة فيه. ولقد تم الاحتفال بدفنه في تكريم الى جانب جعفر العسكري. اما القاتل ابراهيم حسين فوزي، فقد انكر التهمة اول الامر، لكنه مالبث ان غير افادته لكي يوجه الجريمة الى الشخصيات التي زعم بانها كانت معادية للوزير القتيل، وكان من بينها ابراهيم كمال الذي تولى وزارة المالية في وزارة جميل المدفعي، وصبيح نجيب وزير الدفاع، واثنين من المحامين البارزين، ومحافظ سابق ومدير شرطة عام.

ضعفت حكومة نوري السعيد بعد ان فقدت الهدوء والقدرة الفائقة الموثوقة التي تميز بها رستم حيدر، ولذلك تمزقت هذه الحكومة نتيجة انشقاق واسع حدث فيها، اذ ضغط الوزراء الشيعة في الوزارة على ضرورة تشكيل محكمة عرفية وتطبيق الصراحة التامة المذكورة في القانون، في حين ارتأى الاخرون باحالة القضية الى المحاكم الاعتيادية وتطبيق الاجراءات التجريبية الكاملة. واذ وجد نوري السعيد بانه اذا ماأخفق في الاستجابة الى ذلك الطلب القوي، فانه سوف يثير مشاعر الشيعة، وانه ان واجه الامر بالعزيمة فسوف يتهم بتعقبه اثر العداوات الشخصية تحت شعار تلك الجريمة، ولذلك اقدم، وهو في غمرة تلك المعضلة، على تقديم استقالته في اليوم الثامن عشر من شباط سنة ١٩٤٠ (١٠).

كان الخلف المتوقع، على نطاق واسع، لنوري السعيد في رئاسة الوزارة هو رشيد عالي الكيلاني، رئيس الديوان الملكي منذ سنة ١٩٣٩، والذي لم يكن في هذه اللحظة قد شارك في تكوين سياسة العراق خلال الحرب.ولكن هذه اللحظة اثارت الشكوك في احتمال تدخل رؤساء الجيش في الامور السياسية مرة اخرى. طلبت الجماعة التي كان يتزعمها كل من حسين فوزي، وامين العمري الذي كان يعارض بصفة عامة كلا من نوري السعيد وطه الهاشمي، الى رشيد عالي بان يقبل بتأليف الوزارة، وفاتحت الوصي حول الاقتراح ذاته. غير ان فريقا اقوى منافسا لذلك هو فريق جماعة «المربع الذهبي» كان قد سمع بهذه المبادرة، ولذلك اجتمع هؤلاء فيما بينهم، واستفزوا نوري السعيد، وانذروا ماتحت ايديهم من قوات في معسكر الرشيد بان تتزود بسلاحها وتستعد للعمل، مثلما فعل ذلك منافسوهم في معسكر الوشاش.

استطاع نوري السعيد وطه الهاشمي الوصول ليلا الى الوصي الشاب الذي واجه الان اول

---

(١٠) يذكر صلاح الدين الصباغ في مذكراته ان نوري السعيد كان قد دعاه هو وفهمي سعيد، ومحمود سلمان وكامل شبيب وسعيد يحيى، واسماعيل نامق الى داره لتناول العشاء في مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٠، واعرب لهم عن رغبته في ضرورة تخلي وزارته عن الحكم، والذلك فقد اتفق مع طه على اسناد رئاسة الوزارة الى رشيد عالي الكيلاني، على ان يصبح هو (اي نوري) وزيرا للخارجية، ويبقى طه على رأس الجيش حيث هو. ولقد سأله فهمي ان كان جادا في قوله فاجاب نوري بالايجاب قال فهمي : ماهذا ياباشا انه امر لم يكن بالحسبان ولاندري ماذا نجيبك انت تعلم لماذا اسندت رئاسة الوزارة اليك وكيف تم ذلك؟ (صلاح الصباغ : فرسان العروبة في العراق ص ١٢٢).

ازمة من الازمات العديدة التي واجهته، ونصحاه بان يقدم على اتخاذ اجراء مباشر ضد رئيس اركان الجيش وتابعه. تخلى انذاك رشيد عالي عن محاولة تأليف الوزارة، ولذلك ادى الضغط الذي مارسه فريق العقداء الاربعة على نوري السعيد، والميل الذي اظهره عبد الاله، الى ان يعود نوري السعيد الى تولي رئاسة الوزارة مجدداً في اليوم الحادي والعشرين من شباط ١٩٤٠ (١١) وعلى هذه الشاكلة مرت ازمة التدخل العسكري.ولقد رضي الضباط الاربعة الكبار لحظتئذ بما حدث، وتم طرد منافسيهم في القيادة العليا(١٢).

ولكن قضية مقتل رستم حيدر بقيت قائمة ولابد من مجابهتها. لم تختلف الوزارة الجديدة، ولاحيرة الجماهير فيماكان يجري عماكان عليه الامر في السابق، الا في تبادل الحقائب الوزارية بين سامي شوكت وصالح جبر وتعيين رؤوف البحراني وزيرا للمالية. كان خطاب التدشين الذي القاه نوري السعيد مصيبا لكنه كان تافها، ذلك لان اهتمام الوزراء والجماهير قد تركز حول قضية مقتل رستم حيدر التي احيلت الى محكمة عرفية. فقد ظهر بان القاتل كان مجرما عاديا فتم شنقه(١٣)، كما تم الحكم على صبيح نجيب بالسجن لمدة سنة بتهمة اثارة الكراهية ضد الحكومة، وربما طبق هذا الحكم ترضية للشيعة(١٤) في حين برئت ساحة المتهمين الاخرين لعدم توفر الادلة ضدهم.

لم يرض صالح جبر بقرارات المحكمة، فاستقال من الوزارة، ولم تكن استقالته تلك تؤلف الشاهد الوحيد حسب على التفكك الذي اصاب الوزارة، ولذلك لم يعد نوري السعيد الذي تعب ومرض من هذه القضية، ومن الضغط الذي انصب عليه من الرأي العام، ومن عصابة الجيش مرة اخرى بسبب سياسته التي اتهم فيها بانه ممالئ للبريطانيين، راغبا في التشبث بمنصب رئاسة الوزارة، ولذلك قدم استقالته مجددا في اليوم السابع عشر من اذار.

---

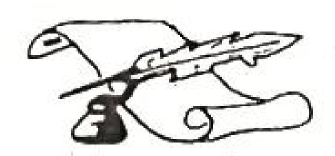
(١١) تلك هي وزارة نوري السعيد الخامسة التي ضمت نوري للرئاسة والخارجية وكالة، وعمر نظمي للداخلية والعدل وكالة، وطه الهاشمي للدفاع، وصادق البصام للاقتصاد، ومحمد امين زكي للمواصلات والاشغال، سامي شوكت للتربية، صالح جبر للشؤون الاجتماعية.

(١٢) هم كل من حسين فوزي وامين العمري، وعزيز ياملكي الذي احيلوا على التقاعد في ٢١ شباط.

(١٣) صدر قرار المحكمة باعدام قاتل رستم حيدر في يوم ٢٦ اذار ١٩٤٠ ونفذ فيه في فجر يوم الاربعاء ٢٧ اذار وكان نوري السعيد قد طلب الى طه الهاشمي بان يعجل في تنفيذ حكم الاعدام، ولذلك فلم يبلغ المحكوم بالاعدام الا قبل تنفيذه بدقائق. ونقلا عما اورده العقيد سعيد يحيى الخياط الذي ناب عن وزارة الدفاع في حضور عملية الاعدام كما طلب ذلك نوري السعيد بنفسه، فان المتهم هتف بحياة هتلر وبسقوط نوري السعيد الذي علمه الانحراف.

(١٤) راجت اشاعة في حينها بان رستم حيدر لم يوافق على تعيين صبيح نجيب وزيرا مفوضا للعراق في احدى العواصم، وعلى هذا اضمر صبيح نجيب العداء لرستم حيدر وراح يحرض على قتله. وقد كان لهذه الاشاعة قبولها بين رجال السياسة من الشيعة وتأثيرها فيهم. ولذلك اراد نوري السعيد باعلان الحكم بسجن صبيح نجيب لمدة سنة ترضية اولئك الرجال، لكنه، اي نوري، بعمله هذا يكون قد ثبت تهمة التحريض على صبيح نجيب.

لم يكن للتقلبات السياسية التي تجري في بغداد، كالعادة، اي تأثير كبير على الحوادث التي كانت تقع خارج غرف مجلس الوزراء. ذلك لان الحياة العشائرية بندر ان تعي الازمة الراهنة، بل ان تعي الحرب ذاتها في الواقع. فقد وقع قتال عنيف بين فريقين من قبيلة عنزة قيل عنه بانه كلفها مائتي قتيل. ولم تستمر العداوات التي انطلقت في اواخر سنة ١٩٣٩ بين العبيد وشمر، كما توفي عجيل الياور رئيس شمر القوي في سلطته، والمتصف بكل صفات المشيخة في اواخر ١٩٤٠ [١٥] وخلفه في المشيخة ولده «صفوق». وشهد شمال العراق حادثة حركت الرؤوس بين اليزيدية، وذلك حين هربت زوجة الامير سعيد شيخ اليزيدية، الشابة الى سوريا في موجة من السخط العارم. كذلك غادرت بغداد بعثة عسكرية من الضباط العراقيين الى اليمن تلبية لطلب من امام اليمن. كذلك كمل الجسر الثاني الحديدي الذي بنته شركة «هولواي اخوان»، وكان طوله تسعمائة قدم وقد سمي الان باسم جسر الملك فيصل الاول [١٦].



(١٥) وقعت هذه الحوادث عندما عبرت حشود من شمر، وعلى الاخص من فرع «الصايح» منها، نهر دجلة الى منطقة الحويجة المحاذية لكركوك والتي يكاد العبيد ينفردون بسكناها وزراعتها منذ ازمان قديمة بل ان المنطقة عرفت باسم «حويجة العبيد» منذ العهد العثماني.

(١٦) كان هذا الجسر قبلا مؤلفا من قوارب على غرار الجسر القديم، وقد بناه الانكليز بعد دخولهم بغداد سنة ١٩١٧ واطلقوا عليه اسم «جسر مود» تخليدا لذكرى الجنرال ستانلي مود فاتح بغداد.

٤ ـ الكيلاني والهاشمي

كانت النصيحة التي ازجاها رشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان الملكي الى الوصي تنطوي على ان يعود الوصي ، ان استطاع الى تأليف وزارة من كل الاحزاب ، وتكون قادرة على توحيد الولاءات ، وتجنب ضغط الجيش ، وعلى اساس ذلك عقد اجتماع في القصر حضره كل رؤساء الوزارات السابقين ، نوري السعيد ، والاخوان السويديان ناجي وتوفيق ، وناجي شوكت ، وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي . وقدم هؤلاء كلهم الى عبد الاله ، وعودهم بمساندة اية وزارة قد يتم تعيينها . ولقد اقترح نوري السعيد تعيين رشيد عالي رئيس الديوان الملكي ، الامر الذي وافق الوصي عليه وعلى هذه الشاكلة تألفت اول وزارة خلال اربع سنوات ، تتولى الحكم من دون ضغط من جانب الجيش ، وكانت هذه الوزارة تعلق امالا كثيرة على الاستقرار ، والتي اعلن رئيس الوزراء الجديد عن تأليفها في اليوم الحادي والثلاثين من شهر اذار سنة ١٩٤٠ ، تضم ناجي شوكت لوزارة العدل ، وناجي السويدي للمالية ، ونوري السعيد للخارجية ، وطه الهاشمي للدفاع ، وعمر نظمي للمواصلات والاشغال ، ومحمد امين زكي للاقتصاد ، وصادق البصام للشؤون الاجتماعية ورؤوف البحراني للتربية ، واحتفظ رشيد عالي بمنصب وزير الداخلية في يديه .

بدا وكأن تعيين نوري وطه سوف يدعم استمرار الوزارة ، وان هذا التشكيل يشير الى قيام جبهة موحدة لحكومة ائتلاف وطني ، كما زعم ذلك عنها . كذلك اعلن المنهاج الوزاري موقفا ينطوي على الصحة التامة ازاء التحالف مع بريطانيا . وكانت الاوضاع خلال ١٩٤٠ ، على حدة من الامور السياسية والموقف ازاء الحرب ، قد بدت وكأنها غدت مضمونة ويمكن تحملها حين كان يؤمل ذلك .

تم اطلاق سراح عدد من المتهمين الذين حكمت عليهم المحاكم العرفية في عهد الوزارات السابقة ، وانهيت حالة الطوارئ في معسكر الرشيد منذ شهر اذار ١٩٣٩ ، وصدر العفو عن صبيح نجيب واطلق سراحه . وما لبثت هذه الوزارة التي اطلقت عليها بعض الاوساط اسم الوزارة

الكيلانية ، ان اعلنت الحرب على انحطاط الاخلاق ، اذ اغلقت اماكن اللهو الشريرة ، والخمور ، واجرت التحسينات في ابنية الاوقاف بكل مباهاة ، ووضع حجر الاساس لتشييد مسجد فيصل[1] ، وفرضت الرقابة ضد الافطار العلني في شهر رمضان ، بصفة مشددة ، فاغلقت كل المطاعم اثناء النهار . كذلك كمل القسم الممتد من سكة الحديد بين بيجي والموصل ، فاصبح بنفقه الطويل في النهاية ، يسمح بالسفر المباشر بين بغداد واسطنبول ، وان كانت القاطرات المتوفرة للعمل في هذا الخط نادرة جدا . كذلك كان العمل يسير في مستودع الحبانية قدما .

وعاد انتاج النفط الى مستواه الاعتيادي بعد فترة التوقف التي استمرت طيلة شهر ايلول سنة ١٩٣٩ ، وبقي خطا انابيب النفط يعملان الى ان تم وقف ضخ النفط في خط طرابلس في تموز سنة ١٩٤٠ ، داخل الاراضي التي تحتلها حكومة «فيشي» . وازداد الاقبال كثيرا على زراعة القطن فتم انتاج خمس وعشرين الف بالة منه ، وتحقق مشروع احتكار الحكومة للتبوغ ، الامر الذي اثار حزن الكثيرين من زارعي التبوغ من الاكراد الذين عطلت حريتهم في التصرف بتلك التبوغ ، وجرى تشجيع الزراعة في كل مكان باخذ النظر الى الاكتفاء الذاتي القومي الكامل ، وان كانت الفيضانات الخطيرة التي حدثت في فصل الربيع ، قد اخذت تذكر بوجوب اتخاذ الحيطة والحذر .

اخذت الحياة التجارية والصناعية تتلهف لتضمن مستواها الاعتيادي بل وحتى التفوق عليه . فقد انشئت جمعية تعاونية طموحة لانتاج المعلبات . وكان المصرف الزراعي منهمكا في تقديم القروض الى المزارعين ، وبيع الالات الزراعية وخدمتها ، في الوقت الذي قدم فيه المصرف النقود الى محلج القطن الجديد في الوزيرية ، وحصل على حصص له في شركة السمنت ، وساعد في مشروع انتاج الزيوت النباتية ، كما سار العمل قدما في بناية الهاتف الذاتي في بغداد .

كانت ميزانية سنة ١٩٤٠ – ١٩٤١ التي خصصت الثلث من كل الايرادات للجيش ، قد وجدت متسعا لها للعمل في اكمال مشاريع ابي غريب ، والحويجة ، وسد ديالى ، وتحسين النهر في الشامية ، وبناء السدود حول بغداد . وكان الائتمان الذي تسمح به المصارف والصيارفة يجري تمديده او تحديده وفقا لانباء الحرب ، في حين كانت الاسعار في الاسواق ترتفع وتهبط ، ورقابة الحكومة على الميدان الاقتصادي غير مطبقة ، بل كانت في الواقع تافهة الى درجة كبيرة . لقد كان النقص الحاصل في الشحن ووسائل النقل ، عائقا خطيرا امام تجارة التصدير سواء اتم

---

(١) هو الجامع المعروف الان باسم جامع ١٤ رمضان والذي لم يكمل بناؤه الا في سنة ١٩٦٩ .

نقلها بحرا ام بالطرق البرية . ولقد قامت بعثة تركية بزيارة مدينة البصرة على امل ان تحقق فتح بوابة جنوبية يمكن الدخول منها الى بلاد تركيا . كذلك كان فقدان الفرنسيين لشراء الاصواف من الامور التي يحس بها احساسا شديدا ، في الوقت الذي بدت فيه المتاجرة مع اليابان ، على النقيض من ذلك ، تطرد في تطورها السريع .

راحت وزارة الشؤون الاجتماعية التي اوحى اليها الدكتور سامي شوكت ، بالخطوط الاساسية لفلسفة المحور ، تضغط بشدة لتحقيق مستوى اعلى في نسبة الولادات ، وتضع التشريعات التي تشجع المهور الواطئة ، والزواج المبكر في ذات الوقت الذي راحت فيه تلح على تحقيق تطور اكمل لنقابات العمال . كما انها قامت للمرة الاولى ، بتنفيذ قانون حصر بعض الحرف بالعراقيين لوحدهم ، كذلك تقدمت بلائحة قانون يجبر الاقطاعيين في مناطق متلاصقة على بناء اكواخ للمزارعين العاملين لديهم . وقامت دائرة الاثار القديمة التي تولى «سيتون لويد» منصب المستشار فيها منذ سنة ١٩٣٩ باجراء التنقيبات في سامراء ، وفي جبل سنجار سنة ١٩٣٩ ، وفي موقع مدينة واسط خلال الفترة ١٩٣٩ - ١٩٤١ ، وعادت احدى البعثات الالمانية الى التنقيب في موقع الوركاء ايضا في سنة ١٩٣٩ .

وبالنسبة الى الحركة السياسية فانها كانت منذ اوائل صيف ١٩٤٠ ومابعده ، في حالة من الشك في القرارات وفي الوحدة المزعومة ، الى الانقسام الواضح في المواقف . وما ان هيأ خمود الحرب مجالا لسلسلة من الانتصارات الالمانية وما اعقب ذلك من سقوط فرنسا ، ودخول الحلفاء الى ايطاليا ، فان كثيرا من العراقيين لم يعودا يرون في الانضمام الى بريطانيا ، شيئا سوى الاستنكار الذاتي للفريق الخاسر في الحرب .

رأى زعماء الجيش ، بالجبلّة التي طبعوا عليها ، وبالدعايات التي هضموها ، انه لم يعد هناك مجال للتردد . فقد كانوا يجدون في كل ضغينة قديمة ضد الانكليز دعماً جديدا للمنطق الذي يجادلون به وللمصلحة القومية ايضا ، ولذلك اعترفت معظم التقلبات السياسية او النحسة او القلقة ، بقيمة الانضمام بصفة ضمنية الى جانب المنتصرين المتوقع انتصارهم . وكان فشل الجهود التي بذلت اخيرا خلال صيف ١٩٤٠ للحصول من البريطانيين على بعض التأكيدات عن مستقبل فلسطين ، او بعض الميل المأمول نحو تحرير سوريا ، كل ذلك قد تم استغلاله من قبل المفتي امين الحسيني وكثير من اصدقائه . ولقد تم تكريم الوزراء السوريين الذين زاروا بغداد في اواخر السنة ، وهم كل من جميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ولطفي الحفار ، بحماسة منقطعة النظير باعتبارهم شركاء في النضال ضد الامبريالية .

قطعت العلاقات الدبلوماسية مع الدانمارك في الوقت الذي كان يجب ان تقطع فيه ، بعد ان اجتاح هتلر تلك البلاد . اما العلاقات مع ايطاليا التي اصبحت مفوضيتها في بغداد مركزاً لنشاط المحور ، فلم تقطع عندما دخل موسوليني الحرب في اليوم العاشر من شهر حزيران ، ولذلك

ذهبت اعتراضات السفير البريطاني واحتجاجاته سدى على عدم قطع العلاقات مع ايطاليا ، واطلق سراح الايطاليين القلائل الذين تم احتجازهم فعادوا الى بلادهم . ولما اخفق نوري السعيد في ان يحمل الوزارة معه في هذه القضية ، وفي قضايا اخرى مماثلة ، فقد استقال احد الوزراء وهو محمد امين زكي [٢] .

انتقلت لهجة الصحافة من الحياد المطلق الى التأييد المكشوف لدول المحور . وبدلا من ان يكبح رئيس الوزراء جماحها فانه اخذ يشجعها . وفي نهاية السنة وجدت بريطانيا ان هناك صعوبة بل الواقع ان من المستحيل تزويد الجيش العراقي بالسلاح ، كما ادى ترددها في توفير الدولارات لحليف لها بقصد شراء السلاح ، الى انفجار السخط العنيف لدى الموظفين العراقيين ورجال الجيش ، والى سفر بعثة المشتريات العراقية الى الولايات المتحدة الامريكية .

ساعدت الزيارة المشتركة التي قام بها كل من نوري السعيد وناجي شوكت الى انقرة في اواخر شهر حزيران على ان يفضي نوري السعيد ، عند عودته ، بانباء تفيد بان الاتراك قد نصحوه بضرورة التضامن مع بريطانيا . ومهما يكن الامر فان ناجي شوكت الذي كان الان يتزعم الجناح المناهض للبريطانيين في الوزارة ، كان ابعد من ان يتقبل مثل هذه النصيحة في النهاية . ولقد مكث مدة اطول في العاصمة التركية ، وزار اسطنبول ، واستقبل من قبل السفير الالماني فون بابن نفسه ، وليس هناك شك في ان الدافع لذلك اللقاء بينهما انما كان ينطوي على التساؤل عن موقف الالمان من العالم العربي في حالة انتصار دول المحور . وكانت نتيجة هذه المحادثات صدور بيان الماني يتضمن العطف تجاه العرب ، وذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول ١٩٤٠ ، حيث كرر نشر ذلك البيان ، واعيد ، في الوقت ذاته ، فتح الاتصالات البرقية بين بغداد وكل من روما وبرلين بصفة ملحوظة .

وبانتهاء سنة ١٩٤٠ غدا الانقسام الظاهر لدى الرأي العام العراقي ، وفي داخل الوزارة ذاتها ، واضحا تماما للجميع . فالفريق الذي يضم نوري السعيد وجميل المدفعي وغيرهما من المدافعين عن نظرية الالتزام بالمعاهدة ، قد فقد الارضية التي يقف فوقها ، في حين غدا الفريق الذي يضم ناجي شوكت وقادة الجيش والصحافة في حالة تصاعد . ولم يلبث ناجي شوكت ان قام بزيارة انقرة مرة اخرى في شهر ايلول سنة ١٩٤٠ ، ومكث هناك بضعة اسابيع لاسباب صحية .

---

(٢) نعتقد ان استقالة امين زكي كانت بتحريض من نوري السعيد لان وجهة نظر امين زكي في مماشاة بريطانيا مشابهة لنظرة السعيد نفسه وبالفعل فان استقالة امين زكي قد مهدت السبيل الى تفكك الانسجام الوزاري في وزارة رشيد عالي حيث ظهر ذلك التفكك بارزا بعد ان تطورت الامور واستقال ناجي شوكت ونوري السعيد من منصبيهما واحدث ذلك ازمة شديدة للوزارة الكيلانية .

غدت المفوضية الايطالية في بغداد ، والتي لم يعد مستطاعا احتمال وجودها ، تتمتع بالشهرة . ويبدو ان الوقت قد اخذ يقترب حين تبدأ الجهود المبذولة عملها لايجاد قاعدة تفصيلية للتعاون مع الالمان .

مايزال رئيس الوزراء قلقاً بشأن الاحتفاظ بموطئ قدم له ، سواء في اي من المعسكرين ، او الدخول في علاقات وثيقة من العطف ووضع سياسة مع المحور ، وان وضعه لابد ان يحدد له الى حد ما ، زعامة ذلك الوضع ، لكنه جوبه باستياء مكشوف من لدن الحكومة البريطانية نتيجة قصر نظره باعتباره حليفا ، اكثر من قطعه العلاقات مع المانيا ، ولذلك اخذ يواصل الاعراب عن اخلاصه لتمسك العراق بالالتزامات التي تفرضها المعاهدة ، والتألم من الشكوك غير المحققة التي ابداها كل من السر بازل نيوتن ، والسيد انطوني ايدن ، ولذلك فانه كان في الواقع ابعد رغبة في ذلك الوقت من ان يثير ازمة مع بريطانيا .

مالبث نوري السعيد الذي هدد بالاستقالة من الوزارة ، ان ضبط اعصابه لحظتئذ ، نتيجة خوفه الذي شاطره فيه الوصي ، من ان غيابه عن الحكم سوف يبقي المؤثرات السيئة قائمة . نقلت تلميحة من الوصي الى نوري السعيد بان استقالته كان مرغوبا فيها ، لكن تلك التلميحة امكن الرد عليها بالزيارة التي قام بها للقصر ثلاثة من اعضاء الوزارة هم طه الهاشمي ، وناجي السويدي ، ورشيد عالي نفسه [٣] للاحتجاج بشكل صائب تماما بانه لايحق للملك في العراق على الاقل ، ان يطرد وزراءه اذا ما حدث ذلك بطلب من دولة اجنبية . وعلى هذا رفض رشيد عالي ان يستقيل ، في الوقت الذي امتنع فيه الوصي عن الدوام في البلاط وتوقيع الاوراق الرسمية .

اشتملت المحادثات الاخرى في القصر على اقتراح بان يبقى رشيد عالي رئيساً للوزارة ، وحينذاك يمكن تحقيق الوحدة بين اعضاء الوزارة ، باستقالة كل من نوري السعيد وناجي شوكت في آن واحد . وما ان اقتنع نوري السعيد بهذا الرأي حتى استقال من منصبه في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤١ ، في حين استقال ناجي شوكت بعد اربعة ايام من ذلك التأريخ ، وقد استعيض عنهما بكل من السيد علي محمود الشيخ علي المحامي ، والقومي المتطرف ، يونس السبعاوي ، وهو شاب «مصلاوي» سياسي وصحفي .

غير ان قلق الوصي كان قد تعاظم في الوقت ذاته . فقد اظهر رشيد عالي ثقة عالية ، تقوم على اساس علاقاته الوثيقة الدائمة مع قادة الجيش ، وقد غدا واضحا بانه لامهرب من مجابهة الحالة . وفي السادس والعشرين من شهر كانون الثاني قررت اغلبية الوزراء ، على الرغم من

---

(٣) جاءت مقابلة هؤلاء لعبد الاله بعد الاجتماع الذي عقدته هيأة الوزارة بكاملها في البلاط بحضور الوصي وذلك في اليوم السابع عشر من كانون الاول سنة ١٩٤٠ .

معارضة رئيس الوزراء ، ان تتجنب الازمة ، وذلك بان يستقيل الاعضاء الباقون فيها وبهذه الطريقة تنحل الوزارة . تم اعداد صيغة الاستقالة ، ولكن الفريق محمود سلمان ، واجه الوصي نيابة عن العقداء الاربعة ، واكد له علانية بان الجيش قرر مساندة حكومة الكيلاني وصيانتها ، ونوه بالالم الذي سوف يحدثه العمل العسكري المباشر الذي هدد به حالا . وافق الوصي الذي كانت تعوزه القوة ، على ان يرفض استقالات الوزراء ، وان يملأ المناصب الشاغرة في الوزارة لكي تبقى حية .

في الثامن والعشرين من كانون الثاني صدرت ارادة ملكية بتعيين كل من المحامي والنائب محمد علي محمود ، والثري الرحالة والموظف السابق في السلك الخارجي موسى الشابندر ، في منصبين وزاريين . ومع كل ذلك فقد عانت وزارة الكيلاني ثلاثة ايام اخر من الاضطراب . ذلك لان لهجة مجلس النواب الذي انعقد في اليوم الثلاثين من الشهر ذاته ، كانت شديدة في النقد الذي وجه الى رئيس الوزراء ، ولذلك طلب الكيلاني الى الوصي بان يصدر ارادة ملكية بحل مجلس النواب . اما عبد الاله فانه ، لكي يكسب الوقت ، ويهرب من الاكراه الذي فرضه الجيش عليه ، غادر بغداد الى الديوانية وسكن هناك مع آمر الفرقة الرابعة المخلص ابراهيم الراوي .

اثارت هذه الحركة رشيد عالي الذي بعث باستقالته من رئاسة الوزارة برقيا وبعبارات يطغي عليها نفاد البصر ، الى الوصي في الديوانية ، واذ ذاك استدعى الوصي اكبر رجال الدولة سنا لكي يقدموا اليه في الديوانية[4] وقد علم من هؤلاء ، بان البديل المفتوح امام ذلك ، اما قيام حرب اهلية ، او تأليف وزارة جديدة برئاسة طه الهاشمي الذي يقبل به اعضاء المربع الذهبي بدلا من الكيلاني ، وبذلك صدرت الارادة الملكية بتأليف الوزارة الجديدة في اليوم الاول من شهر شباط سنة ١٩٤١ حيث عاد عبد الاله الى بغداد بعد ثلاثة ايام من ذلك التأريخ ، واصبح واضحا الآن بان كل شيء يعتمد على اخلاص رؤساء الجيش لطه الهاشمي ، وعلى سلطته التي يستطيع بها ان يسيطر عليهم .

---

(٤) كان من بين هؤلاء ، محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان ، وطه الهاشمي ، وناجي السويدي ، وجميل المدفعي ، وعلي جودت وصادق البصام . ولكن بعد ان اجتمع هؤلاء ومعهم مولود مخلص رئيس مجلس النواب في دار السيد محمد الصدر تقرر ان يذهب محمد الصدر وطه الهاشمي وصادق البصام الى الديوانية لمقابلة الوصي ، حيث استقل الثلاثة طائرة من القوة الجوية الى الديوانية ، حيث اختلى الوصي مع محمد الصدر برهة من الزمن ، ثم استدعى طه الهاشمي بحضور محمد الصدر وكلفه بتأليف الوزارة . ويذكر صلاح الدين الصباغ في مذكراته ان طه الهاشمي قد اجتمع بالقادة الاربعة وذكر لهم بان الوصي قد يكلفه بتأليف الوزارة وانه سيقبل بها ان ابدى العقداء على شرط ان تسير الوزارة ضمن حدود المعاهدة كما طلب الصباغ ذلك ، فوافقهم على هذا الشرط (الصباغ ص ٢٠٣) .

وضع رئيس الوزراء الجديد منصب وزير الدفاع في يديه ، واعطى وزارتي الداخلية والعدل الى عمر نظمي ، ووزارة المالية الى المالي المقتدر ممتاز الدفتري ، والاقتصاد الى السيد عبد المهدي ، والتربية الى صادق البصام ، والشؤون الاجتماعية الى القومي الشهير وملاك الاراضي حمدي الباجة جي ، في حين عهد بمنصب وزير الخارجية الى توفيق السويدي . وخلال الزيارة التي حددت مؤخرا بالتوجه الى القاهرة في اواخر شباط لمقابلة انطوني ايدن ، والتي قد يسمح الوقت للوزارة بانجازها(٥) ، تلقت الوزارة نفحة اخرى من المشاعر المؤيدة للبريطانيين كانت قد دارت قبلا لدى بعض الوزراء ، ولدى البلاط ايضا . كذلك قدمت نصيحة في هذا المعنى من قبل الوزير الامريكي المفوض في بغداد السيد بول نابنشو ، ومن مبعوث الرئيس الامريكي العقيد دونوفان الذي كان يزور العراق آنذاك .

استقبلت الوزارة استقبالا حسنا من لدن البرلمان ، وظفرت بشيء من الشعبية ، نتيجة الزيادة التي اجرتها في مرتبات الموظفين ، واقدامها بصفة مقبولة ، على انجاز اعمال الاغاثة والانقاذ التي اقتضتها الفيضانات المدمرة التي حطمت سكك الحديد والاراضي الزراعية . ولذلك شعرت الوزارة بالقوة على ان ترفض الطلب الذي تقدم به رشيد عالي الكيلاني وعصابته المؤلفة من رفاقه ناجي شوكت ، وعلي محمود الشيخ علي ، ويونس السبعاوي ، وداود السعدي في السماح لهم بتأليف حزب سياسي باسم (حزب الشعب)(٦) ..

على ان مهمة مصالحة قادة الجيش حيث تقوم مجموعة رشيد عالي من الساسة المتلهفين للحكم والمتشددين ضد الوصي ، رغم ما كان يحيط بالوصي من النصحاء المعتدلين ، اصبحت مصالحة قادة الجيش مهمة مستحيلة وذلك لان رئيس الوزراء لم يستطع ، او انه لم يكن يرغب ان يقرر سياسة محددة في اي من هذين الاتجاهين . اما اعضاء المربع الذهبي الذي سبق لهم ان تخلوا عن ولائهم لنوري ، فانهم قد تخلوا عن هذا الولاء لطه الهاشمي تماما ، وزاد تقربهم من فئة رشيد عالي ، وذلك لانهم قد اخذوا يشعرون بان مركزهم غدا مهددا ، وان الضربة الاولى التي

---

(٥) اراد السفير البريطاني في بغداد ان يطير طه الهاشمي نفسه الى القاهرة لمقابلة انطوني ايدن اثناء وجوده في القاهرة . ولكن طه اعتذر بكثرة الاشغال فتقرر ارسال توفيق السويدي وزير الخارجية لهذا الغرض حيث غادر بغداد في اليوم السادس من شباط ١٩٤١ ويذكر السويدي في مذكراته بان النقاط التي عرضها على انطوني ايدن اثناء اجتماعه به تناولت مسألة تزويد الجيش باسلحة عصرية واجراء تسهيلات في دفع اثمان هذه الاسلحة ومد الحكومة العراقية ببعض القروض المالية ، وقبول ضباط عراقيين في المؤسسات العسكرية البريطانية. وكانت مطالب ايدن تتركز في قطع العلاقات مع ايطاليا والسماح للقوات البريطانية بالتحشد في العراق ، واقصاء العقداء الاربعة واتباعهم ، او تشتيت شملهم على الاقل. ومن هنا نرى ان حركة نقل كامل شبيب الى "الديوانية قد جاءت بناء على الرغبة التي ابداها ايدن .

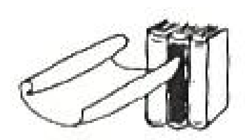
(٦) قدم هؤلاء السادة طلبهم بتأليف الحزب المذكور الى وزارة الداخلية في يوم ٢٧ آذار ١٩٤٠ ولم يحصلوا على جواب طيلة بقاء وزارة طه الهاشمي في الحكم .

تنقلوها قد ادت الى الخوف الذي حدث في اليوم السادس والعشرين من شهر آذار ١٩٤١ حين تم نقل احدهم ، كامل شبيب ، بعيدا عن بغداد .

كان لابد من اجراء تنقلات اخرى تعقب ذلك ، وان تتطور حملة الوصي لتحطيم المربع الذهبي . على ان اعضاء المربع سرعان ماتجاهلوا امر نقل زميلهم ، ولم يكن لدى طه الهاشمي من القوة على تنفيذ ذلك الامر ، وكان الوعد النادر الذي صدر من القادة في آخر يوم من جلسة البرلمان في الحادي والثلاثين من آذار هو انهم قد «اقسموا ، بشرفهم العسكري ، بانهم سوف يتخلون عن التدخل في السياسة» ولكن ذلك الوعد كان عديم القيمة بكل جلاء .

وفي ليلة اليوم الاول من شهر نيسان ، اجتمع القادة الاربعة مع امين زكي سليمان نائب رئيس اركان الجيش ، لاعلان حالة الطوارئ في معسكر الرشيد ، وتحريك قوات الجيش الى نقاط معينة حول بغداد وحول القصر ايضا . كذلك قام احد المتحدثين باسمهم (٧) بزيارة طه الهاشمي ليلا ، وطلب اليه ان يقدم استقالته وانبأه بان وزارته يجب ان لاتبقى سوى يوم واحد ، ومع ذلك فان الحوادث التي وقعت بعد ذلك قد جرفت الوزارة جانبا . فلقد هرب الوصي من قصره ليلة الاول من نيسان ، والتجأ الى الوزير الامريكي المفوض نابنشو فمكث لديه بضع ساعات حيث نقله هذا الى الحبانية ، وقد التقى الوصي بضع دقائق مع السركنهان كورنواليس ، الذي وصل الى هناك في مثل هذه اللحظات الحرجة ليتولى منصب السفير البريطاني في بغداد ، ومن الحبانية تم نقل الوصي جوا الى البصرة .

كانت الامال معقودة على امكانية ايجاد قاعدة قوية للمساندة في ميناء البصرة ، ولهذا السبب اصدر الوصي بيانا يدعو فيه الى تلك المساندة ، غير ان حامية البصرة التي بدا عليها التردد في اول الامر ، مالبثت بعد ذلك ان تلقت اوامر من بغداد «باحتجاز الوصي واعتقاله ، واستبدال محافظ البصرة صالح جبر الذي استقبل الوصي بكل اخلاص ، ولهذا اضطر الوصي في سبيل تحقيق سلامته ، ان يلجأ الى احدى البوارج البحرية البريطانية التي كانت تقف في نهر شط العرب ، ومن ثم تم نقله جوا ومعه علي جودت وجميل المدفعي الى عمان» .



(٧) هو المرحوم العقيد فهمي سعيد وقد صحبه في زيارة الهاشمي امين زكي وكيل اركان الجيش .

(٨) انظر تفاصيل هرب الوصي الى الحبانية في مذكرات ستدرسن ص ٢٦٦ وما بعدها الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

٥ ـ حرب الثلاثين يوما
ثورة ايار الوطنية ١٩٤١

فرض المربع العسكري وقواته، السيطرة على بغداد. وما ان سيطر القادة على ذلك تماما حتى اعلنوا عن تأليف «حكومة الدفاع الوطني» التي تجسدت في مجلس، يضم القادة الاربعة ورئيس اركان الجيش. وكان رشيد عالي هو الرئيس الاسمي لذلك المجلس يصحبه فيه اثنان من اتباعه المقربين اليه. وفي اليوم الثالث من نيسان اصدر الفريق امين زكي بيانا معاديا بعباراته القوية جدا للوصي، وبتوجيه اذاعة تطالب بالدعم الجماعي للحكومة، واعقبه بعد ذلك رشيد عالي ببيان آخر برر فيه وضعه ووضع الجيش، وبين فيه بان سياسته سوف تكون احدى السياسات التي ترمي الى «عدم توريط البلاد في اخطار الحرب والقيام باداء رسالتها القومية، والمحافظة على تعهداتها الدولية».

كان تشريع نظام الحكم الجديد اقل يسرا. فقد تمت دعوة البرلمان للانعقاد بدعوة وجهها نائب رئيس البرلمان السيد علوان الياسري، وكان هذا الاجراء يمثل خطوة غير قانونية، وذلك لان عقد اجتماع البرلمان، يتطلب – وفقا للدستور – صدور ارادة ملكية بتوجيه مثل تلك الدعوة. على ان رشيد عالي استطاع، في الاجتماع الذي عقده مجلس النواب في اليوم العاشر من نيسان، ان يضمن اصوات الخائفين من النواب (وكثير منهم معروفون بولائهم للوصي في الواقع)، وان يعزل عبد الاله عن الوصاية ويعين مكانه رجلا كبير السن ذا قرابة ضعيفة، لكنها محترمة، بالعائلة الهاشمية هو الامير «شرف»[1]، واذ ذاك اقسم رئيس الوزراء اليمين بان يراعي الدستور، في حين اقسم الوصي الجديد يمينه هو الاخر، وبذلك اعلن النظام الذي تم تشكيله بانه غدا الان هو النظام الدستوري والشرعي.

---

(١) هو الشريف شرف. وكان الشيخ محمد حسن حيدر هو الذي وجه الدعوة الى اعضاء المجلس بالاجتماع وترأس الجلسة السيد علوان الياسري.

قبل الشريف شرف استقالة وزارة طه الهاشمي التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة ايام، ومن ثم دعا رشيد عالي بصفة رسمية الى تأليف الوزارة الجديدة حيث خصص منصب وزير المالية الى ناجي السويدي، والدفاع الى ناجي شوكت، والعدل الى علي محمود الشيخ علي، والخارجية الى موسى الشابندر، والاقتصاد الى يونس السبعاوي، والتربية الى الدكتور محمد حسن سلمان، ولم يحقق رئيس الوزراء في ان يعلن، في تقليد شديد لرؤساء الوزارات الذين يتقلدون مقاليد الحكم، بان عصرا جديدا من الفضائل والبركات العامة قد بدأ الان. اما بالنظر الى الصفة الاعتيادية لوضعه. فقد اعترف الكيلاني، من دون شك، بان انقلابا عسكريا آخر، وعلى اسوأ حال، قد وقع، وان هذا الانقلاب امر داخلي محض. اما في نظر انصاره من حركة الشباب، وقسم من الجماهير المدنية، فان ما حدث هو انه قد تألفت في الاخير، حكومة قوية متحررة من الالتزامات المقيدة لها، وذات وطنية متأججة، وتحظى بدعم الجيش لها.

على ان القلق المستتر والغامض معا كان موجودا بين ابناء العشائر، ولذلك اخذ الحذرون المحافظون من رجال المدن، ومعظم الساسة القدامى، ينظرون بفزع الى الازدراء المطبق بحق البريطانيين. والتزام جانب الالمان والايطاليين، والى المشاركة في تهريب الوصي، والسيطرة الفضة الواهنة التي بسطها رجال الجيش، كذلك كان من الامور المهمة انذاك اطلاق سراح المذنبين الذين صدرت الاحكام ضدهم لاشتراكهم في قتل القنصل البريطاني في الموصل مونك ماسون.

على ان البارزين من رجال الدولة المخلصين للوصي وللمعاهدة البريطانية العراقية، ومن بينهم نوري السعيد، وداود الحيدري، ما لبثوا ان هربوا من بغداد، وانضموا الى عبد الاله وزملائهم الذين استقروا في فلسطين.

دخل السفير البريطاني الجديد الى بغداد في اليوم الرابع من نيسان من دون تحية من لدن الحكومة العراقية، ما عدا تحية امين العاصمة ارشد العمري. وقد بقي السفير مختفيا في سفارته: وهو يحاول بكل عناية بان يواجه نظام الحكم الجديد. والواقع انه لم يكن بين السفير ورشيد عالي من الناحية الشخصية، سوى القليل من الود، وفي الوقت ذاته راحت حكومة الكيلاني تمارس عملها في بغداد، التي سيطر الجيش عليها، واصابها الهلع بصفة اجتماعية، وحل بها الخمود من الناحية الاقتصادية. ذلك ان العقبات التي اصابت الصناعات زمن الحرب، وتوقف المعامل المرجوة عن مواصلة العمل، واستحالة استيراد الالات، ونقص وسائل النقل، كل هذه الامور قد اضافت عوامل مضادة واجهت الوزارة.

وان لم يكن القبول الذي قوبلت به الحكومة الجديدة في الخارج من صالحها،فقد اظهرت كل من تركيا والسعودية اسفها لانتهاج العراق سياسة مضادة لسياستها. اما في لندن، حيث لم تكن مثل هذه التطورات متوقعة الا قليلا، فقد كان القرار المباشر لبريطانيا هو ضمان السيطرة

جهد المستطاع، على البصرة وغيرها من مراكز العراق، وعلى وسائل المواصلات. ولهذه الغاية قدم تشرتشل طلباً مستعجلا الى حكومة الهند بان تهيئ القوات وتقوم بانزالها في البصرة، وطبقا لذلك تم تحويل وجهة لواء من الفرقة العاشرة الهندية، مع كتيبة مدفعية، وقوات مساعدة كانت على وشك الابحار الى منطقة الشرق الاقصى، وابحارها بدلا من ذلك من كراجي الى الخليج العربي في اليوم الثاني عشر من شهر نيسان تحت امرة اللواء «فريزر»، وقد وصلت هذه القوات الى البصرة في اليوم الثامن عشر من نيسان حيث انضم اليها، بعد ساعات قلائل، نصف فوج من المشاة البريطانيين، تم نقله بطائرات القوة الجوية البريطانية، كما يتم نقله جوا خلال اسبوعين الى قاعدة الحبانية.

اما كورنواليس الذي انذر من لندن في اليوم الثاني عشر من نيسان بشأن ارسال تلك القوات، فقد قام طبقا لذلك باعلام الحكومة العراقية بوصول تلك القوات، في اليوم السادس عشر. اصدر رشيد عالي اول الامر اوامره بمنح التسهيلات لنزول القوات البريطانية، لكنه ما لبث بعد ثلاثة ايام ان اعلن بان القوات التي نزلت، يجب ان تتحرك قدما عبر الاراضي العراقية الى منطقة الرطبة او وراءها، وان القوات التي تمر عبر العراق يجب ان لا يزيد مجموعها عن لواء واحد، وان تعطى تنبيهات سابقة بشأن وصول امثال هذه القوات، وفي الوقت ذاته، فانه لن يسمح بنزول المزيد من القوات الا بعد ان تكون القوات التي نزلت الان قد غادرت الاراضي العراقية. لم تكن مثل هذه القيود التعسفية غير الودية بكل وضوح، معروفة بالنسبة الى روحية المعاهدة الانكليزية العراقية او نصوصها. واوضح السفير البريطاني هذا الامر في اول اجتماع له مع الكيلاني في اليوم السادس والعشرين من نيسان، ذلك الاجتماع الذي لم يقرب وجهات النظر بينهما.

ادت الفيضانات الواسعة التي حدثت حول البصرة الى ان تظل القوات التي تنزل حديثا هناك، غير قادرة على الحركة لبعض الوقت. ولذلك كرر الكيلاني تحريريا في اليوم السابع والعشرين من الشهر ذاته، طلبه بان تنتقل القوات التي نزلت في البصرة. ومما قاله في طلبه ذاك بان الرأي العام قد اصيب بضربة خطرة لدى رؤيته تلك الحامية الانكليزية[٢] ولكن كورنواليس رد على ذلك انه كان قد اعطى في اليوم الثامن والعشرين من الشهر انذارا بوصول قوات اخرى مساندة او مساعدة، وان هذه القوات تبلغ زهاء لواء واحد على اكثر تقدير.

حصل لقاء آخر غير مرض بين رئيس الوزراء والسفير، وقد تمسك كل واحد منهما بمواقفه، واذ لمح رشيد عالي الى النتائج الوخيمة، راح ينحي سلفا باللائمة على البريطانيين. على ان

(٢) كانت اوامر او بيانات رئيس الوزراء هذه قد جاءت في شكل مذكرات بعث بها الحكومة العراقية الى السفارة البريطانية في بغداد وقد جمعت فيا بعد في كتاب مستقل عرف باسم «الكتاب الابيض» تولى نشره زوج ابنة رشيد عالي.

القوات الانكليزية التي نزلت الى البصرة لم تخل، دون شك، من معارضة شعبية وعسكرية، ادت الى وقف المجابهة الحادة الجدية، لفترة قصيرة. فقد احتلت القوات النازلة، منطقة الميناء، ومحطة القوة الكهربية، واستعدت لاستقبال قوات بنطاق اوسع، وقد انتقلت حامية البصرة تحت الضغط الى ضفة النهر الى مسافة خمسة عشر ميلا فوق النهر، في ناحية «كرمة علي».

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الجالية البريطانية ومعظم العراقيين، في تأييد العمليات الاعتيادية، فقد ازداد الوضع في بغداد تشددا، نتيجة تلك الحوادث الى درجة، انه تم في اليوم التاسع والعشرين من نيسان ارسال الاطفال والنساء البريطانيات الى قاعدة الحبانية، وفق تعليمات اصدرها السفير البريطاني، وبضمان محدد من لدن رئيس الوزراء بالحفاظ على سلامتهم، حيث تم في الايام التي تلت ذلك نقلهم جوا مرة اخرى الى البصرة، والى خارج العراق.

كذلك تم جمع كل البريطانيين والامريكيين، ما عدا استثناءات ضئيلة، ممن خشي ان تساء معاملتهم خلال الاسابيع المتلاحقة، جمع هؤلاء بامان في السفارة البريطانية التي تقع على الضفة اليمنى من دجلة، وفي المفوضية الامريكية التي تقع في منطقة العلوية، وذلك في الثلاثين من نيسان، وكذلك في القنصلية البريطانية في الموصل ايضا. وهكذا كان على ثلثمائة وستين شخصا من هؤلاء البريطانيين والامريكيين، ومن انضم اليهم من اليهود، والهنود المحليين، ان يمضوا الشهر التالي داخل السفارة البريطانية، التي حوصرت وشددت الرقابة عليها.

تم تدمير السجلات واوراق الشفرات الرسمية واستمر المحصورون يستمتعون، بشكل حذر، بخدمات الحكومة من الكهرباء والنور والهاتف والماء (ولو بوجود فترات انقطاع فيها)، والحصول على الاطعمة والمواد الاخرى من الحكومة. كذلك تم الاحتفاظ بمائة وخمسين شخصاً آخرين، ومن دون احتجاج عراقي ضد مثل هذا التصرف غير الاعتيادي، تحت حماية الوزير الامريكي المفوض بول نابنشو، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا الاتصال بالسفارة البريطانية.

بقي الملك وامه ثلاثة اسابيع في قصرهما خارج بغداد، ومن ثم اتخذا سبيلها بامان الى مقر جبلي في شمالي العراق[٣] واجبرت المصارف البريطانية في بغداد، على ان تسلم مفاتيحها وبقية ما لديها من النقد. وفي ليلة التاسع والعشرين – الثلاثين من نيسان حركت قيادة الجيش العراقي قواتها التي كانت مؤلفة من المشاة، ولواء مدفعية، وسرية من حملة الرشاشات، طبقا لاجراء وصف بانه اجراء احتياطي، من معسكر الرشيد الى الارض المرتفعة التي تسيطر على موقع الحبانية بصفة مباشرة. وقد تعاظم عدد هذه القوات خلال يومين الى ما يقرب من عشرة آلاف رجل مساحين ومجهزين تجهيزاً تاماً بخمسين مدفعا وعدد من الدبابات[٤].

---

(٣) اسكن فيصل الثاني وامه في بيت «ملا افندي» بمدينة اربيل.

(٤) كانت القوة التي احاطت بسن الذبان بقيادة العقيد فهمي سعيد مؤلفة من سرية للدبابات وسرية للمدرعات، وسرية رشاشات آلية، وفوجين المشاة وكتيبة مدفعية الية، ولواء مشاة، وبطريتين لمقاومة الطائرات، وسريتي هندسة ومخابرة اليتين، ولواء مشاة بنقصه فوج واحد (محمود الدرة: الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ ص ٢٦٨ و ٢٦٩، الطبعة الاول ١٩٦٩).

كان معسكر الحبانية يضم، بالاضافة الى بضعة الاف من العمال المدنيين، الفا ومائتي رجل من قوات المرتزقة (الليفي) نصفهم من الاثوريين، والنصف الآخر من الاكراد والعرب، وسرية سيارات مدرعة، وثمانين طائرة من مختلف الانواع، معظمها من طراز مهجور، وثلاثين ملاحا متدرباً، وعددا من الطلاب، وحوالي الف نفر من افراد القوة الجوية البريطانية، ومدفعين قديمين من نوع هويتزر. اما نصف فوج المشاة فقد سبق ان نقل جوا الى البصرة، يضاف الى ذلك ان المعسكر كان يحتوي على منشآت للصيانة، وعلى مخازن، ومدرسة للتدريب على الطيران، وكان المعسكر مهيئا للدفاع من الناحية العسكرية[٥]

اصبح الان واضحا تماما، ان وضع البريطانيين في العراق، غدا اكثر من وضع حذر، وان هذا الوضع لا يمكن احتماله الا عن طريق التعزيزات العسكرية. ولقد ادت الفيضانات التي اجتاحت البلاد، والرقابة التي يمارسها الجيش العراقي على سكة حديد بغداد – البصرة، الى اعاقة ارسال القوات البريطانية البرية من ميناء البصرة نحو الشمال. والواقع ان ايا من تلك القوات البريطانية لم يصل بذلك الطريق الا في منتصف شهر حزيران[٦] غير ان القرار الذي اتخذه تشرتشل، والوزارة البريطانية بضرورة المحافظة على مركزها، والاصرار على الحقوق التي تخولها لها المعاهدة في العراق، ان ذلك كله لم يحدث فيه اي تغيير.

طلب الى القائد «ويفل» وهو في مقره في القاهرة، بوجوب ارسال قوات من فلسطين لنجدة حامية الحبانية، ولاستعادة الوضع هناك وقد استقبل ويفل ذلك الطلبَ بامتعاض، وذلك لان رئيس الاركان كان انذاك منشغلا بالالتزامات الواسعة المتغيرة المطلوبة منه في اليونان، وجزيرة كريت، وسوريا، وفي الصحراء الغربية من مصر والحبشة. ومع كل ذلك فقد تحركت قوة مؤلفة من لواء آلي وسيارات مدرعة، ومدفعية ميدان، ومدفعية مضادة للدبابات، وفوج من كتيبة «اسكس» وثلاثة اجنحة من قوات الحدود الاردنية، ومائتي سيارة نقل لتموين الحبانية بها. كذلك تجمعت كتيبة صحراء الية من الجيش العربي في الاردن الذي يقوده اللواء «غلوب»، فوضعت هذه القوات تحت امرة اللواء.. «كلارك».

---

(٥) كانت القوة الانكليزية في الحبانية مؤلفة من ٨٢ طائرة جيء بقسم منها من مصر، وفوج مشاة تعداده حوالي ٤٠٠ مقاتل، جيء به من الهند. وبذلك بلغ عدد المحاربين في القاعدة حوالي ٢٢٠٠ رجل، في حين كانت قاعدة الشعيبة في البصرة تضم حوالي ٣٨٠ جندي بريطاني وخمس عشرة طائرة اضيف اليها سرب من طائرات قاصفة من طراز ولنغتن جيء بها من شمالي افريقيا (محمود الدرة المصدر السابق ص ٢٤٧ – ٢٤٨)

(٦) انظر ما ذكره تشرتشل في مذكراته عن الحرب العراقية البريطانية في ايار سنة ١٩٤١ وذلك في كتابنا «ثورة ١٩٤١ في العراق» الذي صدر في سنة ١٩٦٣ وقد كشف تشرتشل في مذكراته تلك عن المأزق الكبير الذي وجدت بريطانيا نفسها فيه اثناء ثورة ايار، وكنا قد ترجمنا ذلك القسم من مذكرات تشرتشل ونشرناه في ذلك الكتاب.

كانت مهمة كلارك تنطوي على فتح خطوط المواصلات مع العراق والسيطرة عليها، وان يقوم بنجدة الحبانية في ذلك البلد، ويستعيد مركز البريطانيين فيه، ويسهل اعادة الحكومة الشرعية والصديقة فيه. وما ان تحركت تلك القوات شرقاً بطريق عمان - بغداد، حتى الف قسم منها، ما عرف باسم «القوة الملكية» تحت امرة اللواء «كنغستون» فاجتازت حدود العراق في اليوم العاشر من شهر ايار، واستطاع هذا الرتل، عن طريق كتيبة «غلوب باشا» التي تقدمت في صفة ستار متقدم، ان يحتل «الرطبة» التي تخلى العراقيون عنها، بعد مقاومة ضئيلة، وان يصل الى نهر الفرات.

تمت السيطرة على اثنتين من محطات ضخ النفط في الصحراء، التي نهبت بصفة مكثفة[٧] في حين احدث افراد عشيرة «عنزة» المزيد من اعمال التخريب في بحيرة الحبانية وفي المكائن المستعملة هناك. وفضلا عن ذلك فان حظوظ الحرب في الحبانية، بلغت حد المعجزة. ففي اليوم الأول من شهر أيار رفض آمر القوة الجوية في الحبانية نائب مارشال الجو «سمارت» ما طلبه قائد القوات العراقية بوجوب ايقاف كل اعمال الطيران. لكن «سمارت» على العكس من ذلك طالب بسحب القوات العراقية من مواضعها لان تلك المواضع كانت معادية بكل جلاء، وتضع معسكره تحت رحمتها. ولكن لم يعط اي جواب لذلك من جانب القوات العراقية فقد امسك الجيش العراقي بمواقعه، وفي فجر اليوم الثاني من ايار قصفت احدى الطائرات البريطانية تلك المواقع العراقية.

ردت المدفعية العراقية على ذلك بقصف ابنية معسكر الحبانية، واستمر هذا القصف مدة ثلاثة ايام لكنه لم يكن قصفاً عنيفاً، وكان سيئ التهديف، وقد فشل ذلك القصف العراقي في اصابة مخزن الماء الحيوي الذي كانت الحامية تعتمد عليه، كما ان ذلك القصف لم يمنع عملية اخلاء النساء والاطفال من المعسكر جواً.

استمرت الطائرات البريطانية تهاجم القوات العراقية، ومواقع مدافعها، واستطاعت أن تدمر، حيثما وجدت ذلك مستطاعا(*) أعظم قسم من القوات الجوية العراقية الصغيرة والتي كان يزدرى بها، والتي كانت تتألف من حوالي خمسين طائرة من الخط الأول، بما في ذلك بعض القاصفات الامريكية، والمقاتلات الايطالية السريعة.

---

(٧) هما محطتا ح ٣ و ك ٣ H3, K3 من محطات خطوط انابيب النفط من العراق الى البحر الابيض المتوسط.

(*) يرى بعض المراقبين ان عدم فعالية القصف العراقي كانت مقصودة هذا ما قاله المؤلف، ونحن نعتبر مثل هذا القول نوعا من الدس الرخيص ذلك لان آمر المدفعية انذاك هو العقيد فهمي سعيد الذي عرف بوطنيته واخلاصه وشدة عدائه للانكليز. ومع ذلك فقد ذكر محمود الدرة في كتابه انف الذكر «الا ان القادة العراقيين وبعض المسؤولين كانوا قد قرروا تجنب القيام باية حركة عسكرية تجاه القاعدة البريطانية.. كما ان القوة الدفاعية البريطانية في القاعدة لا يمكنها الصمود طويلا بوجه هجوم ليلي صاعق» (محمود الدرة الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ ص ٢٧٠).

وصلت تعزيزات جوية صغيرة، وعلى الاخص طائرات «بلنهايم» الى البريطانيين في الحبانية، من مصر، كما نقلت مفرزة من قوات «الغوركا» جوا من البصرة الى هناك. وكانت خسائر القوة الجوية، ولاسيما الطائرات، كثيرة في الواقع، وكان الخفراء اليقظون الاشداء من القوات البرية البريطانية، يمارسون اعمالهم ليلا باتجاه المواضع الخارجية في الهضبة فلا يلاقون سوى مقاومة ضئيلة. والحقيقة ان القوات العراقية لم تقم باي هجوم بري على اية نقطة من محيط الاميال السبعة التي يندر الدفاع عنها، والتي كانوا يستطيعون ان يتغلغلوا اليها باعدادهم واسلحتهم حيثما ارادوا ذلك في الغالب.

لكن العراقيين ما لبثوا ان انسحبوا قبل فجر اليوم السادس من ايار من الهضبة وتحركوا نحو الشرق، ثم توقفوا عند معترض «سن الذبان» في طريق الرمادي - بغداد، والذي يوفر ايسر السبل لقصف الاهداف.. ولكن هجوما من الحبانية حدث على هذا الموضع ادى الى اخراجهم منه، حيث تم اسر ستة وعشرين ضابطا واكثر من اربعمائة رجل من مختلف الاصناف، بالاضافة الى السيارات، والمدافع، والمواد الحربية الاخرى، وعلى هذا فقد تراجعت البقية الباقية منهم الى الفلوجة، في الوقت الذي استقرت فيه قوات الحبانية في مواضعها الجديدة، واعادت تنظيمها وراحت تراقب الحامية العراقية الموجودة من ورائها في الرمادي، وتقصف العدو بالقنابل من الطائرات.

وفي البصرة كان الجمهور في ذات الوقت مهتاجا ومعاديا.. ذلك ان وكيل المحافظ الذي عين حديثا[٨] قد جرى استفزازه لاتخاذ موقف غير ودي بالاوامر الصادرة من بغداد، ولكن خوفه من الانتقام، جعله غير قادر على ان ينفذ تعليماته القاضية باعتقال جميع افراد الجالية البريطانية. وعلى الرغم من المقاومة التي اظهرتها قوات الشرطة والتي ادت الى ضرورة نزع سلاحها، فان القائد البريطاني «فريزر» اضطر في اليوم السابع من شهر ايار الى ان يحتل قسما من منطقة العشار، اما الاحياء التي لم يجر احتلالها من هذه الضاحية، ومدينة البصرة ذاتها، فقد كانت اعمال النهب التي قام بها الشقاة واسعة فيها. وعلى حين غرة غادر المحافظ مدينة البصرة في اليوم السادس عشر من شهر ايار، فظلت الفوضى سارية فيها الى ان تم تأليف لجنة مؤقتة من الاشراف في المدينة برئاسة الشيخ صالح باش اعيان، استطاعت ان تحقق بعد مرور اسبوع، شيئا من الهدوء[٩].

(٨) هو صالح حمام احد مديري الشرطة.

(٩) تألفت هذه اللجنة من السادة صالح آل باش اعيان، وحامد النقيب، ومصطفى طه السلمان، وسعيد عبد الواحد، ومحمد صالح الرديني، وصالح حمام وكيل المحافظ، وسليمان فيضي. وقد قام هؤلاء في التاسع من ايار بمقابلة المقدم لويد الذي عين حاكما عسكريا للبصرة بعد نزول القوات البريطانية فيها، وطلبوا اليه حماية الامن في البصرة كما قابل وفد مؤلف من سليمان فيضي، وعبد القادر باش اعيان، ومصطفى طه السلمان، المقدم كلوي قائد القوات البريطانية وطلبوا اليه ان تأذن القيادة للمصارف القائمة تسليم بلدية البصرة ما تحتاج اليه من نقود، وبعض البنادق والخراطيش، لحراسة المدينة فتمت الموافقة على ذلك

وفي مدينة الموصل، تم نقل المحافظ تحسين علي من قبل الحكومة الكيلانية، واستبدل القائد المحلي بغيره، ولكن ذلك لم يتم الا بعد ان تم نقل الاطفال والنساء التابعين لاسر الموظفين البريطانيين العاملين في شركة استثمار النفط البريطانية في الوصول الى تركيا او الى سوريا.وصحب احتجاز البريطانيين والامريكيين في القنصلية البريطانية في الموصل فرض قيود شديدة عليها وعزلة تامة، وذلك اثر رؤية طائرة المانية كانت تحوم فوق الرؤوس، وانتشرت الاشاعات عن وصول كميات من المواد العسكرية من دول المحور، بالاضافة الى الموقف الشرس الذي وقفه قسم من سكنة الموصل.

وبدأ الانقسام بين الموظفين كالمعتاد، وتم احتجاز البريطانيين العاملين في شركة النفط العراقية في كركوك، بطريقة ودية احيانا وشرسة في احيان اخرى، في مختلف المباني الموجودة في مدينة كركوك، وفي المقرات القائمة في حقول النفط، وبذلك توقفت كل الاعمال النشطة في كركوك، وفي القيارة وفي عين زالة وفي كل مكان اخر.في حين فرضت الرقابة من قبل الجيش على جميع المؤسسات الى ان يصل الالمان ليقوموا بادارتها. وكان نهب السيارات. والمخازن، والمواد المترلية، مشهودا وعاما في بعض محطات ضخ النفط. وفي بعض الحالات جيء بموظفي شركة نفط خانقين العاملين في منطقة «نفطخانة» وفي مصفى الوند، الى بغداد، والى بعقوبة في بعض الحالات الاخرى، حيث تحملوا مشاق الاسر القاسي المحفوف بالمخاطر.

غدا واضحا، بعد اسبوع من نشوب الحرب. ان الحكومة العراقية لم تضع اية خطة عسكرية او سياسية لمواجهة حالة الطوارئ التي كانت نفسها تتصورها•ولقد تم الحفاظ على الامن بصفة عامة في كل انحاء البلاد(١٠)

غير ان الرقابة الصارمة، والعقبات الادارية، وتصادم الصلاحيات،كل ذلك قد ابطأ حركة النبض في الحياة القومية كلها. كانت مواصلات سكك الحديد تتعرض للانقطاع او التوقف. وكان الجيش ذاته، وهو موزع الافكار، تجري ادارته من دون ضبط او قرار، في حين كانت استخباراته في حالة يرثى لها وحركاته غير متقنة، كما ان القسم الاعظم من فعالياته لم يوضع موضع التنفيذ او ما يقارب ذلك، وكان آمرو الوحدات فيه يتخذون آراء مغايرة عن الحالة الراهنة•وكان كثير منهم يرفضون الاوامر الصادرة اليهم بالقتال اذا ما صدرت مثل تلك الاوامر.

---

(١٠) الظاهرة البارزة والمميزة النادرة التي تميزت بها فترة الحرب طيلة شهر ايار هي تعاظم الالتحام بين جميع افراد الشعب والتوادد فيما بينهم، بحيث لم تقع اية حركة تخل بالامن العام وعلى الاخص في بغداد. ففي خلال مدة الحرب لم تقع في بغداد حادثة قتل، او سرقة، اوسطو، او حتى وقوع شجار او خصام بين الافراد، على عكس ما كان مألوفاً في العاصمة وغيرها قبل نشوب الحرب فلقد ابدى العراقيون من التآخي فيما بينهم وضبط الاعصاب وعدم التوتر ما اذهل حتى الاجانب الذين لاحظوا ذلك وقدروه حق قدره في تلك الايام.

كانت قنابل الطائرات البريطانية وطائرات السلاح الجوي للاسطول البريطاني المتمركز في رأس الخليج العربي، تسقط خلال الليل والنهار على الحاميات والثكنات العسكرية العراقية في «كرمة علي» والناصرية، والعمارة، والسماوة، والديوانية، والرمادي و «السعدية» والموصل، وادت عمليات التعتيم والتخفي في بغداد الى احداث المزيد من الخوف لدى الجماهير، بدلا من الثقة. وكانت الاشاعات المنطلقة شرسة ومخيفة، في حين كانت البيانات الرسمية الملئ بالاكاذيب تصدر يوميا وكانت الصحف تواصل تهويلاتها المعتادة وتبجحاتها.

برز امين الحسيني يدعو الى الجهاد ضد بريطانيا الكافرة المضطهدة، فأيدت طوائف من الاديان الاخرى هذه الدعوة، واعترف الاتحاد السوفياتي بالعراق، وانشأ علاقات دبلوماسية معه في اليوم الثاني عشر من شهر ايار. ولكن هذه الحركة التي دارت المفاوضات بشأنها مدة شهور فيما سبق، لم تكن لها اية قيمة او اهمية في مساعدة العراق. كما ان دول المحور لم تلمح الى الاعتراف بنظام الحكم الجديد في العراق، وان كانت وكالات انبائها لم تنقطع عن التحريض والتشجيع، غير ان هذه الامور لم تكن في نظر الكيلاني ووزرائه لتعوض عن المساعدة المالية، والتي لم تجر اية ترتيبات حتى الان لتقديمها الا في صورة عبارات غامضة، ولم يتم التفاوض بشأنها بصفة ثابتة.

كان عرض الوساطة الذي تقدمت به تركيا في اليوم الرابع من ايار قد تم رفضه، ولذلك سارع ناجي شوكت في اليوم الثامن من ايار في السفر الى تركيا، لكنه اخفق في اقناع وزير الخارجية التركية في انقرة بتأييد مطالبه في دعم الوزارة. ولقد انتظر ناجي شوكت في انقرة عدة ايام الى ان عاد السفير الالماني «فون بابن» من اوربا، ولكنه مع كل ذلك لم يستطع ان يحقق شيئا ما.

وكذلك كان الموقف الذي وقفته كل من السعودية ومصر، اللتين قام ناجي السويدي بزيارتها على رأس بعثة طارئة، غير مريح بالنسبة لحكومة بغداد[1]. ومن خلف الكواليس، وفيما وراء الاشياء المنظورة، كانت الخطط قد اعدت بين الناطقين باسماء الحكومات الالمانية والايطالية والفرنسية، وهم كل من «ابترو دارلان» في باريس، ودارلان وهتلر في برخستسغادن، والكونت شيانو وفون ربنتروب في روما حول استعمال المطارات والموانىء وسكك الحديد في سوريا، وبشأن ارسال اسلحة وخبراء مساعدين الى العراق.

(١١) اتصلت الوزارة الكيلانية بوزير السعودية المفوض في بغداد السيد اسعد الفقيه وكلفته بان يبلغ الملك عبد العزيز السعود التقدم الى مساعدة العراق بسد طريق الاردن – العراق بوجه الانكليز، لكن ابن سعود رفض ذلك بحجة ان العراق لم يستشره في نزاعه مع الانكليز، وعلى اثر ذلك انتدب ناجي السويدي وزير المالية للذهاب الى الرياض فقابل ابن سعود ولكن لم يحصل منه على جواب مفيد، اما الوساطة التي اريد بها ان تتم من قبل مصر، فان الحكومة البريطانية اوعزت الى سري باشا رئيس وزراء مصر انذاك بان يعزز وساطة الحكومة التركية بوساطة مصرية ولكن حكومة الكيلاني اعتذرت من ذلك لوجود الوساطة التركية انذاك.

والحقيقة ان سكك الحديد التركية قد تم استخدامها في نطاق حمولات محددة من القطارات في اواخر شهر ايار، وبموافقة من الاتراك كان قد ضمنها السفير الالماني «فون بابن». غير ان هذه المواد لم يكن لها اي دور في الحرب الدائرة بين العراق وبريطانيا، ولم تحسن هذه الترتيبات، وفشل كل ما اعد مثلها من المساعدة الالمانية تلك المساعدة التي كان الوزراء المحاصرون في بغداد يقيمون الصلاة من اجلها، اجل نقول ان هذه الترتيبات لم تحسن الا بعد ان بدأت مغامرة اغتصاب السلطة، ومن دون اية اتصالات المانية عراقية مباشرة على مستوى ضباط الاركان (١٢)

ومع كل ذلك كانت هذه الترتيبات ناقصة، وقد جاءت متأخرة جداً وعلى الرغم من ذلك فان الطائرات الالمانية والايطالية، والفنيين الذين اخذوا يصلون باعداد قليلة الى العراق في الاسبوع الثاني من شهر ايار، كانت لها قيمة فعالة وكان لابد ان تكون لها مثل هذه القيمة. ذلك لان هؤلاء الفنيين قد ركزوا مقرهم في مطار الموصل، ومن ثم جاء بعدهم، بفترة قصيرة، الفنيون في شؤون النفط، والذين كانوا يشاهدون في كركوك، كما انهم شاركوا في العمليات الحربية التي جرت في الفلوجة.

ومما تجدر الاشارة اليه انه رغم كل الاعمال التي قامت بها الطائرات الالمانية، والتي اشتملت على قصف متواصل للحبانية، كانت البيانات العسكرية العراقية تزعم بان الطائرات العراقية هي التي قامت بها. ولقد هوجمت طائرة المانية من نوع مسرشمدت كانت تحوم فوق مطار بغداد، بطريق الخطأ من نيران بندقية عراقية، وقد ظهر عند نزول الطائرة الى ارض المطار انها كانت تحمل جثة ابن المارشال بلومبرغ، الذي اصابته تلك الطلقة في رأسه (١٣)

لم تلبث القوة التي عرفت بقوة التجمع الملكي، والتي كانت تؤلف التعزيزات الاساسية للقوات البريطانية، ان وصلت الى الحبانية في اليوم الثاني عشر من شهر ايار قادمة من الصحراء، وانضمت حالا الى القوات التي شاركت في الهجوم المركز على الفلوجة التي خسرها العراقيون لكنهم استعادوها بعد عشرة ايام. لقد هوجمت هذه المدينة من جوانبها بقوات محمولة جوا، وبمفارز عبرت النهر في معابر، واستطاعت بعد قصف قصير الامد ان تدخل المدينة، وتحتل جسرها الكبير الذي لم تمتد اليه يد التخريب.

---

(١٢) ان كل الاتصالات مع الالمان لم تجر على اساس ضباط الاركان كما ذكر المؤلف ذلك حقاً، وانما قام بها سكرتير امين الحسيني، المدعو كمال عثمان حداد، وذلك ابتداء من شهر كانون الثاني ١٩٤١ حيث بعث وكيل وزارة الخارجية الالمانية في الثالث من نيسان ١٩٤١ بكتاب الى المفتي والكيلاني وقد ورد في ذلك الكتاب «ان المانيا مستعدة ايضا لتسليم المواد الحربية فورا لتقوية استعداد الامة العربية للحرب المحتملة ضد انكلترا متى ما امكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية» (عثمان كمال حداد: حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ص ١٠٨ صيدا. لبنان).

(١٣) يؤكد محمود الدرة ان ابن المارشال بلومبرغ كان قد قتل نتيجة التحام جوي فوق مطار بغداد مع الطائرات البريطانية

ولقد ساهمت قوات الاثوريين من المرتزقة مساهمة فعالة في احتلال الفلوجة، وتم صد الهجوم المقابل الذي شنه العراقيون بقوة ظاهرة.

اصبح اللواء كلارك الان حراً في اصدار اوامره لرجاله بالتقدم الى بغداد، حيث تم تقبل الحكايات الغريبة التي اذيعت عن قوة القوات البريطانية ومالديها من دبابات. على ان انتشار الفيضان على نطاق واسع عبر الطريق الى بغداد، والرغبة التي انصبت انذاك الى قطع الاتصالات القائمة بين بغداد والموصل، كل هذه الامور قد ادت الى حدوث شيء من التأخير امتد لبضعة ايام.

عبرت جماعة من الجيش العربي الاردني الذي يقوده «غلوب» منطقة الجزيرة وقطعت سكة حديد بغداد – الموصل، على مقربة من سامراء[١٤] ثم ما لبثت ان عادت وانضمت اليها وحدة من قوات الخيالة فعبرت الطريق مرة اخرى الى ضفاف نهر دجلة، واحتلت المشاهدة واستدارت نحو الجنوب متجهة الى بغداد فحاصرت القوات العراقية قرب التاجي، واتخذت مواقع لها في معامل الطابوق قرب الكاظمية، حيث تم اسر محافظ بغداد، ومن ثم اطلق سراحه واعيد الى داره[١٥]

تقدم الجزء الاساسي من قوات اللواء كلارك، الان شرقا باتجاه «خان النقطة»[١٦] كانت هذه القوة مؤلفة من الف وثلثمائة رجل، وهي اضعف في المدافع والتجهيزات والتموين من الوحدات العراقية التي كانت تواجهها، ومع كل ذلك فان هذه القوة التي لم تجابه باية مقاومة بصفة قادرة، قد استطاعت ان تعبر المناطق التي غمرتها مياه الفيضان بواسطة «المعابر» وان تصل الى ضواحي مدينة بغداد في اليوم التاسع والعشرين من ايار. على ان ضعف هذه القوات، والفيضانات التي قيدت حركاتها، ومواصلاتها الطويلة المعرضة للهجوم، قد جعلت وضعها حذراً، بل محفوفاً بالخطر في الواقع.

لم يكن الدفاع عن بغداد يسيرا حسب، بل ان ظهور حركة ذات تصميم يقوم بها جزء من القوات العراقية المتوفرة، لم تكن لتخفق في رد وتدمير الغازي الذي كانت قواته تعتمد على مجرد

---

(١٤) كان غلوب قد وزع قواته التي جاء بها من الاردن الى رتلين كان يقود القسم الاعظم منها معاونه العقيد لاشر الذي اودعت اليه مهمة الاستطلاع وقطع سكة حديد بغداد الموصل في شمال سامراء، في حين قاد غلوب بنفسه قوة اخرى واتجه بها الى نهر دجلة جنوبي سامراء في يوم ٢٣ ايار (محمود الدرة: المصدر السابق ص ٣٨٤) يجد القارئ المزيد من المعلومات عن هذه الحركات في كتابنا «مذكرات غلوب باشا» الذي يصدر قريبا جدا.

(١٥) هو المرحوم جلال خالد الذي تولى فيما بعد منصب مدير الكمارك العام وقد توفي في لندن اثر اجراء عملية جراحية له هناك سنة ١٩٨١.

(١٦) المعروف الان باسم خان ضاري

التصميم، والمناورة، والروحية العالية ليس الا. ولكن الواقع هو ان عمر الحرب القصير قد انتهى الان، وان وجود الحكومة العراقية ومقاومتها قد اصابها التفكك، والانهيار في وقت واحد.

اصبح الجمهور العراقي يدرك بان تحدي الحكومة لبريطانيا قد بدأ، وان الحرب الحقيقية تسير الان قدما، وان القوات البريطانية قد ظهرت تماما في عشرات من الاماكن.

انقطعت المواصلات في كل مكان، وماتت التجارة، وقفزت الاسعار عاليا، واصبحت ثلاثة ارباع العاصمة معزولة. وفي ميناء البصرة كانت القوات البريطانية تنهال عليها، وتحولت المعارضة لنزولها الى مجرد عدم مبالاة؛ وما لبث اللواء «كوينان» بصحبه اللواء «سلم» ان وصلا لتسلم القيادة في اليوم السابع من شهر ايار. وقد ظهر بان القوات العراقية في كركوك والموصل، كانت تدعم الحكومة العراقية بصفة عامة، الا انها لم تقم باية حركة، في حين كان قسم من القوات الموجودة في بغداد مؤيدا بالاحرى للوصي المخلوع، بينما اصبح الان القادة الاربعة لا يملكون من القوة ما يستطيعون به قيادة تلك القوات

ازداد الفرار من الجيش فاصبح خطراً اعلى على الامن، ولم يكن معظم سكان المدن والقرويين في المحافظات يتلهفون الان على شيئ سوى رؤية السلام، وعودة الامن، وان لم تكن مساندتهم لحكومة الكيلاني في اول الامر واسعة. كان الشباب الذين سلحوا باوامر من رشيد عالي خلال شهر ايار في بغداد، يتباهون ببزاتهم العسكرية ويخطرون بها في الشوارع، ومع ذلك فانهم لم يكونوا ليؤلفوا اداة حربية[17] ولم يقف اي من شيوخ العشائر وراء الحكومة. فالشيخ محمود الذي هرب من بغداد ووصل الى السليمانية، قد اخذ يتحدث عن عزمه على تجنيد قوات لمساندة البريطانيين. ولذلك فلم يكن هنالك من وقت ولا حاجة الى ان ينجز «غلوب» المهمة التي اوكلت اليه، بعد ان قاد رجاله الى العراق، وهي مهمة اثارة العشائر ضد الحكومة المغتصبة[18].

في اوائل الاسبوع الاخير من شهر ايار اخذ الوزراء يغادرون بغداد، وقد سبقتهم عوائلهم في هذا الامر، فقد هرب كل من ناجي شوكت وموسى الشابندر، وعلي محمود الشيخ وناجي السويدي الى بلاد فارس او الى تركيا. وسارع المفتي امين الحسني بالهرب الى طهران، وفي اليوم

---

(١٧) المقصود بذلك كتائب الشباب التي تألفت من طلاب الكليات، وفصائل الفتوة ولقد شاركت انا مع زملاء لي في تأسيس منظمة خارج نطاق كتائب الشباب والفتوة سميناها «الحرس الوطني» بدعم من المرحوم يونس السبعاوي في الدرجة الاولى، حيث تم اعتقالنا بعد الهدنة باكثر من شهر وقدمنا الى المحاكمة امام المجلس الوطني العسكري في معسكر الرشيد. وكانت بعض الاوساط التي استأسدت بعد فشل الثورة، وراحت تحاول الانتقام من مؤيدي الثورة قد اسمتنا باسم «الحرس الحديدي» واتهمتنا بالمشاركة في اعمال «الفرهود» التي جرت في بغداد عند عودة عبد الاله اليها قادما من الحبانية.

(١٨) تحدث عن هذه القوة العشائرية العقيد جرالد دي غوري في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» الذي ترجمناه وصدرت طبعته الاولى في حزيران ١٩٨٣. ويجري اخراج طبعة جديدة موسعة ومنقحة منه الآن.

الثامن والعشرين من ايار ذاته هرب رشيد عالي من بغداد، واسرع الالمان والايطاليون، ومن بينهم الدكتور غروبا الذي عاد في الاخير الى بغداد منتصرا، في الهرب الى سوريا وقد سبقتهم طائراتهم الى هناك، وصحب الوصي شريف شرف الهاربين الى بلاد فارس، في حين عين يونس السبعاوي وزير الاقتصاد نفسه حاكما عسكريا للعاصمة وراح يحث الجماهير التي لا تملك اية قوة على تنظيم مقاومة نهائية. غير ان سلطته، ان كانت لديه سلطة، لم تدم اكثر من يوم واحد.[19] فقد هرب هو الاخر ولحق به القادة الذين تخلوا عن مناصبهم وواجباتهم، وانتهت مغامرتهم، التي اسيئ تقديرها وتحقيقها، الى هزيمة شنعاء، وبقي ارشد العمري امين العاصمة ذو العزم لوحده لكي يحافظ على ما يقدر ان يحافظ عليه من النظام، ويعمد بصفة مباشرة الى حل كل العصابات المسلحة مثل حركة الشباب، ويؤلف، في اليوم الثلاثين من شهر ايار، «لجنة الامن الداخلي»[20] التي حظيت بالتأييد القوي من لدن المتمسكين بالقانون، وفي مساء ذلك اليوم ذاته، وبايحاء من الوزير المفوض الامريكي «نابنشو» ظهر ارشد العمري في السفارة البريطانية، وعلى الفور وجه كورنواليس رسالة باللاسلكي الى قائد القوات البريطانية العام في الحبانية يطلب اليه، اذا يستطيع، ان يتسلم علم الهدنة في تلك الليلة.

تم ترتيب شروط الهدنة، لا شروط الصلح لان الحرب لم تعلن بصفة رسمية، من دون ادنى مشقة بين السفير البريطاني ولجنة الامن الداخلي، وقد تضمنت تلك الشروط، وقف اطلاق النار، واستمرار استقلال البلاد، والحفاظ على جيشها كاملا، واطلاق سراح الاسرى، واعتقال القوات الهاربة من المان وايطاليين، واعادة فتح جميع طرق المواصلات في العراق وفقاً لمعاهدة ١٩٣٠، وتلك شروط ابرزت الشهامة وحسن النية معا.

دخلت مفرزة من القوات البريطانية بغداد في اليوم التالي، واستطاع المحتجزون والمقيمون البريطانيون في بغداد والموصل وكركوك ان يخرجوا من الاسر الذي استمر طيلة شهر كامل بكل مآسيه، يعتورهم السخط والقلق، لانهم وجدوا ان الكثير من منازلهم قد غصبت، في الوقت الذي كانت فيه جماهير بغداد يسودها القلق والشدة. ولم تختف اثار التوقعات الكاذبة، ودعاية

---

(١٩) تم تعيين يونس السبعاوي حاكما عسكريا على بغداد بقرار من رشيد عالي نفسه، وقد صدر في شكل بلاغ رسمي في الثلاثين من ايار واذيع من دار الاذاعة العراقية في صباح ذلك اليوم.

(٢٠) لم تتألف لجنة الامن الداخلي في الثلاثين من ايار من قبل السبعاوي ولامن قبل ارشد العمري كما ذكر المؤلف ذلك خطأ، وانما تألفت هذه اللجنة في اليوم الثامن والعشرين بمبادرة من وكيل وزير الدفاع، وكان اعضاؤها هم امين العاصمة ارشد العمري، ومدير الشرطة العام حسام الدين جمعة وممثل الدفاع العميد حميد نصرت وقد انبئ رئيس الوزراء رشيد عالي بذلك فوافق عليه في ذات اليوم الذي اجتمعت فيه اللجنة وحددت اعمالها وواجباتها بتأمين سلامة الاهلين وممتلكاتهم وتنظيم حياتهم خلال الطوارئ في حالة الانسحاب من بغداد، وخولت اللجنة محافظ بغداد باصدار الاوامر بمنع التجول داخل العاصمة مدة الانسحاب.

المحور التي تم رسمها منذ مدة طويلة، الا بشكل بطيء.

مضى الوصي عبد الاله ثلاثة اسابيع في فلسطين والاردن، ثم عاد الى العراق في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار[٢١] يصحبه وزراؤه المخلصون له، وممثل بريطاني هو العقيد جر الددي غوري[٢٢]، ومن وثم وجه اذاعة اخرى الى شعبه[٢٣]. وتألف جوق الشرف الذي استقبله في الحبانية من القوات العراقية، والضباط العراقيين الذين استسلموا للبريطانيين في سن الذبان، في ذلك الوقت الذي كانوا فيه يقاتلون لحساب اعدائه الذين حلوا محله عن طريق المخادعة، والذين ما لبثوا ان غيروا الان مواقفهم مرة اخرى من دون ادنى جهد يذكر في ذلك.

دخل عبد الاله بغداد في اليوم الاول من شهر حزيران فرحب به السفير البريطاني وجمهور من المستقبلين، غير ان الامكانيات المخلصة المتوفرة في تلك الساعة لانشاء حكومة، كانت قد طغت عليها غمرة الهتافات والانتصار. ولقد عكرت ليلة الأول من حزيران، وجزء من اليوم الثاني منه، بانفجار اعمال خطيرة من اراقة الدماء، ونهب الاموال في بغداد، ووجهت اعمال الانتقام العنيفة الى اليهود. ولقد نظم القسم الاكبر من ذلك الانفجار على ايدي الضباط الهاربين من الخدمة العسكرية، وكان هؤلاء يأملون على نطاق واسع، القيام بثورة مضادة، كما كان هذا العمل يمثل جزءا من الانتقام الذي اقدمت عليه حركة الشباب التي القي القبض على بعض افرادها، كما كان في الوقت ذاته جزءا من الوحشية والفظاظة التي امتازت بها اخطر عناصر الغوغاء.

اصيبت لجنة الامن الداخلي بالذهول والارتباك، ولم تكن الشرطة مما يمكن الاعتماد عليه، وعلى ذلك فلم تمكن اعادة الامن الا عن طريق قوات الجيش التي جلبت من الخارج.

وفي ظهر اليوم الثاني من شهر حزيران تقبل جميل المدفعي بتردد ظاهر مهمة تأليف الوزارة، ووطن نفسه على اعادة الهدوء الاعتيادي[٢٤] كما تم تعيين محافظ يعتمد عليه للبصرة.

---

(٢١) كان عبد الاله ومن معه من الوزراء واعضاء الحاشية قد عادوا من فلسطين الى قاعدة الحبانية ومكثوا فيها الى ان حدثت الهدنة.

(٢٢) انظر ما كتبه جر الددي غوري في كتابه «ثلاثة ملوك في بغداد» والذي ترجمناه وتم طبعه عن اوضاع الوزراء الذي هربوا مع عبد الاله الى فلسطين وهم كل من نوري السعيد وعلي جودت وداود الحيدري، وغيرهم اثناء وجودهم في فلسطين ام في معسكر الحبانية.

(٢٣) اذاع عبد الاله هذا البيان في اليوم الرابع والعشرين من ايار، بعد وصوله الى الحبانية، وقد سبق له ان وضع بيانا اثناء وجوده في القدس يوم الثامن من ايار تم طبعه وتولت الطائرات البريطانية القاءه على ابناء المدن والعشائر في العراق.

(٢٤) الف جميل المدفعي وزارته الجديدة وهي الخامسة في ٢ حزيران ١٩٤١

وهكذا فان الحركة التي تغلبت على ذلك لابد وان تظل تتحمل لامد طويل، امكانية الطعن في اسم رشيد عالي او تمجيده، وان كان دوره فيها في الواقع، غير منظور ومحددا.

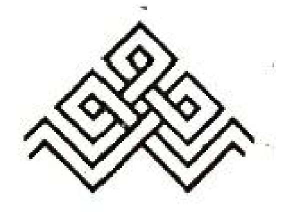
وحيث كان رشيد عالي نفسه يود ان يظل على علاقات حسنة طيبة مع بريطانيا، الى ان تصبح هزيمتها مؤكدة على الاقل، فانه لم يكن من المعادين للانكليز بشدة مثلما كان عليه الاخرون. لقد ارغم في اول الامر على عدم التوصل الى اتفاق واضح، ومن ثم الاقدام على المجابهة التامة مع بريطانيا التي كانت هي المنتدبة قبلا على العراق، تحت ضغط من انصاره العسكريين، الذين كانوا على الرغم من كل السوابق التي حدثت، يأملون ان يحققوا سيطرتهم، وكذلك بضغط من نفاد الصبر لدى رفاقه الاقربين اليه. ولما كان رشيد عالي لم يتحرك باي مبدأ من مبادئ الاخلاص للمعاهدة، وكان من الاساس عدوا لبريطانيا ومتهورا، وذا ثقة ذاتية بطبيعته، فانه مع كل ذلك لم يلزم نفسه باي التزام نحو المانيا، مثلما فعل ذلك القادة، وناجي شوكت.

لقد كان يأمل في ان يحقق الحياد، وان يحصل على ما يفيد بلاده من كلا الطرفين ان استطاع ذلك.ولم تكن تصرفات رشيد عالي في رئاسته الاخيرة تمثل الحكم التأديبي المستتب،ولا تمثل السياسة المقرر اتباعها.

ولذلك اخذ يتحول، او ارغم على ان يتحول عن تلك السياسة خطوة فخطوة. والا فمن ذا الذي كان يتقبل في الواقع، رئاسة الوزارة في اليوم الاول من شهر نيسان ١٩٤١، في احوال جعلت من قادة الجيش في منتهى القوة؟ ان مثل هذا الشخص الذي يفعل ذلك اما يكون قد اراد ان يلعب دورا غير الدور الذي لعبه الكيلاني، او ان يمهد السبيل فورا، امام من يريد ان يلعب ذلك الدور. لقد كانت هناك سياسات اخرى، واحكام تأديبية اخرى في العراق انذاك، ولكن مع ذلك لم تكن هناك قوة اخرى سوى قوة الجيش.

فلو تم تحديد التوقيت مع الالمان، وكانت مساعدة هؤلاء قد روعي فيها التوقيت، فان من النادر ان تفشل تلك الحركة مهما كانت الصورة التي انجزت بها. ذلك لان مئات قليلة من القوات الالمانية وبضع عشرات من الطائرات تستطيع ان تحتل العراق، وتستغل جيشه استغلالا حيويا، وتسيطر على بلاد فارس ونفطها، وتغلق البوابة الجنوبية في وجه روسيا، ومن ثم تهدد الدول القائمة على الساحل الشرقي من البحر الابيض المتوسط من ناحية الشرق. ولكن هذه لم تكن هي الحصيلة التي نجمت فيما بعد عن ثلاثة عوامل هي: عدم التصميم الضعيف لتركز الجيش العراقي في الحبانية وما بعدها، واخفاق دول المحور في توفير المساعدة الموقوتة، والمقاومة البريطانية في جزيرة كريت، والخطط التي اعدها هتلر لغزو روسيا، وسرعة نجاح حركة المناورة التي قامت بها القوات البريطانية الخفيفة.

لقد كان التدخل البريطاني الذي مايزال غير المسالمين من العراقيين، يستنكرونه، ويعتبرونه تدخلا لا مبرر له؛ هو الذي انقذ العراق في الواقع من الدكتاتورية العسكرية اولا، ومن الاحتلال الالماني المحقق ثانيا. ومن الانضمام الى الجانب الخاسر في الحرب العالمية الثانية اخيرا.



الفصل التاسع

الحرب العالمية الثانية

١ - حملة القوات البريطانية في العراق وبلاد فارس[1]

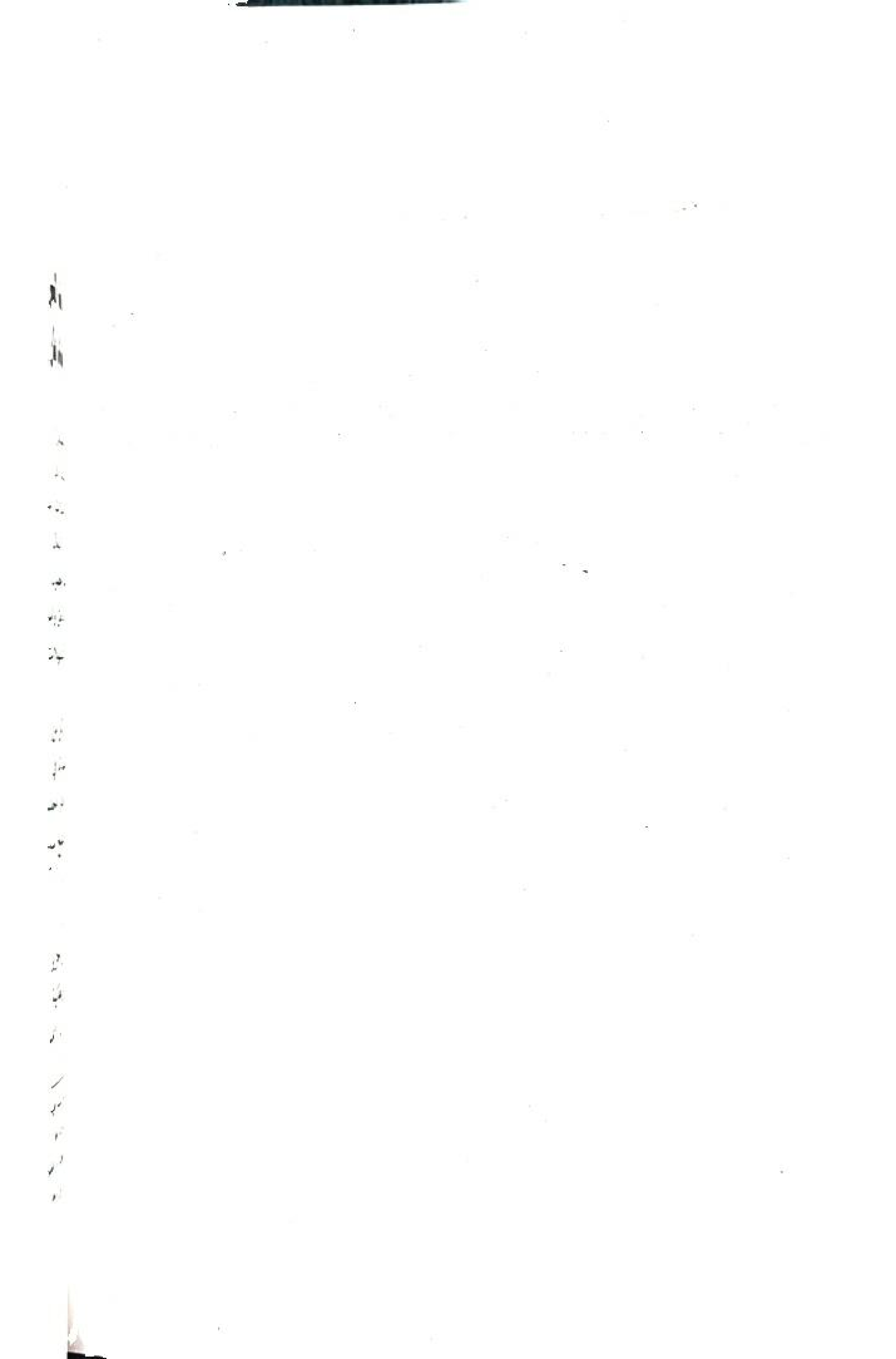
٢ - منتصف سنوات الحرب

٣ - وزارة حمدي الباجه جي

٤ - اقتصاديات زمن الحرب

٥ - الأكراد والهدوء الذي تنشده الحكومة

٦ - الجامعة العربية



١. حملة القوات البريطانية في العراق وبلاد فارس[1]

كانت الاوامر الصادرة بشأن العمليات العسكرية ، التي قام الفريق «كوينان» بانزال قواته في البصرة وفقا لها، تطالبه بان يقوم بتطوير ذلك الميناء، وتحويله الى قاعدة عسكرية كبيرة، وان يضمن خطوط المواصلات عبر العراق، ويحمي التموينات النفطية. وكان الاول بين هذه الواجبات قد ادى الى اشغال قواته خلال بضعة اسابيع، في عزلة عن المعركة التي كانت قائمة انذاك في البلاد، ماعدا حصول بعض عمليات النقل الجوي اثناء الليل بين البصرة والحبانية. فلقد طغت الفيضانات على مناطق واسعة، وتم قطع جميع الطرق من قبل الجيش العراقي، فاصبحت الحاجة ملحة الى تنظيم التسهيلات في البصرة وفي جوار قاعدة الشعيبة، لتسهيل وصول القوات والتموينات.

التقى قائد الاركان في كل من الهند والشرق الاواسط، وهما الفريق السر اوكلود اوكنلك، والفريق السر ويفل في البصرة، في اليوم الثالث والعشرين من شهر ايار لوضع الخطط. وفي اليوم السابع والعشرين منه، غادر احد الارتال قاعدة الشعيبة متجها نحو الشمال، وبعد ان جابه مقاومة ضئيلة في «اور» واصلح سكة الحديد، اثناء مسيرته، وصل الى خارج بغداد في اليوم الثاني عشر من شهر حزيران، وفي آخر يوم من هذا الشهر، نزلت قوة ثانية في ضاحية العشار، جاءت في اسطول محسن من وسائط النقل النهرية، ومن ثم وصلت الى بغداد بعد أسبوع من ذلك. وفي اليوم الثاني عشر من حزيران، استطاع الفريق كوينان، بمواصلاته الى اعيد افتتاحها، ان يسيطر على كل القوات البريطانية الموجودة في العراق، ولم تلبث القيادة التي كانت تدير هذه العمليات قبلا من القاهرة، ان انحصرت تحت امرة رئيس اركان الهند.

---

(١) عرفت هذه الحملة والقوات التي شاركت فيها باسم PAIFORCE وهي القوات التي تمركزت في العراق وبلاد فارس، واوكل اليها، بعد نزولها بفترة، مهمة الاشراف على ايصال المساعدات التي اخذت امريكا تقدمها الى الاتحاد السوفياتي حسب قانون الاعارة والتأجير، وذلك بعد ان غزا هتلر اراضي الاتحاد السوفياتي في الثاني والعشرين من حزيران ١٩٤١، ولم تنسحب هذه القوات الا بعد ان وضعت الحرب اوزارها في سنة ١٩٤٥ بمدة غير قصيرة.

كانت المهمة العاجلة المسلحة خلال صيف سنة ١٩٤١، تنطوي على وضع حاميات صغيرة في كل من كركوك، والموصل، والفلوجة، وحديثة، والرطبة وفي اي مكان اخر، وصيانة تلك الحاميات، واعدادها لمساعدة قوات الشرطة العراقية في صيانة الامن،وفي زيادة طاقة الميناء الذي سبق له ان ازدحم، وتطوير القواعد القائمة في البصرة وفي الشعيبة والكوت والمسيب، لاستخدامها من قبل القوات الكبيرة القادمة.

اقيمت مطارات جديدة في شمالي العراق، واتخذت خطوات لتحسين وسائل المواصلات بسكك الحديد، والنهر، والطرق البرية ووسائط البرق. وفي خلال شهري حزيران وتموز ارسلت قوات صغيرة للمشاركة في الحملة التي قادها الفريق متلند ولسون في سوريا ضد حكومة فيشي[٢] وبازدياد القوات التي توفرت آنذاك في شهر اب، اصبح في مستطاع الفريق كوينان، ان يباشر من البصرة ومن خانقين غزو معظم بلاد فارس دون اراقة الدماء[٣] وقد انتهت هذه الحملة بتغيير شكل الحكومة، والسياسة القائمة في تلك البلاد، وتحويلها من حكومة خطرة تعطف على دول المحور، الى دولة صديقة تتعاون مع الحلفاء.

اتسم شتاء سنة ١٩٤١ – ١٩٤٢ بشدة استثنائية. وبعد ان عقد مؤتمر تمهيدي في بغداد في شهر ايلول ١٩٤١ ضم السفراء البريطانيين ورئيس اركان قوات الشرق الاوسط، تقرر ان تكرس الشهور المقبلة لمواصلة تطوير العراق، وتحويله الى قاعدة للمواصلات وللدفاع. وقد تم انجاز هذا الهدف بتوسيع القواعد القائمة داخل البلاد، وميناء البصرة الذي انشئت فيه ارصفة جديدة، واقامة الرافعات، وتوفير الطرق والابنية، وفرض الرقابة، وتوسيع خدمات النقل النهري داخل القطر (طبق اسس راحت تذكرنا بايام الحرب العالمية الاولى) واستيراد العشرات من السفن الصغيرة والعديد من الطراريد من الهند وامريكا[٤] ووضع اليد على القسم الاكبر من الموارد المتوفرة في العراق، واقامة الشبكات الكاملة للبرق واللاسلكي، وتحسين خطوط سكك

---

(٢) حكومة فيشي هي الحكومة التي الفها الالمان بعد سقوط باريس في سنة ١٩٤٠ من بعض الفرنسيين الموالين لهم، واتخذت من مدينة فيشي القريبة من باريس مقرا لها فعرفت بهذه الاسم وكانت سوريا ولبنان قد اصبحتا تابعتين لتلك الحكومة.

(٣) كان رضا بهلوي، كاي دكتاتور اخر في ذلك الوقت، يريد ان يظهر بالمظهر الذي ظهر به هتلر وموسوليني، وان يقوى علاقاته بهما. فلما ان تقدم الحلفاء اليه بانذار هم في افساح المجال لدخول قواتهم الى بلاد فارس لتأمين خط مرور المساعدات الى الاتحاد السوفياتي، حتى رفض ذلك الانذار واصر على المقاومة واذ ذاك اصدرت القيادة الفارسية اول بلاغ لها عن الاصطدام بين قواتها والقوات الانكليزية لكنها اعلنت في البلاغ الثاني الاستسلام والتخلي عن المقاومة حيث القي القبض على رضا بهلوي ونق الى جنوبي افريقيا، واجلس ولده «محمد» مكانه في دست الحكم.

(٤) المقصود بكلمة الطراريد، جمع طرادة، هنا هي ماتعرف بالجنيبات او الجنائب التي تربط الى جانب السفن التي تسير بالبخار او الحركات الاخرى والاشرعة وتوسع بالحمولة، والتي كانت من اهم وسائل النقل النهري في ذلك الوقت.

الحديد ومضاعفة اعدادها، وبناء خط حديدي جديد من الكوت الى بعقوبة(٥).

كان التهديد الالماني الذي صممت كل هذه الاستعدادات ضده، يحتمل ان يأتي عن طريق الاناضول، وعن طريق القفقاس واذربيجان، بعد ان غزا هتلر بلاد روسيا في الثاني والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤١. وعلى هذا الاساس كان ينبغي تعزيز كل المناطق الشمالية من العراق، ولذلك اقام الفريق «كوينان» مدافع لهذا الغرض، واحتل المثلث الذي يضم الحدود التركية وديالى ونهر دجلة.

اشتملت هذه الاعمال على جهود كبيرة ومشقة ليست بالقليلة، وتطلبت استخدام قوات من العمال المحليين، وتوفير المعسكرات، ووسائط النقل، والتجهيزات، والاعاشة، والترتيبات الضرورية لصيانتها. ولقد ابتلعت هذه الاعمال الفرقتين الهنديتين الضعيفتين، الثامنة والعاشرة، وذلك بعد ان غادرت الفرقة السادسة الى بلاد فارس، والتي كانت بوحداتها المتنوعة هي التي تؤلف الحامية العراقية في ذلك الوقت.

كان القرار الذي تم اتخاذه لمساعدة الجيوش الروسية، بتموينات يجري نقلها من الخليج العربي، عبر بلاد فارس، يتطلب اجراء تنظيم ثابت لتدبير هذه العملية وتقديمها، والتي كانت تعتمد على البصرة. ولقد لعبت الشركات التجارية في بريطانيا، وشركة النفط الانكليزية الفارسية، والشركات البريطانية الاخرى العاملة في البصرة، دورا طليعيا لايمكن تقدير قيمته في هذا المضمار، فادت هذه العملية الى توسيع سكك الحديد، وانظمة الطرق في بلاد فارس. وفي جوار البصرة، وبالقرب من حدود العراق مع فارس. تم انشاء جسر «هول» الذي يبلغ طوله الفا ومائة وخمسين قدما، عبر شط العرب وهو اول جسر في التأريخ ينصب فوق هذا النهر. كذلك اصبحت نهاية سكة الحديد في خانقين قاعدة مهمة للنقل قدما.

على هذه الشاكلة انقضى شتاء سنة ١٩٤١ - ١٩٤٢. فالقوات البريطانية الموجودة في العراق وفي فارس، والتي تغلب نسبة الهنود في تكوينها، قد اعيد تجميعها في الايام الاول من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٢، وعرفت باسم «الجيش العاشر»، وانتقلت قيادتها مرة اخرى الى قيادة الشرق الاوسط. وفي فصل الربيع بقيت مهمات فصل الشتاء متواصلة في توسيع نطاق النقل بصفة ثابتة على الطرق البرية والانهار وفي الطريق الصحراوي الذي يمتد الى فلسطين، وفي القاعدة والمناطق المتقدمة الاخرى.

---

(٥) انشأت القوات البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى مثل هذا الخط الحديدي بين بغداد والكوت لنقل المهمات العسكرية، ولكن هذا الخط تم رفعه بعد انتهاء تلك الحرب. ولو بقي قائما لامكنت الاستفادة منه في نقل المسافرين والسلع بين بغداد والكوت بصفة افضل واسرع، وذلك قبل ان يتم تبليط هذا الطريق وتسيير السيارات فيه بالكثرة التي نراها الآن.

واذ ادى غزو قوات المحور لمصر في ربيع سنة ١٩٤٢، الى نقل بعض القوات المحاربة من الجيش العاشر الى سوريا ولبنان وفلسطين، فان اعمق تغلغل للقوات النازية في جنوبي روسيا خلال الصيف، والتهديد بالوصول الى فارس والعراق عن طريق القفقاس، قد بدا وكأنه يزيد من الخطر الذي اصبح يهدد هذين البلدين. ولذلك ادت هذه الحالة الخطرة جدا في اوائل شهر اب ١٩٤٢، الى اتخاذ قرار بتعزيز «الجيش العاشر». فلقد تقرر ان يصبح هذا الجيش تشكيلة قتالية فعالة، بدلا من ان يظل تشكيلة مخصصة للمهام الدفاعية، والوظائف المتقدمة، وان يصبح فيما بعد هو قوة العراق وفارس والتي اصطلح فيما بعد على تسميتها باسم قوات حملة فارس والعراق PAIFORCE، وان تكون من مسؤولية رئيس الاركان الخاص بها، وان تخضع مباشرة الى وزارة الحربية البريطانية.

تم اختيار الفريق السر متلند ولسون لقيادة هذه القوات. وقد وصل الى بغداد خلال شهر اب. اما القوات الجديدة التي تقرر نقلها الى العراق وفارس فقد شرعت بالنزول في البصرة خلال شهر ايلول ١٩٤٢ ومابعده، وكانت هذه القوات مؤلفة من الفرقتين البريطانيتين الخامسة، والسادسة والخمسين، ومن ثم اعقبتها على الفور قوات اخرى مؤلفة من اللواء البريطاني المدرع السابع الذي جيء به من الهند، والفرقة الهندية الخامسة، والفرقة الكاراباتية الثالثة، احدى الفرق البولندية من الشرق الاوسط[٦].

ولقد تحركت هذه القوات جهد المستطاع الى الاجزاء الشمالية من العراق، والانحاء الشمالية من بلاد فارس، وان كان تراجعها الى المناطق التي تقع فيها نهايات خطوط السكك الحديدية، من الامور المحتمة لاسباب تموينية اثناء الشتاء.

كان البولنديون الذين اخذوا يصلون باعداد متزايدة من فارس الى خانقين بصفة لاجئين، قد وضعوا بسرعة تحت التدريب العسكري، ومن ثم تمت اضافتهم الى التشكيلات البولندية التي استحدثت في الشرق الاوسط تحت امرة الفريق «اندرز».

تم تنظيم فيلقين هنديين هما الفيلق الثالث والفيلق الحادي والعشرون من القوات المتوفرة في

(٦) وصلت اعداد كبيرة من القوات البولندية التي انسحبت بعد اجتياح الالمان لبولندا، الى العراق عن طريق روسيا وفارس، فتمركزت اكثريتها في منطقة خانقين وجاء قسم منها، اناثا وذكورا الى بغداد، وتغلغلوا بين اليهود، واخذ يدربونهم على امور القتال. وقد اصدر هؤلاء البولنديون في بغداد صحيفة باللغة البولندية باربع صفحات كانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع، وكانت تطبع في مطبعة «التفيض» التي كانت تديرها مدرسة التفيض الاهلية، وهي اول مطبعة من طراز «الاينوتايب» تجلبها مؤسسة غير حكومية الى العراق في ذلك الوقت. وقد نصبت هذه المطبعة في سرداب داخل بناية مدرسة التفيض في محلة العاقولية، في سنة ١٩٣٨ وطبعت فيها عدة كتب مدرسية وغيرها، الى جانب مجلة «التفيض» نصف الشهرية التي كنت اشرف على تحريرها واصدارها والتي صدر عددها الاول صبيحة مقتل غازي فاجل توزيعه الى اليوم الخامس من نيسان ١٩٣٩ وظلت تصدر لمدة سنتين.

حملة العراق فارس، وقد تألف هذان الفيلقان بكاملها في نهاية سنة ١٩٤٢ من فرقتين بريطانيتين، وثلاث فرق هندية، ولواء مدرع هندي، وفرقة بولونية، مع توقع انضمام قوات اخرى كان يجري تشكيلها. وفي الوقت ذاته تم اعداد الجيش العراقي هو الاخر، اذا ما تحقق التهديد القادم من الشمال، لكي يأخذ مكانه مع هذه القوات في الدفاع عن الممرات الرئيسة من منطقة «اورميا». على ان الدفاع الروسي الناجح عن ستالينغراد، قد وفر الوقت اللازم لاكمال الاستعدادات الجارية في العراق وفارس، وفي الاشهر الاولى من سنة ١٩٤٣، ادى انثلام الخطر الالماني الى تخليص حملة العراق وفارس قبل كل شيء من القيام بدور المقاتل.

اصبح مستطاعا قبل منتصف تلك السنة، نقل عدد من التشكيلات والوحدات الى شمالي افريقيا،لكي تشارك هناك في تعقب العدو المهزوم. وفي شباط سنة ١٩٤٣ تم نقل الفريق متلند ولسون الى منصب رئيس اركان قوات الشرق الاوسط، والذي تجمعت تحت امرته مراكز قوات حملة العراق فارس، لما تبقى من ايام حياتها هناك، وخلفه في بغداد الفريق السر بونال، الذي اعقبه في منصبه ذاك بعد سنة، الفريق السر ارثر سمث. وكان كل من هؤلاء القادة لحسن الحظ، يمتلك صفات الاستيعاب والعطف اللذين يتطلبها وجود قواتهم في قلب بلد حليف.

كانت المهات التي القيت على عاتق حملة العراق فارس، في طورها الاخير، هي صيانة المواصلات، والاستقرار في المنطقة، وتدريب القوات، ولاسيا البولونية منها، لاستخدامها في ميادين قتال اخرى. وكان واجبها الاخر في بلاد فارس هو زيادة ايصال التموينات الى روسيا بالطرق التي تمر عبر بلاد فارس.وكان الجيش الامريكي منذ اوائل سنة ١٩٤٣ يلعب الدور الكبير في هذه المهمة، وقد اخذ، بتنميته لموارده الواسعة، على عاتقه النهوض بمهات تحسين سكك الحديد، وشبكة الطرق القائمة في بلاد فارس، ونقل ملايين الاطنان من مواد التموين ووسائل النقل والتجهيزات الى مستودعات الروس الساخطين، غير الشاكرين.

لابد ان يكون تاريخ الاحتلال السلمي للعراق مرة ثانية، كما تسميه احدى مدارس الفكر العراقي، قد اثر في الخلفية السياسية لهذه البلاد خلال هذه السنوات، وذلك بما وفره من وسائل لاحباط اية محاولة اخرى تهدف الى اخضاع العراق الى دول المحور، فمع ان القوات البريطانية بانفاقها المحلي الواسع على السلع والخدمات، واستخدامها العمال، ومبادراتها في ميدان الخدمات التي كانت تقدمها قلة من الصناع الماهرين، وشحنها الحبوب والحيوانات الى جبهات اخرى من ميادين الحرب، ان هذه القوات البريطانية قد ساهمت حتما في حدوث التضخم النقدي، وفي الشرور الاقتصادية الاخرى التي اوجدتها فترة الحرب في العراق، الا انها قد اوجدت، في الوقت ذاته، رخاء ملموسا كانت معظم طبقات السكان تستمتع به(!!)[٧].

---

(٧) لانوافق المؤلف على هذا الادعاء الكاذب اطلاقا لان الوقائع تكذبه صراحة. فالذين استفادوا واثروا من وراء السوق السوداء قلة ضئيلة جدا، اما بقية السكان فقد تعرضوا للفقر والجوع، ذلك لان القوات البريطانية وضعت يدها، كما اعترف

وبايحاء من السفير البريطاني، تم اظهار كل الاهتمام والاعتبار والتقدير للسلطات العراقية، لاولئك الذين قبلوا بوجود القوات البريطانية، بصفة مؤقتة، في بلادهم. والواقع ان المدى الطفيف الذي ناءت به الادارة الاعتيادية في العراق، او الذي دعت الحاجة الى ان يحسب حسابه نتيجة وجود القوات البريطانية، نقول كان ذلك المدى مثارا للدهشة. فلقد كانت العلاقات بين بريطانيا والوصي فاخرة، حيث تقبل في سنة ١٩٤٣ مسرورا، الانعام عليه برتبة عميد جو فخرية في القوة الجوية، كما تم الانعام على اثني عشر من كبار الموظفين في الحكومة العراقية، بدرجات فخرية مختلفة من وسام الامبراطورية البريطانية، نظرا للخدمات القيمة التي ادوها زمن الحرب.

كان مركز البريطانيين في العراق، خلال هذه السنوات، وبفعل الظروف، يختلف عما كان عليه خلال الفترة من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٢، كما انه كان يختلف من الاساس عما كان عليه ايام الانتداب. كان وضع البريطانيين هذا مهيمنا بكل جلاء، وكانت هيمنته تلك مرغوبا فيها من قبل بريطانيا، غير ان هذه الهيمنة لم تكن، في الواقع، تهتم بتقوية يد الحكومة العراقية اكثر من اهتمامها بفشلها عن العمل. فلقد بقي السر كنهان كورنواليس في السفارة البريطانية حتى سنة ١٩٤٥، وذلك لكي يربط، بين العالم العسكري البريطاني، والعالم المدني العراقي، ويقدم النصيحة العملية والنافعة للحكومة العراقية. ولقد كانت تساعده في الحفاظ على اتصاله بكل اجزاء البلاد، فئة صغيرة من المستشارين المقيمين بصفة مراقبين ليس الا، في شمال العراق، وفي وسطه وجنوبه.

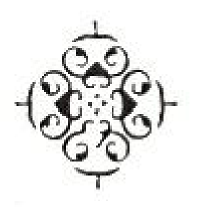
وفي الوقت الذي بقي فيه عنصر العداء الشديد للانكليز، قائما بين ضباط الجيش الذين خابت امالهم، والمعتقلين السابقين، وطبقة المثقفين الساخطين، فان اللهجة العامة للجمهور، وعلى الاخص في الاوساط الفردية والعشائرية وغير السياسية، ظلت مسالمة او ودية ازاء الاحتلال البريطاني[8] فلقد انضم كثير من العراقيين الى منظمة «اخوان الحرية»[9] وهي حركة

المؤلف نفسه، على المواد الغذائية، ووسائل النقل البري والنهري. وليس هناك من نسي في تلك الايام، الالام المضنية التي كان الشعب يعانيها جراء ارتفاع اسعار الحنطة والشعير والرز والسمن والسكر والشاي والاقمشة وغيرها، وعلى الاخص الادوية الطبية. وحتى بعد ان اسست مديرية التموين التي رأسها العقيد الانكليزي «بيلس» فان هذه المديرية لم تستطع وقف المضاربة بالاسعار ومحاربة الاحتكار، بل ان معظم موظفي هذه المديرية انفسهم قد استغلوا وظائفهم بقصد الاستفادة من الاهلين فيما تقرر من توزيعه عليهم من المواد الغذائية وغيرها فقد شارك بعض اولئك الموظفين في مديرية التموين، بعض الناس في فتح حوانيت لبيع الدقيق والسكر والشاي والاقمشة وغيرها.

(٨) اننا نخالف المؤلف في ذلك، فلم يكن في ذلك الوقت احد كان ينظر الى الاحتلال البريطاني للعراق نظرة مهادنة او تفاؤل سوى اولئك الذين انتفعوا ماديا من عودة الاحتلال البريطاني، من بعض رجال السياسة وضعاف النفوس من الموظفين وعلى

ادعت انها كانت تضم سبعمائة لجنة اوقفت نفسها لتحقيق العطف والدعم الدائم للقيم الدمقراطية. كذلك استطاع الكثيرون الذين كانوا يتلقون المعلومات والدعاية البريطانية المباشرة، ان يحققوا المساعدة التي كان الجيش البريطاني يستطيع ان يقدمها باستمرار للحاجات وللمصالح المدنية، بما في ذلك تأسيس الجمعية العراقية الانكليزية في لندن التي تأسست في ربيع سنة ١٩٤٥.

اخذ تقليص قوات حملة العراق وفارس يتقدم بصفة جيدة في ذلك الوقت. فقد قلصت هذه القوات من مدى اعمالها الانشائية (مما نجم عنه حدوث بطالة) كما انها قلعت كل سكك الحديد الطارئة، وتخلت عن النقل النهري، وضيقت من منشآت معسكراتها الواسعة في كل من الشعيبة والمسيب. وقد اختفت تلك القوات بصفة نهائية من العراق. في سنة ١٩٤٧، بعد ان تركت وراءها كميات واسعة من المواد المخزنية [١٠] وتراثاً ملموساً من التحسن الدائم في اشكال الابنية، والتجهيزات في ميناء البصرة، وفي سكك الحديد، والطرق الممتدة في البلاد.



الاخص المحافظين والقائمقامين ومدراء النواحي، وبعض مدراء التربية الذين اقبلوا على مكاتب التجسس التي افتتحها الانكليز في كل محافظة وقضاء والتي عرفت باسم مكاتب الارشاد، وكذلك رجال الاعمال وبعض النواب وشيوخ العشائر، وكبار التجار والمتعهدون.

(٩) اشرفت على انشاء منظمة اخوان الحرية وادارتها المؤلفة والرحالة الانكليزية المعروفة «فريا ستارك» وكانت هذه المنظمة تصدر نشرة اسبوعية بالعربية والانكليزية معا كان يتولى تحريرها وترجمتها الاديب المعروف المرحوم عبد الوهاب الامين وكانت هذه النشرة تطبع في مطبعة الرشيد وتتحدث عن كل نشاطات المنظمة (راجع ماذكره ستندرسن في مذكراته عن هذه المنظمة).

(١٠) من بين مخلفات الجيش البريطاني في العراق كميات من الدبابات والسيارات المصفحة عرضت للبيع بالمزايدة في قاعدة الشعيبة في البصرة وقد اشترك بعض التجار العراقيين مع التاجر اليهودي شفيق عدس، في شراء هذه الصفقة وتصديرها الى ايطاليا ومن هناك تسلمتها العصابات الصهيونية واستخدمتها في محاربة العرب في فلسطين. وقد انكشفت هذه اللعبة وانحصر توجيه التهمة بشفيق عدس وحده دون شركائه الاخرين من العراقيين، حيث جرت محاكمته امام المجلس العرفي العسكري وحكم عليه بالاعدام شنقا، فنفذ الحكم فيه، واسدل الستار على الشركاء الاخرين في هذه الجريمة النكراء.

٢. منتصف سنوات الحرب

كانت الازمة التي مر العراق بها في شهر ايار ١٩٤١، قد بررت - بعد ان اعيد الوضع مرة اخرى - قيام حكومات اتسمت بالشدة والصلابة. ذلك لان النفور المنذر بالشؤم لدى الجيش العراقي، وضعف الادارة، والدمدمة المنتشرة بين منظات الشباب التي جرى حلها، والتهديدات التي كانت تصدر عن انصار رشيد عالي الكيلاني الهارب، والذين كانوا يقولون بان نضالهم غدا الان هو البداية، كل هذه المظاهر قد زادت في تفكك الحياة القومية وشذوذها في العراق، فكانت تستدعي - بعد ان اخذت ظروف الحرب تفرض نفسها - وجود يد قوية وحاذقة. ولكن مثل هذه اليد القوية لم تكن متوقعة، ذلك لان جميل المدفعي الذي دفعه واجبه الوطني وحده، الى الاذعان مرة اخرى، لأن يتقبل الحكم، قد اخذ يعالج الوضع على اساس انه وضع جاء في اعقاب حصول حادث سياسي آخر، ولذلك فانه قد اختار بيسر ذات الدور الذي وقع في يده، بعد مقتل بكر صدقي، اي دور «اسدال الستار» على سوء التصرفات السابقة. ولهذا كانت الهوة واضحة بين الاجراءات التي مارسها، والاجراءات التي يشير اليها وضع العراق الراهن، والضرورات التي تدعو الحاجة اليها، اجل كانت هذه الهوة جلية الى درجة غدت معها سياسة القمع المبكرة التي طبقها، امرا محتما.

كانت الوزارة التي الفها المدفعي، من الوزارات التي تضم الساسة المجربين، ولكن من دون ادخال دم جديد فيها. فنوري السعيد الذي كان وجوده في العاصمة يثير الارتباك للمدفعي، كان قد غادر العراق الى القاهرة في منصب وزير مفوض للعراق فيها[1] ولهذا اعطي منصب وزير الخارجية الى علي جودت، ووزارة الداخلية الى الرجل الشديد المجرب مصطفى العمري، ووزارة

(١) استغل نوري السعيد وجوده هذا في مصر في تعزيز الاتصالات مع السلطات الانكليزية وفي رسم الخطط التي كانت بريطانيا تفكر فيها آنذاك لوضع سياسة مستقبلية للعراق وللاقطار العربية في المنطقة، حيث وضع نوري السعيد هناك خطته لانشاء سوريا الكبرى وماسواه من المشروعات التي وان كانت تبدو في الظاهر نافعة للعرب الا انها كانت في جوهرها لصالح القوى الاستعمارية ولتركيز السيطرة البريطانية في الدرجة الاول على البلاد العربية كلها.

الاشغال الى جلال بابان، ووزارة المالية، ومعها وزارة العدل بصفة مؤقتة الى ابراهيم كمال ذلك الرجل الذي كان الكثيرون يرون فيه رئيس الوزراء المقبل[٢] واعطيت وزارة الاقتصاد الى نصرت الفارسي، في حين تولى رضا الشبيبي وزارة التربية، وجعفر حمندي وزارة الشؤون الاجتماعية.

قابلت هذه الوزارة بصفة ودية المقترحات التي تقدمت بها بريطانيا بشأن اقامة القوات البريطانية في النقاط الستراتيجية، وفرض الرقابة المشتركة على الميناء، فضلا عن الرقابة التي تطلبتها ظروف الحرب. تم اغلاق المفوضية الايطالية في بغداد، وابعاد قلة من المدرسين المحرضين من السوريين والفلسطينيين[٣] وتفكيك اداة الدعاية المعادية بشكل فعال. وقد تمت اعادة الادارة في كل مكان، وشجعت السلطات المحلية على المبادرة بالاعمال التقدمية.

كانت العشائر هادئة، ولم يكن الاكراد نشطين في تلك المدة. ولم تتخذ اية تعقيبات ضد اليزيديين الذين اطلقوا النيران على القائمقامين الاكراد. ولكن وزارة المدفعي اخفقت في اعداد سياسة ثابتة للحرب، وعلى الاخص في الموقف المترجرج الذي وقفته ازاء مثيري الاضطرابات المعروفين، والذين كان التساهل ازاءهم، بالنسبة الى اخطار الحرب، يعتبر حماقة محفوفة بالخطر. كانت سياسة الوزارة تنطوي على التهدئة. ولكن حدثت بعض الاعتقالات القليلة. ومع ان هذه القلة من المعتقلين قد ضمت عبد الواحد سكر واخرين معه من شيوخ رؤساء عشائر الفرات العنيدين الذين لايمكن اصلاحهم. فلم يلق محافظو المحافظات، نتيجة الرأفة التي اسيئ توجيهها، من الوزراء، اي تشجيع للمبادرة بالاعمال الثابتة ولذلك فلم يتم سوى الشيئ الضئيل من اعمال التطهير الادارية ذاتها. كذلك سمح باتخاذ الاستعدادات لاقامة معسكر اعتقال في «الفاو».

بدت استقالة ابراهيم كمال من منصبه في منتصف شهر ايلول وكأنها سوف تعقبها وزارة يؤلفها هذا الرجل القدير نافد الصبر. غير انه لم يكن يملك الدعم الكافي له. ولذلك فضل عبد الاله، بعد ان اصبح تبديل الوزارة امرا ضروريا، ان يطلب الى نوري السعيد العودة من القاهرة، وذلك لان قابلياته هي التي كانت تتطلبها الظروف القائمة آنذاك. استقال جميل المدفعي في اليوم السابع من شهر تشرين الاول، وبعد يومين من ذلك اعلنت ارادة ملكية بان نوري السعيد قد الف وزارته السادسة. جاء نوري السعيد بصالح جبر ذلك الرجل القوي المؤهل لوزارة

---

(٢) حاول ابراهيم كمال بالتقرب من الانكليز كثيرا، ان يزاحم نوري السعيد في ذلك كي يصبح في المستقبل هو رئيس الوزراء. ولكن احلامه هذه لم تتحقق. وقد دفعه هذا الحلم الى التصدي للوزارة التي كان وزيرا للمالية فيها لانها لم تعاقب المشتركين في حركة ايار عقابا صارما فقدم استقالته (انظر الحسني ج ٥ ص ٤٦ - ٤٧).

(٣) كان من بين هؤلاء الذين طردوا من العراق المرحوم درويش المقدادي واكرم زعيتر وغيرهم، كما الغي تدريس الالمانية والفرنسية في الدراسة الاعدادية ايضا.

الداخلية، وعلي ممتاز لوزارة المالية، وصادق البصام للعدل، وتحسين علي للتربية ومحمد امين زكي للاشغال والمواصلات، وعبد المهدي للاقتصاد، وجمال بابان للشؤون الاجتماعية.

كان العبء الرئيس للادارة يقع على عاتق الوزيرين الاولين من اعضاء هذه الوزارة(٤) ولقد حدثت تغييرات في الوزارة خلال شهر شباط سنة ١٩٤٢ عندما تولى الدكتور عبد الله الدملوجي وزارة الخارجية (لمدة اربعة اشهر حسب)، وحل داود الحيدري في نيسان محل صادق البصام في وزارة العدل، وتولى عبد المهدي وزارة الاشغال مكان محمد امين زكي، وظل رئيس الوزراء يحتفظ بمنصب وزير الدفاع، وراح يضغط على السفير البريطاني في تحقيق رغبته، وهي ان يلعب الجيش العراقي دورا محددا في هزيمة هتلر. ولكن العرض الذي تقدم به نوري السعيد لارسال لواءين عراقيين الى ميادين الحرب في شمالي افريقيا، لم يتم قبوله من لدن الانكليز ومع كل ذلك، وبتأكيد من لدن الوصي، اظهر نوري السعيد حماسة طاغية في اعتقال من سماهم بغير المخلصين، ولو ان الذين كانوا يعطفون على النازيين، والذين استطاعوا ان يحموا انفسهم جيدا من الاعتقال، ظلوا امنين من دون ان يمسسهم شيء، بل اكثر من هذا اعطيت لهم مناصب عالية!

تناقصت الحماسة لهذه الاجراءات، لفترة ما، في اواسط سنة ١٩٤٢، نتيجة النجاحات التي حققها القائد الالماني روميل في الصحراء الغربية(٥) وسرعان ما بدأ العمل في انشاء معسكر اعتقال في «الفاو» واعقبه في وقت متأخر انشاء معسكر ثان في الصحراء في موقع «السلمان»، وثالث على ضفة النهر في العمارة، والذي نقل اليه كل المعتقلين بصفة مطلقة، بحيث ارتفع عدد هؤلاء المعتقلين، الى اعظم رقم هو ثلثمائة وخمسون معتقلا. ولقد القى البريطانيون القبض في بلاد فارس على عدد من العراقيين الهاربين الى هناك فاعتقلوهم لبعض الوقت في «الاحواز»، ومن ثم جيء بهم لمحاكمتهم في بغداد، او للاعتقال في روديسيا(٦).

تعرضت وزارة التربية لعملية ترقيع كاملة دعت الضرورة الى اجرائها. كما تم فصل عدد يؤلف بضع عشرات من الضباط غير الاكفاء من الجيش، ولكن اعداء نوري السعيد قالوا بان اولئك

---

(٤) المقصود بهما صالح جبر وعلي ممتاز.

(٥) انظر عن ذلك كتاب «المارشال روميل» الذي وضعه اللواء الانكليزي «دزموند يونغ» وقمنا بترجمته واصداره للمرة الاولى في سنة ١٩٥٠، وقد صدرت له طبعة ثانية محققة وموسعة في بغداد ١٩٨٤. وطبعة ثالثة في ١٩٨٧.

(٦) التي تعرف الآن باسم «زمبابوي» وكان من بين المعتقلين فيها عضو منظمتنا «الحرس الوطني» السيد عبد الجبار حمزة، بالاضافة الى عدد اخر من انصار الكيلاني ناجي السويدي، الذي توفي هناك، وداود السعدي وعدد من المعتقلين الفلسطينيين الاخرين من بينهم رفيق التميمي الذي توفي ودفن في المقبرة الاسلامية بمدينة سالزبوري (انظر كتاب عثمان كمال حداد عن حركة رشيد عالي).

الضباط الذين فصلوا لم يكونوا اصدقاء لنوري السعيد، وتم في الوقت ذاته تطبيق قانون التجنيد الاجباري بتساهل حكيم على المناطق العشائرية.

قطعت العلاقات مع اليابان وحكومة فيشي، بعد ان تولى نوري السعيد رئاسة الوزارة. وتم ارسال وزير مفوض لاول مرة، هو علي جودت الى واشنطن في شهر اذار سنة ١٩٤٢ بعد وفاة الوزير الامريكي المفوض في بغداد «بول نابنشو»، حيث شرع بالاستفادة من التموينات الامريكية، حسب قانون الاعارة والتأجير الامريكي، وذلك ابتداء من شهر ايار تلك السنة. واستطاع رئيس الوزراء ان يحصل على قرار من مجلس النواب لصالح الانضمام الى بيان الامم المتحدة الذي اعلن في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٢، والذي عرف عنه في حينه بانه يعادل اعلان الحرب على دول المحور، وذلك هو الشرط الذي تم اشتراطه للانضمام الى ذلك البيان.

وعقد العراق معاهدة مع الصين، التي كان وزيرها المفوض يقيم في طهران[٧].

استمرت صحافة المحور، ووسائل دعايتها، تصور اوضاع العراق، بانها الاوضاع التي تفرضها السيطرة البريطانية الوحشية، والعمل الاستعبادي، والمؤامرات اليومية، وحركات التخريب، وغليان العشائر، وغير ذلك من الدعايات المضحكة التي كان يدعمها وجود رشيد عالي الكيلاني في اوربا (الذي نقض وعد الشرف الذي تعهد به حين غادر تركيا) وكل من ناجي شوكت، وفوزي القاووقجي وامين الحسيني وغيرهم. ذلك ان هؤلاء الفارين قد استقبلوا من قبل موسوليني، وروبنتروب، وهتلر نفسه، فكانوا يذيعون تصوراتهم للوضع القائم في العراق حسب الطلب. وفي الوقت ذاته لم يكن لزملاء هؤلاء الهاربين في العراق سوى الشيء الضئيل من مجالات العمل. ذلك ان وزارة نوري السعيد كانت قد انشأت محكمة خاصة في اواخر سنة ١٩٤١، وفي شهر اذار سنة ١٩٤٢ صدر الحكم غيابا بالاعدام على رشيد عالي واثنين من وزرائه هما يونس السبعاوي وعلي محمود الشيخ علي، وكذلك على ثلاثة من اعضاء المربع الذهبي هم فهمي سعيد، ومحمود سلمان، وصلاح الدين الصباغ، كما صدرت احكام بالحبس الطويل على كل من ناجي شوكت، وامين زكي سليمان رئيس اركان الجيش، وبمدة اقصر على وزير التربية الدكتور محمد حسن سلمان، ومدير الدعاية صديق شنشل. كذلك اجلت محاكمة متهمين اخرين مماثلين لهؤلاء الى ان تم تقديمهم للمحاكمة. وكان من بين هؤلاء ناجي السويدي (الذي توفي في رودسيا) وثلاثة وزراء اخرين هم كل من علي محمود، وموسى الشابندر، ورؤوف

(٧) ماليت هذا الوزير الصيني المفوض ان قدم الى بغداد وانشأ سفارة صينية تابعة لحكومة الجنرال جان كاي جك في سنة ١٩٤٣ وقد ظلت هذه السفارة الصينية قائمة في العراق حتى بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم في الصين في سنة ١٩٤٩، ولم يتم قطع العلاقات بين العراق وماعرف بالصين الوطنية في فرموزا، الا بعد سنة ١٩٥١

البحراني وكامل شبيب العضو الرابع في المربع الذهبي، وعبد القادر الكيلاني ابن عم رشيد عالي[٨].

وادى تسليم البريطانيين لعدد من المتهمين الذين قبض عليهم في بلاد فارس، الى العدالة العراقية، الى اعادة محاكمة اولئك الذين صدر الحكم بحقهم غيابا. فلقد صودق الآن حكم الاعدام على يونس السبعاوي، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان ونفذ فيهم، في حين صدر الحكم بالحبس لمدة سبع سنوات وخمس سنوات بالتتابع على كل من علي محمود الشيخ علي والفريق امين زكي سليمان، وبرئت ساحة صديق شنشل في الوقت الذي ثبتت فيه الاحكام الاخرى، وقد جرت محاولات اخرى من طراز مألوف اثناء المحاكمة للتأثير في مجرى العدالة.

كانت التشديدات الشخصية التي نجمت عن هذه الاجراءات، وبصفة عامة بالنسبة الى سياسة نوري السعيد في دعمه الخالص الصحيح لبريطانيا حتى في احلك الايام التي مرت بها، قد اثارت القلق الذي اصاب الوزارات، والذي تعاظم نتيجة الخلافات حول الاجراءات الاقتصادية التي تتطلبها الحالة الاقتصادة الخطيرة الآن وقد برزت تلك الخلافات بالمحاولة التي ابداها كل من علي ممتاز وعبد الله الدملوجي للاستقالة من منصبيهما اثناء الصيف، مما كان له تأثيره في الخلل الجزئي الذي اصاب الادارة.

غير ان الوزارة مالبثت ان استقالت في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٢ بعد ان امتد عمرها سنة كاملة، لتعقبها وزارة اخرى الفها نوري السعيد نفسه ولم يطل عمرها اكثر من سبعة شهور. وفي هذه الوزارة احتفظ صالح جبر بوزارة المالية، وعبد المهدي بوزارة الاشغال والمواصلات، في حين اودع نوري السعيد وزارة الداخلية الى حموه تحسين العسكري (اخ جعفر العسكري)، ووزارة الخارجية الى الدكتور عبد الاله حافظ خريج كلية الاقتصاد وطب الاسنان، ووزارة العدل الى داود الحيدري، والتربية الى تحسين علي، والاقتصاد الى رجل الاعمال النجفي محسن شلاش، والشؤون الاجتماعية الى محافظ وحاكم سابق، احمد مختار بابان الكردي بالاسم ليس الا. ولقد عدلت هذه التشكيلة فيما بعد حين تخلى كل من عبد المهدي ومحسن شلاش عن منصبيهما، فاعطي الى سلمان البراك من الحلة الذي تولى وزارة الاقتصاد والمحافظ السابق الشاب عبد الرزاق الازري، الذي اخذ منصب وزير الشؤون الاجتماعية.

اعقبت تأليف هذه الوزارة، زيارة قام بها عبد الاله الى مصر حيث استقبل استقبالا ملكيا من لدن الملك فاروق، وهناك اعاد زيارته لكلية فكتوريا[٩] ومن ثم سافر الى الميدان العسكري في العلمين لتفتيشه[١٠]. اما ابن اخته الملك فيصل الثاني الذي غدا الآن فتى ذكياً تعقد عليه

---

(٨) حوكم كامل شبيب وحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم. اما عبد القادر الكيلاني فلم يكن ابن عم رشيد عالي.

(٩) هي الكلية التي افتتحها الانكليز في مدينة الاسكندرية وظلت قائمة سنوات عديدة الى ان تم الغاؤها بعد ان تأسست جامعة الاسكندرية وحلت محلها.

(١٠) انظر وصف الزيارة التي قام بها عبد الاله لميدان معركة العلمين في مذكرات سندرسن الطبعة الثالثة من ٣١١ ومابعدها.

الآمال، فقد وجه اذاعته باللغتين العربية والانكليزية بمناسبة بلوغه السنة الثامنة من عمره، وذلك في اليوم الثاني من شهر ايار سنة ١٩٤٣.

كان من بين اولى الاعمال التي نهضت الوزارة بها، اعلان الحرب على كل من المانيا وايطاليا واليابان، على اساس الادعاء بالتدخل المتعمد لهذه الدول، في شؤون العراق، وقد اصدرت الوزارة كتابا اخضر عن سياستها في هذا المضمار. اخذ الوزير التركي المفوض ببغداد يقوم برعاية المصالح الفرنسية واليابانية في العراق، في حين كان القنصل السويسري يقوم برعاية المصالح الالمانية. وتبودلت البرقيات الودية، بهذا الشأن، بين نوري السعيد وتشرتشل رئيس الوزارة البريطانية. ولكن لم يكن من المتوقع حصول نتائج عملية من وراء هذه الحركة والتي قد تستعمل لكي تضمن للعراق مكانة افضل في مؤتمر الصلح، وتساعد في الوقت ذاته على ان يفرض العراق زعامته على العالم العربي[١١].

اما الرأي العام الذي لم يظهر لاتحمسا ولااستنكارا لاعلان الحرب، والذي لم يكن يتحسس الا بالقليل من الاحساس الناجم عن ذلك الالتزام، فانه لم يكن يرغب في مساندة رئيس الوزراء الى حد ما، في سعيه الى ارسال القوات العراقية خارج البلاد، كما ان الجيش ذاته قد اصبح الآن قادرا على النهوض بعمليات حربية خارجية. على ان هذه الحالة مالبثت ان تحسنت تدريجا، بفعل الانتصارات التي حققها الحلفاء في شمالي افريقيا، ولذلك تم تنظيم زيارات لبعض الضباط العراقيين الى مواقع المعارك في ليبيا. وفي الوقت ذاته عملت البعثة العسكرية البريطانية تحت امرة الفريق «بروميليو» الذي خلف الفريق «ووترهاوس» كل مافي وسعها لاعادة الروح المعنوية للجيش العراقي، وتعزيز روحية رفقة السلاح.

وفي ذات الوقت فان مساهمة العراق، حتى عند عدم مشاركته في القتال، في المجهود الحربي الحليف، لايمكن نكرانها ابدا. ذلك لان العراق قدم الى البريطانيين مواقع المعسكرات والاراضي اللازمة لها من دون بدل ايجار، كما قدم المباني حسب الطلب من دون ادنى اعتراض، ووضعت السيطرة الاقتصادية طبقا لنصائح البريطانيين، وتمت المشاركة في ادارة وسائل النقل النهري، وادارة الميناء، او تم التخلي عن هذه الوسائل للبريطانيين. كذلك تم تقبل استعمال سكك الحديد العراقية لاوسع استعمال عسكري، واعطيت الافضلية لمتطلبات

(١١) يتبين من هنا مدى قصر نظر نوري السعيد في هذا الشأن. فلقد كان هذا الرجل شديد التعلق بالانكليز ومشاريعهم الاستعمارية. ولذلك راح يضغط منذ وقوع الحرب على اعلان الحرب على دول المحور مسبقا، وارسال لوائين من الجيش العراقي للاشتراك في القتال الى جانب الحلفاء في ميادين القتال المختلفة، على امل ان يقيم الحلفاء هذه السياسة بعد انتصارهم في الحرب، فيحققوا الكثير من الوعود للعرب وللعراق. ولكن نسي نوري السعيد والسائرون معه في هذه السياسة ان الانكليز لم يفوا باي من الوعود التي قطعوها للعرب خلال الحرب العالمية الاولى، وانهم اي الانكليز ورفاقهم في الحرب كانوا يتصرفون وفق ماتمليه عليهم مصالحهم الاستعمارية دون اهتمام او رعاية لاية عهود او مواعيد اخرى سبق لهم ان قطعوها. والا فاين ذهبت فلسطين واين ذهب اهلها الشرعيون؟؟

رجال الجيش ، ووضعت اجهزة البرق والهاتف تحت التصرف العسكري ، وتم توفير الكميات اللازمة من الحبوب للقوات البريطانية[١٢] .

حالت مشاق تدبير الاقتصاد ، وعدم توازنه ، والتي اصابت العراق في هذه الفترة ، دون تنفيذ المشاريع الكبرى التي كانت النيّة معقودة على تنفيذها . ومع كل ذلك كان التقدم المدني يسير قدما ليس في العاصمة بغداد حسب ، بل وفي الضواحي التي خططت ، وشرع ببناء اجزاء منها ، والاقدام على البدء ببناء منازل لافراد الطبقة العاملة[١٣] لكي تحل محل الاكواخ غير الصحية المبنية من الطين وصفائح النفط الفارغة . والواقع ان سني الحرب قد شهدت تغييرات في مظاهر المدن . فقد تضاعف عدد المؤسسات البلدية ذاتها وان كانت موارد معظم المؤسسات والشركات ضئيلة ، ولو ان ايراداتها بلغت ثلاثة اضعاف ماكانت عليه خلال هذه السنوات الخمس . وبايماءة من امين عاصمة لندن (اللورد ماير) رافقتها رسائل اخوية ملائمة اقدم على اهداء امين العاصمة في بغداد وسام «سلسلة الادارة» .

واصلت الخدمات الصحية تطورها ، وازداد عدد الاطباء الذين يعملون لحساب الادارة ، كما ازداد عدد المتدربين الخاصين الذين جند معظمهم من الكلية الطبية في بغداد . وكان الاخصائيون البريطانيون الذين خدموا العراق بعلومهم طيلة عشرين سنة ، مايزالون يؤدون دورهم الذي لاتنكر قيمته . كذلك لم يحدث اي توقف في ميدان التربية خلال هذه الفترة . فقد تم سن قانون معدل للتربية العامة ، وارتفع عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للفتيان والفتيات ومن النوع المختلط ايضا ، كما تم تأسيس الكثير من المدارس الخاصة الجديدة .

كان عدد الطلاب الذين ارسلوا للدراسات العليا في الخارج ، قليلا اثناء الحرب ، ولكن الفيض من ارسال هؤلاء قد بدأ مرة اخرى وبصفة قوية في سنة ١٩٤٤ . وفي سنة ١٩٤١ انشئت في بغداد مدرسة ثانوية حسب الاسس الاوربية ، توفر السكن والغذاء للطلاب عرفت باسم كلية الملك فيصل ، كما اعيد فتح مدرسة الصناعة في الموصل سنة ١٩٤٢ ، وفتحت مدرسة مماثلة لها في كركوك سنة ١٩٤٥ واسس معهد الملكة عالية في سنة ١٩٤٢ ، ولكن كلية

---

(١٢) ماذا كان جزاء العراق من بريطانيا ازاء هذه الخدمات ياترى ؟ هل غيرت هي وحلفاؤها من مواقفهم ازاء القضية الفلسطينية ، وقللوا من تحيزهم للصهاينة ؟ هل جلت بريطانيا جلاء تاما ومباشرا عن العراق بعد انتهاء الحرب فورا ، وامتنعت عن التدخل في شؤونه ؟ لقد كان نواب العراق محاولة ربطه بمعاهدة بورتسموث التي تكاد لاتختلف بشيء ماعن معاهدة سنة ١٩٣٠ وان كانت موادها قد بطنت بعبارات تحتمل التأويلات والتفسيرات المتناقضة !

(١٣) انشئت اول هذه المنازل الصغيرة في منطقة «تل محمد» المجاورة لبغداد الجديدة ابتداء من سنة ١٩٤٧ وما بعدها ، وقد وزعت هذه المنازل على عدد من العمال ونواب الضباط والعرفاء في الجيش العراقي .

رياضة فتحت بعد سنة متأخرة عن ذلك ولم تعش اكثر من اربع سنوات[14] واسس معهد الفنون الجميلة مع اقسام منفصلة فيه للموسيقى والرسم والنحت والتمثيل . وعمل الاستاذ «هملي» مستشاراً لوزارة التربية خلال ١٩٤٢ – ١٩٤٣ . وهو اول مستشار لهذه الوزارة بعد فترة استمرت عشر سنوات ؛ وقد خلفه في ذلك «ربتش» للفترة ١٩٤٤ – ١٩٤٥ ، والمقدم «سكيف» من جامعة القاهرة للسنتين اللتين اعقبتا ذلك .

كانت دائرة الاثار جمة النشاط . فقد قامت بالتنقيب في موقع «العقير» على بعد خمسين ميلا جنوبي بغداد في السنة ١٩٤٠ – ١٩٤١ وفي موقع «دير» على قناة اليوسفية[15] وفي عكركوف خلال ١٩٤٢ – ١٩٤٤ وفي تل حسونة قرب الموصل ١٩٤٣ – ١٩٤٥ وان كان القسم الاعظم من اعمال التنقيب هذه ، قد انجز على ايدي الباحثين العراقيين الذين اصابوا مؤهلات عالية في هذا المضمار .

اما الادارة ذاتها ، والتي اصيبت بهزة عنيفة نتيجة حوادث ايار ١٩٤١ والضغوط التي اعقبتها ، وما جابهته من مهمات جديدة ومزاجات جديدة، فانها قد انحطت بصفة منظورة في كفاءتها واعتبارها ، ولم تعد تتوفر الوحدة الوزارية ، ولا الضغط الاداري لتصحيح هذا الضعف ، ولذلك ادت النتائج التي نجمت عن ذلك الى تجدد الشكاوى ضد «الوصاية القديمة» من النقاد الذين اخذوا يلحون على ادخال دم جديد في الوزارة ويفضلون انفسهم على غيرهم في هذا الشأن .

لم تسمح فترات اواسط سني الحرب واواخرها في الواقع ، باي مجال لوقوع الانقلابات العسكرية ، او تحريض شيوخ العشائر ، او الايحاء بوقوع الاضرابات . ولكن هذه الفترات سمحت بحدوث الشيء الكثير جدا من الدسائس الشخصية ، والنقد العنيف المشترك ، ووضع العقبات المتعمدة التي كان يجري اثارتها في الايام الاعتيادية . ولقد استقبلت انباء الحرب المثيرة الاتية من ميادين القتال في ليبيا وتونس خلال شتاء سنة ١٩٤٢ – ١٩٤٣ بمنح عطلات عامة لموظفي الدولة وغيرهم ، وتسمية بعض الشوارع ببعض الاسماء ، وانتهاء امال اولئك الذين كانوا يعطفون على النازيين ، وتلك امال لم تنبعث مجددا بسبب القاء القبض على ثلاثة من الضباط الالمان الذين هبطوا بالمظلات على مقربة من الموصل ، وعلى دليلهم الكردي .

---

(١٤) اعيد فتح كلية الرياضة مرة اخرى قبيل ثورة تموز ١٩٥٨ ومازالت قائمة حتى الان وقد تضاعف عدد الطلاب والطالبات التي يجري قبولهم فيها .

(١٥) المعتقد بصفة عامة لدى علماء الاثار ان موقع «دير» هذا هو ذات الموقع الذي كانت تقوم فيه مدينة (اكد) عاصمة الدولة الاكدية . ولقد قامت بعثة بلجيكية بالتنقيب في هذا الموقع في سنة ١٩٧٤ فعثرت فيه على مكتبة واسعة تضم اكثر من عشرة الاف رقيم مكتوب بالخط المسماري ، في حين لم توفق مديرية الاثار العامة الى ذلك رغم اشتغالها في التنقيب في ذات الموقع عدة سنوات منذ سني الحرب الثانية .

ادى تحسن الاحوال الى تحول السياسة الوزارية نحو الاهتمام المتزايد ، بقضية المعتقلين في معسكرات الاعتقال في العمارة وفي رودسيا . وقد اعتبر اطلاق سراحهم ، في نظر السفارة البريطانية عملا محزنا جاء قبل اوانه[١٦] ، واعقب ذلك اعادة رجال الى وظائف الدولة العامة ، ممن اشتهروا بالعنف ضد البريطانيين والهاشميين. وفي الوقت ذاته وقع عمل غير سياسي نافع من قبل اللجنة التي ضمت اعضاء من مجلس الاعيان والحكام ، واشترك فيها كل من دراور وادمونز ، بصفة مستشارين للنظر في تعديل الدستور وتصحيح بعض النواقص الظاهرة فيه ، وقد اجتمعت هذه اللجنة في اوائل سنة ١٩٤٣ ووضعت مسودة قانون ، ونتيجة جهودهم صادق النواب والاعيان عليه خلال شهري ايار وحزيران من تلك السنة[١٧] .

ولما كان تعديل الدستور قد تطلب قيام برلمان جديد ، فقد اعيد عرض القانون المذكور مجددا على مجلس النواب الذي نجم عن الانتخابات الجديدة التي جرت لاول مرة منذ سنة ١٩٣٩ ، والذي التأم في اليوم التاسع من شهر تشرين الاول وصادق على التعديل . وكان مما اشترطه التعديل الذي ادخل على الدستور ، انه في حالة عدم وجود وريث واضح للعرش ، يجوز اختيار وريث ذكر من اسرة المرحوم الملك حسين . وفي هذه الحالة ينبغي تسمية الوصي نفسه لذلك . وقد زيدت امتيازات الملك اذ منحت له السلطة في طرد رئيس الوزراء ، وذلك حكم لم يكن موجودا من قبل ، وادى تطبيقه بصفة متكررة الى احداث كثير من التغييرات العنيفة واللاقانونية في الحكومة .

اصبح مسموحا بزيادة عد اعضاء الوزارة من دون اي تحديد ، وان يشتمل العدد على نائب لرئيس الوزراء ، وعلى عدد من الوزراء بدون وزارة ، على ان لايقل ذلك عن سبعة وزراء. ولم يحدد اعضاء مجلس الاعيان بعشرين عضوا، بل ان يزاد هذا العدد على ان لا يتجاوز ربع عدد النواب . وقد تم تجريد البرلمان من سلطة العفو عن الاشخاص الذين يقترفون جرائم

---

(١٦) افرجت الحكومة في ١٣ كانون اول ١٩٤٣ عن خمسة وثلاثين معتقلاً واعقبت ذلك في الخامس من شهر تموز ١٩٤٤ الافراج عن سبعة وخمسين معتقلاً وفي يوم ١٨ منه عن ثلاث وعشرين وفي الخامس من كانون الاول عن واحد وخمسين معتقلاً .

(١٧) تألفت هذه اللجنة من السادة جميل المدفعي ، ومصطفى العمري ، وبهجت زينل ، وعبد الجبار التكرلي وتوفيق السويدي وعمر نظمي ومحمود صبحي الدفتري ، ونوري القاضي ، وعبد الهادي الظاهر وانطوان شماس وجميل عبد الوهاب ، وعبد الوهاب محمود . اما اللجنة التي يشير المؤلف اليها فانها كانت قد تألفت في عهد الملك غازي من كل من ناجي السويدي ، ورستم حيدر ، وعبد العزيز القصاب ودراور مستشار وزارة العدل . وقد طال امد النظر في هذا الموضوع ولم يتم الانتهاء منه وصياغة الدستور الجديد، الا في اليوم التاسع من حزيران سنة ١٩٤٣ .

ضد الدولة[17] وجوز امكانية عقد اجتماعات مجلس النواب خارج العاصمة عند الضرورة. وكان هذا الاجراء يمثل صدى واضحا لاقامة عبد الاله في الديوانية وفي البصرة خلال سنة ١٩٤١، واخيرا اباح التعديل امكانية اختيار الاجراءات الدستورية المعمول بها في البلدان الاخرى بقرار من مجلس النواب والاعيان، ان لم تكن مثل تلك الاجراءات مناقضة للدستور.

كانت الانتخابات العامة التي اجريت في اواسط سنة ١٩٤٣، والتي اعقبت حل مجلس النواب في شهر حزيران من تلك السنة، قد سبقتها اعادة اخرى لتأليف الوزارة. فقد ذهب صالح جبر الى وزارة الداخلية، وتحسين العسكري الى الاشغال والمواصلات، ولم يتغير منصبا وزيري الاقتصاد والشؤون الاجتماعية اللذين كان يشغلهما كل من عبد الرزاق الازري وسلمان البراك. وجاء احمد مختار بابان الى وزارة العدل التي شغرت بخروج داود الحيدري منها، وعين المحامي المقتدر نصرت الفارسي وزيرا للخارجية، وعبد الاله حافظ للتربية، وتحسين علي رئيساً للديوان الملكي، وجلال بابان للمالية. ولكن اعادة تأليف الوزارة كانت قلقة منذ البداية، نتيجة تعاظم حرارة الصيف، وتغيب رئيس الوزراء الدائم في سوريا ومصر والثقة الضئيلة التي حظيت بها من لدن القصر.

ولذلك فان هذه الوزارة لم تستطع ان تفعل سوى الشيء الضئيل، وقد ازدادت ضعفا في شهر ايلول من تلك السنة، بسبب الخلافات التي نشبت بين الوزراء انفسهم، وبين رئيس الوزراء وعبد الاله حول اشخاص البرلمان الجديد الذي ينبغي ان يتم اختياره لكي يلعب دورا تنفيذيا كبيرا كالمعتاد. ولذلك شهد الاسبوع الاول من تشرين الاول استقالة نصرت الفارسي الذي احتل مكانه تحسين العسكري بصفة مؤقتة، واستقالة صالح جبر الذي خلفه في منصبه، احد المحافظين الكفوءين هو عبد الله القصاب ابن اخ عبد العزيز القصاب، وكذلك استقالة جلال بابان الذي اودعت واجباته الى عبد الاله حافظ.

كان المجلس الجديد يضم خمسة وستين من النواب السابقين، وكان البعض منهم من المشكوك في قابلياتهم، غير انهم لم يكونوا من المعادين للانكليز بصفة ظاهرة. وكان واحد وخمسون من اعضاء هذا المجلس الجديد قد صوتوا سنة ١٩٤١ تحت ضغوط مختلفة الى جانب عزل عبد الاله عن الوصاية. اعقب افتتاح البرلمان واقرار تعديل الدستور مغادرة رئيس الوزراء

(١٧) في اعتقادنا ان هذا الجزء من التعديل كان هو الهدف الرئيس من التعديلات التي ادخلت على الدستور، ومنح الوصي في الدرجة الاولى، والى ان يبلغ فيصل الثاني سن الرشد، ان بقي على قيد الحياة حتى ذلك الوقت، سلطات دكتاتورية في الانتقام من خصومه او الثائرين عليه كما حدث ذلك فعلا في اعقاب ثورة ايار ١٩٤١ حين اصر اصرارا شديدا على اعدام العقداء الاربعة، وقصد تركيا بنفسه ليطلب من رئيس جمهوريتها عصمت اينونو، تسليم صلاح الدين الصباغ الذي لجأ اليها بعد فشل الثورة، وجلبه الى العراق واعدامه امام باب وزارة الدفاع وحضوره بنفسه عملية الاعدام.

مرة اخرى الى مصر للمضي الان في اهتمامه الذي اشغله في ذلك الوقت في تعقب خطوات الوحدة العربية[١٨].

في اواخر تشرين الاول ١٩٤٣ وصلت على الفور انباء تتحدث عن حدوث قلاقل في منطقة برزان الجبلية. كما ان عبد الاله، الذي قد اصبح الان وليا للعهد قد غادر العراق الى بريطانيا استجابة لدعوة تلقاها من الملك جورج السادس، وقد سبقه الى هناك داود الحيدري الذي عين وزيرا مفوضا للعراق في لندن، وصحبه في سفرته الطبيب الخاص سندرسن باشا وحاشية عسكرية، حيث استقبله الدوق غلوستر، فمكث يومين في قصر بكنغهام، وامضى اياما اخرى في لندن، قبل ان يعود الى بغداد في اواسط شهر كانون الاول عن طريق لشبونة. وقد استقبل في كل مكان حل فيه ، باستقبال فاخر، وخلق عنه ذات الانطباع[١٩].

وما ان وصل عبد الاله العاصمة حتى جابه على الفور مهنة تأليف وزارة تكون اكثر اتحاداً او اكثر كفاءة، غير ان علاقاته مع نوري السعيد كانت تمر آنذاك خلال مرحلة غير اعتيادية من نفاد الصبر، وانعدام الثقة، اذ كانت الاحاديث التي تجري بينهما مشوبة بالقلق[٢٠] لم يكن ابراهيم كمال الذي لم تستخدم قابلياته غير راغب، بل غير قادر على الاصح في ان يتقبل منصب رئاسة الوزارة الذي كان يعتقد بانه سوف يعرض عليه[٢١] في حين دعي نوري السعيد الذي استقال من رئاسة الوزارة لكي يؤلف وزارة اخرى هي وزارته الثامنة،وقد تم الاعلان عن تأليف هذه الوزارة يوم عيد الميلاد سنة ١٩٤٣[٢٢] حيث سانده لاول مرة نائب لرئيس الوزارة، هو توفيق السويدي ووزراء جدد منهم ماجد مصطفى، وهو موظف كردي سابق له نفوذه الذي تولى

---

(١٨) كان الانكليز قد لوحوا في ذلك الوقت لبعض الحكام العرب، بامكانية انشاء منظمة عربية اقليمية هي جامعة الدول العربية لكي تلهيهم وتعوضهم عن الوحدة العربية التي كانت الجماهير العربية المتحمسة لها تتطلع اليها، حيث ولدت هذه الجامعة العربية في مقر وزارة الخارجية البريطانية، كما ذكر ذلك الصحفي الانكليزي اليهودي «جون كمشي» في كتاب صدر له عن الشرق الاوسط آنذاك.

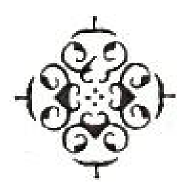
(١٩) انظر عن هذه الزيارة مذكرات سندرسن باشا ص ٣٠٩ ومابعدها. الطبعتان الثانية والثالثة.

(٢٠) نعتقد ان ماحدث الان بين عبد الاله ونوري السعيد شبيه بما حدث بين فيصل الاول وعبد المحسن السعدون، اذ اصبح عبد الاله يغار من اعتماد الانكليز على نوري السعيد بدلا من اعتمادهم عليه، اي عبد الاله.

(٢١) اشرت في تعليق سابق الى الاحلام التي كانت تراود كمال ابراهيم في الظفر برئاسة الوزارة وكان منبع تلك الاحلام احاديث عرضية تحدث بها المستر «هولت» سكرتير السفارة البريطانية المشهور في بغداد الى كمال ابراهيم، عن قابلياته التي لم تقدر حق قدرها، والتي تؤهله لتولي رئاسة الوزارة.

(٢٢) تألفت الوزارة السعيدية الثامنة في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٣.

منصب وزير بلا وزارة للشؤون الكردية [٢٣] ومحمد حسن كبة وهو حاكم سابق . اما الوزراء الاخرون فكانوا جميعهم ، ونتيجة للخوف من الاصلاحيين ، من الممثلين الضليعين لعصابة حاكمة كانت قد تألفت منذ وقت طويل ، وكان من بين هؤلاء سلمان البراك وزير الاقتصاد ، وصادق البصام وزير الاشغال ، وعمر نظمي التركماني الذي تولى وزارة الداخلية ، واحمد مختار بابان ، ومحمود صبحي الدفتري ، وعلي ممتاز ، وعبد الاله حافظ وزراء العدل والخارجية والمالية والتربية [٢٤] ولقد عرض نوري السعيد على كامل الجادرجي منصب وزير الشؤون الاجتماعية فلما رفضه تحول الى محمد حديد .



(٢٣) كان ماجد مصطفى يشغل منصب محافظ العمارة قبل استيزاره وقد قام باول مشروع للاسكان في مدينة العمارة ، اذ وزع قطعا من الاراضي على سكان المدينة لاقامة مساكن لهم على جنب الطريق القادم من بغداد ولاتزال هذه المنطقة او المحلة تعرف باسم «الماجدية» حتى الان وقد اختير للمنصب الوزاري بفضل الجهود التي بذلها في افشال ثورة برزان آنذاك .

(٢٤) تولى نوري رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع وكالة ، وتوفيق السويدي نيابة رئيس الوزراء ، ومحمود صبحي الدفتري لخارجية ، عمر نظمي للداخلية ، علي ممتاز للمالية ، احمد مختار بابان للعدل ، صادق البصام للاشغال والمواصلات ، عبد الاله حافظ للتربية ، سلمان البراك للاقتصاد محمد حسن كبة للشؤون الاجتماعية ، وماجد مصطفى وزيراً بلا وزارة.

٢ - وزارة حمدي الباجه جي

كانت وزارة نوري السعيد الثامنة، وزارة تعسة منذ البداية، ذلك لان رئيسها الذي لم يهتم اهتماما طويلا بالادارة الداخلية، قد انهكته اهتماماته الكثيرة، وغيابه المتواصل، نتيجة الزيارات التي كان يقوم بها الى البلدان العربية. ولقد ضمت وزارته تلك شخصيات كان يشك في تقبل عبد الاله لها، وكذلك تقبل اوساط البلاط التي كان يرأسها تحسين علي، تلك الاوساط التي انضمت الى المعارضة في صفة سياسية شائكة... حيث كثر التساؤل عن تعيين توفيق السويدي في منصب نائب رئيس الوزراء، ولذلك مالبث هذا ان استقال في شهر اذار ١٩٤٤.

كانت وحدة العرب، وتزايد زيارات اقطاب الدول العربية من الخارج، وتعاظم التهديد الذي تنذر به الحركة الصهيونية، المدعمة من لدن الامريكيين في داخل فلسطين، كل هذه الامور قد اخذت تعمل على رصّ صفوف شخوص الوزارة كلها، بل في الواقع، رص كل آفاق الفكر. ولكن معضلة السياسة التي طرحتها القضية الكردية، كان لها تأثيرها المعاكس. ولذلك ادى الموقف التحرري (اللبرالي) الذي وقفه نوري السعيد ومستشاروه البريطانيون، الى ظهور معارضة حادة ومتحمسة في كل مكان. فحتى الاقدام على انشاء وزارة للتموين التي كانت ضرورية ويجب تحقيقها (مع انه لم يتم العثور على وزير كبير كان يرغب في ان يشغلها) حتى ذلك، جوبه بالانتقاد من لدن الكثير من الذين كانوا ينعمون بالرخاء على حساب انعدام الرقابة الاقتصادية، وفي الوقت ذاته تضاعفت الضغوط الشخصية والتقلبات السياسية التي حدثت في تلك الاوقات، من المشاق الاعتيادية للادارة.

في غمرة هذه التيارات من الاضطراب والقلق، والتي غدت جد ظاهرة في النقد المتفشي داخل البرلمان، ومشاهد الحنق الواضحة فيه، استمرت سياسة الملاينة والتسامح ازاء المعتقلين، ولذلك اطلق سراح المزيد منهم من معسكر اعتقال العمارة في شهر شباط ١٩٤٣، وسرعان ما اخذ الصحفيون من اولئك المعتقلين، ينفسون عن كربهم، ويعبرون عن احاسيسهم بمقالات

صحفية تثني على النازيين[1]، ولم يكفوا عن ذلك الا بعد ان تم تهديدهم باعادتهم الى المعتقلات مرة اخرى.

خلال الشهرين التاليين اطلق سراح اخرين من المعتقلين، واعيد عدد من العراقيين الذين اعتقلوا في روديسيا، الى العراق، حيث تم تقديم البعض منهم الى المحاكمة. وبعد مرور اربعة اشهر على ذلك،حكم بالاعدام شنقا على كامل شبيب احد العقداء الاربعة، وعلى الشريف شرف، وكل من علي محمود الشيخ علي، وموسى الشابندر بالسجن ثلاث سنوات، وعلى رؤوف البحراني بالحبس لمدة سنتين، وعبد القادر الكيلاني بالحبس ثلاثة اشهر على ان يتم حجزه في احد المعتقلات بعد انتهاء مدة حبسه.

استأنف كثير من الذين كانوا معتقلين حملة المعارضة ضد السياسة المطبقة في البلاد، وضد الارتباط البريطاني بتلك السياسة. وفي حالات عديدة اعيد اولئك المعتقلون الى العمل، من دون قيد، في وظائفهم السابقة. اما حالة الجيش العراقي فانها، وان كانت قد تحسنت تحسنا ظاهرا. الا انها لم تكن مرضية، وهذا الامر قد وفر بحد ذاته مجالا لتنفيذ الخطة التي تحمس الفريق «رنتن» المفتش العام للجيش، لتنفيذها اى خطة «اعادة تنظيم الجيش»[2]. وكان رنتن هذا قد خلف «الفريق بروميلو» في منصبه ذاك في شهر ايار ١٩٤٤.

في اوائل صيف تلك السنة، اصبح وضع وزارة نوري السعيد امراً لايطاق. ولما لم تجد طلبات نوري السعيد للحصول على مساندة عبد الاله له في سياساته، اية استجابة، اضطر نوري الى ان يقدم استقالة وزارته في اليوم الثالث من شهر حزيران سنة ١٩٤٤، وعندئذ اختار عبد الاله رجلا كهلا نصف مريض، لكنه محترم تمام الاحترام، هو حمدي الباجه جي. لقد ذكر في حينه بان اعضاء هذه الوزارة قد انتقاهم عبد الاله نفسه بشكل مفصل، ولذلك عرفت باسم

---

(١) هذا قول مخالف للحقيقة. فلم يعد احد في ذلك الوقت، وبعد ان سيطر الاحتلال الانكليزي الثاني على كل صغيرة وكبيرة في العراق، يستطيع ان يتحدث عن النازية او النازيين الاهسا. اما الصحفيون المعتقلون الذين استأنفوا اصدار صحفهم، وكان من بينهم المرحوم رفائيل بطي، فانهم شرعوا منذ اول عدد صدر من صحفهم، يتملقون عبد الاله، ويتزلفون اليه، لكسب رضاه، وللتدليل على «توبتهم» مما نسب اليهم قبلا من تأييد النازيين.

(٢) كانت هذه الخطة قد اعدتها بريطانيا وشرعت بتنفيذها بعد فشل ثورة ايار سنة ١٩٤١. وكانت تستهدف تنقية الجيش من كل العناصر ذات الاحساس الوطني الشريف، وتقريب المتزلفين الى الوصي، والى افراد البعثة العسكرية البريطانية. ونتيجة لتطبيق هذه المؤامرة، فقد احيلت اعداد كبيرة جدا من الضباط على التقاعد، واعطيت مناصب رفيعة في الجيش لعدد من الضباط غير النابهين الذين لم يكونوا اهلا لاشغال مثل تلك المناصب، وهكذا خيل للانكليز ولعميلهم عبد الاله بان الجيش قد «تطهر» من عناصر التمرد والثورة، ولكن النار كانت تحت الرماد فعلا، ودأب الضباط الواعون المتحمسون لتحرير بلدهم يعملون تحت ستار التظاهر بتطبيق الاوامر والتعليمات البريطانية، في اعداد العدة لليوم المرتقب لانقاذ العراق، حيث حل يوم الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ليضع نهاية للاستعمار البريطاني في العراق، وليقضي على الاعمدة العميلة التي كان يستند اليها.

«وزارة الوصي». وقد احتفظ وزيران من وزارة نوري السعيد المستقيلة، هما احمد مختار بابان، ومحمد حسن كبة بمنصبيهما في وزارتي الشؤون الاجتماعية والعدل، واعطيت وزارة الخارجية والتموين بصفة مؤقتة، الى ارشد العمري امين العاصمة الناجح المشهور، ووزارة الاقتصاد الى اختصاصي من الاكراد هو توفيق وهبي العقيد السابق في الجيش[3] ووزارة الدفاع الى تحسين علي من البلاط، والاشغال الى عبد الامير الازري وهو مهندس متخرج في امريكا كان يشغل وظيفة مدير الري. والداخلية الى مصطفى العمري، والمالية الى صالح جبر، والتربية الى الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي، وعلى هذه الشاكلة ضمت الوزارة اثنين من الاكراد احدهما كردي حقيقي، والاخر كردي بالاسم.

شعر نوري السعيد انه في حاجة الى الراحة، ولذلك فلم يرغب ان يشترك في الوزارة، في حين ان ابراهيم كمال لم يكن ليقبل بشيء سوى رئاسة الوزارة. اعلنت الوزارة منهاجا يتضمن اجراء تطهير في صفوف الموظفين، وتحسين ترتيبات التموين، والسلامة العامة، والمبادرة بانشاء مشاريع جديدة وعلى الاخص في المناطق الشمالية من العراق، وتطوير الخدمات الاجتماعية، والدعم الكامل للوحدة العربية.

لم تكن الاسابيع الاولى من عمر وزارة الباجهجي تدعو الى التفاؤل، ذلك لان رئيس الوزراء كان مريضاً وغير اداري حسبما كان يرغب ان يكون. وقد ظهر ان ارشد العمري كان يتطلع الى ان يسيطر على زملائه من الوزراء، وان يفرض اشرافه على التعيينات في الحكومة، في الوقت الذي قاوم فيه تحسين علي وزير الدفاع، مشروع اصلاح الجيش الذي اعده الفريق «رنتن» بينما ايد زملاء تحسين علي الاخرون ذلك الاصلاح، وكان هذا المشروع يشتمل على اعادة تجميع الجيش، وخفض قوته من اربع فرق الى ثلاث فرق. كذلك انقسمت الوزارة منذ البداية بشأن سياستها ازاء الاكراد، في الوقت الذي كان فيه كل من تحسين علي ومصطفى العمري يشكان في قيمة الامتيازات التطورية التي وعد بها نوري السعيد، والتي غدا رئيس الوزراء وارشد العمري يساندانها في شهر اب، وبعد مرور شهرين على تأليف الوزارة، ارغمتها الانقسامات التي حدثت فيها على الاستقالة[4] لكي يعاد تأليفها من شخوص لم تتغير عن ذي

---

(٣) كان توفيق وهبي برتبة رائد (رئيس اول) في الجيش العثماني، وكان ضمن الرعيل الاول من الضباط العراقيين الذين عادوا الى العراق بعد انتهاء الحرب وتم قبولهم في الجيش العراقي الذي انشئ في السادس من كانون الثاني ١٩٢١. وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اظهر توفيق وهبي ولاءه للانكليز تحت اسم مساندة الدمقراطية ونشر كتابا فيه ذم للنظم النازية ثم عكف على كتابة بحوث التربة ولغوية في مجلة المجمع العلمي الذي اختير عضوا فيه وقد امضى السنوات الاخيرة من حياته في لندن الى ان توفي فيها في اوائل سنة ١٩٨٤ وجئ بجثمانه الى العراق ليدفن في الموقع الذي اختاره قرب السليمانية.

(٤) استقالت وزارة حمدي الباجهجي الاولى في ٢٨ اب ١٩٤٤ وقد ذكر في كتاب الاستقالة ان سببها «عدم وجود التآزر بين بعض الوزراء».

قبل، ماعدا حذف تحسين علي منها. اعطيت وزارة الدفاع وكالة الى ارشد العمري الى ان تم تعيين رئيس الاركان الفريق اسماعيل نامق لهذا المنصب في شهر كانون الاول، وعهد بوزارة التموين الى صالح جبر وزير المالية[٥] الى ان تم قبول يوسف غنيمة مدير المالية العام، ووزير المالية السابق، ومدير الاثار مؤخرا، بذلك المنصب الذي لم يكن ليحسد عليه في شهر ايلول، كذلك استبدل محمد حسن كبة وزير الشؤون الاجتماعية بالدكتور مجيد علاوي[٦] في شهر كانون الاول.

على هذه الشاكلة تم تعديل وزارة الباجه جي فبقيت في الحكم ثمانية عشر شهرا، وهي مدة تعتبر طويلة بالنسبة الى المستويات العراقية لاعمار الوزارات وقد عاشت هذه الوزارة السنة الاخيرة من الحرب، والاشهر الستة الاول من عهد السلم. غير ان فترة الهدنة التي تم الاحتفال بها بمنح عطلات ومنحة مالية للموظفين، لم تكن تؤثر الا قليلا في مسرى السياسة والادارة داخل العراق.

لقد كانت الحرب العالمية الثانية، وبعد ان توقف احتمال نشوب القتال في غربي آسيا، واحدا من العوامل التي اثرت في اهتمامات البغداديين واشغلتهم. فقد اتسمت تلك الفترة بالاهتمام الخارجي الرئيس، وذلك في تطلع العراقيين الى المشاركة في الحركة المتجهة نحو تحقيق الوحدة العربية، وبالتنظيم الذي سوف يعقب انتهاء الحرب في العالم. اما في الميدان الداخلي فقد اتسمت تلك الفترة بالادارة الاعتيادية تقريبا، وبالحفاظ بصفة جيدة على الامن الداخلي. ولكن فرعا واحدا من هذه الادارة، ونعني به التمرد الذي حصل في الشمال، قد اخذ يجتذب القليل من الاهتمام لدى الجمهور العام، ذلك لان الوزارة الباجه جية قد شجعت التطور النشط للبلديات، والفت لجنة عهد اليها لتحديد المشاكل التي ستظهر بعد انتهاء الحرب. ولما كانت تلك اللجنة مؤلفة من موظفين مثقلين بالاعمال، فانها لم تنجز سوى الشيء الضئيل.

اخذ التعديل الذي ادخل في سنة ١٩٤٢ على قانون العمل الذي شرع في سنة ١٩٣٦، يعطي ثماره. ذلك ان هذا التعديل قد اشترط تحسين احوال النساء العاملات، ومنع استخدام الاطفال في الاعمال، واعطاء العطلات، ومنح التعويضات عن الجروح، والفصل في المنازعات التي تتعلق بالعمل. وفي عهد هذه الوزارة بدأت بداية لاحداث تبديل في العمل، وكانت هذه

---

(٥) عندما تولى صالح جبر وزارة التموين اثيرت قضية الجنفاص والذي استوردته الوزارة وراحت تبيعه للناس في صفة قماش، حيث جرت في مجلس النواب آنذاك معركة حامية حول «الجنفاص» بين النائب سعد صالح وصالح جبر استغرقت ساعات من الخطب النارية النابية بين الاثنين، ولم تهدأ المعركة الا بعد ان نهض توفيق السويدي والقى كلمة غمز بها كلا من سعد صالح وصالح جبر معا فهدأت العاصفة.

(٦) لم يكن عبد المجيد علاوي يحمل شهادة الدكتوراة، كما ذكر المؤلف ذلك خطأ، وانما كان مجرد خريج في كلية الحقوق ليس الا.

المبادرة ضرورية كثيرا، بعد ان تم الاستغناء عن كثير من العمال الذين كانوا يعملون في الاعمال العسكرية البريطانية، الامر الذي سبق له ان احدث بطالة بين العمال. كما تألفت عدة نقابات عمالية كانت تبعث على الامل، ومن بينها نقابة عمال النسيج، وعمال الاحذية، وعمال النفط وعمال السكاير، وزهاء ست نقابات غيرها ذات اهمية قليلة[٧] غير ان كل هذه النقابات كانت توجه من قبل منظمين بذلت الشيوعية السرية كل جهد لاجتذابهم اليها. كذلك الفت لجان لوضع معايير قياسية لاجور العمال واوضاعهم.

برز تنامي الوعي الذاتي لدى العمال المدنيين الذين تركزت اكثريتهم في نقابات عمال شركات النفط، والسكك والميناء، في تأسيس حركة «حقوق العاملين» التي طالبت بمنحها امتيازا باصدار صحيفة تكرس لاهتماماتها ومصالحها، وبنظام ضمان للعمال، وانشاء مجالس للتحكيم في موضوع الاجور[٨] ولم يتم الاضراب الذي قام به عمال السكك في شهر نيسان سنة ١٩٤٥ الا عن طريق القمع الشديد لذلك الاضراب وللنقابات على حد سواء[٩] ومن ثم غدت الامثلة متواصلة عن تنظيم الاضرابات بين العمال لاغراض سياسية، وكان اهتمامهم ضئيلا بالشقاء الذي كانوا يعانون منه.

حدثت خطوة مهمة عميقة في تفكيرها ولكن من دون اهتمام باخطارها فيما بعد. تلك الخطوة هي المصادقة على اجراء تعديلات كبيرة في قانون «ادارة المحافظات». كان الدافع الى ذلك التعديل هو مجابهة السلطات الكبرى التي كان يتمتع بها الموظفون المحليون، ومجالس المحافظات، وبذلك يمكن تسهيل التطور المحلي والخدمات المحسنة. كذلك تقرر في الوقت ذاته ادخال تعديل على القانون المدني، ولهذا الغرض امضى وفد من بغداد معظم ايام سنة ١٩٤٥ في القاهرة للتشاور مع القضاة المصريين.

ما ان شرع عدد قليل من الموظفين البريطانيين الباقين في بغداد يغادرون العراق، بعد انتهاء الحرب، حتى اتخذت الخطوات اللازمة لتجنيد عدد من الخبراء من بريطانيا ومن مصر في الامور

---

(٧) كانت نقابة عمال السكك في الحقيقة اول النقابات الكبرى التي تألفت في ذلك الوقت.

(٨) المعتقد ان هذه الحركة لم تكن قائمة فعلا وانما وردت في بعض مقالات جريدة «القاعدة» السرية لسان الحزب الشيوعي العراقي، او ربما جاءت في التقرير الذي قدمه فهد (يوسف سلمان يوسف) رئيس الحزب الشيوعي الى المؤتمر الاول للحزب الذي انعقد في شهر شباط سنة ١٩٤٤.

(٩) واضح من هذا ان زمام الاضرابات في تلك الفترة كان في يد الشيوعيين الذين راحوا يحاولون انتزاع ذلك الزمام من قادة النقابات والعمال الاصليين الذين ذكروا في التنظيم النقابي منذ سنة ١٩٢٨ ومابعدها من امثال محمد صالح القزاز ورفاقه الذين لم يكن لديهم اي ميل نحو الشيوعية او الاشتراكية في ذلك الوقت.

الفنية والطبية والتعليمية الذين تطلبت الفترة التي انفتحت الان، استدعاءهم للعمل في العراق. كذلك بذل جهد لم ينل التنفيذ القوي، لاستئصال الفساد بين طائفة الموظفين، واظهر الاصلاح الذي ادخل على الجيش في سنة ١٩٤٥ نتائج طيبة، وذلك باحالة عشرات من الضباط غير الكفوئين على التقاعد، وان كان هؤلاء من اعز الاصدقاء. ومضى التسليح المجدد قدما في مجال الطائرات والسيارات، والمدفعية من المخلفات البريطانية، ولو ان ذلك لم يحدث من دون سوء تفاهم واختلاس. كذلك حصل تقدم ملموس في مجال التدريب، والسكن والتجهيزات واوضاع الخدمة العسكرية.

بدأ الجيش الذي نال مساندة الوصي الجيدة، يقترب مرة اخرى من الوضع الذي يستطيع فيه النهوض بالعمليات العسكرية، اما بالنسبة الى قوات الشرطة التي تخلفت نوعا ما، ولكن ليس بشكل مؤس، عن مستوياتها القديمة العالية، فان قوتها قد ازدادت من عشرة الاف وخمسمائة رجل في سنة ١٩٣٩ الى تسعة عشر الف رجل في سنة ١٩٤٥، وذلك باضافة خمسة الاف رجل الى شرطة القوة السيارة.

وفي ميدان الخدمات الاجتماعية، كان الميل الموجود نحو تحقيق تطور وتحسين محدودين لاحوال الافراد مايزال ضعيفا، ذلك لان تخصيصات وزارة التربية في الميزانية قد خفضت الى مقدار الثلث، كما خفضت تخصيصات الصحة الى مقدار الربع من مجموع المبالغ التي تم توفيرها للدفاع.

ساهم اطلاق سراح المعتقلين من معتقل العمارة في اواسط سنة ١٩٤٤ وفي فترات اخرى من سنة ١٩٤٥، في تصاعد النشاط السياسي في ذلك الوقت. فقد تم تسليم العضو الرابع من المربع الذهبي، صلاح الدين الصباغ من قبل الاتراك، ونفذ فيه حكم الاعدام في شهر ايلول ١٩٤٥ [١٠] كما القي القبض على ناجي شوكت وجيء به من ايطاليا الى بغداد وشرع بمحاكمته، ولم يسمح لرشيد عالي الكيلاني بدخول الاراضي السويسرية، ولذلك راح يسعى للوصول الى المملكة السعودية عن طريق لبنان ملتجأ في ذلك الوقت، الى الموقف التقليدي الذي يقفه العرب ازاء الضيوف الذين ينشدون الامن، ذلك الموقف الذي قد يرفض الطلبات التي تقدم لاعادة تسليم المجرمين[١١].

(١٠) الصواب ان صلاح الدين الصباغ قد نفذ فيه حكم الاعدام شنقا امام باب وزارة الدفاع في صباح اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ وليس في شهر ايلول الذي سلمته فيه تركيا الى العراق.

(١١) ادعى «عبد الله فلبي» في كتابه (اربعون سنة في التيه) ان رشيد عالي قد صرح له بان الانكليز هم الذين سهلوا له، اي رشيد عالي، دخول المملكة السعودية.

كان نشاط الصحافة في بغداد قد تضاعف، فزاد عددها من خمس صحف الى اربع عشرة صحيفة، فكان ذلك عاملاً مؤثراً وسبباً جزئياً في اعادة تنشيط الوسط السياسي الذي بدأ بصفة جيدة قبل اليوم الثامن من ايار سنة ١٩٤٥، وهو يوم اعلان الهدنة مع المانيا. وبذلك عادت الكلمات القديمة عن «الامبريالية» و «الاجانب» و «الاستقلال التام» الى الظهور مجددا في الوف من المقالات الافتتاحية ذات اللهجة الشديدة. كما ان الاوضاع السائدة آنذاك في فلسطين وفي سوريا، وكذلك المعوقات الاقتصادية، قد وفرت موضوعات مناسبة للخوض فيها. والواقع ان كل مظاهر تأخر الامة، وانعدام المساواة فيها، قد برزت بانها لم تكن نتيجة اي خطأ ما، وانما كانت نتيجة الخيانة المتعمدة التي اقترفها البريطانيون، ولذلك اصبح الطلب بالسماح باعادة تشكيل الاحزاب السياسية مسموعا في كل ناحية، وقد صحبته المطالبة بازالة جميع القيود، والتبكير في تعديل المعاهدة المعقودة مع بريطانيا، لان الاوضاع الراهنة في العراق لم يعد مستطاعا تحملها اكثر من ذلك(١٢).

لم يتم القضاء على الحركة الشيوعية في بغداد حتى بعد ان اصبحت محرمة قانونيا في سنة ١٩٣٨ (١٣)، بل على العكس من ذلك اصابت هذه الحركة ارضية لها بصفة ظاهرة خلال السنوات الاخيرة من الحرب(١٤). ولقد سبق للشيوعيين ان ساندوا حركة رشيد عالي في سنة ١٩٤١ (١٥) لكنهم مالبثوا ان تخلوا موقتا بعد ان غزا النازيون الاتحاد السوفياتي، عن معاداة

(١٢) الواقع ان المقالات والاحاديث التي تعرضت للمعاهدة في ذلك الوقت، ونعني بها معاهدة سنة ١٩٣٠، لم تكن تطالب بتعديل تلك المعاهدة وانما كانت تطالب على الاكثر بالغائها فورا لانها لم تعد تناسب، بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية، مع الاوضاع الجديدة التي اخذت بالظهور في العالم في اعقاب تلك الحرب مباشرة، وعلى الاخص تعاظم حركة التحرر الوطني في البلدان المستعبدة في الشرق والغرب، وطغيان الافكار الاشتراكية التي لم يعد يقتصر تطبيقها على الاتحاد السوفياتي وحده، مثلما كان عليه الامر قبل الحرب، وانما اخذت كثير من البلدان الاخرى تتجه نحو الاشتراكية، فضلا عن اقدام الاتحاد السوفياتي على ابتلاع كل من بلدان استونيا ولتوانيا ولاتفيا وضمها نهائيا الى جانب بلاده، وتشجيع الشيوعيين على تولي الحكم في كل من بولونيا، وهنغاريا، وجيكوسلوفاكيا ورومانيا والمانيا الشرقية فيما بعد.

(١٣) يشير المؤلف بذلك الى التعديل الذي ادخل على قانون العقوبات البغدادي في زمن جميل المدفعي بشأن الدعاية الشيوعية حيث كان ذلك التعديل يقضي باعدام من يثبت بثهم الشيوعية بين افراد القوات المسلحة.

(١٤) برر الشيوعيون مهادنتهم للبريطانيين بدعوى مساندة القوة المعادية للنازية والفاشية، ولذلك كانوا يبتعدون عن انتقاد السلطات البريطانية واعمالها سواء في العراق ام في فلسطين او غيرها من البلدان المبتلاة باستعمار الانكليز البغيض، وذلك في كل نشرياتهم التي كانوا يصدرونها في تلك الايام سواء منها جريدة «الشرارة» السرية الناطقة بلسان الحزب، او مجلة المجلة والتي سيطروا عليها بعد انضمام ذنون ايوب الى الحزب، وكذلك مجلة «المثل العليا» التي اصدرها كاظم الكشوان في النجف ثم احتال الشيوعيون عليه فسلبوه المجلة وراحوا يصدرونها حسب اهوائهم.

(١٥) فصلنا في الجزء الاول من مذكراتنا المخطوطة كيفية اتصال الشيوعيين في اليوم الاول لوقوع الاصطدام المسلح بين العراق وبريطانيا في الثاني من شهر ايار ١٩٤١، بالسيد رشيد عالي الكيلاني رئيس حكومة الدفاع الوطني والاتفاق معه على تعاونهم مع =

البريطانيين تأييدا لقضية الحلفاء، فظلوا يعيشون في المدن بصفة قوة مسامحة بشكل رئيس[١٦].

وعلى اساس هذا التنظيم كان الشيوعيون التابعون لعصبة العمل الشيوعي المزودين بالعضوية المثقفة والتابعين للمحامي داود الصائغ[١٧] هم الذين كانت حركتهم هذه تؤلف حاضنة الحزب الشيوعي الذي تزعمه المسيحي المدعو فهد[١٨] الياس يوسف سلمان الذي اخرج جريدة تطبع سرا باسم القاعدة. ولقد ظفرت الحركة الشيوعية باتباع لها في كردستان حيث انجذب اكثرية الروس الموجودين في شمالي ايران وفي غربها، بالاهتمام المؤمل لدى الطلبة الاكراد والاغوات المعادين للقوميين العرب، بعد ان يئس هؤلاء الاكراد من التدخل البريطاني لصالحهم[١٩].

انتشرت الشيوعية في بغداد وفي المدن الرئيسة في العراق بين الفقراء والعاطلين والخائبين في حياتهم وعلى الاكثر بين الاقليات الاثورية والارمنية واليهودية،ممن كانوا يتشوقون الى الارتباط باي حليف قد يساعدهم على قلب نظام الحكم القائم الذي بدا بانه لم يجلب لهم سوى الفقر

الثورة. وكان مما اشترطه الشيوعيون آنذاك اطلاق سراح ستة اشخاص من منتسبي الجيش العراقي حكمهم بكر صدقي بالاعدام. وانزل الملك غازي العقوبة الى السجن المؤبد، واستعانت حكومة الدفاع الوطني ببعض التقدميين لادارة امور التموين التي تخص المواد الغذائية خوفا من تلاعب التجار والمحتكرين بها، وكان من بين هؤلاء عزيز شريف وعبد الفتاح ابراهيم، وذنون ايوب، وتوفيق منير وغيرهم.

(١٦) تعمد البريطانيون ان يغضوا النظر عن الشيوعيين، واستطاعوا عن طريق ذلك ان يدسوا في الحزب الشيوعي بعض عملائهم الذين انكشفت اعمالهم فيما بعد.

(١٧) وقع المؤلف هنا في خطأ كبير بالنسبة الى التنظيم الشيوعي في العراق ولقد فصلنا ذلك كله في الجزء الاول من مذكراتنا المخطوطة . ذلك ان عصبة العمل الشيوعي التي اسسها داود الصائغ لم تكن هي اساس الحركة الشيوعية انما كان اساس الحركة هو الحزب الذي اعاد فهد تأسيسه بعد سنة ١٩٣٩، اما داود الصائغ فقد شارك في اعادة تأسيس الحزب مع فهد لكنه لم يلبث ان انقلب عليه وانفصل عنه،وانشأ (عصبة العمل الشيوعي) في سنة ١٩٤٣ واصدار مجلة سرية باسم العمل.

(١٨) اخطأ المؤلف في ذكر اسم فهد وهو يوسف سلمان يوسف وليس الياس يوسف سلمان اما جريدة الحزب فكانت الشرارة ومن ثم صدرت القاعدة بعد ان انشق عبدالله مسعود واستولى على مطبعة الحزب والشرارة. اما الياس فهو زوج اخت فهد وكان يعمل لدى الاستخبارات البريطانية.

(١٩) اختلطت فكرة الشيوعية لدى الاكراد بالعصبية القومية اي ان الشيوعية غدت صنوا للحركة الكردية الانفصالية مثلما كان عليه التفكير لدى الكثرين من سكان المناطق الشيعية. والحقيقة ان الاكثرية من الذين تزعموا الحركات المتمردة بين الاكراد كانوا مرتبطين بالوعود والامال التي مناهم الانكليز بها في انشاء حكم كردي في العراق،فلما يئس هؤلاء من وقوف الانكليز الى جانبهم في هذه التمردات،التجأوا الى الشيوعية ليتخذوا منها ستارا ووسيلة لتحقيق ما اخفقوا في تحقيقه عبر طريق الثورات وحركات التمرد المتواصلة،سيما وان الشيوعية كما هو شأنها في الاتحاد السوفيتي حتى الان تدعي بانها تحقق الاماني القومية للقوميات التي تنطوي تحت لوائها ولسنا نعلم كيف حقق سكان تركستان وغيرها من الاقطار التي سيطر الروس عليها امانيهم القومية وذلك بعد ان زاد الشيوعيون في اذلالها واستعبادها،بعد ان تولوا الحكم في اعقاب سقوط القياصرة وما هو مصير افغانستان الان؟!

واليأس كما ان كثيرا من الذين ادعوا بانهم حلفاء لالمانيا النازية قدلخذوا الان يتطلعون الى روسيا بدلا من ذلك[٢٠].

لم تكن لهذه الشيوعية في العراق خلال ١٩٤٤، ١٩٤٥ سوى قاعدة ثقافية ضئيلة،وان كانت قد اجتذبت المثقفين اليها،ولم يكن هناك اي ارتباط بالعقيدة او بعملاء موسكو الابصفة نادرة[٢١] وقد نظمت هذه الحركة عن طريق الاجتماعات السرية والنشرات والجرائد التي كان يصدرها فهد والتي لم يكتشف مكانها انداك،وكذلك عن طريق المبشرين بها بين عمال السكك والنفط.

كان الطلب الذي تقدم به كامل الجادرجي واصدقاؤه في نيسان سنة ١٩٤٤ بالحصول على اذن بتألف حزب الشعب قد رفضه نوري السعيد[٢٢] ولذلك فان هؤلاء قد وجهوا احتجاجاتهم على ذلك الرفض صراحة، الى القنصل الروسي الموجود صراحة في مدينة كرمنشاه في بلاد فارس.[٢٤] ولقد رحب الشيوعيون والاصلاحيون المحليون بالافتتاح الرسمي لاقامة العلاقات الروسية العراقية في شهر ايلول من تلك السنة،في الوقت الذي اثار فيه ذلك الحادث الهلع بين المحافظين من العراقيين[٢٥] حيث عين غريغوري تيتوفج تسايتيف وهو شخصية مسالمة اول وزير

---

(٢٠) كان انجذاب بعض العراقيين الى المانيا الهتلرية ناشئاً في الدرجة الاولى عن كرههم للبريطانيين وللحكام العراقيين المرتبطين بهم وللحركة الصهيونية،ولذلك فعندما اصاب هتلر نجاحاته الاولى في الحرب العالمية الثانية ضد الانكليز والفرنسيين وغيرهم، اشتد ميل العراقيين الى النازيين نتيجة تأثرهم بهذه الانتصارات،وبقي ذلك شأنهم بعد ان غزت المانيا الاتحاد السوفيتي والحقت به الهزائم. وحين صمد السوفيت في ستالينغراد وكروا على الالمان في شتاء ١٩٤٣ وحققوا انتصاراتهم الرائعة،انقلب العراقيون ضد الالمان واتجهوا نحو السوفيت،وهكذا كانت مواقف العراقيين تتأثر بالمعارك وبمدى المقاومة للانكليز وحلفائهم.

(٢١) بقي الحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه حتى الاخير حزباً برجوازياً لان قادته ورؤساء منظماته كانوا في الغالب من فئة المثقفين وليس من افراد الطبقة العاملة،ومع كل ذلك ظل الحزب يعلن عن نفسه بانه حزب الطبقة العاملة ويطبق في سياسته الداخلية نظرية دكتاتورية البروليتاريا بالنسبة الى الطاعة والانضباط ويتبع خط موسكو في سياسته الخارجية على خط واحد مستديم بدعوى ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي هو الحزب الذي يمثل الخط الاممي الاصلي للحركة الشيوعية في العالم

(٢٢) اخطأ المؤلف في ذلك لان الذين تقدموا بطلب تأسيس حزب الشعب لم يكونوا من جماعة الاهالي ولم يشارك كامل الجادرجي معهم،بل قدم هذا الطلب من قبل كل من المحامين يحي قاسم وعبد الامير وعبد الرحمن شريف، ومحمود صالح السعيد، وتوفيق منير وابراهيم الخضيري، ويوسف جواد المعمار وابراهيم الدركزلي يوم ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٤٣ ولم تلب الحكومة ذلك الطلب. واخيرا اتفق يحي قاسم مع جماعة من انصار عزيز شريف على تقديم طلب للحصول على امتياز جريدة يومية باسم الشعب فلما حصل على ذلك الامتياز انفصل عن جماعته واستقل بها ووضع نفسه وجريدته تحت امرة شركة النفط العراقية حتى انهيار النظام الملكي.

(٢٤) نعتقد ان هذا الاحتجاج كان ضد رفض حكومة توفيق السويدي اجازة ما عرف بأسم حزب التحرر الوطني الذي اعده الشيوعيون عند السماح بتأليف الاحزاب سنة ١٩٤٦.

(٢٥) كان العراق قد حاول منذ سنة ١٩٤٠ اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي لكن الانكليز لم يوافقوا على ذلك فتأجل الموضوع الى اقامة التحالف بين الغرب والاتحاد السوفيتي ضد دول المحور سنة ١٩٤١ حيث اقيمت العلاقات بين بغداد وموسكو في اخر شهر اب ١٩٤٤ في عهد الوزارة الباججية.

مفوض للروسيا في بغداد في شهر تشرين الثاني من ذات السنة،لكنه لم يقدم للاقامة الافي اوائل ١٩٤٥ ، في حين تولى عباس مهدي اول وزير عراقي مفوض في موسكو،منصبه في اواخر تلك السنة

وفي ذات الفترة غامر الحزب الشيوعي العراقي بثقة جديدة في توجيه خطاب الى رئيس الوزراء وارسال نسخ من ذلك الخطاب الى كثير من السلطات خارج العراق يطلب فيه الغاء كل القوانين الرجعية واصدار العفو عن جميع المسجونين من الشيوعيين والمتمردين الاكراد(٢٦) واذ خرج العراق من الحرب العالمية الثانية غنيا وغير محطم،فقد اخذ يتطلع لكي يلعب في الشؤون الدولية دورا اكثر ثقة مما كان عليه في سني الثلاثينات من هذا القرن،وهو يتوقع المعاملة التي تستحقها الدولة بكل مالها من مظاهر الاستقرار الحالي والوعود المأمولة. ولما كانت وزارة الخارجية العراقية قد نفرت من الفرنسيين نتيجة الحوادث التي وقعت في سوريا ولبنان(٢٧) فان هذه الوزارة اي الخارجية العراقية،لم تستقبل بعثة لجنة التحرر الوطني الفرنسية الااستقبالا فاترا(٢٨) ولم يكن لفرنسا اي ممثل في بغداد في ذلك الوقت.

اما الولايات المتحدة الامريكية التي كان اهتمامها المقبل في الحصول على الاسواق وعلى المطارات من الامور الظاهرة، فانها لم تحصل الا على مكانة ضئيلة في مجال ادراك العراقيين. ولم يكن العراقيون في ذلك الوقت يثقون بامريكا نتيجة الموقف الامريكي ازاء الصهيونية، ومع كل ذلك كان دور الامريكيين المقبل في شؤون الشرق الاوسط منظورا تماما، حيث تم الترحيب في العراق بالدعوة التي وجهها الرئيس الامريكي روزفلت الى الوصي لزيارة الولايات المتحدة

---

(٢٦) نعتقد ان هذا الخطاب الذي يشير اليه المؤلف كان يحتوي خلاصة التقرير السياسي الذي القي في المؤتمر الاول للحزب الشيوعي العراقي الذي انعقد سرا في بغداد سنة ١٩٤٤ والذي تضمن العديد من المطاليب التي طرحها الشيوعيون في ذلك الوقت

(٢٧) ثار الشعبان السوري واللبناني في شتاء ١٩٤٣ ضد التعسف الاستعماري الفرنسي وطالبا الفرنسيين بتحقيق الاستقلال حيث امتلأت شوارع دمشق وبيروت والمدن الرئيسة بالتظاهرات الجماهيرية الواسعة،ولكن الفرنسيين وان كانوا تابعين انذاك الى لجنة فرنسا الحرة التي تألفت في المنفى بعد سقوط فرنسا بايدي الالمان في سنة ١٩٤٠، الا انهم ظلوا متمسكين بذات الاساليب الاستعمارية،فعمدوا الى سحق تلك الانتفاضة الشعبية بالقوة فهاجموا المتظاهرين بمختلف انواع الاسلحة وضربوا دمشق وبيروت بالقنابل من الطائرات،والحقوا مئات الاصابات بين الشعبين السوري واللبناني وقد فصلنا في الجزء الاول من مذكراتنا المخطوطة الموقف المخزي الذي وقفه الشيوعيون العراقيون من تلك الانتفاضة الشعبية الواسعة

(٢٨) يقصد المؤلف بذلك لجنة فرنسا الحرة التي كان يترأسها الجنرال ديغول والتي اتخذت مقرها في لندن بعد سقوط باريس مباشرة،حتى اذا ما احتل الامريكيون تونس والجزائر في سنة ١٩٤٣ انتقلت لجنة فرنسا الحرة بما لديها من قوات فرنسية الى شمال افريقيا برئاسة ديغول نفسه الذي حاول الامريكيون اغتياله وساعدهم في ذلك الانكليز انفسهم ، لان ديغول كان يعتبر الانكليز قد خانوا فرنسا ولم يدافعوا عنها امام الجحافل الهتلرية.

الامريكية. ولما كانت هذه الزيارة قد تأخرت بسبب وفاة الرئيس روزفلت، فقد غادر الوصي بغداد بعد ان ترك عمه الامير زيد في مكانه الى امريكا، بصحبة نوري السعيد وداود الحيدري، فوصل اليها في منتصف صيف سنة ١٩٤٥، وحل ضيفا على الرئيس هاري ترومان. قام الوصي وحاشيته بجولة في امريكا ثم زار الحاكم العام لكندا، واختتم جولته تلك بسفرات ناجحة، وزيارة كل من لندن وباريس وروما، واستنبول، وانقرة وبيروت[٢٩].

ادت مشاركة العراق، وكانت تلك المشاركة من الامور الصائبة، في المؤتمرات الدولية، المهمة خلال تلك الفترة الى توسيع وجهات النظر لدى بعض رجال الدولة العراقية على اقل تقدير. فقد حضر مندوبون عن العراق مؤتمر الغذاء الذي عقد في (هوت سبرنغ) في شهر ايار سنة ١٩٤٣، وكذلك مؤتمر (برتن وودز) عن قضايا العملة والتحويل الذي عقد في شهر اب ١٩٤٤، وكذلك الاتفاق الناتج عن ذلك المؤتمر، والذي صادق البرلمان العراقي عليه في السنة التالية. كذلك ضمت الاجتماعات التي عقدت في السنة التالية في كل من ستي اتلنتك، وشيكاغو، بشأن التجارة وقضايا الطيران المدني، ناطقين فيها باسم العراق. وحدث مثل ذلك ايضا في مؤتمر سان فرنسسكو الذي انعقد في شهر نيسان سنة ١٩٤٥ والذي ارسيت فيه القواعد الخاصة بتأسيس منظمة الامم المتحدة. وقد مثل العراق في هذا المؤتمر كل من ارشد العمري وزير الخارجية، يصحبه كل من نصرت الفارسي والدكتور فاضل الجمالي الشاب المتخرج في امريكا. وكان الدور الذي لعبه الوزير العراقي في المؤتمر ممابوثق به. ولكن نظرا لرفض ارشد العمري المشاركة في تأييد بعض النصوص الواردة في ميثاق الامم المتحدة، تلك التي تم فيها فصل الحكم الذاتي عن الاستقلال، حيث اعتبر الحكم الذاتي من حق الاقطار الخاضعة للوصاية، فقد خول فاضل الجمالي حق التوقيع على الميثاق بدلا من ارشد العمري، الذي كلفه موقفه ذاك فقدانه لمنصب وزير الخارجية

صادق البرلمان العراقي على ميثاق الامن العالمي في شهر تشرين الاول. وفي اللجنة التحضيرية لذلك والتي اجتمعت في لندن في اواخر تلك السنة، كان ممثل العراق فيها شاكر الوادي، وهو ضابط ركن من جماعة بكر صدقي، على اساس انه كان يتولى منصب القائم بالاعمال العراقي هناك. وقد جاء ذلك الاجتماع متزامنا مع الاجتماع الاول الذي عقدته منظمة الامم المتحدة للثقافة والتعليم في لندن، والذي حضره الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار العام

وما ان تطورت شخصية الوصي واصبح مشهورا بصفة عامة فقد شرع يبدي اهتماما قويا جدا بالاوضاع السائدة، ورغب في ان يلعب دوره التام فيها. ولذلك شرع يمارس على الحكومة نفوذا اقوى من اي نفوذ كان القصر يمارسه منذ وفاة فيصل الاول. وكانت الادارة التي ساعدت

(٢٩) انظر تفصيلات هذه الزيارة في مذكرات ستدرسن الفصل الرابع عشر ص ٣٣١ وما بعدها الطبعة الثانية ١٩٨٢.

الوصي في ضمان استمرارها، قد حافظت على الامن وسمحت بمدى واسع للصحافة وشن حملات الطعن في المعتقلين السابقين ولعبت دورا رئيسا في حركة الوحدة العربية، لكنها لم تفعل سوى الشيء الضئيل بالنسبة الى الاصلاح الاجتماعي، وظلت ترفض حتى اخر شهر من سلطاتها ان تسمح بتأليف الاحزاب السياسية التي كانت الان تكافح في سبيل ظهورها وولادتها.

ومع كل ذلك فان الخطاب الذي القاه الوصي عند افتتاح البرلمان في شهر كانون الاول لسنة ١٩٤٥ قد كشف عن سياسة جديدة في هذا المجال، وذلك بالوعد في اعادة السماح بتأليف الاحزاب، وتطور الدمقراطية الصحيحة، واتخاذ اجراءات اوسع من المساواة والعدالة الاجتماعية، وتدريب العناصر الفتية من المواطنين على الحكم. ولقد نال هذا الخطاب الترحاب من لدى المتشوقين وانصاف العاطلين الخائبين في دنيا السياسة، في الوقت الذي اثار فيه الاضطراب لدى الشيوخ واصحاب الامتيازات، الامر الذي ادى الى توجيه انتقاد شديد الى وزارة حمدي الباجه‌جي في البرلمان، والى حدوث اصطدام بين الجناح اليساري الذي كان يقوده كامل الجادرجي، واقصى عناصر اليمين او النازيين السابقين الذي كانوا يتبعون سامي شوكت، وكان هذا قد تخلى الان عن وظيفته السابقة وهي المديرية العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية لكي يتفرغ لتأليف حزب البعث القومي وعلى هذه الشاكله استقالت وزارة الباجه‌جي في نهاية شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٦ (٣٠).

■■■

(٣٠) اقدم الدكتور سامي شوكت على تأليف حزب البعث القومي واصدر صحيفة يومية باسم البعث القومي، لكنه في الاخير فشل فشلا ذريعا في ان يظل حزبه الذي الفه آنذاك باسم «حزب الاصلاح» فتخلى عنه وعن الجريدة، وانضم في النهاية الى حزب صالح جبر. وكانت مقالات كامل الجادرجي ضد سامي شوكت والتي جمعت في كتاب صدر باسم «بعث النازية في العراق» من اقوى المعاول التي هدمت سامي وحزبه.

٤ـ اقتصاديات زمن الحرب

كانت المشاكل المسيطرة على العراق زمن الحرب والتي لم يتم حلها على نطاق واسع، تكمن في حياته الاقتصادية اكثر مما تكمن في حياته السياسية والادارية، بل وحتى الفعاليات العسكرية ايضا.

فقد كانت هذه المشاكل تثير الاضطراب بصفة غير اعتيادية، وقد تميزت بظواهر مشتركة مألوفة في تأريخ الحروب لدى كثير من الاقطار، من امثال ارتفاع الاسعار ونقص التموينات التي يحتاج اليها، والزيادة الكبيرة في الثروة وماتحدثه من تأثير في الحياة اليومية للجماهير.

وكان التأثير الاجتماعي الرئيس لهذه الاوضاع يتمثل في وجود مفارقة شديدة بين الطبقات التي تحصل على المال من وراء التجارة والتعهدات وبيع المنتجات والفرص الكثيرة من الوقت، وبين اولئك الذين لايملكون شيئا. ففي اقصى الاطراف يقف التجار، وكان كثير منهم قد اقبلوا على مزاولة هذه المهنة لاول مرة، كما يقف في هذا الطرف رجال الطبقة الوسطى من اصحاب المواهب الذين كانوا يحتكرون اجازات البيع والشراء ومتعهدو الجيش ورجال الاقطاع الذين يبيعون الحاصلات الزراعية.

وفي وسط هؤلاء، يقف غير المدقعين من المزارعين. اصحاب الكفاءة الذاتية، الذين يتلقون اسعارا عالية، وقد تمت مساعدتهم، في حالات كثيرة، باعفائهم من ديون مدى الحياة، من امثال بوابي الحوانيت والخانات، والعاملين في وسائل النقل، الذين كانوا يخدمون الجمهور الذي كان يحصل على النقود ويبتلعها، بما في ذلك الجمهور العسكري، والمدني العام، وكذلك الصناع الذين كانت تتوفر خدماتهم في كل مكان، والعمال الذين كانوا يضمنون العمل في الاشغال العسكرية، طالما بقيت القوات البريطانية تحتاج الى حوالي ستين الف عامل منهم.

اما الفقراء فانهم كانوا يتألفون من اولئك الذين ربطوا بدخول نقدية ثابتة، من امثال موظفي الحكومة، تلك الدخول التي كانت افضل زيادة حصلت فيها العلاوات التي تقررت ايام الحرب

والتي كانت متخلفة دوما عن الاسعار القائمة وكذلك الكتاب والصحفيين وطالبي الصيد من انصاف المستخدمين الذين كانوا يعيشون على هوامش الحرف والسياسة.

كان التأثير الذي احدثه الثراء الذي حصل لدى الطبقة الاولى، ومن هذه الطبقات، قد اخذ يدفع بها، بسبب المستويات والطلبات المادية العالية، الى الابتعاد جدا عن مجموع ابناء بلادهم، كما كان هذا التأثير ذاته خلال الايام القاسية يدفع بالطبقات المفتقرة الى احط المستويات بين مجموع موظفي الحكومة، في ذات الوقت الذي كان فيه يدفع بقسم اوسع من الطبقات الوسطى الشقية الجائعة الى درك ابعد من ذلك والى اقصى اليسار في بعض الاحيان.

لقد تفكك كيان المجتمع العراقي وتناقص التضامن والاحترام المتبادل فيه، وكان التذمر والهلع من الحياة اليومية ينعكس بصفة سياسية على الاهداف المتشددة او المتعارضة، كما ينعكس في الاوساط الوزارية والنيابية ايضا، ويضاعف من الارتباكات التي كانت تواجه الوزارات المتعاقبة. وكما هو الامر في اي بلد اخر فلم يكن في مستطاع اي من رجال الدولة او الموظفين ان يتقدم بطرح حكمة ثابتة، او طريقة ادارية يمكن بها مواجهة الضغوط المتضاربة التي كانت تمليها الحالة المعقدة الناقصة التي استمرت طيلة خمس سنوات

كانت مساهمة العراق الاساسية في الثروة العالمية انذاك تتمثل في حبوبه وتموره، والتي كان يتم انتاجها تحت ضغط تأثيرات سنوية، نتيجة سقوط المطر، وحدوث الفيضانات، وانتشار الحشرات الضارة واستخدام قنوات الري. وكان قسم من الحاصلات الزراعية يستهلكه الزراع انفسهم، وقسم اخر تحصل عليه الحكومة لتبيعه فيما بعد، حيث يجري تخويل السلطات الحكومية ببيع قسم من ذلك المحصول الى القوات البريطانية بغية استعماله لحاجاتها الخاصة، في حين كانت الشركات التجارية البريطانية تحصل على قسم اخر منه لتصديره الى بريطانيا او البلدان الاخرى، بينما يتم تصدير قسم منه حسب الطرق التجارية المعتادة التي تنظمها الرقابة على الصادرات.

كانت التمور ماتزال يجري تصديرها من قبل شركة اندر وير. وكان القطن الذي توقفت اليابان عن شرائه بعد سنة ١٩٤١، يتم ارساله الى الهند، ولكن بكميات ادى الارتفاع الناتج في اسعار الحبوب الى انخفاضها، ولهذا فان انتاج القطن لم يتجاوز في سنة ١٩٤٠، ستا وعشرين الف بالة. وقد هبط هذا المقدار خلال السنوات التي اعقبت ذلك الى مقدار الخمس بل وحتى الى مقدار العشر من تلك الكمية، كذلك كان يتم ارسال الصوف الى امريكا .

غير ان نقل هذه المواد والسلع الاخرى التي كان يتم نقلها داخليا بطريق البر والنهر وتوفير مجال الشحن من ميناء البصرة، كان يمثل مشاكل شاقة. فقد كانت كميات من الحاصلات تنقل بالقطار الى سوريا ولبنان وتركيا وكانت الحيوانات ذوات الاظلاف ترسل في السنوات التي

يتحسن فيها الرعي الى القوات البريطانية في سوريا[1] وكانت جميع اسعار السلع محددة بالقيود التي فرضتها ضرورة الحرب، وبالتضخم النقدي الذي مايزال يتعاظم في العراق والذي ساعدت هذه الاسعار في ارتفاعه.

كان استيراد المواد المصنعة وبعض المواد الغذائية محدداً بكيات تقل عن مستوى الكفاية، وذلك نتيجة نقص المنتجات المتوفرة في البلدان المصدرة، والضغط الحاصل على نطاق الشحن. وكانت المساعدات تصل اكثر من مرة من بقايا موجودات منهاج الاعارة والتأجير الامريكي، بالنسبة الى الادوات الزراعية والسلع المعدنية واطارات السيارات والمواد الكيماوية والادوات الزراعية. واستطاعت قوات حملة العراق وفارس في عدة مرات ان تساعد في مواجهة النقص الطارىء، كما قامت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٤٢ بوضع تنظيم حالة طوارىء لتموين الحبوب من الهند ومن كندا.

ولكن، وكما هو حاصل في كل بلد، ظلت النواقص المطلوبة والملحة على حالها، بل انها تضاعفت فعلا نتيجة سوء التوزيع والادخار اللذين ذهبت كل جهود القانون والرأي العام ضدهما سدى. ولقد ادت الحاجة للحصول على التموينات بكل النفقات، الى البحث العاجل عن موارد للتعويض عن اليابان وعن غيرها من البلدان المصدرة الاخرى.

تم وضع نظام "الاجازات الاستيراد، وكان مربحا بشكل واسع للبعض، لكن تطبيقه لم يكن يخلو من النواقص والعيوب. وطبق اجراء لتحديد الاسعار بالنسبة الى عدد واسع من المواد، كما عززت الرقابة على الموجود من السلع التي اريد تطبيقها، عن طريق القيام بغارات واحكام كانت تقع بصفة عرضية، ولكن كان يجري الافلات من هذه الغارات والاحكام من قبل تجار السوق السوداء الذين انتشرت تجارتهم على نطاق واسع، في الوقت الذي امتد فيه نظام التقنين الذي طبق على السكر في اول الامر سنة ١٩٤٢ الى القهوة والشاي في السنة التي تلت ذلك، واخيرا الى المنسوجات القطنية والصوفية.

كانت هذه الرقابة التي نظمت حسب بطاقات التقنين واعتمدت على اساس قوائم عشائرية ومدنية بعدد النفوس سببا لحدوث مصاعب شديدة[2] وكان يتم التخلي عن هذه الرقابه بمنتهى

---

(١) دخلت القوات الانكليزية سوريا في اعقاب غزو هتلر للاتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران ١٩٤١، وطردت منها حكومة فيشي صنيعة الالمان والتي بقيت تحكم البلاد باسم لجنة فرنسا الحرة التي يرأسها الجنرال ديغول، والحقيقة ان الانكليز كانوا يتطلعون منذ البداية الى ضم سوريا الى منطقة نفوذهم وكان لهم اثرهم في ايقاد نيران الثورة في جبل الدروز بالنظر الى ارتباطات عديدة بينهم وبين الدروز. ولم يخرج الانكليز من سوريا الابعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ونهوض فرنسا وعودتها مجدداً الى احتلال سوريا ولبنان وفيتنام.

(٢) حدث تلاعب كبير في تعداد النفوس فقد راح الاهلون يزيدون من عدد الافراد الذين يتم تسجيلهم في دفاتر النفوس عن طريق الرشاوى التي كانت تدفع الى مدري دوائر النفوس وكتبتها. ولو احصيت نفوس العراق انذاك طبقا لما هو مدون منها في دفاتر النفوس لزادت بمقدار نصف المليون ولربما بمليون شخص عما كانت عليه في الواقع وهكذا دفعت الحاجة الناس الى التماس اخس الطرق والوسائط للحصول على الحاجات الضرورية وعلى الاخص الملبس والمأكل في الدرجة الاولى.

الفرح في اول لحظة ممكنة ، وكذلك كان الناتج الموجود من السلع غير كاف للسماح بفرص تخصيصات تامة بالنسبة لجمهور افراد العشائر. ومع ذلك كان تقنين المواد الضرورية امرا لامعدى عنه وتم تطبيقه بنجاح ملموس

واخيراً في سنة ١٩٤٤ ، وانتظارا لانتهاء الحرب ، وبحدوث رد فعل لما اقدم عليه نظام الحكم القائم من محاولة لفرض الرقابة التامة خلال سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ، بوشر بتطبيق سياسة التخلي عن الرقابة ، واخذت كل سلعة بعد الاخرى يجري اعفاؤها من شرط الحصول على الاجازة ، ومن تحديد السعر . وفي خلال سنة ١٩٤٥ رفعت كل انواع السيطرة على المواد فيما يخص التجارة مع منطقة الاسترليني ، ولذلك شرع التجار باتفاق واحد يتطلعون الى استيراد المواد التموينية من اية جهة كانت . غير ان حرية النقل كانت ماتزال مقيدة بنقص الشحن ، وقيود العملة ، وبالندرة الواسعة للسلع في العالم كله .

كانت متطلبات العراق من «العملة الصعبة» ولاسيما الدولار ، يجري توفيرها عن طريق ترتيب تم تنظيمه مع بريطانيا في شهر اذار سنة ١٩٤٥ ، حيث امكن تحويل مبلغ من الدولارات يعادل اربعة عشر مليون ، وذلك من بقايا الجنيهات الاسترلينية المتجمعة للعراق[٣] وكان هذا الترتيب يتم التفاوض بشأنه في كل سنة ، في حين بقيت القابلية المحددة لتحويل الدنانير العراقية الى دولارات ، غير مفهومة للجمهور، مثلما هو الامر بالنسبة للجماهير الاخرى في كل مكان .

كان لمهمة السيطرة الاقتصادية التي وقعت كلها على عاتق الموظفين المحليين ، والتي كانت تلق العون – كما يعتقد – من البلديات او من غرف التجارة ، الكثير من النتائج المعتدلة التي لايمكن توقعها من نظام او انظمة محسنة لاتعتمد على احصاءات كاملة ، او آلية ، ويجري تطبيقها من قبل موظفين غير اخصائيين بل ومعدمين الامر الذي كان يثير دهشة الجمهور وتذمره . ذلك لان السيطرة الاقتصادية العالية المفروضة على البلد ، وفقاً لقانون يجري تعديله باستمرار ، اضافة الى تشريع انظمة لإعدادها ، كل ذلك كان يودع في الاصل الى لجنة التموين المركزية ، والى هيئات وزارية اصغر حجما من امثال لجنة التموين العليا التي عانت مدة الحرب كلها . ولذلك تطلبت كثير من المشكلات اتخاذ قرارات على مستوى الوزارة ، وبذلك ضاعفت امثال هذه القرارات من انعدام الاتفاق بين الوزراء .

---

(٣) لم تكن الحكومة البريطانية تسدد قيمة كل ماكانت تشتريه من مواد زراعية وحيوانية من العراق ، وانما كانت تستبق اكثر تلك الاقيام وخاصة اذا كانت من الدولارات لاستعمالها لاغراضها الخاصة . ولذلك تجمعت للعراق ديون كبيرة بالدولار على بريطانيا ، حيث اجرت الحكومة البريطانية مع الحكومة العراقية ترتيبا تسمح بموجبه اطلاق كمية من الدولارات تستعملها الحكومة العراقية لاستيراد بعض المواد الضرورية جدا من امريكا ولاسيما الادوية وماشاكلها..ولم تسدد الحكومة البريطانية بقية ديون العراق عليها الا بعد انتهاء الحرب بسنوات غير قليلة .

كانت دوائر النقل والاستيراد ، والموارد المحلية قد انشئت في اوائل الحرب ، وظلت تدار من قبل موظفين بريطانيين من امثال «لويد» و «غريس» و «لي بلال» وكذلك من بعض العراقيين ايضا . ولقد تجمعت هذه الدوائر في اوائل سنة ١٩٤٤ في وزارة التموين التي اسست لهذا الغرض ، وعين العقيد «بيلس» مستشارا اول لها ، وقد استقال من عمله بعد اشهر قلائل من نشاط قوي نافد الصبر ، نتيجة عدم الاتفاق مع زملائه العاملين معه . واستمرت لجنة التنسيق الانكليزية الامريكية تعمل حتى اشهر قلائل من منتصف صيف سنة ١٩٤٤ .

وفي خارج العراق كان يوجد مركز تموين الشرق الاوسط في القاهرة . وكان هذا المركز يهتم بمنتجات العراق ، وبالسيطرة على التموينات الاجنبية التي ترسل اليه . وقد عقد في القاهرة خلال شهر نيسان ١٩٤٤ مؤتمر لهذا المركز حضره مندوبون من العراق . وتحت اشراف مركز تموين الشرق الاوسط ، قامت بعثة علمية استشارية بجولة في العراق خلال سنة ١٩٤٣ ، كانت تضم كلا من الدكتور «كين» «والدكتور» «ورثنغتون» . وقدم المركز خدمات جلى في الظروف التي كانت تتطلب السيطرة الداخلية النافعة . ومع كل ذلك فقد وجه اللوم الى هذا المركز بسبب ضعف ماكان يخصصه من المواد التموينية ، ولذلك لم يأسف العراقيون لالغائه في اواخر سنة ١٩٤٥ ، لان الحاجات الخاصة لبلدهم ، كانت اعظم ، في حين كانت حاجات الحلفاء والحرب بعيدة ولامعنى لها . ولقد اعقب الغاء مركز تموين الشرق الاوسط قيام لجنة التموين التي بقيت حتى سنة ١٩٤٧ تمارس السيطرة على مواد نادرة من المواد التموينية . وحين غدا مستطاعا توفير اراء اوسع مدى عن الاقتصاد الدولي التطبيقي في العراق ، وفي الدول المجاورة له ، تم استخلاص الدروس القيمة من العملية التي كان مركز تموين الشرق الاوسط ، ينهض بها .

لم يكن من المعقول ان لايحدث نقص السلع ، وارتفاع اسعار المنتجات المحلية ، والنفقات العسكرية الوفيرة ، تأثيراً في مستويات المعيشة . فقد ظل اقتصاد العراق حتى منتصف سنة ١٩٤١ ، اقتصادا اعتياديا في الغالب ، ولم تزدد العملة المطروحة للتداول الا نادرا ، ولم ترتفع الاسعار الا قليلا . غير ان الاحوال مالبثت ان سارت سيرا سريعا بعد ذلك التأريخ . ذلك لان سوء الحاصل الزراعي، ونقص الاموال المستوردة ، والنفقات العسكرية ، قد اوجدت ظروفا كانت تهدد بخطر التضخم النقدي . ولم يكن امام الحكومة من حل مفضل اكثر من اللجوء الى الانظمة الحقيقية ، غير المدعمة بالتنفيذ ، والتي تم تشريعها لمواجهة مشاكل ندرة المواد ، والرقابة عليها ، وتوزيعها .

ولذلك ارتفعت نفقات المعيشة في سنة ١٩٤٢ الى مستوى اصبح يعادل ثلاثة او اربعة اضعاف عما كانت عليه في سنة ١٩٣٩ . ذلك ان حجم النقد المتداول قد ارتفع الى ثلاثة اضعاف ، ثم قفز الى ستة اضعاف ، في الوقت الذي ازدادت فيه الودائع في المصارف تبعا لذلك . لم تكن الحكومة ، التي كان يسعدها ان تتلقى الايرادات المتزايدة بصفة متعاظمة انقذتها

من العوز المخيف الذي واجهته في منتصف سنة ١٩٤١ ، راغبة في تطبيق اجراءات قوية لسحب قوة الشراء عن طريق فرض ضرائب عالية او عن طريق اصدار سندات قروض (حتى سنة ١٩٤٥) او عن طريق بيع الاراضي المملوكة للدولة ، ماعدا تلك التي تكون مساحاتها تافهة . والواقع ان الحكومة لم ترغب في تطبيق اجراءات صارمة وغير محبوبة مما كانت الحالة تتطلبه آنذاك .

فلم تهيئ بعض مبيعات الذهب والماس التي وفرتها الحكومة البريطانية سوى الشيء الضئيل لتصحيح الوضع المالي . ولقد حصل تحسن طفيف بفضل وفرة ناتج الحصاد ، وانخفاض اسعار الصادرات في سنة ١٩٤٣ ، والذي حال دون حصول ارتفاع اخر في نفقات المعيشة التي سبق لها ان ارتفعت الى ستة اضعاف عن مستويات سنة ١٩٣٩ . غير ان توقيع الهدنة اوجد في العراق ظروفا يندر ان تقل عن ظروف التضخم ، ولذلك كان يندر ان تكون اللهجة التي كان المجتمع العراقي يتحدث بها ، اكثر صحة .

لقد سارت مالية العراق اثناء الحرب مسرى شاذا . لذلك فان السنوات الثلاث ١٩٤١ — ١٩٤٣ قد ابرزت فوائض مفيدة على الرغم من ارتفاع النفقات . فقد غدا مستطاعا دفع الديون الاجنبية ، وتم منح العلاوات للموظفين اثناء الحرب . وكانت خطط التنمية تبدو مشجعة . ولكن اعقبت ذلك خلال السنتين التاليتين ، نتائج محزنة ، واكثر شقاء . فايرادات الحكومة لم تعد تتناسب مع النفقات ، حيث سمح للخدمات الاجتماعية ، وخدمات الشرطة بان تتوسع ، وتضاعف من عدد الموظفين .

بلغ مقدار الصرف الاعتيادي ، الذي كان يبلغ في سنة ١٩٣٩ ، حوالي ثمانية ملايين دينار عراقي ، خمسة عشر مليون دينار في سنة ١٩٤٣ ، ثم ارتفع الى واحد وعشرين مليون دينار عراقي ، في سنة ١٩٤٥ . وفي هذه السنة الاخيرة وجد العراق نفسه يقترب من وضع مالي اقل صحة مما كان يظهر به . ذلك لان الماليات الخاصة بالسكك وميناء البصرة ، كانت اكثر رخاءا خلال اوقات الحرب .

تم اصدار قرض عراقي داخلي في اوائل سنة ١٩٤٥ وكان على قسمين : الاول بمبلغ مليون دينار عراقي وبفائدة مقدارها اثنان في المائة لمدة عشرين سنة ، مع جوائز بنسبة اثنين في المائة والثاني بنفس المبلغ ولكن بفائدة مقدارها ثلاثة في المائة ويتم تسديده في مدة عشر سنوات . ولقد قوبل هذان القرضان ، اللذان اعتبرا تجريبيين ، استقبالا حسنا ، لكن قيمتهما كانت ضئيلة جدا كاداة للتقليل من التضخم النقدي .

اختفى المصرف الايطالي المعروف باسم مصرف روما (بنكو دي روما) في سنة ١٩٤١ ، فافتتح في ذات السنة «مصرف الرافدين» الذي تملكه الدولة» والذي كان يدير حسابات

الحكومة . وفي سنة ١٩٤٥ اخذت اعمال هذا المصرف تظهر ارباحا . وفي الوقت ذاته كان المصرف الزراعي الصناعي ، الذي تطور ضمن حدود ضيقة اثناء الحرب ، قد انقسم الى مؤسستين هما : المصرف الزراعي ، والمصرف الصناعي ، ومن ثم اعقبتهما المصارف المختصة بالعقارات والرهون[٤] . كذلك افتتح المصرف العربي (الفلسطيني) فرعا له في بغداد في تلك السنة[٥] .

كان التطور المادي للعراق ، والذي سار قدما وبصفة مشجعة حتى سنة ١٩٤١ ، قد تم اهماله بحكم الضرورة حتى نهاية الحرب.ولكن العراق كان على الاقل محظوظا في ذلك ، بالنسبة الى التدمير ، والخراب ، والانحطاط ، الذي كان المصير المشترك لبلدان اوربا برمتها . فلقد حصل العراق على اضافات ملموسة ، وعلى حساب الاخرين ، في طرق مواصلاته . ذلك ان سكك الحديد التي بوشر بمدها عن طريق قروض من السلطات العسكرية اثناء الحرب ، والصيانات التي كانت تجري فيها ، قد تحققت عن طريق المساعدة العسكرية بالسيارات وبالتجهيزات المقدمة من المصادر البريطانية ، او من مصادر منهاج الاعارة والتأجير ، وباعداد من عمال السكك المتقدمين ، ومارافق ذلك من مشاكل ازدحام وسائط النقل ، وعلى الاخص وسائط نقل السلع من تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ، ونقل الحبوب الى ميناء البصرة الذي كان يدار بايدي امينة .

تم قلع سكة الحديد العسكرية التي انشئت بين الكوت والعزيزية وبعقوبة ، بعد انتهاء الحرب . وفي سنة ١٩٤٥ اصبح في مستطاع مديرية السكك الحديدية ان تضع مرة اخرى خطتها في احداث تطورات كبرى . فقد اشتملت مشاريعها على بناء جسر حديدي في بغداد للقاطرات وللسيارات (تعويضا عن الشاحنات التي كان يجري نقلها بالمعابر) ، وبناء جسر في المسيب يربطها بكربلاء ، وبناء محطة ودائرة حديثة للسكك[٧] وانشاء ساحات للمناورات في بغداد ، ومد سكة حديد طولها خمسة وستون ميلا من كركوك الى اربيل ، مع انشاء جسر على الزاب الاصغر[٥] كذلك تم انجاز التطورات المهمة في ميناء البصرة وضواحيه على يد وكالة

---

(٤) هما المصرف العقاري الذي كان له اكبر الاثر في توسيع اعمال البناء وتوفير السكن ، ومصرف الرهون الذي كانت ترهن فيه المصوغات الذهبية والفضية وقد الغي هذا المصرف مؤخرا وربطت اعماله بمصرف الرافدين .

(٥) كان هذا المصرف وفروعه في البلدان الاخرى يدار من قبل الفلسطيني عبد الحميد شومان .. واختير طالب مشتاق مديراً لفرع بغداد ، والحاج نعمان العاني معاونا له . وبقي هذا المصرف قائما الى ان تم تأميم كل المصارف غير الحكومية .

(٥) هنالك مشاريع اخرى تمت دراستها في ذات الوقت ، كانت تتناول تحويل الخطوط ذات المقاس المتري الى المقاس القياسي المعروف ، وانشاء سكة حديد بغداد — حلب عبر الصحراء ، وانشاء خط حديدي بين كربلاء والنجف والكوفة . وكذلك مد خط بمقاس قياسي بين الموصل وديار بكر ، غير ان ايا من هذه المشاريع لم يتم تنفيذه .

(٧) هي محطة غربي بغداد الحالية .

عسكرية ، وقد شملت تلك التطورات ، بناء الارصفة والجوانب ، والتوصيلات ، وتسهيلات الخزن ، وانشاء جسر فوق شط العرب ، ومد سكة حديد من المعقل الى مدينة الاحواز . ولقد بقيت الاقسام المهمة من هذه الاعمال الاضافية الى ان اختفت حملة قوات العراق فارس(٨) ، ولو ان ارصفة الموانئ التي انشئت في «ام قصر» على «خور عبد الله» والسكة التي تربط هذه الارصفة بالبصرة ، لم تعد تستعمل بعد .

اهملت الرقابة العسكرية على النقل النهري في سنة ١٩٤٥ . وكانت هذه الرقابة تمثل تراثا دائما من التحسينات في النهر ، واعمال التصليح ، فراحت قوارب شركة «لنج» ومنافسيها ، تستطيع ان تتنافس مرة اخرى في ميدان النقل النهري الذي لم يعد يكفي .

تم تقليص اسطول شركة بيت لنج في سنة ١٩٣٨ ، بعد ان خسر هذا الاسطول باخرته «مجيدية» واحترقت السفينتان «مالامير» و «قادري» وتحولتا الى انقاض الواحدة بعد الاخرى في سنة ١٩٤١ . اما المنافسون لشركة «بيت لنج» وعلى الاخص حنا الشيخ ، وعبد الكريم الخضيري ، فانهم كانوا اكثر مقدرة على الاحتفاظ بما لديهم من سفن . غير ان المنافسة التي ابرزتها سكك الحديد ، والنقل البري ، كان لابد لها ان تتعاظم بدلا من ان تتقلص . فبالنسبة الى نظام الطرق البرية للنقل ، ساهمت حملة قوات العراق فارس مساهمة كبيرة في هذا المضمار ، ولاسيما في بناء الطريق البري الذي يخترق الصحراء الى الاردن ، وفي اعادة تبليط كثير من امتدادات الطرق الاخرى ، وصيانة اساطيل النقل العراقية عن طريق تجهيزها بالاطارات.ومع كل ذلك فان المحافظة على سيارات النقل المدني اثناء الحرب ، قد برهنت على انها كانت شاقة جدا ، فضلا عن تناقص العدد المستعمل منها . اما المواصلات الجوية للبلاد فانها لم تتحسن خلال الحرب ، ولكن قبل ان تنتهي الحرب بوشر باعداد مشاريع لانشاء خط جوي قومي . ولذلك كانت شركات الطيران الاوربية التي تمر طائراتها عبر العراق وتزوره ، قد استأنفت سفراتها في سنة ١٩٤٥ بعد الانقطاع الذي حدث اثناء الحرب ، حيث بدأت شركة مصر للطيران سفراتها بين القاهرة وبغداد . وفي سنة ١٩٤٥ منحت شركة «ماركوني» الايطالية اجازة لانشاء محطة للاتصالات اللاسلكية .

تبدل مسرى التجارة الخارجية تبدلا بارزا ، عن مساراتها الاعتيادية نتيجة الحرب . فقد كانت بريطانيا في سنة ١٩٣٩ ، هي الزبون الاساس لتجارة العراق الخارجية ، ومن ثم اعقبتها الولايات المتحدة الامريكية في هذا المضمار . ذلك ان كل واحد من هذين البلدين كان يستأثر بمقدار الثلث من مجموع الصادرات المنظورة غالبا . ولكن في سنة ١٩٤٤ ، اصبح المشتري الرئيس لتجارة الصادرات العراقية هي فلسطين والاردن ، وتأتي بلاد فارس في اعقابها . ذلك

---

(٨) هي القوات الانكليزية التي احتلت العراق وايران اثناء الحرب العالمية الثانية وعرفت باسم PAIFORCE.

ان قيمة الصادرات العراقية المنظورة التي ارتفعت الى اربعة ملايين دينار عراقي قبل الحرب ، قد ارتفعت نتيجة ارتفاع الاسعار الى تسعة ملايين دينار عراقي قبل ان تنتهي الحرب . اما تجارة المرور التي تقلصت الى ماقيمته ثلاثة ملايين دينار عراقي في سنة ١٩٣٩ ، كانت قد ارتفعت الى ثلاثة عشر مليون دينار اثناء السنوات الخمس الاخيرة ، وذلك بفضل مرور السلع الى روسيا . كذلك ارتفعت الاستيرادات من تسعة ملايين دينار قبل الحرب الى اربعة عشر مليون دينار في اخر سنة من سني الحرب . ولقد تدنت حصة بريطانيا من هذه التجارة من ثلاث وثلاثين الى احدى عشر في المائة ، وحصة اليابان من ثماني عشرة في المائة الى لاشيء ، في حين ارتفعت حصة الهند من ثماني في المائة الى ثلاثين في المائة ، وسوريا من اثنتين الى ست عشرة في المائة ، وامريكا من ثماني الى اثني عشرة في المائة.

كانت الرغبة في التوسع الصناعي الذي كان على الدوام يؤلف مطمحا غاليا ، قد انتعشت مجددا نتيجة النواقص التي حصلت ايام الحرب ، وازدياد السوق المحلية . اما العوامل المعاكسة لذلك فانها كانت تتمثل في نقص المواد الخام ، وفي التنافس على استخدام العمال الماهرين ، واستحالة استيردا المعامل . فمن بين السبعين مشروعا صناعيا التي استفادت من قانون ١٩٢٩ ، كانت معظمها من مستويات تافهة ، مع تركيز الاهمية على المشاريع التجريبية التي تستطيع ان ترشد الطبقة المتوسطة الى امكانية ممارسة طاقاتها خارج نطاق الخدمة الحكومية ، او المهن ، او السياسة . ذلك ان نوعا من التقدم قد حصل اثناء الحرب ، في انشاء معامل الطابوق ، والمشاغل التي تنتج الادوات اليدوية من انقاض المعادن[٩] ومعامل سحق بذور النباتات الزيتية ، من امثال بذور القطن والسمسم ، وبذور الكتان ، والتي ازدادت ولكن في نطاق ضيق . كذلك اصبحت صناعة الدباغة تدار بالالات بصفة جزئية ، كما تحسنت نوعية منتوجها . اما معملا النسيج اللذان كانا يداران بالالات[١٠] والمعامل غير العصرية لتقطير العرق ، ومحالج القطن الثلاثة[١١] واشغال صنع الصابون الصغيرة ، ومعامل السكاير ، فان هذه كلها قد ازدادت اثناء الحرب نتيجة المحاولات التي بذلت لانشاء معمل للبيرة ، واشغال

(٦) فضلنا كلمة «مشغل» بالنسبة الى «حانوت العمل WORKSHOP التي مازال تستعمل لدى العامة بلفظها الانكليزي والتي سماها المصريون باسم «ورشة» .

(٩) المقصود بهما معمل فتاح باشا للنسيج في الكاظمية ، ومعمل محمد صالح ابراهيم في الاعظمية والذي تبرع به صاحبه الى الجيش العراقي ابان حرب فلسطين في سنة ١٩٤٨ .

(١٠) كان اول هذه المحالج ملكا لشركة ساهم فيها ياسين الهاشمي ، وجعفر ابو التمن ، وابراهيم عطار باشي وغيرهم وكان مقره في الكاظمية اما المحلجان الاخران فكانا في بغداد الجديدة وهما يعودان الى الحاج هاشم الحاج يونس الموصلي وشركاه .

بدائية لصنع الزجاج ، ومعمل للاصباغ ، وآخر للشخاط الشمعي .

اما معمل السمنت الذي خطط انشاؤه منذ زمن طويل ، فانه لم يكن قد بدأ الانتاج بعد ولكن شرع بانشاء مشروع مهم لغزل الاقطان ونسجها ولكنه لم يبدأ العمل بعد . كذلك وضعت خطة لاقامة مسرح للسينما في بغداد في سنة ١٩٤٥ ، وكان هذا المسرح هو الهدف لزيارة قام بها احد الخبراء البريطانيين لهذه الغاية .

جاءت الرغبة في ضرورة تأجيل اي اقدام على استثمار اراضي للنفط، متطابقة مع رغبة الشركات البريطانية والحكومة العراقية معا[١٢] .

على ان الامر الذي كان يبعث على الاسف كثيراً ، كما يظهر ، هو عدم الاقدام على مشاريع مماثلة للنفط في كل من بلاد فارس ، وفي الجزيرة العربية . ففي السابق كان يتم انتاج وقود الطيران ، والمنتجات النفطية الاخرى على نطاق واسع لاغراض الحرب . ولكن الصناعة الامريكية استطاعت في الاخيران تنتج تجهيزات وفيرة ، في الوقت الذي لم يستطع فيه البريطانيون ان يضمنوا للمملكة السعودية الدور البارز في انتاج النفط[١٣] ولهذا السبب تخلت شركة النفط العراقية الى مابعد الحرب ، عن انشاء خطوط الانابيب الاضافية ، وعن الانتاج الاضافي من النفط والذي كانت قد خططت له في سنة ١٩٣٨ . والواقع ان منتوجها من النفط قد هبط قسرا ، نتيجة الحوادث التي وقعت في بلاد المشرق خلال ١٩٤١ - ١٩٤٢ من اربعة ملايين طن الى مليون طن ، ولم يعد الى مداه العام الا في سنة ١٩٤٤ ذلك لان العطب الذي لحق بمؤسسات الشركة خلال شهر ايار ١٩٤١ ، سرعان ماتم اصلاحه ، وبذلك استطاعت الشركة مساعدة القوات البريطانية عن طريق توفير المقرات ، والمطارات ، الجوية ، وتقديم قروض شخصية ، وتسهيلات المواصلات ، وتموين القوات البريطانية بالمنتجات النفطية المكررة ،

(١١) كانت شركة النفط العراقية تكاد تحتكر سوق النفط في اوربا تقريبا . ولذلك فلم ترغب هذه الشركة والفروع التابعة لها ، ان تعمد الى انتاج النفط في المناطق التي خصصت لها ، لان انتاج مثل هذا النفط الفائض وتسويقه لابد وان يحدث تضخما في المطروح من النفط في الاسواق العالمية ويؤدي ذلك بالضرورة الى انخفاض اسعاره ، وهذا مايتنافى مع السعر الاحتكاري الذي كانت الشركة تفرضه في تلك الايام ، وبذلك تجنبت شركة النفط العراقية الخطأ الذي وقعت فيه منظمة الدول المصدرة للنفط في السنوات الاخيرة عندما ضاعفت من اسعار النفط ومن الانتاج فادى ذلك الى اغراق الاسواق بالنفط فارغمت المنظمة على خفض اسعارها وتقليص انتاجها فيما بعد .

(١٢) لم تعثر الشركات البريطانية التي منحت حق البحث عن النفط في المملكة السعودية على هذه المادة رغم مرور عدة سنوات على اعمال التنقيب مما اعطى السعودية حق الغاء الامتيازات التي منحت لهذه الشركات البريطانية، ومما نود ان يعرفه القارئ هو ان مؤلف هذا الكتاب «لونغرغ» يعد من الخبراء في شؤون نفط الشرق الاوسط وله كتاب قيم في هذا الموضوع عنوانه «استثمار النفط في الشرق الاوسط» كما انه كان من بين الذين اشتغلوا لدى شركة النفط العراقية خلال السنوات الاخيرة في العهد الملكي والى ان قامت ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ (انظر كتابنا : الصراع على الخليج العربي) الطبعة الاولى ١٩٦٦ والذي ستصدر له طبعة موسعة قريبا .

حيث ازداد المنتوج من هذا النوع من المنتوجات لاغراض الحرب ، وادخال التحسينات على مصفى كركوك لتموين وقود السيارات بالاضافة الى الوقود الذي كان يستحصل من مصفى «الوند» .

تم انشاء معامل لصنع صفائح القصدير في كل من كركوك والموصل حيث تم ربط هذين المعملين بخط لانابيب النفط . اما في منطقة البصرة فقد انشئ خط لانابيب النفط بين عبادان والشعيبة . كان عدد من ابار النفط قد تم تخريبها كاجراء احتياطي ضد الغزو المعادي باوامر من الجيش في سنة ١٩٤١(١١) لكنه لحسن الحظ لم يتم التدخل في سير الانتاج الحالي . وفي الموصل ، حيث تقوم شركة نفط الموصل التي كانت تعرف قبلا باسم «شركة استثمار النفط البريطانية» لم يكن مستطاعا المباشرة باية عمليات في عين زالة وفي اي مكان آخر ، وان كان التحري عن النفط في البصرة مازال مستمرا . ولم يكن مستطاعاً تجنب مثل هذا التأجيل في ظروف جعلت من العسير الحصول على التجهيزات الهندسية اللازمة ، والتي كان الترخيص بجلبها قد تم من قبل ، وفقا للاتفاق الذي عقد بين شركات النفط والحكومة العراقية في شهر آذار سنة ١٩٤٣ ، حيث تم التوصل الى ذلك الاتفاق مقابل منح قرض من الشركات الى الحكومة العراقية بمبلغ ميلون ونصف مليون دينار عراقي تبدأ مدته بفترة التوقف التي حدثت في شهر ايار ١٩٤١ وتمتد الى مابعد اعلان الهدنة بمدة سنتين .

وفي الوقت ذاته ظل مشروع اقامة مصفى للنفط على يد الحكومة مشروعا حيا ، ولو ان زمن انشائه لم يحدد آنذاك . ذلك لان قضية شروط امتيازات النفط بل وحتى شرعيتها في ذلك الوقت ، كانت مثار حركة اعتيادية لدى ساسة المعارضة .

كانت فترة الحرب ، بالنسبة الى اعظم الصناعات العراقية ، فترة نشاط غير اعتيادية في ميدان الزراعة التي انتعشت نتيجة الحاجة الملحة الى المنتوج ، وكذلك نتيجة الاسعار العالية التي كان الحاصل الزراعي يباع بها . فقد ظهرت المضخات الزراعية ، بفضل قانون الاعارة والتأجير ، لاول مرة في المحافظات الشمالية . اما بالنسبة الى المزارع القائمة حول بغداد والكوت فقد شهدت سنة ١٩٤٥ بداية استعمال العشرات من الجرارات والمحاريث الالية ، والباذرات والحاصدات والدارسات . ورافق ذلك حدوث تأثير كبير في المفاهيم العراقية بشأن الامكانيات الزراعية ، فأخذت مشاريع الزراعة الحديثة الطموحة تظهر لدى المتعلمين من من اصحاب رؤوس الاموال ، واسست كلية الزراعة في سنة ١٩٤١ ، وسن قانون في سنة ١٩٤٤ يخول

---

(١١) اخطأ المؤلف اذ ذكر ان تخريب ابار النفط قد حدث في سنة ١٩٤٢ والصواب هو سنة ١٩٤١ اثناء ثورة ايار من تلك السنة .

انشاء جمعيات زراعية تعاونية [١٢] غير ان ايا من هذه الاجراءات لم تحل دون ازدياد هجرة ابناء الريف بالمئات بل بالالوف الى المدن، حيث كان العمل متوفرا فيها بكثرة ايام الحرب [١٣] .

اما في ميدان تسوية الاراضي ، فان لجان التسوية التي كانت تعمل بثبات وباعداد متزايدة منذ سنة ١٩٣٣ ، قد حافظت بحكمة على كل واجباتها المهمة اثناء الحرب ، غير انه لم يعط الان سوى اهتمام ضئيل الى المناطق الجنوبية من العراق ، واقل من ذلك الى محافظات الموصل ، واربيل والدليم والديوانية او كربلاء ، ولكن تم الكثير من العمل بالنسبة الى الاراضي الزراعية المقفرة المتنازع عليها في كل من بغداد وكركوك والحلة وديالى ، حيث حصل تقدم كبير في مجال تحديد اصناف الاراضي ، ووضع الخرائط لحدودها ، وتدوين سجلات اسماء الافراد في المناطق التي تقرب مساحتها الآن من مليون فدان . وكان يسمع الكثير عن خطط لاقامة قرى متوسطة الاحجام ، وتخصيص قطع صغيرة من الاراضي الحكومية لبعض الاسر على انفراد ، وكانت تلك تعتبر اشارة على التأكد تماما من وجود الشرور التي يعانيها الفلاح من امثال انعدام الامن ، والفقر،وانعدام الحافز لديه على زراعة الارض.

وفي قناة ديالى ، واعتمادا على سدة الكوفة ، بوشر بالعمل في سنة ١٩٤٥ ، وفق قانون خاص صدر بهذا الشأن ، بوضع اساس لاجراء توطين عملي في المناطق الزراعية ، وذلك عن طريق توزيع قطع من الاراضي التي تملكها تكون مساحة القطعة الواحدة منها ستين فداناً لكل عائلة من العوائل التي يتم توطينها ، اضافة الى وجود محفز لذلك يتمثل في سند ملكية تلك القطع يتم الحصول عليه بعد عشر سنوات من العمل لاستثمارها ، وعلى ان تقوم مديرية الزراعة

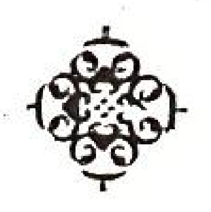
---

(١٢) كانت اولى الجمعيات الزراعية التعاونية التي انشئت هي الجمعية التعاونية الخاصة بمشروع الدجيلة في محافظة الكوت ولكن هذه الجمعية التي حصلت على المزيد من الالات الزراعية الحديثة سرعان ماتفككت نتيجة الشقاق بين اعضائها والسرقات التي كانت تحدث في المنتوج والالات وبذلك اعطت مثلا سيئا للعمل التعاوني الذي كانت الحكومة آنذاك تريد ان توسعه في الريف وتشجع القائمين به .

(١٣) كانت هجرة الفلاحين من الريف الى المدن من اعظم المعضلات التي عاناها العراق الحديث ، ومصدرا خطيراً من مصادر تحطم الزراعة واندثارها في النهاية . وكان مرد هذه الهجرة يعود في الدرجة الاولى الى تأثيرات معاشية وسياسية في ذات الوقت . فلقد كان الفلاحون يجدون في الاعمال في المدن موردا يؤمن لهم العيش يوما بيوم نتيجة حصولهم على الاجور والمرتبات وان كانت عيشة الاكثرية العظمى منهم في المدن اشد تعاسة من الريف لان الفلاح المهاجر الى المدينة مرغم على السكن بأجور ، وشراء حاجياته من الطعام بالنقد الذي لم يكن يتوفر لديه بكثرة . كما استغل عدد من ساسة مناطق الفرات حشود المهاجرين من الريف الى بغداد والبصرة وغيرها للفوز في الانتخابات النيابية في العهد الملكي . ولقد رافق قيام المشروعات الصناعية في بغداد وفي الحواضر الاخرى من العراق ، وعلى الاخص البصرة والموصل وكركوك وغيرها تصاعد واسع في هجرة الفلاحين الى هذه المدن ، وانخفاض شديد واسع جدا في المحصول الزراعي ، رغم ماكان يعطى للفلاحين من اراضي زراعية واسعة يتملكونها حيث انتهى الامر الى الاعتماد على المواد الزراعية المستوردة من الخارج ، وانعدام المحصول الزراعي الذي كان في القرون الماضية ، وبالادوات البدائية ، يعيل ضعف العدد الحالي من سكان العراق ، ويصدر المزيد من هذه المحاصيل الى البلدان الاخرى .

العامة ، بتوفير المؤسسات والمرافق القرويه ، من امثال افتتاح مدرسة ودوائر للزراعة ، ودور الحضانة ، والمستوصفات والمخازن التعاونية . وكان مشروع الدجيلة ينطوي على الامال التامة ، وقد بدئ به باختيار ثمانين عائلة تم اختيارها بكل عناية ، ثم تضاعف هذا العدد الى عشرة امثاله ، لكنه مالبث ان اثار المنافسة الحادة بالنسبة الى قبول المشاركين فيه .

سمح الامن الذي ساد العراق بعد سنة ١٩٤١ ، لمؤسسات الري الحيوية فيه ، ان تواصل اعمالها في صيانة القنوات ، والحماية من الفيضانات ، وفي دراستها وخططها ، وان لم يكن مستطاعا حينذاك ، البدء بتنفيذ المشاريع الكبرى التي كانت النية معقودة على تنفيذها . وكان العمل الذي توقف خلال سنة ١٩٤١ في انشاء منفذ لبحيرة الحبانية وهور «ابي دبس» قد تم اكماله في سنة ١٩٤٣ . اما فتح قناة تأخذ الماء من النهر (وهي القناة التي شرع بانشائها تحت اشراف السروليم ولكوكس) وكذلك القناة التي تعيد الماء الى النهر ثانية ، فقد اعيد تصميمها ولكن لم يباشر بتنفيذها ، في حين تم الحفاظ تماما على عمليات الارواء بالمضخات .



٥ ـ الاكراد والهدوء الذي تنشده الحكومة

خلال الايام السيئة من سنة ١٩٤١ ، وفي اثناء سنة ١٩٤٢ ، لم يقم الاكراد بأي عمل من شأنه ان يضيف شيئا ما الى مشاكل الحكومة ، ولذلك كان الحفاظ على الادارة السليمة يعتمد - كما يبدو - على تقليص الاحتكاك ، والتأكد من الانفعال العاطفي الواسع لدى الاكراد ، وضمان قوة الضرب الفعالة عند الحاجة .

ولقد كان الاضطراب الذي حصل في المناطق الكردية من بلاد فارس ، يمثل ارباكا اضافيا للحكومة العراقية . فلقد سمح للشيخ محمود الذي استمر في حركته المخبولة ، حتى بعد عودة عبد الاله الى الحكم ، وتأليف حكومة دستورية ، بان يعيش في احدى القرى التابعة له ، في الوقت الذي ادى فيه الغزو الانكليزي الروسي المشترك لبلاد فارس في تلك السنة [1] الى انهيار السلطة المركزية في طهران ، والى حدوث فراغ في السلطة ، حيث سارع رؤساء الاكراد في بلاد فارس الى ملء ذلك الفراغ بان جعلوا من انفسهم رؤساء للحكم المحلي هناك ، وقطعوا اتصالهم مع طهران .

كان من بين الاكراد الذين اثاروا الاضطراب في شمالي العراق ، وعادوا من المنفى في ايران ، شخص يدعى «حمه رشيد خان» كان هذا الرجل عراقيا بالولادة ، لكنه اصبح الان يدعى جنسية مزدوجة عراقية وفارسية في وقت واحد . لقد اعلن حمه رشيد خان هذا استقلاله ، لوقت قصير في مدينة «ساقز» [2] حتى سنة ١٩٤٢ ، حيث تم اخراجه من هناك ، ومن ثم عاد

---

(١) المقصود بها سنة ١٩٤١ عندما اتفقت بريطانيا والاتحاد السوفياتي على الاشتراك في احتلال بلاد ايران ، وتطهيرها من بؤر الجاسوسية المتلربة ، وابعاد رضا بهلوي الذي اظهر ميله نحو المحور علانية ، عن العرش وتولية ابنه محمد مكانه ، كل ذلك لتأمين مرور المساعدات الامريكية الى الاتحاد السوفياتي عبر اراضي ايران .

(٢) ساقز : احدى حواضر المنطقة الكردية في ايران ، ويزيد عدد نفوسها عن خمسة وثلاثين الف نسمة كلهم من الاكراد تقريبا واكثريتهم كانوا من اتباع الطريقة النقشبندية المنتشرة حتى في المناطق الكردية العراقية وهذه الطريقة نوع من الفرق الباطنية .

فعبر الحدود العراقية وخضع للاعتقال في كركوك ، ورفض الاتصالات التي قام بها زعماء الاكراد في ايران ، بالسفارة البريطانية في طهران ، بقصد الانضمام الى المنطقة التي تحتلها بريطانيا من ايران (وذلك امر كان يحدث بصفة غالبة قبلا) .

ولكن بعد مرور بضعة اشهر من خصومات لانهاية لها بين الاغوات الذين ساعدوا القوات الفارسية على الدخول الى معظم المدن في المنطقة الكردية من بلاد ايران ، تم ضمان نوع من السلطة هناك لحكومة طهران ، وابعد عدد من زعماء الاكراد الى داخل الحدود العراقية . وكانت مدينة «مهاباد» (صاووج بولاق) هي المدينة الوحيدة التي اخفق الفرس في الدخول اليها .

اصبحت مدينة «مهاباد» الان مركزاً لمقاطعة كردية خالصة في شمالي شرقي ايران وسرعان ماتألفت في «مهاباد» احدى الجمعيات الكردية المتطرفة تدعى «جيان كرد»[٣] التي اصدرت مجلة ناطقة باسمها تعرف باسم «نشتمان» اي «الوطن» التي اخذت اعدادها تصل الى العراق وتوزع في المناطق الكردية ولقد راحت جمعية «جيان كرد»تطلق على نفسها بكل بساطة اسم «كومالا كرد»[٤] .

ومع كل ذلك فلم يحدث اي اضطراب مكشوف لدى اكراد العراق في ذلك الوقت ، ولم يحاول زعماء بارزان المعتقلين في مدينة السليمانية ، وعلى الاخص الشيخ احمد واخوه ملا مصطفى ذلك الشخص غير المتزن دواما ، الاقدام على اية حركة الا في اواسط صيف سنة ١٩٤٣ ، حين هرب «ملا مصطفى» من معتقله في السليمانية ، الى بارزان فبسط سيطرته عليها وشرع يحاول الانضمام الى احد رجال العصابات الخارجين على القانون ، وهو شخص كردي وتركي معا يدعى «سعيد بيروخي» الذي وقع في ايدي رتل تركي كان يطارده في تلك الاصقاع .

نقلت رسالة من نوري السعيد الى الشيخ احمد البرزاني الذي مايزال معتقلا في السليمانية[٥] ، تلح عليه بضرورة الاستسلام ، ولكن الشيخ احمد رفض ذلك الطلب ، وازدرى باية سلطة كانت سوى سلطته ، ولذلك تحرك الجيش العراقي الى منطقة «برزان» لمعالجة التمرد هناك .

---

(٣) تعني هذه العبارة «حياة الاكراد» وكان يرمز لهذه الجمعية او الحزب بالحرفين ز . ك . اي «زيان كرد» .

(٤) كومالا كرد تعني «جمهورية الاكراد» لدى اكراد ايران اما اكراد العراق فيعرفون «الجمهورية» بكلمة «كوماري» و «الثورة» بكلمة «شورش» وواضح ان لغة اكراد ايران تختلف كثيرا عن لغة اكراد العراق ، وان بعض اللهجات يصعب حتى على الاكراد انفسهم معرفتها ، ان لم يقيموا فترة غير قصيرة في تلك المناطق .

(٥) لم يقتصر الامر على رسالة نوري السعيد وحدها ، بل ان السفير البريطاني في بغداد ، بعث - قبل تحرك الجيش العراقي لضرب التمرد - برسالة الى الملا مصطفى يطلب اليه فيها ايقاف القتال فورا ، وطلب العفو من الحكومة ، والتفاهم معها . ومما جاء في رسالة السفير تلك قوله (ان عدم ايقافك القتال يعني وقوفك ضد بريطانيا) .

كانت الزيارة التي قام بها «ماجد مصطفى» الوزير بلا وزارة ، خلال شهر كانون الثاني في سنة ١٩٤٤ لمنطقة بارزان ، ناجحة ، نشر في اثرها بلاغ رسمي زعم فيه بان «الملا مصطفى قد خضع للوصي دون قيد او شرط» ولم يلبث ماجد مصطفى ان قام في اعقاب ذلك البلاغ ، بجولة في المنطقة الكردية ، فنقل الموظفين غير المرغوب فيهم ، ونظم امر توزيع الشعير ، وعين قائدا كرديا متخرجا في كلية الاركان البريطانية ، وذا قابلية هو «بهاء الدين الشيخ نوري» محافظا للسليمانية[٦] . ولكن الملا مصطفى مع كل ذلك طلب تدخل الانكليز في الموضوع .

قام نوري السعيد باخر جولة وزارية له في كردستان، خلال شهر ايار سنة ١٩٤٤، ولقد اقترح نوري السعيد انشاء محافظة كردية تضم كل الأقضية الكردية في محافظة الموصل، وتعيين الموظفين فيها من قبل وزير يمثل الأكراد في الوزارة، وتعيين أحد الأكراد في منصب المدير العام لوزير التربية، وتحسين الخدمات الاجتماعية في الشمال، ومنح قروض زراعية، واعادة النظر في مصير احتكار التبوغ.

ولكن زملاء نوري السعيد في الوزارة رفضوا ان يؤيدوه في تلك الاقتراحات، كما رفض عبدالاله مشروع تحويل قضاء «دهوك» الى محافظة، وبذلك وقعت وزارة نوري السعيد في حمأة الشك والخصام[٧] .

تمت زيادة تمثيل الأكراد في الوزارة اكثر من ذي قبل، كما زيد عدد النواب الأكراد في مجلس النواب، وبعثت الوزارة بمحافظين كرديين لكل من السليمانية وأربيل، كما اوفدت وزير الاقتصاد «توفيق وهبي» على رأس بعثة لحسن النوايا. وفي شهر تشرين الثاني من تلك السنة[٨] اسقط أربعة اشخاص بالمظلات من احدى الطائرات الالمانية التي القبض على اثنين منهم، ونجا الأثنان الباقيان، وهكذا انتهت تلك السنة بانتشار القلق من احتمال تجدد اعمال التمرد.

لقد برهنت الحوادث على أن تلك المخاوف لم يكن لها، في جزء منها، اي اساس، ذلك لأن الهدوء السائد لم يمسه الأضطراب قطعا طيلة شتاء ١٩٤٤ - ١٩٤٥، وان كان تذمر الأكراد لم ينقطع، وازدياد النفوذ الروسي لم يحل دون الثقة.

وفي شهر اذار من سنة ١٩٤٥ عرضت على البرلمان لائحة اعلان العفو العام وتمت المصادقة

---

(٦) اصبح بهاء الدين نوري من اقرب المقربين الى عبد الاله فلم تكد تخلو وزارة من الوزارات التي تألفت في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات من مشاركة بهاء الدين نوري فيها . وقد توفي بهاء الدين نوري بعد ان اصيب بشيء من الشلل ، في الاردن بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وكان منها بانتسابه الى الماسونية ، واكد هذه الحقيقة المرحوم صلاح الدين الصباغ في مذكراته .

(٧) هي وزارة نوري السعيد الثانية التي تألفت في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٣ واستقالت في ٣ حزيران ١٩٤٤ حيث اعقبتها في الحكم وزارة حمدي الباجه‌جي الأولى التي عين فيها «توفيق وهبي»، وهو ضابط كردي سابق، وزيرا للأقتصاد.

(٨) الى سنة ١٩٤٤.

عليها بتردد من النواب، وكانت تلك اللائحة قد اعفت المتهمين من الأكراد ابتداءا من شهر شباط وهو تاريخ خضوع الملا مصطفى للحكومة. وقام الملا مصطفى بزيارة الموصل واستقبل فيها من قبل وزير الداخلية[٩]، وتم نقل منطقة برزان من محافظة الموصل الى محافظة أربيل. ومع ذلك فلم يهدأ ملا مصطفى فأخذ يزعم بأنه يتلقى المعونة من البريطانيين، وتلك تلفيقات صدقها الكثيرون في بارزان وحتى في بغداد أيضا.

وحين اضطر الجيش العراقي الى العمل لاعادة الهدوء في شهر ايلول تقدمت ثلاثة ارتال الى الأماكن التي اسرع ملا مصطفى بالالتجاء اليها، في الوقت الذي قامت فيه القوة الجوية بقصف اتباعه وممتلكاتهم. كذلك تقدم رتل من قوات الشرطة من «العمادية». ولقد تعاونت الحكومة التركية مع الحكومة العراقية في هذا الشأن، بأن اغلقت حدودها مع العراق. تمت محاصرة الملا مصطفى من كل جانب، واذ ذاك اضطر الى عبور الحدود الى الاراضي الفارسية ومعه الفان من رجاله، ليلقى الترحيب من لدن جماعة «قاضي محمد» زعيم الأكراد في مهاباد، ويحظى بتأييد علني من جانب الروس الذين كانوا يدعمون حركة «قاضي محمد» الذي اعلن عن تأسيس جمهورية كردية في «مهاباد» ترتبط مع «جمهورية اذربيجان» داخل الأراضي الايرانية والتي ساعد الروس على تأسيسها تحت زعامة «جعفر بيشواري».

انتهت المعركة، وتم تشتيت قوات العدو بمختلف الوسائل، حيث قام الوصي بتوجيه الشكر الى الجيش على جهوده، وتوزيع الجوائز على رجاله، في الوقت الذي قام فيه رئيس الوزراء بجولة في الأنحاء الشمالية، حيث بذلت كل الجهود لاعادة تأسيس الادارة، واظهار حسن النية عن طريق المبادرة عاجلا، بانشاء المدارس، والمستوصفات، ومراكز الشرطة.

انعقدت محكمة عسكرية عرفية في أربيل لمحاكمة العصاة البرزانيين، واستدعت للحضور أمامها أكثر من مائة شخص كان من بينهم الملا مصطفى وأخوه الشيخ أحمد. ولقد حكم على الأخوين وثلاثين من اتباعهما بالأعدام غيابيا وحكم على سبعين اخرين بالحبس مدى الحياة، وسادت بعد ذلك فترة من الهدوء كان يمكن خلالها الحصول على المزيد من ذلك، عن طريق اظهار حسن النية وابداء عطف اوسع من قبل حكومة بغداد ازاء مخاوف الأكراد ومطاليبهم غير الضارة، سيما وان موجات من الدعاية الشيوعية القوية المختارة قد أخذت تصل الى الأكراد من شمالي غربي بلاد فارس، مما جعل هؤلاء الأكراد عنصرا عميق التذمر بل عنصراً يهدد الحياة القومية كلها بالخطر.

❊ ❊ ❊

---

(٩) هو مصطفى العمري.

٦ ـ الجامعة العربية

كان الارتباط بين بلاد فارس والعراق اثناء الحرب، اضعف بين الشعبين وكذلك بين الحكومتين العراقية والفارسية، من الروابط القائمة بين القوات العسكرية وطرق المواصلات المألوفة بين البلدين. ونظرا لسعة اعمال النقل التي كانت تقوم بها قوات حملة العراق – فارس بالنسبة الى الأفراد والتموينات، فلم تكن هنالك من حدود بين العراق وبلاد فارس. ذلك لأن البلدين كانا يؤلفان وحدة منفردة من وحدات الدفاع، ولتقريب الاتصالات مع القوات الروسية، ومن هنا كانت الاتصالات بين الحكومتين والشعبين، مقيدة بحركة غير محدودة، وكانت طرق المواصلات بينهما محتكرة في الغالب للحاجات العسكرية، وللزيارات المتناقصة. وفي الأقسام الشمالية الشرقية من العراق وحدها، كانت تجري حركات عبور الأكراد للحدود بين البلدين، واحداث التقارب بين مواطنيهما.

كان التلويح بالثورة الفاشلة التي قام بها احد اولاد الشيخ خزعل أمير المحمرة المعزول [1] في الأحواز سنة ١٩٤٣ قد تم اخمادها بصفة مبكرة، وتراجع القائم بها الى البصرة. كان ميثاق سعد اباد الذي حصل الحديث عن تطبيقه في أوائل الحرب، معطلا عن العمل في الواقع، وان كان يؤلف رابطة سياسية ليس مع فارس حسب، بل ومع تركيا أيضا، وكانت روابط العراق مع تركيا، كما هو شأنها على الدوام، وثيقة في النواحي الاجتماعية، وواسعة في الميادين التجارية، غير أنها كانت ضئيلة في الميدان السياسي، فقد كانت المعاملات التي تخص الحدود تسير سيرا وديا، والتعاون بين الجارتين متواصلا، ذلك أن البلدين كان يرغبان سوية في صيانة تجارة المرور عبر

---

(١) هو الشيخ كاسب بن خزعل الذي اتفق مع بعض عرب الأحواز في الدخول ذلك الأقليم في سنة ١٩٤٣ فأعلن الثورة هناك ولكنه انخدع بطلب الفرس التفاوض معه، ففشلت ثورته. وحاول تجديد الثورة مرة أخرى، ولكن القوات الأنكليزية التي كانت تشارك القوات الفارسية في حكم اقليم الأحواز في تلك الفترة حالت دون قيام اية مقاومة عربية للحكم الفارسي ولذلك اضطر الشيخ كاسب، عند فشل المحاولة الجديدة، الى العودة الى مقره في البصرة (فصلنا ذلك في كتابنا المخطوط : كفاح الأحواز ضد العدوان الفارسي الأستعماري عبر العصور». الذي نأمل نشره قريبا.

الحدود، على الرغم من النقص الحاصل في عدد شاحنات سكك الحديد، وندرة السلع. ولذلك قامت بعثة تجارية تركية بزيارة بغداد في سنة ١٩٤٥.

اخذ امتعاض العرب الناتج عن ضياعهم لمحافظة الاسكندرونة في سنة ١٩٣٨، يخف بمرور الزمن، وأدى وجود الأمير «زيد» بزوجته التركية في منصب وزير العراق المفوض في أنقرة، والزيارات المتتابعة الى العاصمة التركية واسطنبول، التي كانت الشخصيات العراقية تقوم بها، الى تحسين العلاقات، وفي الوقت الذي إنتشرت فيه اشاعة اعتزام الوصي بعبدالاله الزواج من ابنة عصمت اينونو في سنة ١٩٤٥، وهي اشاعة لا اساس لها من الصحة، قام عبدالاله بزيارة تركيا لأكثر من مرة واحدة.

على ان قلب العالم السياسي في العراق، كان منشغلا أكثر من ذي قبل بشقيقاته البلدان العربية. فقد كانت العلاقات مع شرقي الأردن طفيفة لكنها ودية، نظرا لتبادل الزيارات الملكية والوزارية بين البلدين، وارتباط حركة النقل العسكري البريطاني بينهما، وكانت المشاعر ازاء السعودية باردة، وذلك لأن البيتين الحاكمين في البلدين كانا يتبادلان النفرة المشتركة بينهما، كما كان مفهوم الوحدة العربية لدى السعوديين يناقض مفهومها لدى العراقيين، في الوقت الذي ادى فيه لجوء رشيد عالي الكيلاني الى مكة، الى اثارة السخط.

أما بالنسبة الى مصر التي قام عبدالاله ورجال دولته بزيارتها، فقد كان يوجد اساس مشترك (مع وجود شيء من التنافس على زعامة العالم العربي) في مطامحها بشأن الوحدة العربية. فقد كانت تجري استعارة الخبراء والمدرسين المصريين من قبل العراق، ولهذا الغرض تم انشاء «مكتب» للتعاون الثقافي في القاهرة، وافتتح فرع لجمعية «الاتحاد العربي» في بغداد[٢] في الوقت الذي كانت فيه العلاقات الاجتماعية ضعيفة، والمشاعر تافهة أو انتقادية.

بلغت حركة الوحدة العربية قبل سنة ١٩٤٤، مرحلة أصبح التحقيق الشكلي لها، يعتبر هو الخطوة الأولى في هذا الشأن. ذلك أن جميع المبررات لقيام الوحدة، في نظر المتحمسين لها، كانت من أكثر الحركات التي سبقتها من أمثال المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد في مدينة القدس سنة ١٩٣١[٣] ومؤتمر «بلودان» سنة ١٩٣٧[٤] و«المؤتمر البرلماني العربي» الذي انعقد في

---

(٢) تألفت جمعية الأتحاد العربي في القاهرة من السادة عبدالستار الباسل، وفؤاد اباظة، وأسعد داغر، والدكتور محمد أسعد، وغيره. وقام وفد من هذه الجمعية بزيارة العراق في الخامس والعشرين من ايار سنة ١٩٤٢. وعلى أثر ذلك تم افتتاح فرع للأتحاد العربي في بغداد كان من بين اعضائه المؤسسين كل من تحسين العسكري، وابراهيم الواعظ، وتحسين علي، ابراهيم عاكف الألوسي، محمد سليم الراضي، جلال الأورفلي، عبد الهادي الجلبي، ابراهيم محمود الشابندر، سلمان فتاح، نوري فتاح، الحاج رابح العطية، وحسين الرفيعي وذلك خلال شهر اذار سنة ١٩٤٣.

(٣) انعقد هذا المؤتمر في القدس في شهر كانون الأول سنة ١٩٣١، وكان امين الحسيني من الأوائل الذين عملوا على عقد هذا المؤتمر كما يفرض زعامته على الحركة الفلسطينية ولقد نازعه في ذلك خصومه السياسيون وعلى الأخص «ال النشاشيبي» الذين

القاهرة سنة ١٩٣٨ (٥) واجتماع ممثلي العرب في لندن سنة ١٩٣٩ (٦) كل هذه كانت مقدمات للاجتماعات الشكلية التي كان رجال الدول العربية يعقدونها، لقيام عمل تطبيقي لاقامة «أتحاد عربي» «او جامعة عربية او دولة عربية» لم تكن تعوزها القدرة على ادارتها.

في سنة ١٩٤١ اعرب انطوني ايدن، بالنسبة الى بريطانيا عن عطفه العام على اية حركة تتجه نحو اقامة ارتباط اوثق قد يقوم به القادة العرب أنفسهم (٧). أما بالنسبة الى قضية فلسطين، فلقد

عقدو النية على الدعوة الى مؤتمر اخر بأسم مؤتمر الأمة الاسلامية، ولكي يفهم القارىء خطورة المؤتمر الاسلامي واتجاهه الصحيح نقول له ان من زعماء المؤتمر اثنين من اتباع المذهب القادياني: المتحالف مع الأنكليز، كانا يمثلان المسلمين في الهند قبل التقسيم هما «محمد علي» وأخوه «شوكت علي» ولذلك فلم ينجم عن هذا المؤتمر سوى الخطب التي ذهبت ادراج الرياح بالنسبة الى مطامع الصهيونية وتحالف بريطانيا معها في ابتلاع فلسطين ذلك لأنه لم يتم تنفيذ اي من القرارات التي اتخذها المؤتمر من امثال فتح فروع له في العالم الاسلامي والدفاع عن قدسية مدينة القدس أو انشاء جامعة اسلامية باسم جامعة المسجد الأقصى، وانشاء شركة اسلامية للاراضي تعمل على الحيلولة دون سقوط أراضي عرب فلسطين بأيدي اليهود.

(٤) عقد هذا المؤتمر في مصيف «بلودان» في شهر اب ١٩٣٧، فكأنما اريد منّ ورائه أن يصطاف المشاركون فيه وقد اعلن المؤتمر بعد انتهاء جلساته بأنه أتخذ قرارات سرية لمقاومة مطامع الصهاينة في فلسطين: غير أن صحيفة سورية، نسيت أسمها كانت قد ذكرت في حينه بأن المقررات السرية لمؤتمر بلودان قد وقعت في ايدي الصهاينة ذلك ان جملة من الفتيات اليهوديات الكاعبات كن يمرحن في حديقة الفندق الذي نزل اعضاء المؤتمر فيه وقد استطعن اغراء بعض اعضاء المؤتمر بجمالهن وفتنهن وحصلن منهم على القرارات. ولقد تأكدت حكاية تلك الصحيفة السورية حقا، لأن القرارات السرية المزعومة لم تنفذ ابداء بل لم تطلع عليها الأمة العربية والشعب الفلسطيني على الأخص.

(٥) انعقد هذا المؤتمر في القاهرة في اليوم الخامس من تشرين الأول ١٩٣٨، وحضره عن العراق وفد مؤلف من مولود مخلص رئيس مجلس النواب انذاك، وكل من النواب ابراهيم الواعظ، وحسين النقيب، وتوفيق السمعاني، ومحمود الملاح وعبدالهادي الظاهر، وابراهيم عطار باشي، وعلي الديلمي، وعثمان العلوان.

(٦) عقد هذا المؤتمر بلندن في شباط ١٩٣٩، وحضره مندوبون من العرب واليهود في فلسطين. ونظرا لرفض العرب الجلوس مع اليهود على طاولة واحدة، اجتمع تشمبرين رئيس الوزارة البريطانية بالوفود العربية للتفاوض معها في صبيحة السابع من شباط، ثم اجتمع الى الوفد اليهودي بعد ظهر ذلك اليوم ذاته. وفي التاسع من شباط طرح جمال الحسيني المطالب العربية التي كانت تدعو الى الاعتراف بحق العرب في الأستقلال، والتخلي عن الوطن القومي اليهودي، ووقف هجرة اليهود الى فلسطين، وحظر بيع الاراضي العربية الى اليهود، وانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والاستعاضة عنه بمعاهدة تحالف بين بريطانيا والدولة الفلسطينية العربية. وأعلن وايزمن رئيس الوفد اليهودي المطالبة بالأبقاء على الوضع الراهن، اي استمرار الانتداب، ووعد بلفور ورفض أن يصبح اليهود اقلية (د. عبدالوهاب الكيالي: موجز تاريخ فلسطين ط١ ٧١ ١٩).

(٧) كانت بريطانيا ومازال حتى الآن، مثل غيرها من الدول والقوى الاستعمارية تحارب بمختلف الاسلحة والوسائل قيام اية حركة أتحاد او تقارب بين البلدان العربية. غير أن بريطانيا تظاهرت في ذلك الوقت بعطفها على أتحاد الدول العربية نتيجة خوفها من التطورات التي ستحدثها الحرب ومابعدها من مفاهيم ومواقف لدى العرب تكون ضد مصالح الدول الغربية من أمثال اتجاه العرب نحو الأتحاد السوفياتي وماشكل ذلك، ولذلك كانت جامعة الدول العربية، كما قلت في تعليق سابق قد اعدت طبختها في مطبخ وزارة الخارجية البريطانية في الدرجة الأولى.

كان الكتاب الأبيض البريطاني الذي نشر في سنة ١٩٣٩، مايزال يمثل السياسة البريطانية حول هذا الموضوع[٨] ولابد له أن يجتذب التأييد العربي العام، حالما تظهر دلائل على ذلك «اذا ماوجدت هذه الدلائل» تشير الى تنفيذه بصفة مؤكدة. غير ان مضي السنتين الأوليين من الحرب العالمية الثانية، ومع أن «الثورة العربية» قد انتهت[٩] وأصبح امين الحسيني في المنفى، أن كل هذه الأوضاع قد أعطت دلائل كافية بأن مشكلة فلسطين ماتزال من دون حل، وأن المخاوف لها مايبررها، فان معارضة اليهود للكتاب الأبيض ماتزال قائمة[١٠] وأخذت الهجرة اللاشرعية تتعاظم بشكل واسع، وازداد الارهاب اليهودي في الوقت ذاته.

ظل موقف بغداد حتى أوائل سنة ١٩٤٢ موقف الترقب المشوب بتوتر الأعصاب، وان بقي تاريخ وعد بلفور شعارا لأقامة التظاهرات المعادية للصهيونية. وفي سنة ١٩٤٣ وردت أنباء من نيويورك عن اعلان اليهود لمناهجهم الذي عرف بأسم «منهاج بلتيمور»، وهو واحد من التجمعات اليهودية والجيش على غرار مايعرف بـ «الكومنولث»، والذي كان يطالب برفع القيود عن الهجرة اليهودية، الأمر الذي اثار الخوف بين العاملين في القضايا العامة في بغداد، وأدى الى التشاور بين الناطقين باسم العرب عن الخطر المتجدد الذي كان من أخطر مظاهره، تلك المظاهر الواضحة لمساندة الادعاءات اليهودية في امريكا وفي اوربا، حيث تحدث «وندل ولكي» في سنة ١٩٤٢، وكذلك لويد جورج سنة ١٩٤٣، عن تلك الاشارات، اضافة الى عرض قرارين مكررين على

---

(٨) اصدرت الحكومة البريطانية هذا الكتاب في سنة ١٩٣٩ بعد فشل محادثات مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في خريف ١٩٣٨ في الاتفاق على وضع دستور لفلسطين المستقلة تحت الحماية البريطانية. وقد أعلنت بريطانيا في الكتاب الابيض أنه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية، لكن بريطانيا ترى في الوقت ذاته انشاء دولة فلسطينية مستقلة يشترك فيها العرب واليهود في غضون عشرة اعوام، وان ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا وان تحدد الهجرة اليهودية خلال الأعوام الخمسة الاول بخمسة وسبعين الف مهاجر ولا يتم حظرها بعد ذلك الا بموافقة العرب انفسهم.

(٩) المقصود بذلك الثورة الفلسطينية الكبرى التي قامت سنة ١٩٣٦ وأستمرت حتى سنة ١٩٣٩.

(١٠) ذكر حيم وايزمن في كتابه «التجربة والخطأ» عن الكتاب الأبيض بأن رمزي مكدونالد رئيس الحكومة البريطانية التي وضعت الكتاب الأبيض، قد طلب من الوكالة اليهودية، قبل نشر الكتاب الأبيض، تعيين لجنة يهودية للتشاور مع اللجنة الوزارية الأنكليزية بشأن سياسة فلسطين. وكان من ابرز اعضاء اللجنة اليهودية وايزمن نفسه والبروفيسور هارولد لاسكي. ولقد كافحنا في هذه اللجنة طيلة شهور الشتاء ضد فكرة الحكومة البريطانية القاضية بأن يكون تعهدها مقتصرا على يهود فلسطين دون يهود العالم. ولقد تعرضت امام المؤتمر اليهودي لحملات شديدة لأنني قبلت بالكتاب الأبيض بدلا من الاصرار على اصدار كتاب اخر يلغي الكتاب الأبيض ذاته. ويقول وايزمن في مكان اخر من مذكراته «والواقع ان الكتاب الذي وجهه رمزي ماكدونالد الي شخصيا، هو الذي مهد الطريق امامنا لكي ندخل في سنة ١٩٣٩ وحدها خمسة وستين الف مهاجر يهودي شرعي. عدا المهاجرين غير الشرعيين» ويبدو من مذكرات وايزمن ان تعيين السر ارثر واكهوب مندوبا بريطانيا ساميا في فلسطين كان بالأتفاق بين وايزمن والسر رمزي ماكدونالد» كما يذكر وايزمن أن المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين الذي أنعقد في ١٦ اب ١٩٣٩ قد قرر رفض الكتاب الأبيض «مذكرات وايزمن»: الترجمة العربية بيروت.

الكونغرس الأمريكي لأقرار حرية هجرة اليهود الى فلسطين واقامة دولة يهودية فيها.

وجهت الاحتجاجات العربية ضد هذين القرارين الى الرئيس روزفلت، الذي أكد للوصي عبدالاله وغيره من الزعماء العرب، بأن اي حل لقضية فلسطين لايمكن ان يتطور الا بعد التشاور مع العرب واليهود معا[11].

كانت الزيارات التي يقوم بها رجال الدولة العراقية الى القدس متواصلة. ولقد تعاظم ربط قضية فلسطين بقضية الوحدة العربية الوثق، فغدا أكثر وضوحا، وراحت صحافة العراق منذ ذلك الوقت ومابعده، تتحدث بلهجة مخيفة ضد الصهيونية. كان لابد من ان يزداد التوتر العصبي بين الألوف من اليهود الذين يعيشون في بغداد والذين لم تكن الصهيونية مستساغة لديهم بل حركة تدميرية على أكثر احتمال، ولذلك كانت مقاومة معارك العرب الفلسطينيين في ميدان الرأي العام العالمي، باعثاً على تأسيس المكاتب العربية في لندن وواشنطن، في تلك السنة، حيث ساهمت الحكومة العراقية في المكتب الذي كان يديره «موسى العلمي» مثلا بمائة الف باون.

في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ انتهت الحرب. واذ أصبح ايجاد نوع من الحل للمشكلة الفلسطينية ضرورة لاغنى عنها، وردت الأنباء عن تعيين لجنة انكلوامريكية للتحقيق. كانت اراء حزب العمال البريطاني الذي أصبح الان في دست الحكم معروفة بعدائها للكتاب الأبيض وبمناصرتها للصهيونية، في ذات الوقت الذي كان فيه الرئيس الأمريكي ترومان، وقبل البدء بأي تحقيق، يضغط على البريطانيين بقبول المزيد من اليهود المهاجرين الى فلسطين، ولذلك صادق المجلس الصهيوني العالمي في شهر اب من تلك السنة، على المطاليب الصارمة التي تقدمت بها منظمة بالتيمور.

كان هناك تفاؤل ضئيل في العراق، وفي أي مكان اخر، يحس به بأن حقوق الشعب الفلسطيني، الذي أصبحت مساكنه، ووطنه، وحقوقه بالذات معرضة للخطر، سوف تنال الأحترام. تم الاعلان في العراق عن مقاطعة جميع السلع المستوردة من فلسطين ابتداء من اليوم الأول من كانون الثاني سنة ١٩٤٦. اما الحوادث التي وقعت في سوريا فأن ماااثارته من الأهتمام، كانت أقل بصفة نادرة من الحوادث التي وقعت في فلسطين. والحقيقة ان رجال الدولة العراقية، وفي كل مرحلة من مراحل تاريخ سوريا ومنذ سقوط حكومة فيصل هناك والتي لم تدم طويلا، كان يظهرون الأحاسيس الأخوية الحارة، ولذلك وجهت الانتقادات في بغداد ضد تعطيل

---

(١١) يذكر وايزمن في مذكراته أيضا «قابلت السرجون فلبي وتحدثنا معا عن العرب واليهود ومما قاله لي في هذا الصدد أعتقد ان هناك سبيلين ليس الا لحل مشكلتكم. الأول ان يقول تشرتشل وروزفلت الى أبن سعود أننا نريد منك تحقيق برنامج اليهود في فلسطين. والسبيل الثاني ان يعمل تشرتشل وروزفلت على تمهيد السبيل لجعل أبن سعود سيد الأقطار العربية، وتقديم قرض كبير له !» «المصدر السابق».

الدستور السوري عند انفجار الحرب العالمية الثانية، وتعطيل الدستور اللبناني بعد ذلك بصورة مباشرة. وكذلك انتقد العراقيون الادارة التي كانت تطبقها الحكومات المعنية في سوريا ولبنان. ولقد أعقب أنهيار الحكم الفرنسي في اوربا وصول لجنة الهدنة الايطالية الى كل من سوريا ولبنان، وقيام فترة انتظار قلق بشأن الحوادث التي وقعت والتي حظر فيها النشاط السياسي بأكمله في ذينك البلدين. كذلك تمت دراسة مستقبل الدولتين السورية واللبنانية دراسة حرة في كل من بغداد والقاهرة حيث قام نوري السعيد باعتباره وزيرا للخارجية بزيارة كل من دمشق وبيروت في شهر تموز سنة ١٩٤٠ غير أن الاضطرابات في سوريا في اوائل سنة ١٩٤١، لم تؤد الا الى اجراء تغيير في المدراء فحسب، في حين كانت الآمال التي تعتمد على حركة رشيد عالي الكيلاني «والتي ساندها عدد من المنفيين السوريين، او المستخدمين المحليين منهم في بغداد» قد باءت بالفشل. غير أن احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة، الذي حدث في اليوم التاسع من شهر حزيران سنة ١٩٤١، قد وفر الفرصة امام الجنرال «كاترو» لأن يعلن استقلال الجمهوريتين السورية واللبنانية، حيث شاركت الحكومة البريطانية نفسها في ذلك المضمار ولو بصفة محددة. ولقد تم تكرار ذلك الاعلان الذي اشتمل على عبارة «الدولة المستقلة» مرة أخرى في شهر ايلول، ولكن الموظفين المتعاطفين مع الاماني الفرنسية ظلوا يمسكون بزمام السلطة، في الوقت الذي امتنع فيه العراق وغيره من الحكومات العربية الأخرى خلال سنة ١٩٤٢ عن الاعتراف بتلك السلطة الى ان تم التأكد بأن حقيقة الوضع الجديد الموعود به في سوريا ولبنان، سوف يتحقق بأنشاء حكومة دستورية حرة.

لقد حدث هذا الأمر في أواخر صيف ١٩٤٣، وتميز اعتراف العراق بانشاء الحكومتين السورية واللبنانية بتعيين القنصل العام «تحسين قدري» وزيرا مفوضا هناك، كان ذلك الاستقلال الذي منح لسوريا ولبنان ناقصا، وأن تم التمتع به في الواقع، وقد تم التغاضي عن نواقصه تلك وعدم الأحتجاج عليها، الا بالنسبة الى الحوادث التي وقعت في بيروت في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني في تلك السنة، عندما اقدم المندوب الفرنسي العام على اعتقال رئيس الجمهورية، وأعضاء وزارته وحل مجلس النواب وتعطيل الدستور. ولقد استنكرت الصحافة والساسة في بغداد انتقادا شديدا تلك الاجراءات، وعبرت عن استنكارها ذاك ببرقيات الاحتجاج التي أرسلت الى كل من باريس ولندن، ولم تهدأ العاصفة الا بعد ان الغي العمل الذي اقدم عليه المندوب الفرنسي، وباستدعائه من بيروت.

وفرت الزيارات التي تبودلت بين رجال الدولة من العراقيين والسوريين واللبنانيين، فرصا جديدة للتشاور ليس بالنسبة الى قضاياهم الخاصة حسب وانما على نطاق اوسع، هو نطاق الأتحاد العربي الذي كان العراقيون وطليعتهم في هذا الميدان نوري السعيد الذي اخرج كتابه

الموسوم بالكتاب الأزرق[١٢] ينظرون اليه بمثابة مخطط يعتبر بشكل ما، خطوة يمكن اعتبارها هي الأولى والمباشرة في سبيل تحقيق «مشروع الهلال الخصيب» الذي تتمتع الطائفة اليهودية فيه بالحكم شبه الذاتي[١٣]. ولكن هذا المفهوم الذي صمم اصلا لحل القضية الفلسطينية، ولمسألة الوحدة العربية أيضا، قد طرأت عليه التعديلات في الواقع مؤخرا، ومن ثم النكوص عنه في الحقيقة.

على ان الأخرين الذين كانوا يعيشون خارج الهلال الخصيب، لم يكونوا اقل تحمسا ومساندة لمشروع الاتحاد العربي، فهذا المشروع الذي كان نوري السعيد هو الحواري الاساسي له، والذي لم يكن كل من حمدي الباجهجي وجميل المدفعي، وزعماء اخرون غيرهما اقل تكرسا له، هذا المشروع قد قبلت به ايضا مصر الغنية كثيرة السكان، على الرغم من الفروق الواضحة في الثقافة والعرق، والتاريخ عن بقية البلدان العربية الاخرى. ولذلك كان زعيم حزب الوفد المصري، مصطفى النحاس، الذي كان يتولى رئاسة الوزارة المصرية انذاك، من أول الذين نظموا الخطوات الاولى الرسمية في سبيل هذا الاتحاد العربي، ودعى الدول العربية بأن تبعث بمندوبيها الى الأسكندرية في خريف عام ١٩٤٤ حيث عقد مؤتمر عام في قصر «انطونيادس» في أواخر شهر ايلول من تلك السنة، حين انضم السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين، الى مندوبي سبع حكومات عربية مستقلة هي مصر، والعراق، وسوريا ولبنان، وشرقي الأردن والسعودية واليمن. وكان ممثلو العراق في ذلك المؤتمر هم كل من نوري السعيد، وحمدي الباجه‌جي وأرشد العمري.

صور بروتوكول الاسكندرية الذي نجم عن اجتماع ذلك المؤتمر جامعة الدول العربية المستقلة[١٤]. وكانت وظيفة مجلسها الذي يجتمع بصفة دورية، هي تنفيذ الاتفاقات التي تتوصل

---

(١٢) الكتاب الأزرق كتاب وضعه نوري السعيد بعنوان «وحدة العرب واستقلالهم» طبع بمطبعة الحكومة سنة ١٩٤٣ في نسخ محدودة جدا وزعها نوري السعيد نفسه على بعض الشخصيات وقد توفرت لدينا نسخة منه قدمناها الى مكتبة المتحف العراقي في سنة ١٩٧٤، وهو يرسم مستقبل العراق وسوريا والأردن وفلسطين ويقترح اعطاء اليهود في فلسطين مايشبه الحكم الذاتي داخل هذه المجموعة من البلدان العربية. وكان طبيعيا ان يقاوم اليهود هذا المشروع بعد ان تعاظم انعطاف الانكليز والفرنسيين والأمريكيين وغيرهم معهم في تحقيق مشروع الدولة اليهودية الكبرى من الفرات الى النيل.

(١٣) مشروع الهلال الخصيب، وهو المشروع العراقي الذي تبناه نوري السعيد وحظي بتأييد الانكليز واهتمامهم بعد ثورة ايار ١٩٤١ وهو يضم العراق وسوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في اتحاد عربي يمكن لأية دولة عربية اخرى ان تنضم اليه وقد عرض نوري السعيد مشروعه هذا في مذكرة وجهها الى «ريجارد كيسي» وزير الدولة البريطانية للشرق الأوسط في القاهرة ثم أدرجه في كتابه الذي اصدره في سنة ١٩٤٣ بعنوان استقلال العرب ووحدتهم والذي عرف بأسم الكتاب الأزرق.

(١٤) لايزال الكتاب الغربيون حتى الان يطلقون على الجامعة العربية عبارة «عصبة الدول العربية LEAGUEOFARABSTATES فالكلمة عصبة «LEAGUE» تعني المنظمة او الرابطة في حين ان كلمة «الجامعة العربية» يتم التعبير عنها عادة بالكلمة «PANARAB» غير أن الدول العربية اعتادت ان تطلق على هذه المنظمة الاقليمية اسم «جامعة الدول العربية» وهو اسم يدلل على تجمع للدول العربية يعوض عن مفهوم «الجامعة» او «الوحدة».

اليها الدول العربية الممثلة في الجامعة فيما بينها، وتنسيق سياساتها والعناية بالمصالح المشتركة بصفة عامة. وحظر استعمال القوة بين الدول الأعضاء وأن لاتكون المعاملات بين الدول الأعضاء في الجامعة والعالم الخارجي مناقضة لدستور الجامعة نصا او روحا، او ان تكون معوقة لأي عضو من الأعضاء،وان يعرض مجلس الجامعة وساطته في المنازعات التي تحدث بين الدول الأعضاء، كذلك لم ينس الدستور ان ينص على التعاون في المعضلات الاقتصادية والاجتماعية، وان على لجان الخبراء في هذه الميادين ان يتوصلوا الى وضع مناهج للعمل المشترك.

كذلك تم التعهد بتقديم المساندة الكاملة لعرب فلسطين؟ ومع ان هذا البروتوكول قد أصبح مصيره التعطيل بعد مرور ثمانية أشهر من صدوره الا أنه كان في الواقع يعتبر وثيقة مهمة بالنسبة الى الاقتراحات التي قدمها بشأن الأتحاد العربي في النهاية، وفي اصراره على السياسات المشتركة المتساوية، والتي مهدت مثلا السبيل أمام وضع فرنسا الخاص في سوريا ولبنان واعتبار معالجة قضية فلسطين على اساس انها من مسؤولية العالم العربي بأجمعه. ولقد استقبل البروتوكول في العراق بالتأييد واشار اليه الوصي عبدالاله في خطاب العرش الذي القاه في شهر كانون الأول ١٩٤٤، فأعتبره «خطوة طويلة الى أمام في مجال التعاون العربي».

ولقد مضت اللجنة التحضيرية التي وضعت البروتوكول قدما في تعيين لجنة فرعية لاعداد الدستور النهائي للجامعة حيث اكملت تلك اللجنة عملها ذاك في شهر اذار ١٩٤٦. وفي الثاني والعشرين من الشهر ذاته صادق ممثلو الدول الأعضاء في الجامعة على الميثاق النهائي لها، وكان من بينهم ممثلو العراق، أرشد العمر، وعلي جودت،وتحسين العسكري، وسرعان مابوشر بتنفيذ الميثاق بعد ان تكون قد اقرته اربع من الدول، ولقد اشترط الميثاق ان يكون المقر الدائم للجامعة في القاهرة وان تنتقل وظيفة السكرتير العام للجامعة اي رئاسة الجامعة، بين الدول الأعضاء بالتناوب المتساوي بين جميع الدول الأعضاء وان يجتمع مجلس الجامعة بالتمثيل المتساوي للجميع مرتين كل سنة، او أكثر من مرتين في الغالب، وان يتم قبول عضوية اية دولة عربية مستقلة في المستقبل، اضافة الى الدول الحاضرة الموقعة على الميثاق.

كانت الاحكام المناسبة في الميثاق تشمل الانسحاب من الجامعة و«التقييم» الذي يقرره المجلس ازاء اية دولة تفشل في تنفيذ التزاماتها، كما انه ينبغي على الأعضاء ان يحترموا الأنظمة والاهتمامات الداخلية لأي بلد عضو، وان يكون في مستطاع اي بلد عضو ان رغب في ذلك ان يعقد اتفاقات ثنائية اوثق من تلك الاتفاقات التي تربط الأعضاء بصفة عامة.

تكررت احكام البروتوكول بالنسبة الى اهداف الجامعة، والتنصل من استخدام القوة، كما نص على ان القرارات التي تتخذ، الا اذا حصل ذلك بأجماع الاراء، لن تكون ملزمة الا للدول التي قبلت بها، عدا مايتعلق منها ببعض الأمور الادارية المحددة. اما بالنسبة الى الخلافات الداخلية

بين الدول الأعضاء في الجامعة فان الميثاق كان اقل الزاما في هذا الشأن مما تضمنه البروتوكول ذلك لأن مثل هذه القرارات لا تصبح قانونية الا اذا كانت الدولة المختصة تتطلع الى الوساطة، والا اذا كان الامر لايمس استقلالها وسيادتها، واراضيها.

ولقد تم حذف التحديدات التي وضعها البروتوكول بشأن السياسات الخارجية للدول الأعضاء، كذلك حذفت المادة التي كانت تحث على تحقيق اتحاد اوثق في المستقبل، ولقد تقرر انشاء لجنة خاصة قائمة لتحقيق التعاون المستطاع بين الأقطار العربية في ميدان الأمور الاقتصادية، والمالية، والمواصلات، والجنسية، وتسليم المجرمين، والشؤون الثقافية والاجتماعية والصحة العامة. ومع أن الميثاق بصفة عامة كان يمثل ضعفا في الروابط المشتركة التي تمت صياغتها في البروتوكول الا أن مثل هذا التطور كان ناجما عن التردد الذي ابدته بعض الحكومات الأعضاء، والتي لم يشاركها المتحدثون باسم العراق في ذلك التردد، ومع كل ذلك فان توقيع الميثاق الذي صادق عليه البرلمان العراقي في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايار سنة ١٩٤٦، كان حدثا له اهميته العظمى بالنسبة الى العراق الذي كان اهتمام رجال دولته بالسياسة العربية الداخلية، يقود العالم العربي منذ زمن طويل.

لقد اصبحت الجامعة العربية، في صفتها الاستشارية الخالصة في الوقت الحاضر، ابعد ماتكون عن المقترح الاول للمبادرة بتحقيق مشروع الهلال الخصيب، مثل بعدها عن كثير من الافكار، والدعاية المتحمسة غير الواقعية التي اتسمت بها فترة الحرب. على ان الجامعة العربية التي قامت على اساس استقلال مختلف الدول، مالبثت ان اخذت تواجه اهم قراراتها المناقضة، لفكرة انشاء دولة موحدة، او دولة اتحادية.

وفي الوقت ذاته كان تشكيلها لطراز سياسي، من جامعة عربية عصرية ومعقولة، وحكمها بالنسبة الى القرارات والاعمال المشتركة التي تنهض بها الدول الشقيقة، قد واجهت العالم الخارجي بظاهرة دولية جديدة، وكانت في الوقت ذاته تعطي الهاما جديدا لوزارات الخارجية للدول الاعضاء، وفرض تعقيدات جديدة عليها.

ومع ذلك فان الجامعة العربية خلال السنوات الخمس الاولى من قيامها، والتي كادت ان تفشل على نطاق واسع، قد تمسكت بالحكمة والاعتدال الواقعي. ولقد كان مستطاعا ان تصبح قادرة، اذا ما استخدمت بذكاء، عند حصول الفرص، ان تعزز يد العراق والدول الاخرى، في كيفية معالجة تلك الدول لشؤونها الخارجية. ذلك لان المبادرة المصرية في تأسيس الجامعة،

وجعل مقرها في القاهرة، وتعيين سكرتير عام مصري لها، كل ذلك كان قد حرم العراق من مركزه باعتباره البلد المناضل الاعظم، في سبيل الوحدة العربية.

وفرت الحوادث التي وقعت في سوريا ولبنان، والتي جرى بحثها في مؤتمر عقده «الحكام الهاشميون» ورجال دولهم في «الشونة» في شهر شباط سنة ١٩٤٥ (١٥) موضوعات لاول اجتماع يعقده مجلس الجامعة العربية. ذلك لان وضع الازمة التي حصلت سنة ١٩٤٤، بين الادعاءات الفرنسية بشأن منح «وضع خاص» للفرنسيين في سوريا ولبنان، وبين الطلب المحلي للتمتع بالاستقلال التام الذي تم الوعد به قبلا، كان وضع هذه الازمة قد ساء خلال ربيع سنة ١٩٤٥.

فلقد حدث القتال بين السوريين والفرنسيين اثناء شهر ايار من تلك السنة، في عدة نقاط من اراضي سوريا، وقصف الفرنسيون بمدفعيتهم مدينة دمشق (١٦). ولم يتم منع انتشار الاضطراب الا بتدخل الانكليز الذي اثار حنق الفرنسيين. ولذلك انعقد مجلس جامعة الدول العربية على عجل في اليوم الرابع من حزيران، بينما عقدت آخر الاجتماعات التي حضرها رئيس وزراء العراق وزملاؤه، خلال شهري تموز وتشرين الثاني (١٧).

قام عبد الرحمن عزام، الامين العام لجامعة الدول العربية، بزيارة بغداد خلال شهر ايلول من تلك السنة. ولقد كانت المشاعر في بغداد آنذاك، قوية وحادة. وكانت الحماسة والتطور يطغيان على اجتماعات المجلس النيابي، ولذلك ارسلت برقيات شديدة الحنق الى كل الانحاء،

---

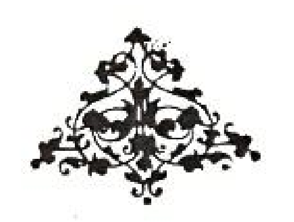
(١٥) مؤتمر الشونة بالأردن عقد هذا المؤتمر في اليوم الثاني من شباط سنة ١٩٤٦ وليس ١٩٤٥ كما ذكر المؤلف ذلك، وقد حضره عبدالاله يصحبه كل من صالح جبر واحمد مختار بابان واسماعيل نامق ومن ثم عادوا الى بغداد في اليوم السابع من الشهر ذاته وقد سبقت المؤتمر زيارة قام بها الامير طلال ولي عهد الاردن لبغداد في ١٤ كانون الثاني في ١٩٤٦ وانصبت المباحثات في المؤتمر على التمهيد لتوحيد العراق والاردن وبما كانت بريطانيا تنوي عمله في الاردن انذاك.

(١٦) ابلغ المستر تشرتشل، الجنرال ديغول، اسف الحكومة البريطانية لاضطرارها الى اصدار اوامرها الى القائد العام لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط، بأن يتدخل للحيلولة دون الاستمرار في سفك الدماء، كما طلب تشرتشل الى الجنرال ديغول بأن يأمر القوات الفرنسية بالتوقف عن القتال وبوجوب عودة الجيش الفرنسي الى ثكناته. وفي خطاب القاه تشرتشل حول الموضوع في مجلس العموم في الخامس من حزيران ١٩٤٥ ذكر ان عدد قتلى الاضطرابات السورية بلغ خمسمائة شخص من الاهلين والجند، وان عدد الجرحى كان الف نسمة.

(١٧) قام رئيس الوزراء حمدي الباجه‌جي بزيارة مصر في اليوم الثامن من شهر تموز ١٩٤٥ اما الزيارة التي جرت في شهر تشرين الثاني فقد جرت في اليوم الثاني والعشرين من ذلك الشهر وقام بها وفد عراقي برئاسة صالح جبر وزير المالية وعضوية كل من نوري السعيد وعبدالمهدي. وكانت قد سبقت هذه الزيارة زيارة اخرى قام بها حمدي الباجه‌جي نفسه في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني لحضور اجتماع جامعة الدول العربية حول تطور القضية الفلسطينية(٢٢٢).

وانعقد مؤتمر عشائري تحت زعامة احد شيوخ السعدون ومع ان الحكومة العراقية قد حظرت التظاهرات، الا ان الاجراء الحاسم الذي اقدمت بريطانيا عليه في دمشق، في اليوم الثلاثين من شهر ايار، هو الذي حال دون تدخل عسكري من لدن العراق في دمشق، ذلك التدخل الذي كان مقدرا له ان يحظى بتأييد جماعي واسع.

وهكذا انتهت سنة ١٩٤٥ بتركيز الاهتمام على البيان السياسي الانكلوفرنسي، الذي صدر في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول من تلك السنة، والذي اشترط الانسحاب المبكر لكل القوات الاجنبية من سوريا ولبنان.



الفصل العاشر

إنتهاء نصف قرن من حياة العراق الحديث

١ - تجمع العاصفة
٢ - معاهدة بورتسموث وفلسطين
٣ - المزيد من التغييرات
٤ - ثورة الأمة
٥ - المدينة والريف بعد نصف قرن
٦ - الدولة

١ـ تجمع العاصفة

اعقب استقالة وزارة حمدي الباجه جي، شهر من القلق، في حين تأخر اختيار وزارة جديدة تخلفها. وعلى الرغم من هواجس الشك التي كانت تخامر عبد الاله، فقد وقع الاختيار في اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٤٦، على توفيق السويدي، ذلك الرجل صاحب المواهب العديدة، ولكن لم تكن من بينها الموهبة التي تستطيع ان تخلق الثقة. ولقد احتفظ السويدي لنفسه بوزارة الخارجية، وجاء بالرجل القدير الغيور، علي ممتاز الى وزارة الاشغال، والفريق اسماعيل نامق الى وزارة الدفاع، وعمر نظمي الى وزارة العدل، واحمد مختار بابان الى وزارة الشؤون الاجتماعية. اما بالنسبة الى الوزارات الثلاث المهمة اكثر من البقية، وهي الداخلية، والمالية، والتموين، فقد عين فيها على التوالي كل من سعد صالح احد المحافظين السابقين ومن المعادين لصالح جبر، وعبد الوهاب محمود احد المحامين من البصرة، وذو ماض سياسي عنيف، وعبد الجبار الجلبي من خريجي الجامعات الامريكية، وذي قدرة غير اعتيادية. وهناك وزيران جديدان عهدت اليهما وزارتا الاقتصاد والتربية هما عبد الهادي الظاهر، ونجيب الراوي. واجرى التعديل على هذه الوزارة في شهر نيسان حين استبدل احمد مختار بابان، بالدكتور شوكت الزهاوي احد الاطباء الباثيولوجيين من الاكراد والذي تولى وزارة الشؤون الاجتماعية، كما تم في الايام الاخيرة من العمر القصير الذي عاشته هذه الوزارة، نقل علي ممتاز الى وزارة الخارجية، وعبد الجبار الجلبي الى وزارة الاشغال.

واذ كانت الوزارة قد استلهمت الاراء الليبرالية، فقد بدأت عملها بآمال مشرقة. ومع انه لم يتم وضع ميزانية للسنة المالية ١٩٤٦ - ١٩٤٧، وذلك امر قد اثار دهشة شديدة، الا ان مالية الدولة كانت ماتزال تدار بالصفة التي لاتعطي اي سبب للقلق المباشر. فقد تم تجديد اتفاق العملات النادرة، الذي عقد مع البريطانيين في سنة ١٩٤٥، لمدة سنة اخرى، وتم الترحيب في بغداد، بالبعثة التجارية البريطانية التي كان يرأسها اللورد دافدسون، وتمت الموافقة على قانون الانتخاب الجديد، الذي كان يجري اعداده منذ زمن طويل، وادخلت عليه تحسينات جوهرية

ولبرالية بالنسبة الى الاجراءات القائمة، واعدت المباشرة بها، وللمرشحين الذين عرضوا انفسهم للمشاركة فيها، وتقسيم المحافظات الى وحدات من شأنها ان تخرج مائة وثمانية وثلاثين نائبا، بدلا من مائة وخمسة وعشرين نائبا. ومع كل ذلك فلم تتم المبادرة باجراء انتخابات مباشرة من درجة واحدة، وهو الامر الذي شاركت كل احزاب المعارضة في الحث على تحقيقه لكي تكون الانتخابات اكثر قرارا.

وفر قانون المحافظات الذي تمت المصادقة عليه في شهر شباط، الوعد بمبادرة وحماسة اوسع لتأليف وزارة عملية، وللاستقلال في العمل، في حالة وقوع اضطرابات. كما تمت صيانة الامن في الارياف بصفة جيدة، وانتقل فصل الشتاء الى فصل الربيع من دون ظهور اي اضطراب متوقع في كردستان، وان كانت انهار الدعاية المقيتة تتدفق اليه من جمهورية «مهاباد» التي كان ملا مصطفى من كبار اعضاء مجالسها. ولقد استقرت وحدات الجيش وهي على استعداد في الاقضية الواقعة على الحدود، وسلمت مذكرة احتجاج ومطالبة كردية الى لجنة التحقيق الانكلو امريكية في فلسطين، وقام رتل من قوات الجيش بزيارة الى مدينة «سنجار» ولكن لم تحدث هناك سوى مصادمات على نطاق ضيق.

على ان جو التذمر او التهديد الذي خيم على المدن التي تقوم فيها المراقد المقدسة لدى الشيعة، لم يؤد الى حدوث اضطراب مكشوف. وفي كل مكان في المدن، كانت الجهود التي بذلها التقدميون او الحاقدون لاثارة الاضطراب بين العمال، قد نجحت في الايحاء بحدوث اضراب في سكك الحديد في شهر اذار من تلك السنة. كما نظمت اضرابات وتظاهرات سياسية في شهر ايار احتجاجا على التقرير الانكلو امريكي[1].

غير ان كل هذه الامور لم تؤد الى تعكير صفو السلام، بل الواقع ان النواب انفسهم، اقدموا خلال شهر شباط على ارسال برقيات احتجاج الى لندن ضد استمرار الهجرة اليهودية الى

---

(١) يقصد به تقرير لجنة التحقيق الانكلو امريكية في فلسطين والذي قضى بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ذلك المشروع الذي رفضه الفلسطينيون في حينه، نتيجة انشقاقاتهم وتعلقهم بالاوهام الكاذبة، فلم يقبلوا به مع ان المشروع لم يكن يعطي اليهود سوى شقة ضيقة من اراضي فلسطين. وكانت نتيجة ذلك الرفض ودمغ بعض الحكام العرب الذين قبلوا به بالخيانة والعمالة للاستعمار والصهيونية، ان اليهود لم يكتفوا، بعد ان فشلت المعارك غير المجدية التي خاضتها الجيوش العربية ضد العصابات اليهودية في فلسطين سنة ١٩٤٨، بذلك القسم الذي خصص لهم من فلسطين، بل استولوا على فلسطين برمتها بعد هزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧، وبعد ضرب المقاومة الفلسطينية في لبنان واخراجها من هناك في اعقاب الغزو الاسرائيلي لاراضي لبنان سنة ١٩٨٢ ذلك الغزو الذي مهد له بعض اللبنانيين انفسهم وبمشاركة من الفرس، في اثارة الحرب الاهلية اللبنانية، والتي سكتت الحكومات العربية سكوتا مطبقا عليها، فلم تقم باي اجراء لوقف الغزو الاسرائيلي، وذبح الفلسطينيين في لبنان وتشريدهم منها. ومع كل ذلك فان فئة من المتزعمين للمقاومة الفلسطينية والذين ينعمون بالثروات والزعامات الكاذبة، مازالت ترفض اي تفاهم من شأنه ان يبقي على البقية الباقية من ارض فلسطين ووقف صيرورتها مستعمرة اسرائيلية مثل الاجزاء الاخرى التي احتلتها اسرائيل بعد ايار ١٩٤٨.

فلسطين، في الوقت الذي قدم فيه فاضل الجمالي شهادة مماثلة امام لجنة التحقيق الانكلو امريكية في القاهرة. وكذلك ارسل الوصي عبد الاله، والوزارة القائمة احتجاجات اخرى الى الحكومة البريطانية، والى الملك جورج السادس والرئيس الامريكي.

اصبحت التظاهرات السياسية المتوقع حدوثها الان، مدينة الى سياسة السويدي (او سياسة الوصي) الرامية الى رفع القيود المفروضة، والى السماح باعادة مولد الاحزاب، ولذلك تم اغلاق معسكر الاعتقال في العمارة، والغيت الاحكام العرفية التي اعلنت في بغداد والمناطق المجاورة لها منذ سنة ١٩٤١، واوقف العمل بمرسوم الامن العام الذي صدر في سنة ١٩٤٠، والغيت الرقابة على الصحف. ولكن هذه الحرية مالبثت ان قوبلت من قبل الصحفيين الذين اعتقلوا سابقا، بهجمات وحشية على وزارة توفيق السويدي. وهي هجمات كانت تعكس القسوة الشخصية والمواقف المتلاحمة للاحزاب التي شاركت في النشاط الكامل.

واذ كانت هذه الاحزاب تمثل، كما كان الامر ذلك على الدوام، المتذمرين والاشخاص الذين يبتغون الحكم، بدلا من الفئات السياسية والاجتماعية التي كانت ممسكة بزمام الحكم، وراضية به، فان مثل هذا الامر انما يصدق على الحزب اللبرالي الذي ظل خامدا منذ تأسيسه في سنة ١٩٣٩، والذي انتعش الان بعد تقبله منهاجا اصلاحيا معتدلا راح يجتذب التطرف المعادي للانكليز، والذي كان من بين اعضائه، وهم قليلو العدد، كامل الخضيري رئيس غرفة تجارة بغداد وسعد صالح، حيث اخذ هذا الحزب يصدر صحيفة تنطق باسمه هي «صوت الاحرار»(٢).

اما حزب الاستقلال الذي قام على اساس المعايير القديمة التي عرفت لدى كل من رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي، فانه قد برز في هذا التاريخ، بتراكم الطلبة والساخطين من افراد الطبقة المثقفة الذين انضموا الى الجناح القومي اليميني الذي كان يوجهه مهدي كبة، ذلك العضو المؤسس لنادي المثنى، والعطوف على النازية، يؤازره في ذلك اثنان من المعادين الاشداء للاجانب هما فائق السامرائي وصديق شنشل. وهذا الحزب الذي احسن تنظيمه وكان يتمتع بالاستقرار نسبيا، قد وضع سياسته الخارجية على اسس غير ودية تجاه تركيا، وبريطانيا، واتخذ موقف الحياد ازاء روسيا، والميل الى معاداة الهاشميين، وتأييد مفتي القدس، واطلاق الامنيات

---

(٢) المقصود به حزب الاحرار اي على غرار حزب الاحرار البريطاني، الذي يؤمن بالمبدأ الحر في السياسة والاقتصاد. وكان طلب حزب الاحرار قد تقدم به كل من داخل الشعلان، وعبد العزيز السنوي، ونوري الاورفلي، وعبد القادر باش اعيان، ومحمد فخري الجميل، وحسين النقيب، وكامل الخضيري، وعباس السيد سلمان، وقد انتهى وجود الحزب تقريبا بسقوط وزارة توفيق السويدي، ولم يبق له من اثر بعد ان اشتدت الازمة في عهد حكومة ارشد العمري، حتى ان صحيفة الحزب «صوت الاحرار» قد اعطيت الى الزميل لطفي بكر صدقي» فاصدرها باسمه ولحسابه الخاص. ولسنا نوافق المؤلف في زعمه بان حزب الاحرار كان قد تألف سنة ١٩٣٩، لان ماحدث في تلك السنة هو محاولة بعض الساسة في تأليف حزب بهذا الاسم ليس الا.

في الداخل بشأن الاصلاح الاجتماعي، وكانت جريدة «لواء الاستقلال» هي الناطقة بلسان الحزب. وكان حزب الدكتور سامي شوكت «حزب البعث القومي» وجريدته «الاصلاح» يقوم على ذات الاسس التي قام عليها حزب الاستقلال، وان كان اقل ثباتا في ارائه واكثر عنفا في لهجته [٣].

كان اخر احزاب الجناح اليساري هو الحزب الوطني الديمقراطي الذي يرأسه كامل الجادرجي، وهو زعيم كان ينقصه التأثير، وان كان فاضلا عنيدا من قادة الجناح اليساري. وكان يعاضده في ذلك، محمد حديد المثقف في لندن واحد الاشتراكيين من الجناح اليساري ومن اصحاب المواقف الجيدة، وحسين جميل الحاكم السابق، ومن اسرة طيبة، وصاحب افكار اصلاحية. وكانت الجريدة الناطقة بلسان الحزب هي «صوت الاهالي» واخيرا «صدى الاهالي».

وهناك حزب كان ينادي بالاصلاح الاجتماعي، كان قد انبثق عن جماعة الاهالي القديمة التي كانت موجودة في سنة ١٩٣٣. وكان هذا الحزب يستمد التأييد على نطاق واسع من اغنياء ابناء المدن، ومن الشبان المتحمسين الذين كانوا يوجهون هجماتهم العنيفة بصفة رئيسة ضد الدول الغربية و «العصابة القديمة» في الاوساط العراقية الحاكمة. غير ان موقفه الرسمي المعادي للشيوعية لم يجعله يحظى بموافقة بعض السياسات الروسية، ولم يكن اخلاصه القوي يعتبر انحرافا عن معاداة الهاشميين، وكانت جريدته «السياسة» عنيفة حقا وكانت العناصر المتضلعة في الحزب تتمثل في السيد عبد الفتاح ابراهيم المثقف ثقافة امريكية وصاحب مطبعة معدة لاعمال الطبع [٤]، وناظم الزهاوي.

وفي ذلك الصنف يقف «حزب الشعب» الذي الفه الشيوعي عزيز شريف وصحيفته «الشعب» واخيرا «الوطن» [٥] وقد عطلت الصحيفتان في سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ على التعاقب.

---

(٣) لقد حاول سامي شوكت ان يؤلف هذا الحزب قبل مجيء وزارة توفيق السويدي بفترة غير قصيرة، وكان قد مهد لتأسيس ذلك الحزب باصدار صحيفة يومية باسم «البعث القومي» وحين الف صالح جبر حزبه «الامة الاشتراكي» كان سامي شوكت من بين الذين انضموا الى ذلك الحزب.

(٤) المقصود بها مطبعة «الرابطة» التي كانت تديرها شركة مساهمة اكثر حصصها للاستاذ عبد الفتاح ابراهيم وافراد اسرته. وقد تأسست هذه المطبعة، بعد ان انفصل عبد الفتاح ابراهيم وعزيز شريف، عن جماعة الاهالي في شهر نيسان ١٩٤٣ واصدرت مجلة اسبوعية باسم «الرابطة» عاشت اكثر من سنة وظلت المطبعة قائمة الى ان تم الاستيلاء عليها بعد ثورة الثامن من شباط ١٩٦٣ حيث جرى تأميمها منذ ذلك الوقت وتم توسيعها لتصبح المطبعة الاولى من مطابع الحكومة الاخرى في الوقت الحاضر.

(٥) وقع المؤلف في اخطاء جسيمة بالنسبة الى حزبي الشعب وحزب الاتحاد الوطني. فلقد كانت جريدة «الوطن» هي لسان حزب الشعب الذي الفه عزيز شريف اما جريدة «الشعب» فكانت في الاصل بيد جماعة تزعمهم يحيى قاسم وقد تقدمت هذه الجماعة بطلب الى الحكومة في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٤٣ لتأليف حزب سياسي باسم حزب الشعب قدمه كل من يحيى قاسم،

وقد انضم الحزبان المذكوران الى بعضها البعض، قبل تعطيلها، في حزب واحد دعي باسم «حزب الاتحاد الوطني»(٦).

اما «حزب التحرير» الشيوعي الذي كان يتزعمه محمد الشبيبي(٧) وجماعته من الشيوعيين اليهود، فقد رفض طلبه، لكنه بقي مع جماعات اخرى يتزعمها. يوسف سلمان، «وداد والصائغ» يعمل سرا بكل نشاط، وكان اعضاء هذه الجماعات قد تم اجتذابهم من بين العمال الصناعيين، ومن صغار الاغنياء الذين كانوا يتسترون وراء الوزراء، وبصفة عامة من كل العناصر المتذمرة او تلك التي تحلم بالرؤى.

وعبد الامير ابو تراب، وعبد الرحمن شريف، ومحمود صالح السعيد، وتوفيق منير، وابراهيم الخضيري ويوسف جواد المعمار وابراهيم الدركزلي. ولكن الطلب لم يلب من الحكومة وبعد فترة غير قصيرة تقدمت نفس الجماعة بطلب الحصول على امتياز باصدار صحيفة باسم «الشعب» كان يحيى قاسم صاحبها، ومديرها المسؤول عبد الامير ابو تراب، وما ان حصل يحيى قاسم على الامتياز حتى انقلب على جماعته واستقل بالصحيفة وحولها الى صحيفة ناطقة بلسان الحكومة ومؤيدة لصالح جبر في الدرجة الاولى وذلك لان صالح جبر اهدى الى يحيى قاسم المطابع الحديثة التي جلبها من اوربا لطبع الجريدة التي ستنطق بلسان حزبه «حزب الامة الاشتراكي»، كما اصبحت الجريدة تنطق بلسان شركة النفط العراقية بعد ان عين يحيى قاسم محاميا للشركة وراح يمضي اكثر ايام السنة على حسابها في اوربا وفي لندن في الدرجة الاولى وبقيت الشعب تصدر حتى صباح يوم الاثنين الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.

(٦) لم يجد عبد الفتاح ابراهيم ان من اللائق له ان ينضم الى حزب كامل الجادرجي او حزب عزيز شريف لانه كان يعتبر نفسه، وهو محق في ذلك، اكثر ثقافة وتبصرا في الامور السياسية منهما، ولذلك تقدم بطلب تأسيس حزب منفصل عنهما، سماه «حزب الاتحاد الوطني» واستخدام صحيفة «الرأي العام» لمهدي الجواهري، الذي شارك في الهيأة الادارية للحزب المذكور، لكي تكون ناطقة باسمه الى ان حصل على جريدة باسم «السياسة» وفي الوقت الذي اشتدت فيه الضربات على الحركة اليسارية في عهد حكومة ارشد العمري، جرت محاولة لادماج حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني في حزب واحد، وعقد اجتماع عام في مقر حزب الاتحاد الوطني لهذا الغرض القيت فيه الخطب والقصائد والشعارات، ونشر عبد الفتاح ابراهيم سلسلة مقالات في هذا الشأن عن «وحدة الحركة الديمقراطية» ولكن التوحيد لم يتم بين الحزبين. والحقيقة ان الحكومة قد فرحت كثيرا بذلك الانشقاق الذي حصل في الحركة الديمقراطية ولهذا سارعت باجازة كل من كامل الجادرجي وعزيز شريف وعبد الفتاح ابراهيم لتأليف احزاب منفصلة لان ذلك من شأنه ان يضعف الحركة اليسارية، ويشتت عناصرها، وهذا ماحدث فعلا، حيث انبرى كل حزب يحاول ان يظهر بانه هو الحزب الذي يتزعم تلك الحركة ويقودها، فضلا عن التخريب الواسع الذي لعبه الشيوعيون في هذا المجال، ونتائجه الخطيرة التي ظهرت في اواسط سنة ١٩٤٨ مما اشرنا اليه بشكل موسع في الجزء الأول من مذكراتنا المخطوطة.

ونشير في هذا التعليق الى الخطأ الكبير الذي وقع فيه المؤلف حين اعتبر حزب الاتحاد الوطني حزبا يمثل اغنياء المدن، ومن المعارضين للشيوعية، فلم يكن اعضاء الاتحاد الوطني يختلفون في مراتبهم الاجتماعية عن بقية غيرهم من الذين انضموا الى حزب الشعب او الوطني الديمقراطي، كما انه لم يكن يعادي الشيوعية، وان كان غير راض عن سياسة الحزب الشيوعي السري وتخريباته.

(٧) الصواب حسين محمد الشبيبي، وكانت كل العناصر المؤسسة لهذا الحزب من الشيوعيين وهو يعتبر الواجهة العلنية للحزب الشيوعي نفسه.

وكان تنظيم هذه الجماعات واسعا وافيا. فقد كانت لها خلايا بين موظفي الحكومة، وان كان الموظفون قد حظر عليهم حسب القانون، ان يشاركوا علانية في القضايا السياسية، وكذلك في المشاريع الصناعية.

وكانت السليمانية تمثل المركز الرئيس لهذه الجماعات الشيوعية[8] لان الاتصال كان ميسورا مع العناصر الشيوعية الاخرى عبر الحدود، وكان المزج بين الشيوعية والقومية الكردية من الامور الفعالة في هذا الشأن.

كانت علاقات جارة العراق الشمالية ودية على الدوام، مع وجود بعض التحفظات، اذ انها تجددت بصفة ودية مرة اخرى، عندما تم ايفاد نوري السعيد الى انقرة في شهر شباط سنة ١٩٤٦، حيث بادر بوضع مسودة معاهدة للصداقة، وطدت الحدود القائمة بين البلدين منذ سنة ١٩٢٦، وقررت سياسة مشتركة من الاخاء، وعدم التدخل، والتشاور الحي، وراحت تتطلع قدما الى تسوية مشتركة للمشاكل المتبادلة فيما بينهما، من امثال مشكلة الاكراد، ومياه نهر الفرات، ولم يكن التصديق على هذه المعاهدة في بغداد في شهر حزيران ١٩٤٧ يبرهن على شيء من الصواب، ذلك لان بعض النواب قد اعادوا تذكر قضايا السخط القديم الذي اثارته قضية الاسكندرونة، في الوقت الذي كان فيه اخرون، يشعرون بان التقرب كثيرا من حكومة انقرة، لابد وان يكون خيانة للمصالح العربية، او ان قيام حلف عراقي تركي، وهو يعد من اسوأ الجرائم، سيكون مقبولا لدى بريطانيا[9]. ومع كل ذلك فقد صودق على المعاهدة المذكورة. وبذلك اصبحت الزيارة التي سيقوم بها رئيس الجمهورية التركية للعراق، امراً متوقعاً.

لقد الح البعض على احياء ميثاق سعد اباد، في حين كان البعض الاخر ينظر الى هذا الميثاق نظرة كراهية، لانه حلف غير عربي. اما معاهدة الاخوة مع الاردن فقد تمت المصادقة عليها في حينها، وسط نظرات سوداء اليها، وقيام تظاهرات في الشوارع من قبل الفئات المعادية للهاشميين.

حدث السقوط المبكر لوزارة توفيق السويدي في اليوم الثالث من شهر ايار، نتيجة المعارضة

---

(٨) هذا بالنسبة الى الحركة الشيوعية الكردية، التي اصطبغت بالصبغة العنصرية وكانت ارتباطاتها وثيقة جدا بالحركة الشيوعية بين اكراد بلاد فارس و اذربيجان، الذين اقاموا جمهوريات اشتراكية مثل جمهورية اذربيجان التي تزعمها جعفر بيشواري، وجمهورية مهاباد التي رأسها قاضي محمد. اما بالنسبة الى الخلايا الشيوعية العربية فكانت مصادر الاتصال منذ الاساس، تتمثل في الحركة الشيوعية في سوريا ولبنان عن طريق الحزب الشيوعي الموحد لها، وفي مركز الحركة الشيوعية في بلاد فارس، حيث كانت الاتصالات قوية بين الحزب الشيوعي العراقي وحزب «تودة» الفارسي ابتداء من سنة ١٩٤١ ومابعدها بصفة خاصة.

(٩) تناول المرحوم كامل الجادرجي هذه المعاهدة بالنقد والتجريح في مقالات نشرها في صوت الاهالي ومن ثم جمعت في كتاب مستقل، وكانت من اقوى ماكتب ضد المعاهدة العراقية التركية في حينه.

التي جوبهت بها في مجلسي النواب والاعيان، وانعدام مساندة القصر لها(١٠). وعلى الرغم من الآمال الشعبية في تأليف وزارة حيادية او تكون مؤلفة من كل الأحزاب، وربما تحت رئاسة الامير، لتقوم باجراء الانتخابات العامة، ولتوطد كيان الحكم، فقد اعقبت الوزارة السويدية، في اليوم الاول من شهر حزيران، وزارة من صفة مغايرة ترأسها موظف عسوف هو أرشد العمري. لقد كان مقرراً ان يمكث ارشد العمري في الحكم مدة ستة اشهر، تميزت بسيطرته الشخصية على زملائه الوزراء وعلى كل دوائر الدولة، ومعالجة الحريات السياسية التي سمح بها سلفه، معالجة مميزة.

لقد اختار ارشد العمري كلا من عبد الله القصاب للداخلية، ويوسف غنيمة للمالية والتموين، ومحمد حسن كبة للعدل. اما بقية الوزراء فكانوا ممن تم استتزازهم لأول مرة من امثال عبد الهادي الجلبي (ابن الوزير القديم عبد الحسين الجلبي) الذي اعطيت له وزارة الاشغال، وبابا علي ذلك الشاب المتمدين والمتأمرك، ابن الشيخ محمود، لوزارة الاقتصاد، وسعيد حقي، وهو كردي آخر، لوزارة الدفاع، وفاضل الجمالي لوزارة الخارجية، والدكتور عبد الهادي الباچەچي، ابن عم حمدي الباچەچي ومزاحم الباچەچي، لوزارة الشؤون الاجتماعية، ونوري القاضي، وهو محام وحاكم من المدرسة القديمة، لوزارة التربية. ولكن في شهر آب استقال عبد الله القصاب من منصبه فتولاه أرشد العمري نفسه، ومن ثم عهد الى الدكتور عبد الإله حافظ بوزارة التموين.(١١)

---

(١٠) كان الانكليز وراء التغيير الذي حدث وجاء بوزارة توفيق السويدي الى الحكم ومنح الحريات لقد طبق الانكليز «سياسة التنفيس» مرات عديدة سواء في العراق ام في مصر وغيرهما فقد وجد الانكليز ان التذمر الذي ظهر في اعقاب الحرب لدى الشعب العراقي من بقاء الاحكام العرفية، والرقابة، وانعدام الحريات الدستورية، من شأنه ان يهيئ لثورة اخرى قد لاتقل خطرا على مصالحهم عن ثورة ايار سنة ١٩٤١، ولذلك اوعزوا الى عبد الاله ان يجري بعض التغيير في الوضع بقصد التنفيس ليس الا، والتخفيف من حدة التذمر الفاشي بين صفوف كل ابناء الشعب بما في ذلك صفوف الجيش العراقي الذي وضعه الانكليز على اسس جديدة تضمن ولاءه للعرش، وتنفيذاً لتوصيات الانكليز ونصائحهم اقدم عبد الاله على القاء بيان خطير في بهو امانة العاصمة مساء يوم الخميس السابع والعشرين من شهر كانون الاول ١٩٤٥ اريد من ورائه تهدئة الشعب لفترة ما، وذلك عن طريق التحدث عن العدل الاجتماعي، واعداد جيل من الخلف الصالح يتولى اعمال الحكم والمسؤوليات، وعلى اساس هذا الخطاب والخطة الجديدة المدبرة وجهت حملة مفتعلة ضد وزارة حمدي الباجهجي لاسقاطها وللاتيان بوزارة تنفذ ما لمح اليه عبد الاله في خطابه المذكور فكانت وزارة توفيق السويدي هي البديل وبعد ان انتفت الحاجة من بقائها ابعدت عن الحكم ليعود الظلم من جديد.

(١١) بدأت وزارة ارشد العمري حسب الخطة المرسومة من قبل الانكليز وعبد الاله، هجومها الشديد على الحريات الديمقراطية، وعلى الاخص الاحزاب، والنقابات والصحافة، واستغلت التخريبات والتظاهرات التي اثارها الشيوعيون، وعلى الاخص تظاهرة جماعة «عصبة مكافحة الصهيونية» في التاسع والعشرين من حزيران، والاضرابات التي حصلت في عدة مرافق في الدولة وغيرها، وبذلك انتهى ذلك الهجوم المرير الى تعطيل الحياة الحزبية والنقابية ليعود الشعب العراقي من جديد يرسف في قيود الذل والاضطهاد بعد فترة التحرر القصيرة جدا التي شهدها في عهد وزارة توفيق السويدي، حيث كان السويدي نفسه في مقدمة مؤسسي حزب الاحرار الذي اشرنا الى مؤسسيه في تعليق سابق.

وعلى الرغم من رغبة ارشد العمري في فرض الضبط والهدوء ، الا ان فترة وجوده في الحكم كانت مضطربة. فقد حدث بين العشائر تصادم دموي في شهر حزيران بصفة غير اعتيادية بين شمر والبو متيوت[١٢] ادى الى فقدان مئتي نفس. وقد بدا بان الخطر في كردستان قد تقلص ، بعد ان فشلت محاولة الروس في توطيد اركان جمهوريتهم الصنيعة لهم عبر الحدود[١٣] ، وبعد ان ادى التفكك والمجاعة الى اضعاف العوائل البارزانية في مواطنها، بحيث اصبح من اليسير نزع سلاحها، وتم شنق الكثير من المتمردين الاكراد، في كردستان الفارسية، بما فيهم «قاضي محمد» على يد الحكومة الفارسية، عندما حاولوا الدخول الى هناك، ولكن الملا مصطفى رفض كل الشروط واستطاع ان يفلت من الاسر. وبعد ان اخفق في العودة الى العراق مرة اخرى، وصل الى المنطقة السوفياتية[١٤] كما وافقت الحكومة السوفياتية على استسلام غير مشروط بالنسبة الى اخيه الشيخ احمد والى ابن الملا الشيخ عبيد الله، هذا في الوقت الذي حكم فيه بالموت على اربعة من الضباط الذين حاربوا مع الملا[١٥] وعلى قلة من الزعماء الاخرين في حلقته، بينما استطاعت الحكومة العراقية الاحتفاظ ، وهي مرغمة ، بقواتها في المناطق المجاورة لبرزان، وذلك بالنظر الى حاجتها الى تلك القوات لمعالجة التمرد المسلح الذي قام به محمد خالد بن الشيخ احمد[١٦].

(١٢) كان شيوخ شمر يعتبرون عشيرة البومتيوت من الجبور، بمثابة اجيرة لهم في الاراضي التي كانت تزرعها هذه العشيرة التي تقطن غربي الموصل بين الشرقاط وسنجار وكان الشمريون مايفتأون منذ سنة ١٩٤٤ يتعرضون بافراد البومتيوت ويعتدون عليهم. وفي يوم الخميس الثامن من شهر اب ١٩٤٦ زحفت قوات كبيرة من شمر على عشيرة البومتيوت فاعملوا فيها السيوف والخناجر والبنادق. لافرق بين رجل وامرأة، او طفل او شيخ فاوقعوا بينهم عددا كبيرا من القتلى والجرحى، الى ان وصلت الانباء الى الحكومة فامرت قوات الشرطة بالتحرك لوقف الاقتتال فنجحت في ذلك ومن ثم اعتقلت الحكومة صفوق الباور واحمد الباور ولدى عجيل الباور، ومشعال الفيصل وحواس الصديد الى ان هدأت العاصفة ومن ثم اخلت سبيلهم بعد ذلك.

(١٣) المقصود بذلك جمهورية اذيجان الشعبية التي الفها جعفر بيشواري في القسم الفارسي من اذربيجان والتي زحفت عليها القوات الفارسية، وبمناصرة علنية من القوات الامريكية والبريطانية، ورغم وجود القوات الروسية هناك، فسحقتها وقضت عليها وشنقت زعماءها وفي مقدمتهم بيشواري.

(١٤) المقصود بها المنطقة التي كانت القوات السوفياتية تسيطر عليها داخل الاراضي الفارسية حسب اتفاق سنة ١٩٤١ بين السوفيت والانكليز والامريكيين وان تكون متاخمة لمنطقة اذربيجان السوفياتية والتي اقام اليهود لهم فيها مايشبه الحكم الذاتي او الدولة شبه المستقلة والمعروفة باسم «بيجان».

(١٥) هم كل من الرائد الركن عزت عبد العزيز، والرائد مصطفى خوشناو، والنقيب خير الله عبد الكريم، والملازم محمد محمود قدسي الذين نفذ فيهم حكم الاعدام ليلة التاسع عشر من حزيران ١٩٤٧.

وفي محافظة السليمانية كانت الحركات المعادية في اوائل سنة ١٩٤٧ تهدد بالانفجار بين الجبل الاصغر من السادة البرزانيين ، وعشيرة الجاف . في حين لم يتم الحفاظ بالكاد على الامن في اربيل بين عشيرتي بشدر وبيران . كذلك حدثت هزة ارضية في بنجوين في شهر تشرين الاول الحقت بعض الخسائر في الارواح (١٧) . وفي الاحواز حيث استطاع حزب تودة «الشيوعي» في اواسط سنة ١٩٤٦ ان يخلق احوالا مضطربة في مصفى النفط في عبادان ، تطلبت الحالة ارسال قوات بريطانية من الهند الى الشعيبة بمثابة اجراء احتياطي الامر الذي اثار المعارضة لحكومة بغداد ، نتيجة موافقتها على ارسال تلك القوات ، كما تم تنظيم اضراب من قبل الساسة الذين يعطفون على الشيوعية خلال شهر تموز بين عمال شركة النفط العراقية في كركوك ، على الرغم من ان احوال العمال واجورهم كانت جيدة واعلى من المستويات العراقية الموجودة . ولكن قبل ان يتم منع عقد اجتماع غير قانوني في مدينة كركوك من قبل الشرطة ، كان ذلك قد ادى الى اراقة الدماء ، وهو حادث مؤسف سارع المشتغلون بالقضايا العامة الى توجيه اللوم بشأنه الى شركة النفط ذاتها (١٨) .

وفي ميدان السياسة شعر رئيس الوزراء نفسه بانه مجبر ، نتيجة افراط الصحافة وزعماء الاحزاب (١٩) ، على انتهاج سياسة الارهاب ، ولذلك تم غلق صحيفتين واجراء اعتقالات بعد

---

(١٧) حدثت هذه الهزة عدة مرات ابتداء من اليوم الثامن من شهر اب ١٩٤٦ فاحدثت اضرارا جسيمة في الارواح والممتلكات ولذلك اخلت الحكومة البلدة من السكان الى اماكن خالية ونصبت لهم الخيام فيها وراحت تمونهم بالطعام والكساء وقررت منح المنكوبين مبلغ اربعة الاف دينار .

(١٨) حادثة كاور باغي في كركوك . كان عمال شركة النفط في كركوك قد بدأوا الاضراب اعتبارا من اوائل شهر تموز ١٩٤٦ واستمر مدة ثلاثة عشر يوما مطالبين بزيادة الاجور وتحسين اوضاعهم المادية وتوزيع المساكن عليهم وغير ذلك من الحقوق المشروعة ومع ان الحكومة والشركة قد وافقت على كثير من مطاليب العمال ، الا ان الشركة اخذت في الاخير تحاول التنصل من وعودها ولقد اعتادت شركة النفط هذه ان تجعل من محافظ كركوك ومدير الشرطة فيها اداة طيعة في يدها لتنفيذ اغراضها وحين كان العمال مجتمعين في احد البساتين في مدينة كركوك ويعرف باسم كاور باغي وهم ينتظرون عودة وفدهم المفاوض وصلت اليهم الانباء بان الشرطة قد اعتقلت افراد الوفد المفاوض فتعاظم الاضطراب والتظاهر وبينما كان العمال مجتمعين هناك يحيط بهم عدد من الاهالي بينهم كثير من الاطفال اقدمت قوات الشرطة على مهاجمتهم بالرشاشات وراحت خيل الشرطة تدوس بسنابكها النساء والاطفال فقتل عدد كبير من الاطفال والنساء والرجال قدر عددهم بستة عشر عاملا وطفلا وامرأة وجرح اكثر من ثلاثين امتنع معظمهم عن مراجعة المستشفى خوفا من اعتقاله وكانت هذه الحادثة من الاسباب التي ادت الى استقالة عبد الله القصاب وزير الداخلية في السابع عشر من اب ١٩٤٦ (للتفاصيل يراجع الحسني : تأريخ الوزارات الجزء السابع ، وسعاد خيري : من تأريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق الجزء الاول ص ١٥٠ ومابعدها) .

(١٩) كان ماأقدم عليه ارشد العمري من ارهاب مدروسا ومخططا من قبل الوصي والقادة البريطانيين في بغداد ولذلك فلم يكن ارشد العمري مجبرا على انتهاج سياسة الارهاب كما قال المؤلف ذلك ، وانما كان نفسه راغبا في هذه السياسة .

الاصطدام بين المتظاهرين والشرطة في شهر حزيران[20] عندما طالب ثلاثة الاف عامل بالجلاء المباشر للبريطانيين عن العراق ، وتأييد اجراء تسوية للمشكلة الفلسطينية وفي شهري اب وايلول عطلت صحف اخرى بسبب المقالات الملتهبة التي نشرتها.

ولقد اضرب المستخدمون في الصحف[21] وحكم اعضاء عصبة مكافحة الصهيونية الشيوعية نتيجة اصدارهم منشورات تخريبية وحظر توزيع صحيفة «العامل اليومي»[22] في كل انحاء القطر. كانت نتائج هذه الخطوات التي كان الساسة دوما يدعون الي تطبيقها في اول الامر ، ثم لايلبثون ان يستنكروها بشكل صارخ فيما بعد ، انها قد وسعت الشقة بين الحكومة المسؤولة ، والطامعين في الحكم من غير المسؤولين، وان يروح غير المسؤولين هؤلاء يؤكدون الى حد ما ، وصفهم البريطانيين بانهم هم الطبقة الحاكمة فعلا في العراق .

برهنت وزارة ارشد العمري بعناصرها المحافظة على ثباتها ، وظفرت بشيءٌ قليل من التأييد من قبل منتقديها العنيفين ، عندما اذاعت منهاجها للسنوات العشر القادمة (في لحظة اسيءٌ اختيارها بسبب تفاقم الازمة المالية) او عن طريق التلميح بانها ستقدم منحة الى الموظفين في نهاية شهر رمضان ، والغاء الاجور المدرسية في المدارس الثانوية ، وافتتاح صندوق لاسعاف ضحايا الزلازل في بنجوين . اما في الميدان الخارجي من الجهد العربي الموحد ، فقدكانت سياسة ارشد العمري صحيحة ومقبولة . فلقد رحب العراق بالوضع الجديد لشرقي الاردن (حيث اصبح يدعى بعد ذلك باسم المملكة الاردنية الهاشمية والذي ظفر به بعد المعاهدة التي عقدها مع بريطانيا في اوائل سنة ١٩٤٦)[23] ، كما تم تمثيل العراق من قبل الوصي ورئيس الوزراء في مؤتمر

---

(٢٠) هي التظاهرة التي قام بها الشيوعيون من المنتمين الى عصبة مكافحة الصهيونية صباح يوم الجمعة الثامن والعشرين من حزيران ١٩٤٦ عندما توجه المتظاهرون من مقر العصبة القريب من السفارة البريطانية ببغداد الى الصالحية فجسر الوثبة فتصدت لهم الشرطة عند الجسر بالنار وقتل احد المتظاهرين من اليهود وجرح عدد منهم حيث تم اعتقال العشرات من المتظاهرين وصدرت الاوامر باغلاق منظمة العصبة وتعطيل صحيفتها اليومية «العصبة» وبداية الهجوم المركز على الحركة الشيوعية .

(٢١) الصواب هو اضراب عمال الطباعة التي تطبع الصحف فيها فقد كان الاضراب شاملا ولكن الحكومة امنت صدور الصحف الموالية لها وهي صحيفة «الحوادث» لصاحبها عادل عوني ، وصحيفة الاخبار لصاحبها جبران ملكون ، وذلك بـ طبعت هاتين الصحيفتين في مطبعة الحكومة بعد ان اضرب عمال المطبعتين اللتين كانتا تطبعان فيها ، تضامنا مع بقية العمال المضربين .

(٢٢) العامل اليومي يقصد بها الديلي وركر DAILYWORER لسان الحزب الشيوعي البريطاني والتي كان مسموحا بدخولها الى بغداد وبيعها في بعض المكتبات الخاصة ولاسيما مكتبة «مكنزي»

(٢٣) اعلن استقلال الاردن في ٢٥ ايار ١٩٤٦ وكان عبد الله قد بويع ملكا على الاردن في الحادي والعشرين من شهر شباط ١٩٤٦ وعلى اثر اعلان الاستقلال، ضم الاردن اليه الضفة الغربية من فلسطين.

«الشونة» الذي صادق على الهوية العراقية الاردنية في ميدان الافكار والاراء ، والتوافق مع الحركات والاجتماعات التي كانت تعقدها جامعة الدول العربية التي رسمت (بخطوات غير مقررة وغير محددة) حقوق العرب في فلسطين ، والجلاء الفرنسي عن سوريا ، حيث كانت العراق والاردن ، تتحسسان سبيلها نحو تفاهم اوثق في الميادين السياسية والثقافية.اما مشروع سوريا الكبرى [٢٤] الذي نادى به الملك عبد الله ، واخذ يلح عليه باصرار متزايد بعد الحرب ، فقد كان موقف العراق منه موقف التجنب الحذر من الالتزام به ، ولو ان افراداً من رجال الدولة في بغداد كانوا صريحين في مساندة ذلك المشروع ، ولقد ادت الزيارة التي قام بها الملك عبد الله الى بغداد والموصل في اواخر سنة ١٩٤٦ ، الى تقدم في موضوع التضامن العراقي الاردني ، ولكن هذا التقدم لايعني تقدما في مشروع سوريا الكبرى.وفي الوقت ذاته اتخذ العراق مكانته في الاجتماعات التي عقدت في كل من القاهرة والسودان ، كما انه بعث ، في نهاية صيف سنة ١٩٤٦ ، بممثليه الى لندن لحضور ماعرف باسم مؤتمر الطاولة المستديرة عن فلسطين [٢٥] ولم يكن موقف الممثلين العراقيين في ذلك المؤتمر مشكوكا فيه ، وقد اظهر الاضراب العام الذي نظم في كل انحاء العراق في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني ، استمرار الغليان الشعبي ضد الصهيونية [٢٦]

---

(٢٤) مشروع سوريا الكبرى : وهو المشروع الذي تبناه عبد الله ملك الاردن وقبل ان يتم تعيينه ملكا على الاردن ويتضمن توحيد سوريا ولبنان والاردن وفلسطين في حكومة موحدة او اتحادية ملكية او جمهورية وقد طرح هذا المشروع في اليوم الثامن من نيسان ١٩٤٣ وكانت بريطانيا قد اشارت الى هذا المشروع قبل طرحه بوقت غير قصير حين اشار انطوني ايدن وزير الخارجية البريطاني الى سياسة بريطانيا بشأن مستقبل الشعب العربي في ٢٩ ايار ١٩٤١ (الدكتور جهاد مجيد محي الدين : العراق والسياسة العربية ص ٦٨) وواضح ان مشروع سوريا الكبرى مماثل لمشروع الهلال الخصيب وكلاهما من مبادرات بريطانيا والهاشميين الذين وثقوا روابطهم بها حتى النهاية .

(٢٥) سبق ان اشرنا في تعليق سابق الى هذا المؤتمر الذي انعقد في لندن وكانت اقتراحات الحكومة البريطانية في ذلك المؤتمر تنطوي على الغاء الانتداب على فلسطين وعقد مؤتمر حول طاولة مستديرة في فصل الخريف (١٩٣٩) يوضع خلاله دستور دولة فلسطين المستقلة تحت الحماية البريطانية مع حماية الاقلية اليهودية بضمانات معينة،ولكن اليهود اخذوا يضغطون على الحكومة البريطانية لكى تتخلى عن هذا المشروع المقبول لدى العرب (عبد الوهاب الكيالي : موجز تأريخ فلسطين الحديث ص ١٧٦ وكان طبيعيا ان تستجيب بريطانيا لضغط اليهود فتسحب المشروع الذي اعدته لقيام دولة مستقلة في فلسطين)وبذلك مهدت السبيل امام الصهيونية لابتلاع فلسطين كلها بالتدريج في حروب متواصلة اقعدت الامة العربية ومن ورائها الامم الاسلامية كلها ، عن نصرة العرب في فلسطين ومواجهة التحديات الاسرائيلية نتيجة ارتباط حكام الامة العربية والامم الاسلامية بالامبريالية الامريكية والانكليزية والفرنسية وغيرها ، وتنازعهم فيما بينهم على مطامع ومصالح ذاتية خاصة وهكذا ضاعت فلسطين .

(٢٦) اعلن هذا الاضراب بمناسبة ذكرى وعد بلفور وكانت الاحزاب المجازة رسميا في ذلك الوقت قد الفت لجنة خاصة للدفاع عن قضية فلسطين واصدرت بيانات عديدة في هذا الشأن واشرفت على تنظيم الاضراب العام الذي جرى في يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٤٧ وقد مر الاضراب بكل هدوء فلم تقع تظاهرات ولامشاحنات وقد اشرنا الى ذلك في كتابنا المخطوط المعنون «موقف الحزب الوطني الدمقراطي من القضية الفلسطينية» .

تم افتتاح مفوضية عراقية في اليمن ، وانشئت الاتصالات اللاسلكية بين بغداد وصنعاء ، كما اعترفت الحكومة العراقية بجمهورية اندنوسيا ، وكانت لها اراؤها بشأن التصرف بالمستعمرات الايطالية السابقة في شمالي افريقيا ، وايدت بصفة دورية ، موقف مصر في التفاوض الذي بدأ بينها وبين بريطانيا بعد الحرب،وكسبت الثناء عليها باختيار ممثل للعراق في مجلس الوصاية التابع لمنظمة الامم المتحدة ، ورفعت المفوضية العراقية في لندن الى درجة سفارة ، وعين الامير زيد فيها ، كما اعلن السفير البريطاني في بغداد عن رغبته في التخلي عن حقه الخاص الذي نصت عليه معاهدة سنة ١٩٣٠،في ان يكون هو المتقدم على الدبلوماسيين الاخرين ، في حين رفعت المفوضية الامريكية هي الاخرى الى درجة سفارة ايضا .

وفي الجزء الاخير من سنة ١٩٤٦ وصل الى بغداد نداء مكرر بالحاح من لدن القبائل العربية في الاحواز . فلقد ادى انحطاط اعتبار الحكومة الفارسية بعد الحرب العالمية الثانية في الاقاليم الممتدة ، وحددت الاحوال المقاربة من الفوضى التي احدثها حزب تودة ، وتمرد الحركة العربية ، كانت كل هذه الامور قد دفعت رجال العشائر العربية في الاحواز والذين ابعدوا زمنا طويلا عن وطنهم في ذلك الاقليم ، الى توجيه طلب الى بغداد والبصرة وجامعة الدول العربية بقصد منحهم حق المواطنة العراقية ، كما كان في الوقت تطلع الى انشاء حكومة عربية في الاحواز ، ولذلك كانت المحن التي نزلت بهؤلاء العرب المحرومين من الحقوق ، موضوعا اخذت تتحدث به الاحزاب القائمة في بغداد[٢٧] غير انه لم يسمع المزيد عن هذه الحركة بعد شتاء ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، وبقيت العلاقات العراقية الفارسية مشوبة بالشكوك والاثارة ، على الرغم من الاهتمام المشترك بالخطر الذي تمثله الشيوعية ، وضمان السلام في كردستان وعلى الحدود بين البلدين .

ظفرت القوى المعادية لارشد العمري في منتصف شهر تشرين الثاني بقوة اجبرته على الاستقالة،ولذلك عهد الى نوري السعيد في الحادي والعشرين من ذلك الشهر بتأليف وزارة اتحادية تقوم باجراء الانتخابات . وعلى اثر ذلك الف السعيد وزارته ، وحل البرلمان ، واعد العدة للانتخابات وفق اجراء جديد ، مع الوعد بمنح الحرية التامة لاختيار النواب . غير ان اماله

---

(٢٧) الحقيقة ان عرب الاحواز قد تأثروا بالحركات التي قام بها الاكراد والاذربيجانيون في شمالي بلاد فارس للانفصال عن حكومة طهران واقامة جمهوريات تقدمية هناك،فشرعوا يهيأون للثورة ضد الارهاب الذي يشنه الحكم الفارسي تحت اشراف الانكليز والامريكان،ولذلك تقدم رؤساء معظم العشائر العربية في الاحواز بنداءات الى الشخصيات البارزة في بغداد والبصرة يطلبون اليها مساعدتهم على اضفاء المواطنة العراقية عليهم بل العودة الى الوطن الام اي العراق. وقد ادعت الحكومة الفارسية في حينه ان حزب «تودة» الذي ساند نظام الخميني في طهران بكل قواه في الحرب العدوانية التي شنتها الطغمة الحاكمة في طهران ضد العراق ، ان هذا الحزب هو الذي نظم الاعتداءات الارهابية على المواطنين العرب في الاحواز ومع ان نسخا من تلك النداءات قد ارسلت الى جميع الاحزاب العراقية العلنية والسرية فلم يتطرق الى هذا الموضوع اي حزب منها عدا حزب الاستقلال الذي اشار في مقال افتتاحي الى الارهاب الذي يتعرض له الشعب العربي في الاحواز.

في الاتيان بمجلس نيابي قوي ، وفي ارضاء الاحزاب عن طريق دعوتها الى التعاون معه ، لم تتحقق الا بصفة جزئية . ولقد دعي كل من حزب الاحرار والحزب الوطني الى تسمية ممثليها في الوزارة ، واستدعي عدة اشخاص لهذا الغرض فعين علي ممتاز لوزارة الاشغال والمواصلات ومحمد حديد لوزارة التموين[٢٨] ولكن هذين الوزيرين مالبثا ان استقالا ، كما استقال معها وزيران اخران هما صالح جبر وصادق البصام[٢٩] في الاشهر التي تلت ذلك لكي يكرسوا انفسهم لمعركة الانتخابات القائمة .

ولقد شاركت معظم الاحزاب ، بما في ذلك كتلة صالح جبر السياسية البرلمانية في تلك الانتخابات ، وكان احد الاحزاب وهو حزب التحرر الوطني الذي لم يجز رسميا سببا في وقوع تصادم مع الشرطة في الكاظمية . ونتيجة للتغيرات المتواصلة فقد تشكلت الوزارة مجددا بادخال عبد الهادي الجلبي وزيراً للاشغال ، وعبد الاله حافظ للتموين ووزارة المالية موقتا ، وشاكر الوادي (الذي اشتهر بنيله الثقة الموثقة من قبل الوصي) للدفاع ، وبابا على الشيخ محمود للاقتصاد ، وجميل عبد الوهاب للشؤون الاجتماعية ولوزارة التربية موقتا ، وفاضل الجمالي للخارجية ، وعمر نظمي للعدل .

لم يكن اجراء الانتخابات التي بدأت في شهر شباط ١٩٤٧ ليمنع نوري السيعيد عن تحديد مراتع الشيوعية في البلاد ، وعن الادعاء بان ما اجراه من اعتقالات وتعقبات ضد العناصر الشيوعية ، قد قضى على تلك المراتع . وقد شملت تلك الاعتقالات انصار يوسف سلمان وداود الصائغ وزعماء من هؤلاء او من جماعات اخرى من امثال ابراهيم ناجي شميل وزكي محمد بسيم وعشرين اخرين من رفاقهم الذين تم اعتقالهم[٣٠] وباكتشاف الخلايا الشيوعية في كل محافظة كان رئيس الوزراء يأمل ان يتم توجيه ضربة قاضية الى الحركة[٣١] ولكن الامتنان من ذلك لم

---

(٢٨) كان علي ممتاز ممثلا الحزب الاحرار ، ومحمد حديد للحزب الوطني الديمقراطي وكان الحزبان قد اشترطا للاشتراك في الوزارة ان تكون الوزارة انتقالية ، فهمتها اجراء انتخابات حرة ، واطلاق الحريات الدستورية ، مثل حرية الصحافة والاجتماع ، وحرية العمل امام الاضراب .

(٢٩) استقال الوزيران علي ممتاز ومحمد حديد بناء على طلب الحزبين الذين ينتميان اليهما وذلك بعد ان اخذت الوزارة تتلكأ في موضوع فتح فروع للاحزاب ، وبدرت منها بوادر التدخل في الانتخابات . اما استقالة كل من صالح جبر وزير المالية وصادق البصام وزير التربية فكان الدافع اليها تكتل طائفي محض ، وتمهيد للمجيء بصالح جبر الى رئاسة الوزارة وهذا ما تحقق حيث عهد الى صالح جبر بتأليف الوزارة الجديدة بعد استقالة وزارة السعيد تلك .

(٣١) يخلط المؤلف في هذا الموضوع بين كثير من الحوادث التي وقعت . فلقد تم القبض في صيف ١٩٤٧ على عدد من قادة الحزب الشيوعي من بينهم فهد وزكي بسيم وغيرهم في دار ابراهيم ناجي شميل في الصالحية وقيل ان العامل في التلفونات «فاضل فعل» هو الذي اوشى بهم الى الشرطة ، وقدموا الى المحاكمة وحكم على ثلاثة منهم بالاعدام ثم ابدل الحكم بالسجن المؤبد وهؤلاء هم يوسف سلمان (فهد) وزكي محمد بسيم وابراهيم ناجي شميل مع عشرة بالحبس ولكن الضربة التي وجهت الى=

يخفف الا قليلا من الهجمات العنيفة التي وجهتها الصحافة على نوري السعيد بالذات ، والى الاهداف التي هيأها البريطانيون ، وعلى الاخص وكالة رويتر للانباء والفروع المحلية للمجلس البريطاني [٣٢] .

كان مجلس النواب الذي جاءت به الانتخابات وسط الاحتجاجات المعتادة ضد التدخل الحكومي ، قد ابرز اكثرية كبيرة من النواب المستقلين او من انصار نوري السعيد وصالح جبر. ولقد حصل الحزب الوطني الديمقراطي على خمسة اعضاء[٣٣] في حين لم تحصل الاحزاب الاخرى شيئا من ذلك[٣٤] وعندما افتتح البرلمان عقد نوري السعيد الذي قبل رئاسة الوزارة على اساس هذا التفاهم ، النية على افساح الطريق امام صالح جبر ، واعلن استعداده لتأييد وزارة يؤلفها صالح جبر نفسه ، وهي اول وزارة يتولى رئاستها احد الشيعة[٣٥] .

الشيوعية وكانت قائلة عندما استطاعت الشرطة ان تداهم مقر الحزب الشيوعي في محلة الحاج فتحي في الرصافة وتكبس مطبعة الحزب التي كانت تطبع «القاعدة» وكل المنشورات الاخرى حيث اعترف «مالك سيف» الصابئي الذي كان يتولى منصب وكيل سكرتير الحزب الشيوعي العام في بغداد امام الشرطة بكل اسرار الحزب وراح يشارك في القبض على رفاقه ليس في بغداد وحدها حسب بل في كل المحافظات . وقد جمعت مديرية التحقيقات الجنائية العامة (مديرية الامن) كل ماعثرت عليه من مبرزات الحزب الشيوعي واعترافات مالك سيف وغيره من القادة في سلسلة من الكتب عرفت بعنوان «الموسوعة السرية» واذن للصحف في حينه بنشر محتويات الجزء الاول من تلك السلسلة التي بلغت ستة اجزاء وقد فصلنا في مذكراتنا المخطوطة الكيفية التي تمت بها معرفة مقر الحزب والشخص الذي وشى به الى الشرطة وربما تصدينا لذلك في كتاب مستقل عن الحركة الشيوعية في العراق ننشره ان سمحت الظروف بذلك .

(٣٢) المقصود به المجلس الثقافي البريطاني ، وكان مركزه في محلة الوزيرية ، وكان نشاطه مستورا تحت ستار تعليم اللغة الانكليزية ، ومايزال قائما حتى الان .

(٣٣) الذين فازوا بالنيابة من اعضاء الحزب الوطني اربعة اشخاص لاخمسة كما ذكر المؤلف وهم كل من حسين جميل ، وجعفر البدر ، وعبد الجبار الملاك وعبد الهادي البجاري . وبعد مرور اسبوع على انتهاء الانتخابات قرر الحزب ان يسحب نوابه من المجلس واصدر بذلك بيانا في اليوم السابع عشر من شهر اذار ١٩٤٧ ذكر فيه بان اشتراك الحزب في الانتخابات كان من اجل «حمل الشعب على ممارسة حقوقه الديمقراطية ، وامتحان رجال الحكم في اثبات صدق نواياهم وتصريحاتهم ، والان وقد تحقق ما استهدفه الحزب من اشتراكه وظهرت نتائجها مؤيدة بان الاكثرية الساحقة من النواب قد عينت تعيينا لذلك قرر الحزب سحب نوابه من المجلس الجديد (مذكرات كامل الجادرجي ص ١٤٢) وقد استقال حسين جميل من المجلس وبقي الثلاثة الاخرون فيه .

(٣٤) يقصد المؤلف بذلك حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني والحزب الشيوعي الذي تستر تحت حزب التحرر الوطني غير المجاز .

(٣٥) ذكر توفيق السويدي في مذكراته ان المساعي كانت تبذل من وقت طويل لان يخلف صالح ، نوري السعيد في رئاسة الوزارة ، وكانت هذه المساعي تصدر من جهات عديدة واكثرها كانت تمونه دوائر الاستخبارات البريطانية وعلى هذا الاساس وبعد ان اكمل نوري السعيد طبخة الانتخابات الجديدة واللعبة التي لعبها مع الاحزاب قدم استقالته في الحادي عشر من اذار ١٩٤٧ ليخلفه صالح جبر في رئاسة الوزارة في اليوم التاسع والعشرين من اذار ١٩٤٧.

احتفظ صالح جبر لنفسه بوزارة الداخلية ، واعتمد على زملائه المجربين في المناصب الاخرى . فاحتفظ بكل من فاضل الجمالي ، وشاكر الوادي وعبد الاله حافظ ، وجميل عبد الوهاب بمناصبهم السابقة ، واتى بجمال بابان الى وزارة العدل ، ووزارة الاقتصاد بصفة مؤقتة ، ويوسف غنيمة الى وزارة المالية ، والعالم الكردي توفيق وهبي لوزارة التربية ، وبضياء جعفر خريج جامعة برمنغهام الانكليزية في هندسة النفط ، الى وزارة الاشغال. اما المعارضة التي كانت نفسها مشتتة ، فقد تألفت بصفة رئيسة من الاحزاب الخمسة التي لم تمثل في الحكومة ولاسيما حزب الاحرار الذي كان يتزعمه سعد صالح . وكان منهاج هذا الحزب حياديا بصفة عامة ، او انه – كما قال البعض عنه-كان ميالا في صداقته الى روسيا[٣٥] ويحبذ التدخل المسلح في فلسطين وميله،الى العداء الشامل ضد البريطانيين .

تحدث رئيس الوزراء صالح جبر عن تعديل المعاهدة الانكليزية العراقية ، وعن مساعدة الصناعة المحلية ، وعن مصفى النفط الذي تملكه الحكومة ، والمصرف الوطني ، وتوسيع نطاق التربية وتحسينه،وعن الجامعة والاشغال العامة ، والتطور الاداري الواسع ، وتشجيع النقابات وتشديد المقاومة الصارمة ضد الشيوعية .-وقد اعتمد صالح جبر على مساندة الوصي ونوري السعيد له،وبهذا يستطيع ان يحقق النجاح مدة بقائه في الحكم. لكنه مالبث ان جابه ، الى جانب الامور السياسية مصاعب جدية ، وكان من بين هذه المشاق تردي الادارة وفسادها ، والتي لم يبذل سوى جهد ضئيل لاستعادتها . وهناك مشكلة اخرى ، كانت اكثر الحاحا وشدة ، وهي سوء الوضع المالي في البلاد ، ذلك لان الميزانية التي خمنت لسنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، بشكل متعب ، قد اظهرت بان الايرادات كانت منذ سنة ١٩٤٤ ، ابعد من ان تتناسب مع زيادة النفقات ، وانها تمثل نسبة من الثروة القومية اقل بكثير،عما كانت عليه قبل الحرب.. ذلك لان كثيراً من الضرائب والرسوم المحددة بقيت على مستوياتها القديمة ، ولم تكن الايرادات الناجمة عن الكمارك قد تحركت صعدا بشكل مناسب للنفقات وللاسعار،وان الخدمات الاجتماعية قد سمح بتطويرها منذ الحرب ، بسخاء واكثر مما تستلزمه الحصافة والدقة. وعلى هذه الشاكلة افتتحت السنة المالية بنسبة ضئيلة من الفائض الذي توفر ايام الحرب ، وبنقص واضح في تخمينات تلك السنة المالية.

كان هناك نقص مخيف في العملة النادرة ، اصبح التجار المتلهفون على الاستيراد يشعرون به ، في حين كان موسم الحصاد في تلك السنة ادنى بكثير عن المعدل ، الى درجة انه غدا من

(٣٦) هذا خلط من المؤلف فلم يعرف عن حزب الاحرار انه كان ميالا الى روسيا او معاديا للانكليز. ولم يرد في مناهجه مايشير الى اي شيء من هذا،بل الواقع ان حزب الاحرار كان على غرار الاحزاب الحكومية التي تألفت في سني العشرينات واوائل الثلاثينات .

اللازم التفكير في استيراد الحبوب من الخارج،كذلك ادى التصدير الواسع غير الحكيم للحبوب خلال الشهور الاخيرة من سنة ١٩٤٧،الى نقص خطير في المواد الغذائية

كان تعويم القرض الداخلي بمبلغ مليون دينار وبفائدة مقدارها ٣٪، والذي خصص اصلا لتنفيذ المشاريع الرئيسة ، قد تم استخدامه للحاجات الجارية ، ولذلك فان القرض الثاني الذي اصدر في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨ بمليون دينار وبفائدة مقدارها ٥ر٣٪ ولم يتم الاقبال عليه الابشكل متردد ، لم يحقق شيئا اكثر. كانت القضية التي تثير الحساسية ، والمتعلقة بموجودات العراق من الاسترليني لدى بريطانيا والتي ارتفعت بشكل متواصل حتى بلغت حوالي ستين مليون باون سترليني،قد تمت تسويتها بعد مشاورات مطولة وفق اتفاق تم التوصل اليه في اليوم الثالث عشر من شهر اب ١٩٤٧ ، حيث تقرر اطلاق مبلغ خمسة عشر مليون باون من تلك الموجودات ، على ان يتم توفيرها بصفة اقساط من ذلك التأريخ حتى سنة ١٩٥٢ ، وفي شهر تشرين الثاني ١٩٤٧ تم التوصل الى اتفاق لاحق ، يستبدل بعض الترتيبات المؤقتة،وينظم مايسمح به للعراق من العملات النادرة ، ويسمح بصرف مايعادل خمسة ملايين ونصف مليون باون من العملات النادرة خلال الاشهر الاثنى عشر القادمة ابتداءاً من شهر حزيران سنة ١٩٤٨ .

لم تبق بعد انسحاب القوات البريطانية من العراق خلال شهر تشرين الاول ١٩٤٧ ، وتحويل كميات كبيرة من المواد الحربية الى الجيش العراقي ، سوى حاميتين بريطانيتين في كل من الحبانية والشعيبة،تنفيذا لمانصت عليه معاهدة سنة ١٩٣٠،ولكن هذه المعاهدة ذاتها كانت معرضة لهجمات عنيفة طيلة تلك السنة[٣٧] كانت اهداف جميع الساسة ، (ماعدا اقلية منهم . عنيفة عنيدة تريد قطع كل شكل من اشكال الارتباط مع بريطانيا) تتركز في ازالة كل القيود المفروضة على الاستقلال ، والخيار الحر لتعامل العراق تعامل الشريك الكبير ، والغاء كل

---

(٣٧) كانت تلك اول مرة يضطر العراق فيها على استيراد الحنطة من الخارج بعد ان كان يصدر كميات هائلة منها قبلا ، وكانت ازمة الخبز التي اثيرت حتى في المجلس النيابي من العوامل الاساسية لحدوث وثبة كانون التي اودت بوزارة صالح جبر وبمعاهدة بورتسموث التي جاءت بها . انظر تفاصيل ازمة الخبز في كتاب «جر الددي غوري» المعنون (ثلاثة ملوك في بغداد) والذي ترجمناه ونشرناه سنة ١٩٨٣ وسوف تصدر الطبعة الجديدة منه قريبا جدا،ونضيف الى هذا ان ضجة واسعة وحادة حدثت في مجلس النواب بالنسبة الى الازمة الغذائية وتسرب الحنطة والشعير وغيرهما من العراق الى اقطار اخرى نتيجة التساهل الذي ابداه صالح جبر امام التجار والمضاربين في هذا الشأن وقد احرجت المناقشة في مجلس النواب موقف وزارة صالح جبر وكادت تؤدي الى سقوطها .

(٣٧) يقصد بها سنة ١٩٤٧ التي تحركت فيها الاحزاب والصحافة الى المطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٠ وتحرير العراق من كل آثرمن اثارها ،وذلك بعد ان اشيع عن اعتزام بريطانيا تعديل تلك المعاهدة باخرى غيرها.

الاحكام التي هوجمت بعنف ، والتي تسمح ببقاء الحاميات البريطانية في الحبانية والشعيبة في قلب العراق .

اظهرت المفاوضات الاولى مع السفير البريطاني ، بانها كانت تسير برفق ، وكانت الوزارة تأمل ان ترى في مفتتح سنة ١٩٤٨ حلاً سعيدا. كانت هجمات الصحف على بريطانيا ، والتي لم يكن لها من يساعدها في تلك الظروف ، تعتبر - كما كان الامر دوما - هي الشاغل المشترك لكل صحفي . ولم تتوقف هذه الهجمات الابصفة جزئية ومؤقتة خلال صيف سنة ١٩٤٧ عندما قام فريق من الصحفيين العراقيين بزيارة لندن(٣٨)

خلال السنتين اللتين اعقبتا عقد الهدنة ، كان معظم الموظفين البريطانيين الباقين في سلك الادارة ، وهي بقية ضئيلة من هيأة كانت نشطة وتبعث على الامل خلال ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، قد غادروا العراق الان . كان «ادموندز» قد تقاعد ، وخلفه في وزارة الداخلية «دتشبورن».وفي سنة ١٩٤٦ كان كل من دراور في وزارة العدل ، وسندرسن في الخدمات الطبية،واتكنسون في الري ، وكابرن في الاشغال والمواصلات ، ولويد في جمعية التمور ، وغرايس في الداخلية ، من بين الذين خسرتهم الحكومة العراقية ، حيث اعقبهم في السنة التالية كل من «سوان» في وزارة المالية ، وسيتون لويد مدير الاثار ، وجادويك في دائرة البيطرة .

كان من المؤسف ان تضطر وزارة صالح جبر ، وهي من احسن الحكومات معنى ، مثل الوزارات التي سبقتها الى اتخاذ خطوات ضد الصحافة وضد التحريضات الحزبية التي تجاوزت كل الحدود المعقولة . لقد كانت سياسة وزارة صالح جبر ازاء قضية فلسطين اكثر صوابا ، وتحركاتها لتعديل المعاهدة نشطة ومحبوبة . ولكن هذا لم يكن كافيا بحد ذاته . ذلك لان «العصابة القديمة» المفعمة بالحقد والكراهية ، والتي ابعدت عن كراسي الحكم ، والتي كان يقال دوما بان البريطانيين يقفون وراءها ، هذه العصابة القديمة مازالت تقود الاحزاب الى حركات مخبولة من النشاطات المعادية للحكومة(٣٩) .

---

(٣٨) تألف هذا الوفد من كل من يحيى قاسم ، وعادل عوني ، وجبران ملكون ، ومحمد مهدي الجواهري ونوفيق السمعاني ، وصدر الدين شرف الدين.وقد امضى الوفد زهاء ثلاثة اسابيع في لندن ، والقى البعض منهم ومن بينهم جبران ملكون كلمات من اذاعة القسم العربي في لندن تحدثوا فيها عما شاهدوه في زيارتهم تلك من عظمة بريطانيا وشهرتها.ولم يشأ الجواهري الا ان يشذ عن الوفد ، ويتخاصم مع اعضائه ، ويشكو ذلك الى الامير زيد سفير العراق في لندن آنذاك فيتدخل هذا لاعداد منهج خاص بالجواهري. فصلنا ذلك في كتابنا المخطوط «مهدي الجواهري : ظلال وذكريات» .

(٣٩) يقصد المؤلف بذلك ان العصابة السياسية القديمة ، اي اعضاء المدرسة السياسية القديمة المرتبطة بالانكليز وبنفوذهم في العراق ، اخذت في الاونة الاخيرة تثير الاحزاب والمنظمات العمالية وتدفع بها دفعا الى احتدام النشاط المعادي للحكومة .

تم تعطيل احدى الصحف في شهر نيسان ، ثم اعقبها تعطيل صحيفتين اخريين في شهر حزيران [٤٠] واتهم كامل الجادرجي وعبد الفتاح ابراهيم بالعصيان ، واشاعة الفتنة ، وتم كبس مقر حزب الشعب واعتقال رئيسه عزيز شريف ولكن اخلي سبيله فيما بعد . كذلك ادت محاكمة بعض الشيوعيين الذين اوقفوا في عهد وزارة نوري السعيد الاخيرة قبل اشهر ، الى ان صدر الحكم على عشرة منهم بالسجن ، وباعدام كل من يوسف سلمان يوسف (فهد) وزكي بسيم ، وناجي شميل بتهمة تحريض قوات الجيش والشرطة ضد الحكومة* [٤١] .

تمت الاغارة على المكتبات في بغداد ، وجرى تفتيش مقرات الاحزاب المتطرفة ، ومن ثم عطل كل من حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني في شهر تشرين الاول بتهمة التحريض على الثورة ، واتهم الشيوعيون بالتحريض على الاضراب الذي حدث في ميناء البصرة [٤٢] .

---

(٤٠) اقيمت خلال وزارة ارشد العمري ثلاث دعاوي ضد كامل الجادرجي بسبب مانشره في صحيفة «صوت الاهالي» من مقالات اعتبرت مثيرة للكراهية . وقد بوشر بمحاكمة الجادرجي في اليوم الحادي عشر من اب سنة ١٩٤٦ فصدر الحكم ضده بعد يومين من بدء المحاكمة بالحبس لمدة ستة اشهر وتعطيل صوت الاهالي.واستؤنفت محاكمة الجادرجي مجدداً بسبب مانشره عن المعاهدة العراقية التركية ، وذلك ابتداء من اليوم السابع من تموز ١٩٤٧.ونتيجة لتلك المحاكمة عطلت صوت الاهالي عن الصدور ثم اعقبها تعطيل «السياسة» لسان حزب الاتحاد الوطني ، و «الوطن» لسان حزب الشعب الذي يرأسه عزيز شريف .

* وصفت جريدة الديلي وركر (العامل اليومي لسان الحزب الشيوعي البريطاني – المترجم) في عددها الصادر في السابع عشر من شباط ١٩٤٩ الحكومة العراقية ، بانها «حكومة فاسدة فتاكة ، وانها مجرد لعبة بيد الامبريالية البريطانية» . اما جريدة «لومانيته» (راي الانسانية لسان الحزب الشيوعي الفرنسي – المترجم) فانها قالت في عددها الصادر في الثامن من شباط سنة ١٩٤٩ ، ان الخطوات التي اتخذتها الحكومة العراقية ضد الشيوعية كانت لصالح اصحاب الملايين من الامريكيين والبريطانيين الذين كانوا يعدون العدة لاشعال نيران الحرب» .

(٤١) سبق ان اشرنا في هامش سابق الى محاكمة هؤلاء الشيوعيين بعد ان القي القبض عليهم في بيت «ابراهيم ناجي شميل» في صيف ١٩٤٧ . اما هذه المرة فان المحاكمة قد جرت بعد ان تم الكشف عن مقر الحزب الشيوعي وكبس مطبعته وكل منشوراته وسجلاته.ونتيجة للمحاكمة الاخيرة صدر حكم الاعدام على كل من يوسف سلمان ومحمد بسيم زكي اللذين حكما قبلا بالسجن المؤبد ، كما حكم حسين محمد الشبيبي ، ويهودا ازلوف بالاعدام ايضا بعد الاعترافات التي ادلى بها للشرطة «مالك سيف» الذي كان يتولى سكرتارية الحزب نيابة عن يوسف سلمان المحكوم بالسجن المؤبد. واستندت المحكمة في اصدار حكمها هذا الى التعديل الذي اجرته وزارة المدفعي في سنة ١٩٣٧ في قانون العقوبات البغدادي ، التي جعلت عقوبة من يبث الدعاية الشيوعية بين افراد القوات المسلحة الاعدام شنقا واستنادا الى ذلك التعديل تم تنفيذ حكم الاعدام في اواخر شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٩ بكل من يوسف سلمان وزكي بسيم ، وحسين محمد الشبيبي ، ويهودا زلوف ، واصيب الحزب بضربة قاصمة ظل يعاني منها عدة سنوات.

(٤٢) عمدت وزارة صالح جبر ، الى اكمال حلقات الارهاب التي بداها ارشد العمري ونوري السعيد ، ضد الحياة الحزبية والحياة الديمقراطية باكملها . ولذلك اعلنت وزارة صالح جبر ببيان اذاعته مديرية الدعاية العامة في التاسع والعشرين من شهر ايلول ١٩٤٧ ، سحب اجازة كل من حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني بتهم ملفقة كاذبة . وكان الحزبان قد سعيا قبل تعطلها الى الاندماج في حزب واحد ، او اقامة اتحاد بينهما ويظهر من المقالات التي نشرها عبد الفتاح ابراهيم في جريدة «السياسة» داعيا الى وحدة الحركة الديمقراطية ، ان عزيز شريف بعد ان وافق على اندماج الحزبين في حزب واحد باسم «حزب الاتحاد الشعبي» عاد فاوضح بعد ذلك الاتفاق ، بان ماقصدته جماعة حزب الشعب هو التعاون في جبهة مشتركة وليس تأليف حزب (عبد الفتاح ابراهيم : «وحدة الحركة الديمقراطية» ص ٢٠).

ولقد ظلت مشكلة العرب قائمة في فلسطين نتيجة التهديد الذي كانوا يلاقونه من الصهيونية الغنية الموجهة توجيها قديرا من الرأسمالية الامريكية التي كانت تدعمها بالاموال ، والتي كانت تلقى المساندة في ذات الوقت من عناصر قوية في بريطانيا ايضا ، وبذلك اصبحت قضية الصهيونية في فلسطين تتجاوز اية قضية اخرى تستأثر بالاهتمام . لقد اثارت تلك المساندة التي ظفرت بها الصهيونية في فلسطين ، مشاعر حادة وقوية ابرزت،كما كان يحس بها ، الصورة الكاملة للظلم الغربي ، وروحية الاستهزاء لديه ، في الوقت الذي وجدت فيه كل الاحزاب في جو خطير من عواطف العداء ضد الاوربيين . ذلك ان مؤتمر لندن الذي عقد في خريف سنة ١٩٤٦ ، وتكرر مرة اخرى في اوائل سنة ١٩٤٧،والذي حضره فاضل الجمالي ، لم يتوصل الى اي اتفاق ، ماخلا رفض مشروع المصالحة بين العرب واليهود الذي طرحه رئيس الوزراء البريطاني موريسون ، والذي جاء في اعقاب الامور غير المناسبة وغير الحقيقية التي طرحتها لجنة التحقيق الانكلو امريكية . كذلك رفضت في اوائل سنة ١٩٤٧ خطة (بيفن) لتقسيم فلسطين رفضا تاما ايضا،واذ ذاك احالت بريطانيا قضية فلسطين الى منظمة الامم المتحدة ، والتي قامت لجنتها الفرعية المؤلفة من خمسة اعضاء بجولة في فلسطين خلال صيف تلك السنة .

وبعد مؤامرات لانهاية لها في «ليك سكسيس في خريف تلك السنة ، اصدرت منظمة الامم المتحدة تحذيراً الى بريطانيا ، بسبب اعتزامها الجلاء عن فلسطين في غياب تسوية متفق عليها ، ومن ثم اتخذت الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين بصفة نهائية الى منطقتين يهودية وعربية (٤٣) كان الانتداب البريطاني على وشك ان ينتهي ، والقوات البريطانية توشك ان تنسحب،وتكاد الدولتان العربية واليهودية ان تظهر الى حيز الوجود وان يؤسس نظام خاص لمدينة القدس .

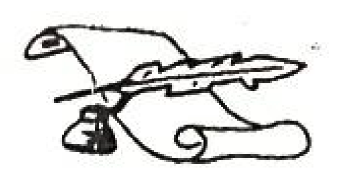
كان انقضاء عام من الهدوء الملموس في العراق ، والمصادقة على مجموعة من التشريعات التي يعتمد عليها ، او تقديم مجموعة اخرى منها للتصديق ، وتنفيذ بعض الاجراءات الصائبة ، ومنها احصاء النفوس بصفة جدية لاول مرة ، كل ذلك قد استطاع ان يخفي في ذلك الوقت ، القوة الحقيقية لعوامل التذمر والعنف المتوقع حدوثها ، تلك العوامل التي كانت قائمة فعلا ، واخذت تكسب المزيد من القوة .

---

(٤٣) صدر قرار منظمة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وكان المشروع يقضي باقتطاع قسم غير قليل من فلسطين يضم كل الموانئ المهمة ومنحه الى اليهود لاقامة دولة يهودية فيه ، في حين خصص القسم الثاني للعرب ووضع مدينة القدس تحت وصاية الامم المتحدة،ولقد ايد الاتحاد السوفياتي قرارا التقسيم هذا؛ امثلما ايدته بريطانيا وامريكا وبقية الدول الغربية الاخرى،وقد جاء تأييد السوفيت لقرار التقسيم ضمن مقال نشرته مجلة «الازمنة الحديثة : نيوتايمس» السوفياتية وفي هذا المقال تقول المجلة ان الاتحاد السوفياتي ايد توصية اكثرية لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين وان كان ممثل الاتحاد السوفياتي يرى بوضوح افضليات الاقتراح القاضي بانشاء دولة عربية يهودية موحدة على اساس اتحادي ولكن الخطأ الاساس في هذا الاقتراح هو انه لا يمكن تحقيقه في الوقت الحاضر بسبب توتر الحالة في فلسطين) . وكانت هذه المجلة تصدر في موسكو اسبوعيا في عدة لغات اوربية ومن ثم اخذت تظهر لها طبعة عربية في القاهرة باسم «العصر الحديث» في اوائل السبعينات.

وحين افتتح البرلمان في اليوم الاول من شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، اخذت الطبقات الفقيرة التي كان يعوزها الحصول على الخبز بصفة خطيرة ، تقترب من حافة اليأس . ذلك ان البلاد كانت خالية من المواد الغذائية ، وكان الشيوعيون مايزالون نشطين ، ويتلهفون الى استغلال التذمر الراهن لخدمة اغراضهم في اثارة الفوضى . وكانت الاحزاب السياسية الصغيرة المتحمسة في ذات الوقت،وكلها مناهضة للحكام التقليديين وللبريطانيين وللغربيين على نطاق واسع ، بينما كان القوميون المحصورون في نطاق ضيق غير واقعي ، كان كل هؤلاء اقل ضعفا في تحريك الجماهير ، من العناصر الاصلية التي كانت تتحكم بتلك الجماهير ، كما ان هذه العناصر لم تكن على استعداد لاقامة اتحاد مؤقت بين بعضهم البعض ، ومع الشيوعيين في بعض المناسبات .

كان من نتيجة انقسام العالم بعد الحرب ، وعدم استقرار العلاقات بين الشرق والغرب من الصين حتى مراكش ، ومن تدني تقدم الديمقراطية المشكوك فيه ، ان خلق وهم لدى العناصر الواعية في مدن العراق ، من ذلك الوضع،انها راحت تظن ان خير مخرج لها يتمثل في حقلين : الاول هو ميدان الوضع القائم في فلسطين والذي اخذ الان يتحول من سيئ الى اسوأ . اما الحقل الثاني فهو ان علاقات العراق مع بريطانيا والتي توشك الان ان يعاد النظر فيها . وعلى هذا فان كل المخاطر التي ظلت كامنة في سنة ١٩٤٧،تلك السنة التي كانت تبشر بالتقدم والامل ، قد تجسدت وتحققت في نتائج مؤلمة في السنة التي اعقبتها .



٢ ـ معاهدة بورتسموث وفلسطين

خلال الاسابيع التي اعقبت افتتاح البرلمان في اليوم الاول من شهر كانون الاول، بدا كل شيْ معدا للتوقيع على معاهدة جديدة، ولم تتم الموافقة على المواد الرئيسة منها حسب، بل وحتى على معظم النص الجديد الذي وردت فيه، من قبل رجال الدولة الذين تمت استشارتهم في بغداد، ومن لدن الوصي عبد الاله ايضا. واذيع في اواخر السنة بان رئيس الوزراء ووزير خارجيته سوف يمضيان الى لندن، ويصحبهما كل من نوري السعيد، وشاكر الوادي، لاجراء المحادثات النهائية وللتوقيع المحتمل على المعاهدة، وعلى هذا الاساس عهد الى جمال بابان بمنصب رئيس الوزراء بالوكالة.

والواقع ان المعاهدة قد تم الاتفاق على عقدها والمبادرة بوضعها في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الثاني ١٩٤٨، وتم التوقيع عليها من قبل مندوب عراقي والسير ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية في اليوم الخامس عشر من ذلك الشهر[١].

وحين ظفرت المعاهدة بالثناء مؤخرا باعتبارها مثالا مشجعا، وسابقة لمشاريع اخرى مماثلة، فانها بذاتها وبملاحقها قد اشتملت على الامل في قيام التعاون في ميادين التطور الفني والاقتصادي، ولكنها كانت في الدرجة الاولى معاهدة دفاع مشترك. ذلك ان المعاهدة قد اشترطت وجوب التشاور وقت الخطر، وتقديم المساعدة المباشرة من اي طرف الى الآخر في حالة وقوع الحرب، وان يجري تسليم القاعدتين الجويتين في الحبانية والشعيبة الى العراق، مع الاحتفاظ بعدد محدود من افراد بريطانيين يعملون تحت امرة القيادة العراقية وعلى نفقة بريطانيا ذاتها، لضمان استعداد القاعدتين للاستعمال المباشر، كما تستطيع القوات البريطانية ان تعود الى

(١) هذا المندوب العراقي هو الدكتور فاضل الجمالي وزير الخارجية في وزارة صالح جبر والحقيقة ان التمهيد للمعاهدة قد بدأ اثر تأليف الوزارة حين توجه وفد عراقي الى لندن لذلك الغرض في اوائل شهر ايار ١٩٤٧، واعقب ذلك دخول عبد الاله نفسه في التفاوض مع بيفن خلال شهر اب من تلك السنة. فالواقع ان وزارة صالح جبر قد تركت كل مشاكل البلاد ومصالحها، وكرست كل مالديها من جهد ووقت لعقد المعاهدة الجديدة.

اشغال القاعدتين في حالة الحرب ليس الا، وان تختفي البعثة العسكرية البريطانية، ويؤلف مجلس بريطاني عراقي مختلط، يتولى تطوير الخطط الستراتيجية، وتقديم التوصيات بشأن تجهيز القوات العراقية، والتأكيد على توحيد معايير التجهيزات بين الجيشين، وان تقدم القوة الجوية البريطانية للقوة الجوية العراقية، المعونة في التدريب في الخارج، وتوفير الاسلحة من احدث الانواع، وان تصبح المعاهدة نافذة المفعول حالما يعود عالم مابعد الحرب الى احوال السلام، اي في الوقت الذي تصبح فيه كل معاهدات الصلح مع البلدان المعادية سابقا نافذة المفعول، وجلاء الجيوش المحتلة عنها.

وما ان نشرت المعاهدة حتى حظيت بالترحاب في بريطانيا، واعتبرتها العناصر المسؤولة في بغداد كافية، تلك العناصر التي سبق لها ان صادقت عليها، كما صادق عليها الوصي ايضا. وفي البرقيات التي تبادلها الوصي مع الملك جورج السادس، اوضح بان المعاهدة كانت «لصالح البلدين»، وانها سوف توطد اركان الصداقة بينهما.

شعر اعضاء الوفد العراقي الذي امضى في بريطانيا اياما قليلة في اجازة، بعدم وجود شك في ان لايتقبل ابناء وطنهم اتفاقا يمثل تقدما واضحا ومفيداً بالنسبة الى معاهدة سنة ١٩٣٠، ذلك الاتفاق الذي يبدو بانه لم يقصد المساس «بالسيادة القومية»، وعلى هذا فان اعضاء الوفد لم يكونوا قد خدعوا ابدا. على ان تغيب الوزراء الرئيسين عن بغداد، واخفاقهم في توضيح المعاهدة الجديدة، والدفاع عنها حين نشرها، او قبل ذلك، قد هيأ الفرصة امام اتخاذ موقف وطني متشدد، لرفض المعاهدة من لدن الاحزاب وجماهير المدينة التي تم تنظيمها على ايدي منظمين قادرين انفقوا الاسابيع، وربما الشهور، في الاعداد لهذا الحادث.

لم يجر سوى تساؤل قليل عن مفردات فقرات المعاهدة الجديدة، ولم يكن هذا التساؤل ضد البريطانيين بصفة محددة، اكثر مما كان ضروريا لتهيئة تجمع مشترك ذي كفاية مجربة، لمختلف العناصر. فاذا كان بعض الساسة والساخطين، يرون ان الارتباط البريطاني المتواصل، وحتى وجود الفنيين البريطانيين، يؤلف عدوانا، فان المناسبة غدت الآن اكثر ملاءمة لاطلاق احاسيسهم بالخوف من النقص الحاصل الآن في المواد الغذائية، والظلم الاقتصادي، ورئيس الوزراء الممقوت، والادارة التي تشوبها النواقص والفساد الواسع الفاشي فيها، وابعاد الساسة الشبان الساخطين، والمشتغلين بالقضايا العامة عن الحكم، اضافة الى اتباع رشيد عالي القدامى المتشددين، وقادة الجيش الذين عملوا معه.

كان رد الفعل المباشر لدى جماهير بغداد ازاء اذاعة المعاهدة، حدوث اضراب لمدة ثلاثة ايام قام به طلبة كليتي الهندسة والحقوق، وتنظيم التظاهرات، واتساع حجمها وشدتها، تلك التظاهرات التي نظمها الحزب الوطني الديمقراطي، وحزب الاستقلال، وحزب الاحرار والحزب

الشيوعي. ولقد تمت الدعوة الى اعلان الاضراب في الدوائر وفي المعامل، ووقعت هجمات عنيفة على المنشآت البريطانية، او المصالح التي يشتبه فيها بانها مصالح بريطانية، وعلى مبنى «جريدة الاوقات العراقية»[٢] والمصادمات الوحشية مع الشرطة التي ملأت شوارع العاصمة. غير ان التظاهرات التي امكن السيطرة عليها باستعمال الشدة في اول الامر، سرعان ماتجاوزت حدود الضبط. فلقد اشتدت حماسة الجماهير، ولم يعد احد يلتفت الى البيانات التي كان يصدرها نائب رئيس الوزراء، ووزراؤه الذين استولى الخوف عليهم الآن. على ان اقدام الشرطة على فتح النار لاعادة النظام لم يكن ناجحا، بل انه زاد من حدة السخط بصفة وحشية. فلقد قتل مالايقل عن خمسين شخصا، وجرح مابين مائة ومائتي شخص، كان من بينهم عدد من افراد قوات الشرطة.

اخذ نطاق الحركات الجماهيرية التي بدأت في اليوم السادس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨، يتعاظم في كل يوم لاحق، وقد ظهر بان اعادة الامن يجب ان يعهد بها الى الجيش، اذا وجد اي من الوزراء، ولربما الوصي نفسه، ان من الحصافة استعمال هذه القوة التي لم يكن موقفها معروفا، وكانت قيادتها تضم في اقسام منها اولئك المتشددين في عدائهم للانكليز، وسرعان ماانحطت معنويات الشرطة الذين كانت تقاومهم الجماهير وتحتقرهم،في ذات الوقت الذي لم يحصلوا فيه على المساندة من لدن رؤسائهم.

اما في المحافظات فان المحافظين الذين كانوا بعيدين عن مثيري الاضطرابات، فقد استطاعوا كالمعتاد ان يسيطروا، او على الاقل، ان يقللوا من نطاق المسيرات المنظمة في الشوارع، وان يحافظوا في معظم المراكز على الاوضاع الاعتيادية تقريبا. اما في السليمانية فان المتظاهرين اخذوا يثنون على الروس، ويحتقرون كل العرب، ويشتمون البريطانيين، ولقد اختطفوا احد المدرسين الانكليز من المدينة، واحرقوا المعهد البريطاني الموجود هناك[٣].

كان الوصي، الذي كان جزء من الاضطرابات موجها ضده نتيجة دفاعه الشهير عن المعاهدة، بل جرى الحديث في الواقع عن اقامة الجمهورية، قد دعا الى عقد جلسة لمجلس

---

(٢) صحيفة الاوقات العراقية IRAQ TIMES كانت تصدرها شركة خاصة ببغداد منذ ايام الاحتلال البريطاني، وكانت عند صدورها تعرف باسم الاوقات البغدادية، نظرا لوجود صحيفة اخرى مثلها صدرت في البصرة باسم الاوقات البصرية. وكانت الاوقات العراقية تصدر في اربع صفحات يوميا احداها باللغة العربية والثلاث الباقية بالانكليزية وكان مقرها في شارع الرشيد مقابل بناية بيت لنج القديمة وبقيت تصدر الى ان حلت محلها الصحيفة الحكومية المعروفة باسم «بغداد اوبزرفر».

(٣) ذكر الحسني في حاشية ص ٢٨٥ ج ٧ من تاريخ الوزارات ان السبب في احراق المعهد البريطاني يعود الى وجود اذاعة خاصة فيها تبث الدعاية للاجانب، وتحارب الروح الوطنية حسب تقرير مديرية شرطة السليمانية المرقم س ٥٤ والمؤرخ في ١٩ شباط ١٩٤٨.

التاج[٤] في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني. وبعد محادثات استمرت خمس ساعات احس بضرورة تعديل موقفه من المعاهدة واستنكارها، ولذلك اصدر في ختام تلك المحادثات بيانا قال فيه وان المعاهدة قد وجدت غير مرضية لانها لاتحقق الاماني القومية للعراق، ولاتعزز الصداقة بين البلدين، وانه لن يصادق على اية معاهدة تفشل في تحقيق كل اهداف البلاد»[٥] ومع هذا التغيير في المبدأ، استمرت التظاهرات من دون رادع نتيجة تدني سيطرة الشرطة، وظهور دلائل واضحة عن تفكك او اختفاء قسم من قوات الشرطة.

اقيمت مواكب التعزية التي حضرها الالوف من الناس، للطلبة الذين سقطوا قتلى، غير ان عودة رئيس الوزراء، الذي كان مايزال مقتنعا بان كل ماحدث كان من فعل اقلية من المحرضين، وتضليل الجماهير[٦] لم يوفر اي شيْ، حتى ان حماية سلامته الشخصية لم تتحقق بالحامية التي استقرت على سطح داره الخاصة.

---

(٤) لم يكن يوجد في العراق في العهد الملكي مجلس يعرف بمجلس التاج على غرار ماهو موجود منه في بريطانيا ولذلك فان المقصود بذلك المجلس هو الاجتماع الذي عقده الوصي في مساء اليوم الحادي والعشرين من كانون الثاني في البلاط وحضره بقية اعضاء الوزارة الموجودين في بغداد بما فيهم جمال بابان وكيل رئيس الوزراء وبعض رؤساء الوزارات السابقين من امثال جميل المدفعي وحكمت سليمان وحمدي الباجه جي وارشد العمري، وممثلو الاحزاب العلنية ومنهم كامل الجادرجي، ومحمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال، وعلي ممتاز ممثل حزب الاحرار، واعضاء من الكتلة البرلمانية هم كل من نصرت الفارسي، ورضا الشبيبي وجعفر حمندي، وبعض الاعيان منهم محمد الصدر، ومصطفى العمري، وداود الحيدري وعبد المهدي، ورئيس مجلس النواب ونائب رئيس مجلس الاعيان، والنائب نجيب الراوي ومولود مخلص رئيس مجلس النواب السابق وقد بدأ جمال بابان الحديث عن الغرض من الاجتماع فعزا ماحدث من اضطراب الى «العناصر الهدامة والمفسدة التي ارادت ان تستغل الموقف» وقلل من عدد الاصابات ليدلل على ان الشرطة لم تكن قاسية في معاملة المتظاهرين، وهدد بقمع كل حركة من شأنها الاخلال بالامن. وعند الانتهاء من كلامه سأل كامل الجادرجي الوصي عبد الاله عما اذاكان يرغب في حصر الموضوع بالوضع الخطير القائم الآن في البلد فرد الوصي بان الاجتماع يقصد منه بحث الموقف الراهن (مذكرات كامل الجادرجي ص ١٧٣ - ١٧٤) وبعد المداولات التي جرت في اجتماع البلاط امر رئيس التشريفات باصدار بيان ذكر فيه ان الوصي يعد الشعب العراقي بانه سوف لاتبرم اية معاهدة لاتضمن حقوق البلاد وامانيها الوطنية.

(٥) النص الاصلي للبيان الذي اذاعه رئيس التشريفات يقول «عرض المجتمعون (في البلاط) اراءهم بخصوص مسودة معاهدة بورتسموث العراقية الانكليزية، وقد اجتمعت اراؤهم على انها لاتحقق اماني البلاد، وليست اداة صالحة لتوطيد دعائم الصداقة بين البلدين سيما وان مجلس الوزراء لم يقر بعد تصديق المعاهدة المذكورة».

(٦) طلب الوصي الى جمال بابان ان يتصل بصالح جبر في لندن فورا وان يعود الى بغداد على جناح السرعة. وعاد صالح جبر فورا فنزل في مطار الحبانية، لكنه قبل عودته اذاعت محطة اذاعة لندن في يوم ٢٢ كانون الثاني تصريحا له جاء فيه انه موقن بان البرلمان العراقي والشعب سيجدان في المعاهدة مايحقق الاماني القومية تحقيقا كاملا، وان بعض العناصر الهدامة من الشيوعيين والنازيين الذين اعتقلهم في سنة ١٩٤١، استغلت فرصة غيابه واحدثت القلاقل في البلاد، وانه سيعود الى العراق فورا وسيسحق رؤوس هذه العناصر الفوضوية حتما». ويذكر توفيق السويدي في مذكراته ان الحكومة البريطانية هي التي طلبت الى صالح جبر ان يعود الى بغداد فورا ليتمكن من تنوير الرأي العام عن الموقف الراهن، وان طائرة خاصة اعدت لنقله تحركت من لندن يوم ٢٥ كانون الثاني فهبطت في اليوم التالي في مطار الحبانية (نقلا عن الحسني ج ٧ ص ٢٩٣ - ٢٩٤).

لم تستطع نيران الشرطة، ولا اعتقال العصابات الشيوعية التي كانت تطلق النار، ان تخمد هياج الصحافة والجماهير ضد رئيس الوزراء، ولذلك كان البيان الذي اذاعه بلهجة الواثق، قد وقع على اذان صماء[٧] فقد بلغت مسيرات الشوارع، واعمال العنف ذروتها في اليوم السابع والعشرين من كانون الثاني، بوقوع عدد كبير من القتلى والجرحى، وكانت الجماهير تطالب القصر باقالة رئيس الوزراء، بل حتى بموته، واذ ذاك ارغم صالح جبر على الاستجابة فقدم استقالته، وهرب ناجيا بجلده الى منزله العشائري في ريف الفرات[٨] ومن هناك توجه الى الاردن ومنها الى انكلترا.

حضر بمجالس التعزية على ارواح الشهداء نحو مائة الف شخص، وفيها طالب المتحدثون باسماء الاحزاب بالغاء المعاهدة. واظهرت الايام التي تلت ذلك تحسنا ضئيلا في حالة الامن العام، ولكن الاجتماعات الجماهيرية استمرت في الشوارع، وسيطرت الاعلام الوطنية على المدينة، وانطلقت التهديدات بالموت للاعداء، وبالهتاف لتوزيع الاراضي الزراعية مجانا على الجميع، وبتدمير كل الاجانب. اما اعضاء الاحزاب القادمون من المحافظات، ومن بينهم الاكراد، فقد طالبوا باطلاق سراح زعماء البارزانيين، وشاركوا في الحشود التي كانت في العاصمة، فتعطلت الحياة التجارية والاجتماعية كلية، واختفى رجال الشرطة من الشوارع على نطاق واسع، ولم يكن خلال هذه الاوضاع ي امل في حرية التعبير، واقل من ذلك في تقبل اراء الكثيرين الذين كانوا يعتقدون بان معاهدة بورتسموث، كانت اجراء واقعيا ونافعا، له فوائده العظمى للدولة.

عند اختفاء صالح جبر، اودعت مهمة تأليف الوزارة الى القومي السيد محمد الصدر البالغ من العمر آنذاك ستا وستين سنة. وما ان تجاهل الصدر كل الادعاءات عدا ادعاءات رجل واحد من زعماء الاحزاب الذين احدثوا «الاضطراب الحالي»[٩]، حتى احاط نفسه برجال الدولة المجربين في وزارات سابقة. فقد استطاع باستيزاره محمد مهدي كبة لوزارة التموين، وصادق

---

(٧) أذاع صالح جبر بيانه هذا في مساء يوم ١٩٤٨/١/٢٦، وكرر فيه زعمه بأن المعاهدة الجديدة «تضمن للبلاد حقوقها وأمانيها واستقلالها التام». وقد انفجرت التظاهرات مجدداً في اعقاب ذلك البيان الذي اذيع بعد الساعة الثامنة مساء.

(٨) هرب صالح جبر الى منزله في مزرعته التي تقع في ضواحي مدينة الهاشمية، حيث كان عداي الجريان، والد زوجته، يمتلك مقاطعاته الزراعية وبيوته العديدة هناك.

(٩) عندما كلف محمد الصدر بتأليف الوزارة اخذ يفاوض اثنين من الاحزاب السياسية الثلاثة، هما حزب الاستقلال وحزب الاحرار وقد رفض حزب الاحرار المشاركة في الوزارة ولكن قبلها حزب الاستقلال وعين رئيسه محمد كبة وزيرا للتموين، اما الحزب الثالث وهو الوطني الديمقراطي فلم يفاوضه الصدر، ولعل ذلك بايعاز من الوصي الذي لم يكن راغبا في اشراك هذا الحزب بسبب مساهمته الفعالة في حوادث الوثبة، والصفة اليسارية التي يتصف بها.

•البصام للمالية، ورضا الشبيبي للتربية، ان يضمن خدمات جميل المدفعي في وزارة الداخلية (لوقت قصير)، وارشد العمري لوزارة الدفاع، وحمدي الباجه‌جي (الرجل المريض الذي توفي بعد ثلاثة اشهر) لوزارة الخارجية، ومصطفى العمري للاقتصاد، وعمر نظمي للعدل، ونجيب الراوي للشؤون الاجتماعية، وجلال بابان للاشغال. وكان المتوقع ان يتم اختيار كل من نصرت الفارسي، ومولود مخلص، وحكمت سليمان، وعبد الاله حافظ اعضاء في الوزارة، ولكن داود الحيدري اولا، ومحمد الصيهود امير ربيعة بعد اسابيع قليلة، اصبحا وزيرين بلا وزارة.

كانت المجموعة التي تألفت منها الوزارة قوية بشخصياتها وتجربتها، ومع انها قد حظيت بالتأييد من معظم الاحزاب، الا انه كان ينقصها الانسجام والتماسك، وانتهاج سياسة تنطوي على مجرد الترضية. اذيع بعد اول اجتماع للوزارة بان المعاهدة لن يتم التوقيع عليها لانها لم تكن اداة نافعة لتعزيز الروابط مع بريطانيا، ولكن يمكن اخذ معاهدة اخرى بنظر الاعتبار[١٠].

مددت فترة البرلمان خمسين يوما، واذ اعلن في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٤٨، بان البرلمان لم يعد ممثلا للامة، ولانه قد تم انتخابه بصفة غير قانونية، فقد جرى حله وصدرت الاوامر باجراء انتخابات جديدة. وفي هذا الشهر بالذات جاء السر هنري ماك سفيرا لبريطانيا في العراق خلفا للسر «هيوستونهيور برد».

كانت الفترة التي اكملت فيها قوائم اسماء الناخبين، وجرت فيها عملية الانتخابات، من الفترات المضطربة التعسة التي صاحبها تدخل حكومي مفضوح عكسته محاباة اشخاص الوزارة، ولكن من دون اية خطة لذلك. اما الاحزاب التي لم تكن متأكدة من نجاحها فقد احتجت من البداية ضد تدخل الحكومة، كما ان اثنين من تلك الاحزاب قد اعلنا مقاطعة الانتخابات[١١].

كان الوزراء يحسدون احدهم الاخر على تنصله عن القيام باي دور لمقاومة العنف الذي اثاره المحرضون ايام الثورة التي حدثت في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني ١٩٤٨، ولذلك عينت لجنة للتحقيق في الاعمال التي قامت بها الشرطة. واستمرت استعراضات الطلبة وهتافاتهم. كما

---

(١٠) جاء في قرار مجلس الوزراء الصادر في ٢٤ شباط ١٩٤٨ عدم الموافقة على المعاهدة، وتخويل وزير الخارجية ابلاغ الحكومة البريطانية بذلك، مع ابدائه في نفس الوقت استمرار رغبة الحكومة العراقية في استبدال معاهدة ١٩٣٠ بمعاهدة جديدة تحقق الغاية المذكورة اعلاه.

(١١) هما حزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي. اما حزب الاستقلال فقد شارك في الانتخابات معتمدا على وجود رئيسه محمد مهدي كبة وزيرا في حكومة الصدر، ومع كل ذلك فلم يفز حزب الاستقلال باكثر من اربعة مقاعد ثلاثة من بغداد فاز بها داود السعدي ومحمد مهدي كبة واسماعيل الغانم. وفاز فائق السامرائي عن سامراء. وقد حدثت احداث دامية في منطقة الكرخ بين انصار داود السعدي وانصار شاكر الوادي الذي حشد جمهورا كبيرا من ابناء العشائر المسلحين من خارج بغداد في مركز الانتخاب، حيث اصطدم ابناء الكرخ مع المسلحين العشائريين فقتل عدد كبير منهم كما قتل عدد من ابناء الكرخ منهم المرحوم سليم بن المرحوم اسماعيل الدرة.

ادت الاجتماعات التي عقدت، والتلويح بالاعلام، واطلاق رصاص البنادق في السليمانية وفي المراكز الاخرى، مرة ثانية الى اصطدامات عنيفة والى اختلال النظام. وتمت مهاجمة القنصل البريطاني في كركوك، وتم الاعلان بان البعثة العسكرية البريطانية سوف تنسحب (والواقع ان هذا الانسحاب كان باقتراح من البعثة ذاتها) [١٢] وتم الترحيب بهذا النبأ باعتباره انتصارا قوميا.

كانت المعاهدة الانكليزية الاردنية التي عقدت في اليوم التاسع والعشرين من شهر اذار ١٩٤٨، موضوعا اخر لتحريض طلاب المدارس المعادين على التظاهر في شوارع العاصمة، ولكن النداء الذي اصدرته الوزارة بضرورة الالتزام بوحدة الصف والهدوء، وكذلك النداء الاخر الذي وجهه الصدر شخصيا، لم يعر لهما اي التفات، ولذلك تم على نطاق واسع تجاهل عمل الادارة الذي لم يستطع رئيس الوزراء الاهتمام به، او مباراة الغير فيه. كما انه لم تتم معالجة الاوضاع المقاربة للمجاعة بين الطبقات الفقيرة الا بعد موسم الحصاد الذي وعد بانه سيكون ضئيلا. وفي الوقت ذاته، وبمبادرة من البريطانيين، تم تحويل وجهة باخرة تحمل الحبوب من استراليا، الى البصرة، ووزعت على عجل كمياتها التي كانت الحاجة ماسة اليها.

ادت وفاة حمدي الباجه جي في اليوم السابع والعشرين من اذار الى حدوث تغييرات بين الوزراء القلقين في وزارة الصدر. فقد استقال عمر نظمي [١٣] فحل نجيب الراوي محله في وزارة العدل، في حين تولى داود الحيدري وزارة الشؤون الاجتماعية التي كان الراوي يشغلها، وخلف نصرت الفارسي، جميل المدفعي في وزارة الداخلية، بعد ان اصبح جميل رئيسا لمجلس الاعيان، وقد خلفه في الداخلية مصطفى العمري، بعد ان انتقل الفارسي الى وزارة الخارجية، كما يستطيع العمري بذلك ان «يسيطر» على الانتخابات القادمة. واستقال امير ربيعة في شهر نيسان وعاد الى موطنه، في حين ترك محمد مهدي كبة الوزارة في اوائل شهر حزيران [١٤].

---

(١٢) كان معروفا بصفة عامة لدى اوساط الجيش والشعب ان البعثة العسكرية البريطانية حاولت بعد ثورة ايار ١٩٤١، بمختلف الوسائل والاساليب تقليص الجيش العراقي، واخراج اي ضابط يستشف وجود احساس قومي او وطني لديه، وقد حدث ذلك بصفة خاصة عندما تولى الفريق «رنتن» المعروف لدى افراد الجيش باسم صاحب اليد المقطوعة، رئاسة البعثة العسكرية. وبعد الاثار التي تركتها الوثبة الوطنية سنة ١٩٤٨ على سياسة بريطانيا في العراق وغيرها من البلدان العربية الاخرى الخاضعة للنفوذ الانكليزي، ارادت بريطانيا، ان تتفادى مافد يقع مستقبلا، وفي الوقت ذاته ان تظهر بمظهر المنفذ لرغائب الشعب العراقي، فقررت سحب البعثة العسكرية البريطانية من العراق عند انتهاء عقد الفريق رنتن مع الحكومة العراقية في ١٦ ايار ١٩٤٨ ومهدت لذلك بان اوعزت الى رنتن هذا بان يقدم تقريرا يذكر فيه بان الجيش العراقي لم يعد في حاجة الى وجود مثل تلك البعثة البريطانية، وعلى هذا الاساس اصدرت الحكومة العراقية بيانا نشرته بهذا الشأن في ٢٢ اذار ١٩٤٨.

(١٣) استقال عمر نظمي من منصبه لانه عارض البيان الذي اصدرته وزارة الصدر بشأن الغاء معاهدة بورتسموث اذ كان عمر نظمي يعتقد ان ذلك البيان لم يكن يستند الى صفة قانونية.

(١٤) لم يذكر السيد مهدي كبة في مذكراته (مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨ – ١٩٥٨) الاسباب التي حملته على الاستقالة من منصبه وزيرا للتموين في وزارة الصدر.

ولقد ادت الغيابات المتوالية لوزيري المالية والعدل اثناء اجتماعات مجلس الجامعة العربية، الى تغيير دائم في المهات الوزارية، حيث عانت الادارة من الهزات والتأخيرات التي احدثتها تلك الغيابات. اجتمع مجلس النواب في اليوم السادس والعشرين من حزيران. بعد الانتخابات التي بذلت فيها الاحزاب القانونية والسرية كل جهودها، والتي ادت الى الاصطدام في شوارع الكاظمية، وفي بغداد والسليمانية. وقد حصل حزب الاستقلال على اربعة مقاعد، والحزب الوطني الديمقراطي على مقعدين وحزب الاحرار على مقعد واحد[١٥] وكان جميع النواب الاخرين متحررين من الارتباط الحزبي، ومن الذين يصوتون عادة لكل وزارة تكون في دست الحكم.ولقد غدا واضحا بان حماسة الاحزاب وزعامتها لم تكن تحظى الا بتأثير ضئيل بالنسبة الى الناخبين من قبل مرشحيها المألوفين من ذوي الاهمية المحلية في دوائرهم الانتخابية، او في مقاومة نفوذ المحافظين للسيطرة على طبقة الموظفين، ذلك لان قيام مجلس نواب او دوائر انتخابية على اسس حزبية صحيحة، مايزال يعتبر مفهوماً لم يتم تحقيقه بعد.

كان من سوء وضع البرلمان وهلعه انه جوبه بحالة كانت تنطوي على مظاهر جديدة ومفزعة، خلقتها الحوادث التي وقعت في فلسطين. ذلك لان قرار منظمة الامم المتحدة الذي اتخذته في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧، بتقسيم فلسطين، قد اثار معارضة حانقة في العراق، وفي الاجتماعات الطارئة التي عقدتها جامعة الدول العربية. غير انه لم يتم اتخاذ اجراءات مشجعة او مخططة بالنسبة لهذه الامور، وذلك لان اسس الانقسام داخل الجامعة العربية غدت واضحة كل الوضوح، وكانت معظم الدول الاعضاء في الجامعة تشك في استقرارها.

تمت الموافقة في نطاق محدود على اتخاذ قرار بتشجيع تغلغل تقوم به عصابات المقاتلين من كل بلد عربي الى داخل اراضي فلسطين، وذلك بقصد تعزيز المقاومة المحلية فيها. وقد ذكر ان بضع مئات،بل قيل ان فوجين من الشبان وقلة من المناضلين العراقيين قد جندتهم جمعية الدفاع عن فلسطين[١٦] كانت قد دخلت الى فلسطين وعملت او عرضت ان تخدم مع فوزي القاووقجي والقادة الفلسطينيين. ولربما كان هؤلاء الشبان قد اندفعوا الى ذلك العمل بدافع فدائي، ولكن كانت تعوزهم القدرة على القتال.

ادت عدم كفاءة هذه القوة، وانهيار المقاومة العربية امام الارهاب اليهودي وقواته الواسعة،

---

(١٥) فاز به علي ممتاز.

(١٦) شكلت جمعية الدفاع عن فلسطين في العراق في عام ١٩٣٦ واتخذت من بناية نادي المثنى مقرا لها وكان طه الهاشمي رئيسا لها ومن اعضائها البارزين سليمان فيضي، وسعيد الحاج ثابت، ونجم الدين الواعظ ومهدي كبة. وبقيت هذه الجمعية قائمة حتى حرب فلسطين في سنة ١٩٤٨ وقد لعبت الجمعية دورا دعائيا بارزا اثناء ثورة ايار ١٩٤١ وكان مقرها في المنزل الذي انتقلت اليه مطبعة الجزيرة التي اشترتها جمعية الجوال العربي من الملا عبود الكرخي في اوائل سنة ١٩٣٧.

الى ان تقرر جامعة الدول العربية، وقبل اعلان انتهاء الانتداب على فلسطين بصفة رسمية، بان تدخل الجيوش النظامية العربية. وفي شهر نيسان ١٩٤٨ قام الوصي، الذي اعادت له زعامته وحيويته، الكثير من شعبيته، بزيارة كل من عمان والقاهرة يصحبه وزراء الدفاع والمالية والخارجية. وجهت الدعوة في بغداد الى اضراب يقوم به الطلاب عن الطعام بقصد الالحاح على ارسال الجيش العراقي الى فلسطين(١٧)، وتم اغلاق خط انابيب النفط الذي يصل الى ميناء حيفا، كما تم الترحيب بالمنفيين الفلسطينيين، واذ ذاك لم تجد وزارة الصدر معدى عن تعقب السياسة التي اقرتها جامعة الدول العربية في التدخل، على نطاق واسع، مهما تم تنسيق ذلك التدخل بشكل صوري، واذ ذاك تحركت القوات العراقية تحت امرة الفريق صالح صائب(١٨).

كانت تلك القوات سيئة الاعداد، رديئة التجهيز يشوبها نقص واضح في التموين وفي الاحتياطي، والتي تحركت من مواقعها في العراق، تبلغ زهاء عشرة الاف او اثنى عشر الف جندي قوي في وحدات آلية، او محمولة بالسيارات، وقد اتخذت مواقع لها على الحدود القريبة من المملكة الاردنية، ثم مالبثت ان اجتازت الحدود الى القطاع الذي خصص لها من ارض فلسطين وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر ايار وبعد اعلان قيام دولة اسرائيل مباشرة(١٩).

كان اندلاع هذه الحرب، وهي اول مرة او مناسبة يستخدم فيها العراق قواته خارج بلادها، مؤذناً باعلان الاحكام العرفية. وكانت تلك الاحكام خطوة سعيدة، تم عن طريقها اعادة الهدوء التام، ولكنها لم تكن ايذانا بايجاد اي حل حقيقي لاية مشكلة من المشاكل التي تشكو

---

(١٧) شارك في هذا الاضراب عن الطعام طلاب من كليات الحقوق والاداب والهندسة ويزعم عبد الرزاق الحسني ان «العجلوني» وزير الاردن المفوض في بغداد كان يحرض الطلاب على التظاهر مما حمل السيد الصدر ان يطلب اليه الكف عن ذلك، ومن ثم انفجرت التظاهرات وتوجهت الى مجلس الوزراء فحاول الصدر ان يطمئنهم بان الحكومة جادة وساهرة في مهمة انقاذ فلسطين».

(١٨) فصل الفريق صالح صائب الجبوري في كتابه «محنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية» الصادر في سنة ١٩٧٠ كيفية اتخاذ القرارات بشأن ارسال الجيوش العربية النظامية الى فلسطين والتنافر القائم آنذاك بين الحكومات العربية وكيف ان عبد الله ملك الاردن كان قد طلب ان تسند اليه قيادة الحركات العامة في فلسطين وابداء المعاونة للاردن ماليا وعسكريا من قبل البلدان العربية حيث اعترضت بعض الحكومات العربية على ذلك الطلب، كما شرح المؤلف في كتابه ايضا موقف الجيش العراقي العام وقوته، وتسليحه عند بدء الحركات ومشكلة النقل بين العراق وفلسطين، وضعف التشبثات الخارجية لتأمين احتياجات الجيش العراقي الى السلاح والمهات الاخرى.

(١٩) دخلت الجيوش العربية، ومنها الجيش العراقي فلسطين في اليوم الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ولكن اليهود كانوا في ذلك الوقت قد اعلنوا قيام دولة اسرائيل (في ١٥ نيسان ١٩٤٨) وبدأ نفوذهم لدى الدول الغربية يتعاظم بحيث اخذت تلك الدول تعترف بقيام الدولة اليهودية الواحدة تلو الاخرى فاعترفت اولا امريكا ثم تلاها الاتحاد السوفياتي مباشرة وهكذا تحول الحلم الذي ظلت الصهيونية تحلم به عدة قرون الى حقيقة واقعة «والحبل على الجرار».

الامة منها[٢٠]. ذلك لان نظام الطوارئ الذي يسر للحكومة السيطرة على الانتخابات، كان قد تميز بالرقابة الصارمة، وبافتتاح معسكر اعتقال في الصحراء الجنوبية[٢١] زج فيه عدد من مثيري الاضطراب، واخضاع الموظفين المدنيين والعسكريين في كل المناطق، وانشاء المحاكم العرفية العسكرية. فقد حظر حمل الاسلحة النارية، واستعمال انظمة الشفرة، وتعطيل الكثير من القوانين القائمة. كما فرضت قيود ثقيلة على الحقوق المدنية، في حين ازداد التصادم بين السلطات المدنية والعسكرية حدة وحسدا بمضي الاسابيع، وتبودلت الاتهامات، والاتهامات المضادة بشأن استعمال القسوة المتعمدة او التساهل الضعيف. وسرعان ماأخذ محافظو المحافظات والقائمقامون يتساءلون: اية حكومة تكون اكثر سوءاً، تلك الحكومة المؤلفة من طلبة المدارس ام المؤلفة من ضباط الجيش! فلقد تقلصت الصحف الى عدد غير اعتيادي من صحف يومية ليس لها سوى رواج تافه، على ان العنف اللامسؤول فقد في يوم واحد اسوأ مظاهره (ماعدا العنف الموجه ضد البريطانيين وضد اليهود) حيث اغلقت بعض الصحف القليلة التي رفضت الانصياع الى الاوامر، كما جرى استعراض لقوات الشرطة في بغداد اعاد اليها شيئا من معنوياتها، واثارت حرب فلسطين المساندة اللفظية المتحمسة، في كل ناحية، وفي بغداد شارك اليهود المسلمين بحماسة في حمى معاداة الصهيونية وفي الاموال التي جمعت للاجئين الفلسطينيين.

ولكن الحملة العسكرية كانت منذ البداية، تدار بشكل ضعيف، غير محظوظ. ذلك لان القيادة العليا لم تكن ملهمة، وترتيبات التموين والتجهيز ناقصة، كما ان انضباط القوات العراقية ومدى تحملها، والتي قدرت بانها اعلى من بقية القوات العربية الاخرى، ماخلا القوات الاردنية، لم يحقق لها سوى القليل من الامجاد.

دخلت الوحدات العراقية ارض فلسطين في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨، عبر المنطقة التي تقع بين «غشن» و «وادي يابس»، ومن ثم سارت الى طولكرم ونابلس، وهي مناطق لم تكن محتلة من قبل اليهود. ولكن المحاولات التي قامت بها في الهجوم على «طبرية» لم تكن ناجحة، غير انها استطاعت ان تحتل بنجاح، المثلث القائم بين نابلس وطبرية وجنين، وان تتقدم الى حوالي اثني عشر ميلا من تل ابيب. غير ان هذه الحركة المنطوية على الامل قد اوقفت بفعل المقاومة

---

(٢٠) وجدت حكومة الصدر وكل العناصر الرجعية فيها في فرض الاحكام العرفية في البلاد بحجة حماية مؤخرة الجيش الذاهب لانقاذ فلسطين، اعظم فرصة لها لكي تكيل الصاع صاعين للحركة الوطنية بكاملها، فتنزل بها اقسى الضربات التي تعرضت لها حتى ذلك الوقت في العراق كله، اذ تمزقت قوى الاحزاب وحطمت الاقلام وكمت الافواه، ولم يعد هناك من يجرأ على اطلاق كلمة احتجاج او انتقاد او التظاهر في الشوارع كما كان عليه الامر قبلا، وقضي حتى على المكاسب الضئيلة التي كسبها الشعب بدمائه الغالية التي ذهبت سدى في وثبة كانون الثاني ١٩٤٨.

(٢١) اعيد افتتاح معتقل «نقرة السلمان» في البادية الجنوبية ليحصر فيه الشيوعيون وحدهم ليبقوا فيه الى ماقبل حدوث ثورة تموز ١٩٥٨ بمدة قصيرة.

اليهودية في جبهة «نثانيا» وبضغط معاكس اجبر القوات العراقية على ان تتخلى عن «بيت تيا» وتفسح المجال داخل المثلث المحتل[٢٢]. كان الامر الذي اصدره مجلس الامن الدولي في ٢٢ ايار بوقف القتال قد تم تجاهله من قبل الطرفين، ومع ذلك فقد قبل الطرفان بهدنة امدها اربعة اسابيع يبدأ تنفيذها من اليوم الحادي عشر من شهر حزيران.

كانت الحماسة التي رافقت الغزو العربي في ذلك الوقت قد ضاعت، وانكشف ضعف العرب، ولم يبق لديهم سوى القليل من الاسلحة الثقيلة التي كانوا يتفوقون بها على اليهود في اول الامر، ذلك لانهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بذلك التفوق. وفي خلال الهدنة اخذت الاسلحة تنهال على الجيش اليهودي في حين لم يصل شيءٌ من تلك الاسلحة الى ايدي العرب. وبعد رفض المقترحات التي قام وسيط الامم المتحدة الكونت برنادوت، وبعثة الهدنة التابعة له، بتطويرها الى اقامة اتحاد بين دولتين احداهما عربية واخرى يهودية في فلسطين والاردن[٢٣] تجدد القتال ثانية في اليوم التاسع من شهر تموز.

فشلت المحاولة العراقية للاستيلاء على «نثانيا»، وذلك لان اليهود كانوا قد تغلغلوا عميقا في

---

(٢٢) يذكر الفريق صالح صائب الجبوري في كتابه «محنة فلسطين» ان القوة العراقية التي ارسلت الى فلسطين تركزت فور وصولها في منطقة «جسر المجامع» حيث بدأت بالهجوم على حصن «غيشر» والمستعمرة الصهيونية المعروفة باسمه والواقعة على الضفة الغربية من نهر الاردن، في الوقت الذي احتل فيه اليهود قرية «كوكب الهوى» غربي غيشر باتجاه بلدة العفولة وقد استمرت معركة الاستيلاء على حصن غيشر حتى اليوم العشرين من ايار حين طلبت القيادة العراقية تأجيل الهجوم على كوكب الهوى والانتقال الى منطقة نابلس «وهكذا توقفت الحركات في منطقة غيشر وماجاورها». (محنة فلسطين ص ١٧٩ - ١٨٢). وبعد ان احتلت القوات العراقية منطقة المثلث الخطر كما يسمونه جنين - طولكرم - نابلس كانت المفارز الاردنية قد انسحبت من هذه المنطقة عند وصول القوات العراقية اليها.

وفي اليوم الاول من شهر حزيران بدأ اليهود بهجوم على جنين بعد ان مهدوا لذلك باحتلال قرية صندلة وقرية جلمه ومقيبلة في ذلك اليوم ولكن هجومهم اصابه الاخفاق بعد ان وصلت اوائل افواج جحفل اللواء الرابع من العراق الى هناك في اليوم الثاني من حزيران. وحين اصبح موقف القوات العراقية دقيقا في منطقة جنين مما اضطر القيادة العامة ان ترسل في اليوم الثالث من حزيران برقية الى الجيش السوري وقوات فوزي القاووقجي تطلب اليها فيها ان تقوم «بحركات تعرضية خلال اليومين المقبلين في منطقة «بنت جبيل» نحو الجنوب.. لتخفيف الضغط عن القوات العراقية في منطقة جنين، غير ان القوات السورية وقوات القاووقجي لم تقم باية حركة لهذا الغرض.. ولقد فهمنا اخيرا بان الفريق غلوب كان يتصرف في تسيير حركات الجيش الاردني حسب الاتفاق الذي تم بين الجهات البريطانية، واعني وزير الخارجية البريطانية بيفن، ورئيس وزراء الاردن توفيق ابو الهدى قبل بدء الحركات (ذات المصدر ص ١٧٨).

(٢٣) وضع الكونت برنادوت مشروعا لاقامة دولتين في فلسطين احداهما عربية والاخرى يهودية على الوجه التالي: تشمل فلسطين جميع البلاد التي كانت سابقا تحت الانتداب البريطاني اي قبل فصل شرقي الاردن عنها، وان تقسم جميع تلك المنطقة الى دولة عربية ودولة يهودية، تشمل دولة اسرائيل المنطقة المخصصة لها بموجب مشروع التقسيم باستثناء «النقب» الذي يجب اضافته الى الدولة العربية، وفي الوقت ذاته تضاف منطقة الجليل العربية من عكا حتى الحدود السورية اللبنانية الى دولة اسرائيل، وتكون حيفا ميناء دوليا حرا، ويؤسس مجلس مركزي اعلى يسمى المجلس المركزي مهمته حل الخلافات التي تنشأ بين الدول وتوحيد السياسة الخارجية والدفاع والشؤون الاقتصادية (امين المميز: امريكا كما رأيتها ص ١٨٢ طبعة اولى ١٩٥٢).

منطقة الجليل، ولم يتم وقف تقدمهم الذي كان اكثر عمقاً، الا بعد ان فرضت الهدنة الثانية التي اصبحت سارية المفعول منذ اليوم الثامن عشر من شهر تموز، ولكن هذه الهدنة رفضها العراق لوحده، في الاجتماع الذي عقدته الجامعة العربية في «عاليه» لأسباب تتعلق بالسياسة وبالمباهاة، غير ان تلك الهدنة أصبحت نافذة المفعول حقاً، وكانت الحرب بالنسبة الى العراق قد انتهت فعلاً.

لم تكن المحاولات العديدة التي اريد بها اعادة السلام الى فلسطين، وحل مشاكلها المستعصية، ومقتل الكونت برنادوت بأيدي اليهود، وتجدد المعارك بين اليهود والمصريين منذ شهر تشرين الاول حتى نهاية سنة ١٩٤٨، نقول لم تكن كل هذه الامور تؤلف جزءاً من تاريخ العراق. فقد بقيت وحدات الجيش العراقي تحتل القسم الشرقي من المثلث الفلسطيني لبضعة شهور، وكانت تعتمد دوما في ذلك على خط مواصلاتها الطويل عبر الاردن، وتتسلم مرتباتها بصفة غير منتظمة من خزينة فارغة في الوطن.

طلب الى صالح صائب الذي اعيد الى العراق، وعين رئيساً لأركان الجيش العراقي[٢٤] ان يعود مرة اخرى الى فلسطين في صفة قائد عام للقوات العراقية الاردنية،ولكن هذه التجربة من القيادة المشتركة لم تستمر اكثر من اسابيع قليلة. كما ان المشروع الأوسع الذي اعد لانشاء قيادة موحدة لكل دول الجامعة العربية، والذي كان ضرورة عسكرية جلية، قد اعيق تحقيقه بسبب الانقسام الحاصل بين دول الجامعة، ورفض مصر لذلك المشروع. وعلى هذا الاساس لم يعط تنفيذ حقيقي للقرار الذي اتخذه النواب والاعيان العراقيون في شهر تشرين الثاني ١٩٤٨، والذي كان يقضي باتخاذ خطط عسكرية وسياسية موحدة لانقاذ فلسطين، ذلك لان مثل هذه الفكرة لم تكن واقعية قبل ان تنتهي السنة.

كان عبد الاله يقوم بزيارة الوحدات الموجودة في فلسطين والاردن بصفة متكررة اكثر مما كان يفعله وزراء الحكومة لديه، اولئك الحائرون المتذبذبون الذين كانوا يوحون بأن مثل هذا الجهد كان أمراً مستطاعاً. تم الاعلان عن قيام حكومة فلسطينية في المنى، وكان ذلك من الحوادث المثيرة للحسد في العلاقات العربية الداخلية، ولذلك اعترف العراق بهذه الحكومة الفلسطينية ترضية للمصريين؟!.

* * *

(٢٤) عين صالح صائب بارادة ملكية صدرت في ٢٢ ايلول ١٩٤٨ قائدا عاما للجيش العراقي المرابط في شرقي الاردن وفلسطين وتخويله قيادة الجيش الاردني، علاوة على منصبه الذي كان يشغله وهو رئاسة اركان الجيش العراقي ويذكر صالح صائب في كتابه انف الذكر انه حدث في يوم تشرين الاول ١٩٤٨ ان انفصل جناح احدى طائرات «انسن» مع المحرك والعجلة وهي في الجو فوق مطار المفرق فهوت الى الارض وقتل من فيها وبعد الفحص تقرر ايقاف الطيران بهذه الطائرات غير الصالحة فاصبح موقفنا حرجا بسبب تفوق العدو بالجو وتكاثر عدد انواع طائراته (محنة فلسطين ص ٢٧٦).

٢. المزيد من التغييرات

غدت الانتخابات العامة التي اجريت بعد عقد الهدنة الاولى في فلسطين باربعة ايام، نافذة. وحين التأم البرلمان في اليوم الحادي والعشرين من شهر حزيران ١٩٤٨، كانت استقالة وزارة السيد محمد الصدر قد عرضت عليه وقبلت. ذلك لانه لم تكن لهذه الوزارة سوى سلطة ضئيلة، ولانها قد اخفقت في اعادة الامن الا عن طريق فرض الاحكام العرفية، واهملت الادارة الجارية، وسمحت بحدوث هبوط مالي مخيف، فاخذت الان ترث ذات التراث الذي يثبط العزائم في الداخل وفي الخارج.

وقع اختيار الوصي الان لتعيين خلف للصدر، بشكل غير متوقع على رجل دولة كان من المبرزين قبلا، اما الان فانه، بسبب اقامته الطويلة في اوربا، لم يكن على اتصال تام بالسياسات الجارية في البلد، ذلكم الرجل هو مزاحم الباجه‌جي. لقد ادعى هذا بانه غير حزبي، واختار وزراءه من شخصيات مألوفة منذ زمن طويل، فعين مصطفى العمري للداخلية، وعلي ممتاز للمالية والتموين، ومحمد حسن كبة للعدل، وصادق البصام للدفاع، وجلال بابان للاشغال والشؤون الاجتماعية، ونجيب الراوي للتربية، ثم جاء بوزير جديد مفرد، هو عبد الوهاب مرجان، احد الاقطاعيين الشباب في الحلة فعهد اليه بوزارة الاقتصاد، ولم يلبث علي حيدر سليمان، وهو نائب كردي من راوندوز تثقف في بيروت واعتقل في سنة ١٩٤١، ان حل محل جلال بابان في وزارة الشؤون الاجتماعية خلال شهر اب.

كان على هؤلاء الوزراء الذين ابرز تعيينهم مرة اخرى، الدور الضئيل الذي لعبته الانتماءات الحزبية في تأليف الوزارات، ان يمكثوا، مع التغييرات التي حدثت، زهاء نصف سنة في الحكم، وان ينجزوا بعض الشيء، ولكن ليس كثيرا، باتجاه الكشف عن النكبات الراهنة التي كان العراق يعانيها بسبب الفاقة، وانعدام الامن، والمعوقات الخارجية. فلقد سارت مالية الدولة من سيئ الى اسوأ، وذلك لان ميزانية سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ لم تعرض على البرلمان الا في نهاية تلك السنة المالية ذاتها ولقد هبطت الايرادات الاعتيادية نتيجة سوء الوضع التجاري ورافقها

سوء حصاد اخر، وفرض ضرائب فادحة، ووهن الادارة، ولكن النقص المؤكد في كل مابوشر به خلال السنة، لم يحل دون تخصيص مايقرب من اربعين في المائة من الاموال المتوفرة، للجيش، والمبادرة بمساهمة جوهرية للعناية باللاجئين الوافدين من فلسطين. ولقد هبطت عوائد النفط الى النصف نتيجة توقف ضخ النفط في خط انابيب حيفا، ذلك الخط، الذي مهما كانت الخسائر الناتجة عنه بالنسبة للدولة، لم تجرأ اية وزارة على اعادة فتحه، على الرغم من الاتصالات التي اجرتها الحكومات البريطانية والفرنسية والامريكية، وشركة النفط العراقية ذاتها[1].

ولكن الوزارة والاحزاب، على العكس من ذلك، وجهت طلبا بزيادة العوائد التي تترتب على هذا النفط، مادام يجري تصديره الان الى الخارج، وبوشر بالتفاوض مع شركة النفط حول هذه القضية والقضايا الاخرى. تم البحث في امر الحصول على قرض مالي من مصر، واستقبل العراق زيارة قام بها حافظ عفيفي باشا لهذا الغرض[2] كذلك اقترح اصدار قرض عراقي داخلي اخر، غير ان هذا القرض لم يتم اصداره. وفي اواخر تلك السنة تم الترحيب في بغداد بخبراء المصرف الدولي الذين قدموا الى بغداد، حيث قدم الى المصرف المذكور طلب بالحصول على قرض للاعمار. كذلك عقد اتفاق يخص العملات النادرة مع الحكومة البريطانية في شهر تموز ١٩٤٨، حيث خصص مبلغ خمسة وعشرين مليون دولار خلال فترة امدها سنة، ثم فرض نظام الاجازات بالنسبة للاستيراد في خريف تلك السنة، وقد قصد من وراء فرضه اسعاف

---

(١) اننا لنعجب كيف غاب عن ذهن المؤلف ان تسيير النفط العراقي الى ميناء حيفا، معناه تغذية اسرائيل باهم مصدر من مصادر وجودها وهو النفط، وان ذلك على الاقل يجعل تصدير النفط العراقي الى الخارج تحت رحمة اسرائيل. فاذا ماتصرفت اي تصرف سيئ وهذا هو ديدنها دائما، فمن الذي يوقفها ويمنعها؟ اهي بريطانيا التي ينتمي اليها المؤلف نفسه والتي كانت هي المسؤولة الاولى الوحيدة عن نكبة العرب ليس في فلسطين وحدها بل وفي كل البلاد العربية؟ هل كان حكام اسرائيل حلفاء بريطانيا في مهاجمة مصر والعدوان عليها في سنة ١٩٥٦، سوف يتوقفون عن استثمار النفط العراقي لتقوية دولتهم التي اقامتها بريطانيا قبل غيرها من الدول الاستعمارية الاخرى غدرا وعدوانا في قلب الامة العربية؟ انه لمنطق ينطوي على القحة والاستهتار ذلك المنطق الذي كان يطالب حكومة العراق بان تستأنف ضخ النفط في خط انابيب حيفا. وطبيعي ان الاتصالات التي قامت بها الحكومات البريطانية والفرنسية والامريكية، وشركة النفط العراقية التي تملكها مؤسسات بريطانية وفرنسية وامريكية مع الحكومة العراقية، انما كان يتوخى من ورائها منافع هذه الحكومات بالاضافة الى منفعة حكومة اسرائيل، وان هذه الحكومات كانت متحققة بان الحكومة العراقية لم تكن قد تخلصت من النفوذ الاجنبي عليها، وان الحكم في العراق كان العوبة بايدي المستعمرين الاجانب بعد ان فضل الحاكمون في العراق مصالحهم الخاصة ومصالح اسيادهم الاجانب، على مصالح الشعب الذي كان يئن من وطأة الجوع والظلم والارهاب.

(٢) سافر علي ممتاز الى القاهرة لهذا الغرض لكنه لم يحصل على اية استجابة من مصر للحصول على القرض المذكور، ولذلك اتفق مع الشركات التي تستغل النفط العراقي على ان تدفع حق العراق من عوائد النفط كل ثلاثة اشهر بدلا من استلامها في نهاية كل سنة، كما استدانت الحكومة من البنوك الاجنبية العاملة في العراق ثلاثة ملايين وربع مليون دينار لتأمين دفع مرتبات الموظفين.

الاضطراب العالي الحاصل في الميزان التجاري والتحويل الخارجي. ومع كل ذلك بقيت الخزينة خاوية وعرضة لمطالب غير اعتبادية من لدن الجيش، ومن دون ادنى امل في تسديد الديون، كما واجهت ضرورة اخرى لاستيراد الحبوب.

كان تقليص عدد الموظفين، والتوقف الجزئي في الاشغال العامة، واستلام عوائد النفط مقدما من شركة النفط العراقية(٥) من الشواهد التي جعلت الحكومة تحافظ على قدرتها في الايفاء بديونها. كانت العلاجات القوية التي اقترحها «علي ممتاز» قد اهملت ولم تنل المساندة من لدن رفاقه الوزراء، ولذلك قدم استقالته من الوزارة(٣). وادى الكساد والعوز العام الى حدوث اعمال شغب في بغداد والبصرة وكركوك واربيل وخانقين، وحدوث اضرابات كان من بين من شملتهم، عمال النفط، واخرين من عمال السكك، وكانت مساهمة هذه الاوضاع في الاضطراب السياسي خلال ١٩٤٨ – ١٩٤٩ من الامور الملموسة.

وفي الوقت ذاته بقي قسم كبير من الجيش العراقي في فلسطين والاردن. كانت مسألة استئناف الحركات العسكرية الفعالة، من الامور غير العملية ابدا، ولكن استدعاء القوات لابد وان يصطدم اصطداما خطيرا، بالعواطف الوطنية للطلاب، الذين لم يقاسوا متاعب الحرب، والذين كانت التظاهرات مازال تضغط عليهم لخوض معارك اخرى، وعلى الاخص لمساعدة الجيش المصري الذي مايزال ملتحما في القتال مع الاسرائيليين(٤).

والحقيقة ان الوضع في فلسطين كان من اعظم المشاكل التي واجهت مزاحم الباجه جي،

---

(٥) من المطالب الاخرى التي طلبها العراق هي ان يتم دفع العوائد، المعبر عنها بالشلنات الذهبية حسب سعر التحويل بالنسبة للذهب في السوق الحرة، ومعارضة سعر التحويل الذي يفرضه مصرف انكلترا، ومشاركة الحكومة العراقية في المشروع، وتخصيص المزيد من المناصب العالية للعراقيين في شركة النفط.

(٣) كان علي ممتاز قد درس الوضع المالي الخطير في العراق انذاك وقدم مقترحات لمعالجة ذلك الوضع من بينها الغاء جميع المخصصات للموظفين عدا مخصصات غلاء المعيشة له وايقاف جميع الايفادات والبعثات الى الخارج، وزيادة الاجور والرسوم واعادة النظر في توزيع الضرائب فلما رفضت اقتراحاته استقال في اواخر تشرين الاول.

(٤) الذي نعتقده ان الانكليز وعبد الاله وبقية الوزراء السائرين معهم في ذلك الوقت، كانوا يخشون ان يعمد الجيش العراقي الى القيام بانقلاب عسكري جديد عنيف، اذا ماعاد الى العراق فورا، بعد ان خسرت الدول العربية بكل مالديها من جيوش معركة فلسطين. فلقد كان الفشل في فلسطين من العوامل الاساسية لوقوع الانقلابات العسكرية في البلاد العربية، حيث بدأ الجيش السوري اول هذه الانقلابات في سنة ١٩٤٩ بوقوع انقلاب حسني الزعيم، وماتلاه من انقلاب سامي الحناوي واديب الشيشكلي، ومن ثم انقلاب مصر في ٢٣ تموز ١٩٥٢ وفي اعتقادنا ان امثال هذه الانقلابات العسكرية التي وقعت انذاك ومابعدها في البلاد العربية كانت من العوامل التي اضعفت المقاومة العربية ومكنت اسرائيل من زيادة تسلحها والعدوان على البلاد العربية، بدلا من ان تقف موقف الدفاع عن نفسها كما شاهدنا ذلك في سنتي ١٩٥٦ و ١٩٦٧. وكنا قد وضعنا دراسة موسعة بعد انكسار العرب في سنة ١٩٦٧ حللنا فيها الانقلابات السورية والمصرية واثرها في ذلك، ولكن الرقابة منعت نشرها في حينه.

والتي كشفت عن انعدام الوحدة بصفة محزنة داخل جامعة الدول العربية في اول تجربة عنيفة تواجهها تلك الجامعة. ذلك لان مواقف الدول العربية قد تغيرت، بالنسبة الى مقترحات الحرب، والهدنة، والقيادة العسكرية، وحكومة المفتي المزعومة لعموم فلسطين، وللادارة الاردنية التي انشئت في القسم الشرقي من فلسطين[٥].

لقد ابرزت كل هذه الامور كيف ان تحقيق القليل من الوحدة بين العرب، من شأنه ان ينقذ ماء الوجوه العارية للدول العربية، فتظل هذه الدول قائمة. واذا كان الهدوء الشامل داخل العراق قد تم الحفاظ عليه، فان مرد ذلك يعود الى استمرار العمل بالاحكام العرفية. فمن طريق هذه الاحكام العرفية التي كان انتهاؤها يقابل بالفزع من لدن الحكام، استمرت العداوات التخريبية بين السلطتين المدنية والعسكرية، وغدا ضروريا تقييد المحاكم العسكرية، لان كل واحدة من هذه المحاكم اصبحت ساحة للصراع بين قوى محافظ المحافظة، والحاكم العسكري المحلي. وكان مثل هذا الخصام او الصراع يحدث في اول الامر بسبب صنف محدد من القضايا، من امثال مايخص فلسطين والشيوعية، ومن ثم حدوث هذه المحاكم في صفة محكمة مفردة مقرها في بغداد.

تحسنت حالة الامن في المدن، على الرغم من الشغب الضئيل الذي اثير اثناء الانتخابات، ومارافق ذلك الشغب من التظاهرات التي كانت تحدث في بعض الاحيان، عند حصول اية ذريعة لذلك. ولقد حدث ضغط متزايد على يهود بغداد[٦] وكان وقوع مثل هذا العداء في مثل هذه الظروف يعد من الامور الحتمية من الناحية النفسية.

---

(٥) تمزقت فلسطين، بعد قيام دولة اسرائيل في ايار ١٩٤٨ الى اشلاء بين اليهود، والاردن، ومصر. فقد وضع الملك عبد الله يده على الضفة الغربية من الاردن، اي القسم الشرقي من فلسطين، وضمها الى مملكته، وضمت مصر اليها قطاع غزة وراحت تحكمه كما لو كان مستعمرة. وكان عبد الله يعتبر ضم الضفة الغربية الى الاردن بداية لتحقيق حلمه الكبير القديم في انشاء سوريا الكبرى والتربع على عرشها. غير ان ضم «غزة» وكذلك الضفة الغربية لم يدم طويلا بعد هزيمة العرب سنة ١٩٦٧ امام اسرائيل، حيث استولى الصهاينة على كل فلسطين، وغزة وصحراء سيناء، وسلخوا هضبة الجولان من سوريا، ثم ضاعفوا من ذلك بغزو لبنان واستئصال ليس المقاومة الفلسطينية وحدها حسب، بل وتصفية العنصر الفلسطيني جسديا بمذابح صبرة وشاتيلا، وباقامة معسكر الانصار، في الوقت الذي سكتت فيه الحكومات العربية عن هذه الاعتداءات سكوتا مطبقا، وراح البعض منها يكيد للبعض الاخر، كما تكشف ذلك بوقوف حكومة حافظ اسد وحكومة القذافي العميل المفضوح الى جانب العدوان الفارسي الغاشم على العراق، ومحاولة البعض من الحكام العرب اغماض اعينهم عن هذا العدوان المدعم من قبل الصهيونية والاستعمار وكأنه موجه ضد العراق وحده وليس ضد الامة العربية. وحتى بعد ان تكشفت حقائق العدوان الفارسي على العراق وشموليته، مايزال هذا الصنف من هؤلاء الحكام يحاول ان يحصر الموضوع بين ايران والعراق.

(٦) لقد ظهر جليا فيما بعد، بان الاعتداءات التي وقعت على اليهود في العراق، كانت في الاصل من صنع العناصر والعصابات الصهيونية التي اخذت تفجر القنابل في بعض الاحياء اليهودية ببغداد، بقصد اثارة الفزع لدى اليهود وارغامهم على مغادرة العراق الى اسرائيل التي كانت انذاك بامس الحاجة الى الرجال والاموال لتنفيذ اعتداءاتها المقبلة على البلاد العربية. ولقد شاركت

وفي خريف سنة ١٩٤٩ شملت الاعتقالات التي اصابت اليهود جميع الذين كانوا متجمعين منهم في بيعتهم في مدينة العمارة، وكانت الاحتجاجات التي صدرت عن اسرائيل ضد هذا الاجراء، ومازعم عن حدوث اعتقالات اخرى في معسكرات الاعتقال، قد وصلت الى منظمة الامم المتحدة. وكان الربط بين الصهيونية والشيوعية من الامور المسلم بها خلال الصخب الشعبي، وقد تم تشخيص الصهيوني، واليهودي، ولقد اثار منظر هذه الطائفة الخائفة التي اتهمت بانها كانت تبيع الاسرار الى يهود فلسطين، شواهد سيئة من الضغينة والشغب، ولكن مع كل ذلك فلم تعدم المواقف التي كانت تتسم بالذكاء والفروسية.

ولقد احتج عدد من محافظي المحافظات الى وزير الداخلية ضد الحكم العسكري الارهابي في محافظاتهم، وارغموا «صادق البصام» وزير الدفاع على الاستقالة من منصبه[7].

لم يحظ اعتقال كبير الحاخامين، وادانة التاجر اليهودي شفيق عدس وشنقه، ولكن من دون شركائه المسلمين، بمصادقة من لدن كثيرين من افراد الجمهور. كما سمح للصحافة بالحرية الكاملة في مهاجمة البريطانيين، بدعوى انهم هم الذين خلقوا الاضطرابات في فلسطين وفي العراق أيضاً[8] وتروح تطالب بكل شراسة بمحاسبة شركات النفط، وتهاجم الكتيب، الذي اصدره

=جميع الحكومات العربية التي لم تكن قد تحررت بعد من الاستعمار والنفوذ الامبريالي، بصفة غير مباشرة، بمد اسرائيل بالرجال والاموال عندما سمحت بعد سنة ١٩٥٠ لليهود الساكنين في بلادها بالتخلي عن جنسياتهم والمغادرة الى اسرائيل، حيث توفر لاسرائيل من ذلك عدد كبير من الشباب اللائق للخدمة العسكرية، والحرف الاخرى، ومن الاموال التي اخرجها المهاجرون اليهود مصدر كبير من المصادر المالية للدولة العبرية.

(٧) اوضح صادق البصام في كتاب استقالته من وزارة الدفاع ان الاسباب التي دفعته الى الاستقالة هي ادعاؤه في ان حل قضية فلسطين لن يكون الا بقوة السلاح، وان الشكاوى كانت ولم تزل تترى من بعض الوزراء على اجراءات المجالس العرفية والخاصة باليهود، دون الاستطاعة الى معرفة كنهها الحقيقي، ودون ان نلمس جزءا منها في الاجراءات التي اتخذتها المجالس العرفية قبلا ضد الاف المسلمين والعرب لصيانة المجهود الحربي البريطاني، او تلك التي اتخذت في الوزارات السابقة ضد اخفاق هؤلاء. (الحسني: الوزارات العراقية ج ٨ ص ١٩ - ٢٠).

ولقد صدرت ارادة ملكية باستقالة صادق البصام في ٢٧ ايلول ١٩٤٨ واشيع في حينه ان البصام قد استقال، بعد ان ظهر له ان بعض الجهات العراقية كانت تسعى لانقاذ «شفيق عدس» من حبل المشنقة، في حين اصر البصام على تنفيذ حكم الاعدام وبذلك تم انقاذ شركاء عدس في جريمة تهريب السلاح الى اسرائيل، من نفس المصير الذي صار عدس اليه.

(٨) لاجدال في ان بريطانيا تتحمل المسؤولية الاولى والخطيرة معا عن ضياع فلسطين من ايدي العرب، واقامة الدولة اليهودية فيها. فقد مهدت لذلك باصدار وعد بلفور، وراحت تضغط على الملك حسين وابنه الملك فيصل بانتزاع اعترافات منهما باقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين. كما ان بريطانيا هي التي دربت اليهود على القتال واستعمال الاسلحة في فلسطين وامدتهم بمختلف انواع السلاح في ذات الوقت الذي حرمت فيه على العرب حمل حتى المدي والفؤوس. واكثر من هذا ان بريطانيا حين قررت على حين غرة الغاء انتدابها على فلسطين تخلت عن كل ماكان لديها هناك من معسكرات ومخازن سلاح وذخيرة الى العصابات اليهودية، في الوقت الذي سمحت فيه، خلال انتدابها على فلسطين، بفتح باب الهجرة امام اليهود الى فلسطين ووصول=

نوري السعيد، بعد عودته الى العراق في منتصف ذلك الصيف، والذي كان يبرر فيه معاهدة بورتسموث[٩].

والواقع ان البيانات التي اطلقها مؤيدو المعاهدة، كانت من المظاهر في تلك الشهور. فقد تم الترحيب بصالح جبر لدى عودته الى بغداد في شهر تموز، واستطاع نوري السعيد ان يعود الى دخول المعترك السياسي في ذلك الصيف، وان يخلف شاكر الوادي، وصادق البصام في منصب وزير الدفاع في شهر تشرين الأول، وعين فاضل الجمالي وزيرا مفوضا للعراق في القاهرة، وكان جميع هؤلاء من المرشحين مرة اخرى لمناصب عليا في نهاية تلك السنة.

حدد النشاط السياسي الحزبي، بسبب الظروف الشاذة، وتعرقل نشاط الحزبين الوطني الديمقراطي والأحرار بسبب نقص الأموال لديهما، والشكوى من القيود غير القانونية، فتوقفا عن العمل الجاد في شهر كانون الأول[١٠] وحدثت سلسلة من التغييرات في الوزارة القائمة في شهر تشرين الأول، وذلك بعد شهور من تبادل المناصب الوزارية بين عدد من الوزراء العاملين وكالة، فقد جاء شاكر الوادي الى وزارة الدفاع، وعمر نظمي الى وزارة الداخلية، واستدعي علي جودت من واشنطن ليصبح وزيرا للخارجية، وضم امير ربيعة، محمد الصيهود ثانية الى الوزارة، فأصبح وزيرا بلا وزارة مرة اخرى. ومع ان مصطفى العمري كان تحت المعالجة الطبية في لندن وقد تخلى عن منصبه وزارة الداخلية، الا أنه بقي في الوزارة الى ان أستقال بعد شهر من ذلك، كما أستبدل علي ممتاز وزير المالية بعد فترة بمدير الكمارك والمكوس العام الرجل المجرب خليل اسماعيل. وبعد ان أصبح عبدالوهاب مرجان وزير الأقتصاد، رئيسا لغرفة التجارة، خلفه في منصبه علي حيدر سليمان وزير الشؤون الأجتماعية. وكان نجيب الراوي وزير التربية وممثل العراق في أجتماعات «ليك سكس» في أمريكا قد عاد الى البلاد، ولم يكن لخطاب العرش الذي القي في اليوم الأول من أنتظام البرلمان، اي لون سياسي.

الاسلحة الى اليهود من كل مكان في اوربا وامريكا وغيرها. على ان بريطانيا التي خرجت من الحرب العالمية الثانية مفلسة وضعيفة ماليا واقتصاديا مالبثت ان تخلت عن اسرائيل للامريكيين مثلما تخلت لهم عن معظم مستعمراتها وعلى الاخص مناطق النفط في الشرق الاوسط، في السعودية، وايران وبقية دول الخليج العربي.

(٩) يقصد المؤلف بذلك الحديث الذي ادلى به نوري السعيد بعد الوثبة، عن معاهدة بورتسموث ومازعمه من وجود فوائد كبيرة منها وعلى الاخص ماتعلق بقضية فلسطين. وقد اصدر ذلك الحديث في كتيب بعنوان «بعض حقائق عن قضايا العراق الاخيرة وفلسطين سنة ١٩٤٨» كما تطرق صالح جبر هو الاخر الى ذات الادعاء في حديث نشره بعد سقوط وزارته بوقت غير قليل.

(١٠) لم يكن سبب توقف الحزبين عن نشاطها هو نقص الاموال كما ادعى المؤلف ذلك، وانما هو الضغط على الحريات العامة ولقد فصل كامل الجادرجي هذا الموضوع في مذكراته ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

لم تستطع وزارة مزاحم الباجه‌جي بكل جلاء ان تسيطر على مشاكلها المتضاعفة، ولم تعش الاسابيع الأخيرة، من سنة ١٩٤٩، الا بمساندة من صانعي معاهدة بورتسموث، نوري السعيد وصالح جبر. وكان انعطاف مزاحم نحو مصر، باعتبارها اقوى دولة عربية وتجاوبه مع تظاهرات التدخل التي جرت في اليوم الثلاثين والحادي والثلاثين من شهر كانون الأول[١١] تتصادمان مع اراء الجيش، بل في الواقع مع كل شخص واقعي من هؤلاء، وقد خلقت مأزقاً كان المخرج الوحيد له يتمثل في تغيير الوزارة، ولذلك استقال مزاحم من منصبه في اليوم السادس من شهر كانون الثاني ١٩٤٩.

استدعى الوصي الذي لم يكل من التجول في أنحاء القطر، وزيارة وحدات الجيش، والعواصم العربية، نوري السعيد لتأليف وزارة جديدة.

وقد ألفها في ذات اليوم، وأحتفظ بأربعة وزراء سابقين هم حسن كبة للعدل، ونجيب الراوي للتربية، وجلال بابان للأشغال، وشاكر الوادي للدفاع، كما انه اتى بكل من بهاء الدين نوري للشؤون الأجتماعية، وضياء جعفر للأقتصاد، وعبدالاله حافظ للخارجية، وأحتفظ لنفسه بوزارة الداخلية، وطلب الى جلال بابان ادارة وزارة المالية مؤقتا الى أن تولى خليل اسماعيل ذلك المنصب.

ونظرا لنقص الثقة بصفة اساسية بين رئيس الوزراء والعرش وبعض الوزراء، فقد كان التأريخ الوزاري لسنة ١٩٤٩ مضطربا على الرغم من التحسن الذي طرأ على الزعامة، فقد كانت الوزارة منذ البداية ضعيفة وتمت تقويتها بالتبدلات التي حصلت بعد شهرين، حين دخل عمر نظمي الوزارة في صفة نائب لرئيس الوزراء، واستدعى فاضل الجمالي من القاهرة لتولي منصب وزير الخارجية، وعين عبدالاله حافظ مديراً للمصرف الوطني، وأصبح توفيق النائب، وهو حاكم ومحافظ سابق، ومن أنصار صالح جبر، وزيرا للداخلية.

كان رئيس الوزراء يأمل في منتصف الصيف ان يظفر بقوة أخرى لدعم الوزارة التي أصبح الشقاق داخلها من الأمور المدمرة. ولذلك استشار كلا من جميل المدفعي، وصالح جبر وتوفيق السويدي وعلي ممتاز، وكان الشخصان الأخيران ممن يتوقع انضمامهما الى الوزارة غير أن الاتفاق على التعيينات لم يكن منظورا، وبالكاد استطاعت الوزارة البقاء في الحكم خلال شتاء

(١١) ادى اشراك شاكر الوادي في الوزارة، الى تململ الحركة الطلابية مرة اخرى، وشجعها على ذلك تكتل المعارضة في مجلس النواب ضد السماح بعودة رجال معاهدة بورتسموث الى الحكم بمثل هذه السرعة. فقد أضرب طلاب بعض الكليات عن دروسهم احتجاجا على ذلك التعديل الوزاري وخرجت تظاهرة طافت بشارع الرشيد ونادت بسقوط الوزارة، وكان من ابرز ماحدث من المشادات الكلامية العنيفة في مجلس النواب ماحصل بين شعلان سلمان الظاهر ورفائيل بطي، وكان رفائيل بطي قد حاول في تلك الأيام ان يحافظ على كرسي النيابة والظفر بعطف الحكم عليه، بأي ثمن كان، وذلك ماحمل الوصي على تعيينه لذيرا بلا وزارة في احدى الوزارات التالية.

١٩٤٩ – ١٩٥٠. ولما كان وزيرا الداخلية والخارجية غير عضوين في مجلس النواب، فقد أجبرا حسب منطوق الدستور على الأستقالة من منصبيهما بعد ان مكثا فيهما مدة ستة اشهر، ومن ثم اعطي منصباهما الى كل من شاكر الوادي وعمر نظمي.

واذ استفاد نوري السعيد من الهدوء الجزئي الذي ساد النشاط الحزبي، اذ لم يبق سوى حزب الأستقلال يمارس نشاطه الفعال، فقد صمم في اواخر تلك السنة على أن يؤلف حزبا خاصا به، هو «حزب الاتحاد الدستوري» وبمنهاج غير متوقع، عن الأخوة العربية، والصداقة مع كل الأمم، ومكافحة الشيوعية وتعديل المعاهدة والتقدم نحو العظمة القومية في الداخل وفي الخارج، ولقد تألف هذا الحزب من عناصر مختلفة من ذوي النزعة المحافظة والمصلحة المستثمرة، ومن افراد العشائر والمدنيين، وحقق تماسكا في الدعم المشترك لنوري السعيد ذاته طالما بقي قويا، واتخذ مكانته كواحد من أكبر الأحزاب، وأكثرها اعتدالا، الا أنه لم يستطع الهيمنة على مجلس النواب مادام اعضاء هذا المجلس متماسكين سوية، كما أنضم الى هذا الحزب تجمع معروض عليه مؤلف من الوزراء السابقين ومن الذين يتوقعون ان يصبحوا وزراء في المستقبل.

كان اخر عمل قامت به وزارة مزاحم الباجةجي هو تجريد حملة اخرى ضد الشيوعيين، والتي كانت من اولى الأعمال التي قررت وزارة السعيد القيام بها، فأوقف بعض المئات، وحكم على العشرات بأحكام شاقة بتهمة الثورة والخيانة، ذلك أن اربعة من الشيوعيين المشهورين هم يوسف سلمان، ويهودا زلوف، ومحمد زكي بسيم، وحسين محمد الشبيبي قد حكموا بالأعدام، ونفذ هذا الحكم[١٢] في هذا الوقت وسط أحتجاجات صاخبة من صحافة العالم الشيوعي ولاقى شيوعي اخر نفس المصير في شهر ايار[١٣] وقد زعم بأنه تم القاء القبض على اعضاء اللجنة المركزية وسجلات الحزب الشيوعي، وبذلك أقتنعت الحكومة بأن ظهر الحركة الشيوعية قد قصم في النهاية.

اما المعادون بصفة اقل للدولة، من أمثال بعض الذين كانوا يشتمون رئيس الوزراء، فقد

---

(١٢) نفذ حكم الاعدام بهؤلاء الأربعة في بغداد صبيحة يوم ٢١ شباط ١٩٤٩ وعلقت جثثهم في اماكن مختلفة من بغداد.

(١٣) يقصد به «ساسون دلال» الذي تولى زعامة الحزب الشيوعي بعد اعدام فهد ورفاقه، وقد القي القبض عليه في اوائل شهر ايار ١٩٤٩ وحوكم امام المجلس العرفي وحكم عليه بالأعدام ونفذ فيه، كما حكم عدد من رفاقه بالسجن لمدد مختلفة وكانت هذه هي اللجنة المركزية الثالثة للحزب الشيوعي التي يكتشف أمرها ويتم القاء القبض على اعضائها مع مالديها من سجلات ونشرات وكان دلال قد حكم في سنة ١٩٤٧ بالسجن لمدة سنتين ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة سنة ولكنه هرب من السجن في سامراء وتولى العمل في الحزب في اواخر سنة ١٩٤٨ (انظر تفاصيل ذلك في الموسوعة السرية الجزء الثالث).

صدرت بحقهم احكام مختلفة،حيث حكم على كامل الجادرجي بالحبس لمدة اربعة اشهر(١٣) كانت التظاهرات التي اقيمت في ذكرى معاهدة بورتسموث، مما لم تستطع السلطان السيطرة عليها الا بصفة محدودة، ومع ذلك فأنها لم تؤد الى شيء من أعمال الشغب والاعتقالات. وبقيت اجراءات المحاكم العرفية تعمل باحتكاك اقل، طيلة السنة، ولكن كان نوري السعيد يشعر بأنه غير قادر على اعادة النظام الاعتيادي في البلاد، وعلى الرغم من الشائعات المخيفة خلال الربيع، فان عودة مصطفى البارزاني، وغزوه المتوقع للعراق، كانت متأخرة.

كانت علاقات العراق مع بريطانيا قد ساءت سنة ١٩٤٨ بالنسبة لقضية فلسطين أكثر مما ساءت بالنسبة للمعاهدة، وكان اعظم من ذلك رفض البريطانيين تزويد الجيش العراقي بالسلاح، ولكن هذه العلاقات تحسنت في سنة ١٩٤٩ وذلك بمجيء وزارة اقل عداء للأنكليز، وبأستئناف تموين الجيش العراقي بالاسلحة الحديثة حالما يغادر الجيش ارض فلسطين.

قام عبدالاله ورئيس الوزراء وبعض الوزراء بزيارات الى بريطانيا خلال السنة، وتم استلام القروض بفرح، وجند عدد من الخبراء البريطانيين للعمل في العراق، ومع ذلك لم يكن من الامور المتصورة ان يقدم اي شاب سياسي بل الواقع اي حزب،اعدا حزب رئيس الوزراء، على توجيه اللوم باعتقاد راسخ، او بمحض العادة او الواجب الوطني الى بريطانيا عن كل الشرور الملمة بالدولة العراقية. ومع أن التأكيد الجوهري لسلطة الحكومة، كان واحدا من الانجازات التي حققها نوري السعيد في وزارته العاشرة الا أنه استطاع مع ذلك ايضا ان يحول دون تدهور مالي اخر. فقد أمكن ضبط معدل النقص السنوي، وتجنب الاقتراض للحاجات الجارية.

وبعد سنة اتسمت بالحذر، ابرزت الشهور الأخيرة من سنة ١٩٤٩ طموحات اقل قلقا، فقد اعدت ميزانية السنة المالية ١٩٤٩ – ١٩٥٠ بموازنة مقدارها خمسة وعشرون مليون دينار عراقي من الايرادات والمصروفات ومن دون اي تأخير متتابع فيها، وأشترطت الميزانية حصر ايرادات الكمارك، واجراء شيء من الاقتصاد في الادارة.ولكن المقترحات التي طرحت لغرض ضرائب اعلى، او لتقوية هذه الضرائب لاغراض سياسية، لم يتم تعقبها، وبقي الوضع التجاري والاقتصادي غير ملائم على الرغم من جودة موسم الحصاد في سنة ١٩٤٩ والذي سمح باعفاء

(١٣) شارك المرحوم كامل الجادرجي في المؤتمر العربي الذي انعقد في دمشق في ايلول سنة ١٩٥٦ وكان عضوا في الهيأة التي انبثقت عن ذلك المؤتمر والتي كانت القاهرة مقرا لها ولذلك انتقل الجادرجي الى القاهرة وكان فيها عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦،فبعث من هناك ببرقية ينتقد فيها موقف حكومة السعيد انذاك من العدوان الثلاثي في مصر وما ان عاد الجادرجي من القاهرة الى بغداد حتى جرى اعتقاله في يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٦ وحوكم امام المجلس العرفي وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وذلك بتاريخ ١٩ كانون الأول ١٩٥٦،وقد أودع السجن فعلا ومكث فيه أكثر من نصف المدة التي حكم بها وهي ثلاث سنوات واربعة اشهر كما ذكر المؤلف ذلك رغم أن ضغطا قد حدث عليه لكي يعتذر عما ورد في برقيته التي كانت سبباً لمحاكمته، كما يكون ذلك الأعتذار سببا لاعفائه عما تبقى من محكوميته،الا أنه رفض ان يفعل ذلك

صادرات الحبوب من الضريبة. ولكن النفقات العسكرية على حساب قضية فلسطين قد تم انهاؤها في شهر تموز من السنة ذاتها، وكانت المساعدة متوقعة من وراء بيع مخازن الحكومة، ومن عوائد النفط التي كان يجري استلامها مقدما.

تم الحصول على قروض من لندن ومن المصرف الدولي لاغراض الاعمار وذلك عن طريق المفاوضات التي جرت خلال صيف ١٩٤٩. وتقدمت شركة النفط العراقية بعرض لتقديم قرض بمبلغ ثلاثة ملايين باون، واشترطت لذلك اعادة فتح خط أنابيب النفط الى ميناء حيفا، ولكن هذا الشرط بالنسبة الى الوزراء العراقيين (بغض النظر عن الاراء التي كانوا يعبرون عنها في مجالسهم الخاصة) يعد مستحيلا من الناحية السياسية، ولذلك توقف تقديم القرض المذكور. وأفتتح المصرف الوطني ابوابه في اليوم الأول من شهر تموز ١٩٤٩، وتعهد بأصدار قرض من مجلس العملة، الذي اختفى الان بعد ان قدم للعراق خدمة جيدة طيلة عشرين سنة[١٤].

أصبح موضوع اخراج العراق الان، من وضعه الراهن في فلسطين ذلك الوضع الذي كان ينطوي على كثرة النفقات، والخطورة وعدم الفعالية، من الضرورات الملحة، ولكن الحماسة الملحة للحرب التي شهدتها الايام الأخيرة من وزارة مزاحم الباجةجي، لم تؤد الى انتهاج سياسة معقولة. فن الناحية العسكرية تم خسران الحرب وأنتهاؤها، ومن الناحية السياسية كانت الحاجة ملحة الى انقاذ عرب فلسطين، قدر المستطاع، من اسرائيل التي غدت الان تقوم على اسس ثابتة وأصبحت دولة توسعية بصفة متوقعة.

كان نوري السعيد على استعداد للقبول بمشروع تقسيم فلسطين بالصورة التي عرض بها في شهر تشرين الثاني ١٩٤٧، ولكن ليس بالشكل الذي تم تعديله به حسب المطاليب الاسرائيلية المتأخرة. فقد كان السعيد يسلم جدلا بأن تظل القدس عربية، وبعدم تسليح اسرائيل، وجعل ميناء حيفا دوليا، وتعويض اللاجئين. ولكن مثل هذه الشروط لم تكن من الامور التي يمكن تحقيقها. غير ان الزيارة التي قام بها جميل المدفعي الى العواصم العربية في سبيل ضمان الوحدة للمطالبة بهذه الشروط، قد كشفت بدلا من ذلك عن انعدام الأتحاد، ولذلك فلم يعد مستطاعا منع الدول العربية الواحدة اثر الاخرى عن التوقيع على اتفاقات منفصلة للهدنة مع اسرائيل، وان تمضي كل دولة عربية في طرقها الانفصالية.

وفي شهر اذار وجد رئيس الوزراء ان الموقف قد أصبح ميؤوسا منه، ولذلك بوشر في شهر نيسان بأعادة القطعات العراقية العسكرية، من فلسطين وكملت تلك الاعادة في شهر تموز، وتم

---

(١٤) هو المجلس الذي انشيء في لندن في اعقاب قرار الحكومة العراقية بسك عملة خاصة بها، والاستغناء عن العملة الهندية التي كان التعامل جاريا بها منذ أن دخلت القوات الأنكليزية أرض العراق في اوائل الحرب العالمية الأولى، وظلت سارية المفعول حتى سنة ١٩٣١ عندما بوشر بتداول العملة العراقية التي كان المجلس المذكور يشرف على اصدارها وكان معظم اعضاء هذا المجلس من الخبراء الأنكليز.

تحقيق اعادة توطين الجيش داخل العراق وتوزيعه على المقرات المعدة له زمن السلم، من دون ان يحصل اي حادث معكر.

كانت سياسة العراق انذاك تقوم على اساس تحاشي لجنة تسوية قضية فلسطين في «لوزان» والأمل في فرض تسوية تكون اكثر تحملا من التسوية الحالية. وكان العراق قد وقف لوحده مع الاردن في ان تظل القدس بكاملها عربية، لكنه مع ذلك انضم الى الدول العربية الاخرى التي اتصلت بواشنطن في شهر تشرين الثاني لكي تجبر اسرائيل على انجاز الترتيبات الاقليمية التي تقررت في سنة ١٩٤٧ والتي اكدها بروتوكول لوزان في شهر ايار ١٩٤٩ [١٥].

واذ ضاعت فلسطين وغدت الدروس المستخلصة من ضياعها مفهومة فهما جيدا، فقد أصبح مشروع سوريا الكبرى، الذي عارضته كل من مصر والسعودية معارضة شديدة بالاضافة الى المعارضة من قبل ثلثي سوريا، مسألة ميتة لم يبق لها من وجود الا في الذهن المتبلد الذي يحمله الملك عبدالله، ولذلك فقد تحولت افكار العراقيين مرة اخرى الى وحدة الهلال الخصيب او على الأقل وحدة العراق مع جارته سوريا.

كان الكتيب التذكاري الذي نشره موسى العلمي بعنوان «عبرة فلسطين» والحماسة الشعبية التي اظهرت للملك فيصل الثاني الصغير أثناء مروره عبر سوريا سنة ١٩٤٨، قد اعادت المشروع القديم الى الظهور مرة ثانية [١٦] ولكن الانقلاب العسكري الذي قام به العقيد حسني الزعيم في دمشق في الثلاثين من شهر اذار ١٩٤٩، قد ازاح الخصم الرئيس للمشروع، وهو الرئيس السوري شكري القوتلي، كما كان يظن بأن حاجة حسني الزعيم الى المساندة قد جعلته يرحب بالتقارب الأخوي مع العراق [١٧] ولكن الزيارة التي قام بها نوري السعيد الى دمشق بسرعة لم

---

(١٥) بروتوكول لوزان: عقد في ١٢ ايار ١٩٤٩ واتخذ قرارا بان تقوم لجنة الهدنة التابعة للامم المتحدة باسرع مايمكن بتنفيذ قرار الامم المتحدة الصادر في ١١ كانون اول ١٩٤٨ بشأن اللاجئين واحترام حقوقهم واموالهم واراضيهم، وذلك عن طريق تعاون الطرفين العربي والاسرائيلي في هذا الشأن.

(١٦) يقصد به مشروع اتحاد سوريا مع العراق.

(١٧) بعث حسني الزعيم فور تسلمه مقاليد السلطة في سوريا بمذكرة الى الدول العربية يشرح فيها أسباب الأنقلاب الذي قام به. وكانت حكومة نوري السعيد قد عينت جمال بابان وزيرا مفوضاً للعراق في لبنان، فلما حدث الانقلاب في سوريا كلفته الحكومة بالسفر فورا الى سوريا ولبنان «وزودته برسالة موجهة الى فارس الخوري رئيس مجلس النواب لاستطلاع امر الانقلاب في الدرجة الأولى». وقد وصل بابان الى دمشق في اليوم الأول من نيسان ١٩٤٩، وأجتمع فور وصوله اليها بالزعيم حسني مدبر الأنقلاب ونقل اليه وجهة النظر العراقية بشأن الوضع الجديد في سوريا، كما قابل فارس الخوري وسلمه الرسالة التي وجهت اليه» وفضلا عن ذلك علمت وزارة الخارجية العراقية عن طريق وزيرها المفوض في دمشق أن بعض السوريين يحبذون اقامة وحدة بين سوريا والعراق دون شرق الأردن، واضافة الى ذلك ابدى حسني الزعيم رغبته في عقد اتفاق عسكري بين العراق وسوريا فأستجاب العراق لهذه الفكرة وبعث بوفد ترأسه المرحوم العقيد الركن عبدالمطلب الأمين، وأجتمع الوفد مع حسني الزعيم الذي سارع=

تنتج سوى النفور القوي المتبادل، ذلك لأن هذا الدكتاتور الجديد غير المتزن، سرعان ماتحول بعنف نحو جارته الشرقية، وراح يتطلع بنجاح الى الدعم من مصر والسعودية، ويروج الحكايات الكاذبة عن حشد القوات العراقية. ولكن الانقلاب الثاني والذي استبدل به حسني الزعيم بالعقيد سامي الحناوي[١٨] قد سمح بأتصالات ودية اخرى، وكشف عن مقدار واسع من التأييد في سوريا، للتقارب السوري العراقي في شكل من الأشكال، غير أن هذا التقارب لم يتقدم خطوة اخرى الى أمام، ذلك لأن كلا من بريطانيا وأمريكا لم تكونا ترغبان في هذا الوقت، تحقيق مخاطر مثل هذا التغيير الدستوري الكبير[١٩] كما أن كلا منهما قد رفضت ان توافق عليه.

وعلى أثر ذلك اقترحت مصر قيام حركة مضادة للمشروع، تتمثل في الحلف الأمني الجماعي العربي، الذي زعم عنه بأنه هو المفضل، في الوقت الذي كان فيه السوريون يبدون كل اهتمامهم بقيام الوحدة الثنائية المجردة، بين العراق وسوريا.

اغتاظ العراق الذي كرس كل جهوده لمشروعه المفضل، الذي بدا عليه بأنه يتجاوز المشروع السوري، من التدخل العربي في الموضوع، ولذلك فلم ينتج عن زيارة المندوبين العاملين لتحقيق الصلح، الى القاهرة اي شيء، وهكذا غدا انقسام الجامعة العربية الى مجموعتين احداهما

بأرسال وفد سياسي عسكري الى بغداد في الثالث عشر من نيسان فأجتمع الوفد السوري برئيس الوزراء نوري السعيد الذي مالبث أن سافر الى دمشق حالا على رأس وفد عسكري للتفاوض مع الدكتاتور السوري، وتحدث نوري السعيد في المفوضية العراقية بدمشق الى بعض السوريين الذين اجتمعوا به فأوضح لهم بأن مادار بينه وبين حسني الزعيم يخص الاتحاد، ولذلك أكد هؤلاء على نوري السعيد، ضرورة التقارب السوري العراقي وعدم الأهتمام بعض الحكومات العربية التي تعارض هذا التقارب. وكانت مصر أول من اظهر العداء للتقارب السوري العراقي، فعندما جرت الاتصالات بين العراق ومصر حول موضوع التقارب السوري العراقي، كان رد رئيس الوزراء المصري على ذلك الموضوع بقوله وأن مصر لاتوافق على ان تكون الأمانة العامة لجامعة الدول العربية حكومة فوق الحكومات. ونشير هنا الى أن من خيرة الكتب التي بحث هذا الموضوع هو كتاب باتريك سيل المعلق البريطاني المعروف والمعنون «الصراع على سوريا» والذي صدرت له ترجمة عربية، وطبعة انكليزية جديدة في اواخر ١٩٨٦.

(١٨) قام العقيد سامي الحناوي بالرد على انقلاب حسني الزعيم، بأنقلاب عسكري جديد حدث صبيحة يوم الأحد الرابع عشر من شهر اب ١٩٤٩، وقتل فيه حسني الزعيم وقد تم ايفاد احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي العراقي، الى سوريا لدراسة الوضع فيها «انظر كتابنا «اسرار الانقلابات العسكرية في سوريا» طبعة ١٩٤٩».

(١٩) لايمكن تبرئة بريطانيا وامريكا والصهيونية العالمية اطلاقا من المشاركة في تدبير الانقلابات التي حدثت في سوريا انذاك فقد دللت الحوادث بما لايقبل الشك والجدل على أن انقلاب حسني الزعيم كان يتماشى والسياسة الأمريكية في الشرق العربي، بينما كان انقلاب سامي الحناوي يسير مع الخط الأنكليزي في البلاد العربية، ولذلك سارعت حكومة بغداد الى الترحيب بانقلاب الحناوي والدخول معه في مفاوضات لقيام الأتحاد بين سوريا والعراق، وكاد هذا الأتحاد ان يتحقق لو لم يرد الأمريكيون عليه، وبتأييد من مصر والسعودية، وذلك بأزاحة سامي الحناوي عن طريق انقلاب ثالث قام به العقيد اديب الشيشكلي في التاسع عشر من كانون الأول ١٩٤٩، ولقد فصلنا اثار هذه الانقلابات وسواها التي وقعت في البلاد العربية في توهين قوة العرب واضعافها للصمود امام اسرائيل والمؤامرة الامبريالية وذلك في كتابنا المعنون «هزيمة حزيران ١٩٦٧» والذي لم يسمح بنشره في حينه، ونأمل ان نحصل على السماح بنشره قريباً.

هاشمية والأخرى سورية مصرية عربية، أكثر وضوحا في اواسط سنة ١٩٤٩. والواقع ان الخصومة بين الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية، ولاسيما بعد ان ابتلعت الأردن القسم الشرقي من فلسطين في شهر نيسان ، قد أصبحت تنذر بحصول ازمة. فقد كانت الهمسات تسمع عن احتمال انسحاب العراق وكذلك الأردن من الجامعة العربية، كما تم الأعراب عن النقد الحاد الموجه الى عبدالرحمن عزام الأمين المصري العام لجامعة الدول العربية اثناء وجوده في بغداد.

• • •

قام عبدالاله بزيارة رسمية الى طهران في شهر حزيران ١٩٤٩ ولكن هذه الزيارة لم تحدث اي تحسن دائم في العلاقات مع بلاد فارس، ولو ان معاهدة عن المساعدة المتبادلة، والعلاقات الجيدة، كانت قد أبرمت بين البلدين في اليوم الثالث والعشرين من ذلك الشهر، وأعقبها رفع المفوضيتين العراقية والفارسية الى درجة سفارة، وفي اواخر تلك السنة اتخذت خطوات لتأليف لجنة الحدود المنتظرة بين القطرين، وان كان القرار الفارسي الذي أتخذ على حين غرة، بابعاد كثير من المقيمين العراقيين في بلاد فارس «معظمهم من اليهود» قد ادى الى نشوب ازمة[٢٠]. وعلى الرغم من الاقتراحات التي قدمت في سنة ١٩٤٧، ووجود هيأة تمثل الرأي الراهن المحبذ لذلك، فلم تتخذ اية خطوات لاحياء ميثاق سعد اباد.

وصل وزير باكستاني الى بغداد اواخر سنة ١٩٤٨، وتمت المصادقة على عقد معاهدة صداقة بين البلدين في اوائل سنة ١٩٥٠. وكان الموقف التركي المنطوي على التساهل والتسامح ازاء اسرائيل، وانعزال تركيا انعزالا تاما عن المنازعات القائمة فيما بين الدول العربية، ودعمها حسني الزعيم الذي خاصم العراق والحق به الاذى، قد ادى لفترة ما، الى تقليل الموقف الودي العراقي العام تجاه تركيا، ولكن تغيير حكومة انقرة في اوائل سنة ١٩٥٠ قد اثار اهتماما كبيرا في بغداد.

اصبح سقوط وزارة نوري السعيد في خريف سنة ١٩٤٩ متوقعا. فقد اخذت الخلافات الوزارية حول الاوضاع الداخلية والعربية، والقلق والتعب المستمرين اللذين كان رئيس الوزراء يشعر بهما، وانشغاله بامور حزبه الجديد، تشير الى تغيير متوقع. وعندما التأم البرلمان في اليوم

---

(٢٠) كانت بلاد فارس ومازالت حتى الان من اهم مراكز النشاط الصهيوني في العراق وفي شرقيه منذ بداية هذا النشاط في عهدي الاحتلال والانتداب، فقد كان في ذلك الوقت يجري تنظيم شبكات التجسس الصهيونية وتنظيم هجرة اليهود من العراق وغيره من الاقطار الأخرى الى فلسطين عن طريق بلاد فارس، اذ كانت السلطات الفارسية تشجع هذه الهجرة وترعاها قبل ان تقوم دولة اسرائيل في قلب فلسطين بسنوات عديدة وكانت هذه العلاقات الجيدة بين الفرس والصهاينة مصدر التعاون السافر الذي تقيمه الان طغمة خميني مع اسرائيل في مواصلة العدوان الاثم على العراق.

الاول من شهر كانون الاول، كانت مشاورات عبد الاله مع الخلفاء المحتملين لنوري السعيد، قد قطعت شوطا حا سما. وحسب العادة كانت الرغبة تتركز في تاليف وزارة ذات تعاون او اتحاد اوسع، غير ان مثل هذه الوزارة لم تتألف، وفي اليوم الثاني عشر من كانون الاول عرض نوري السعيد استقالته فقلبت مؤخرا، وصدرت ارادة ملكية بتعيين على جودت الايوبي، خلفا لنوري السعيد، وذلك من دون اهتمام منظور، كما هو جار دوما، بالاحزاب وبالسياسات او النواب.

ضمت الوزارة الايوبية التي تألفت الان كلا من مزاحم الباجه‌جي بمنصب نائب رئيس الوزراء ووزيرا للخارجية، وتلك اشارة مؤكدة بان المدرسة المصرية في التفكير ستظل موجودة بصفة موقتة. وجيء بالوزير المجرب عمر نظمي الى وزارة الداخلية، ووزارة الدفاع وكالة، وعلى ممتاز الى وزارة المالية، ونجيب الراوي الى وزارة التربية، وعبد الرزاق الظاهر الى وزارة الاقتصاد وعلى حيدر سليمان الى وزارة الاشغال. اما الوزراء الجدد فهم سعد عمر المحامي الشاب من كربلاء، وحسين جميل اللذين اعطيت لهما وزارتا العدل والشؤون الاجتماعية. واصبح علي الشرقي عضو مجلس الاعيان الكهل وزيرا بلا وزارة[21].

ومع ذلك فان هذه الوزارة التي كانت اغلبية اعضائها، تعارض سياسة نوري السعيد، قد اعتمدت على اصوات اعضاء حزبه (الاتحاد الدستوري) الذي كان يهيمن على مجلس النواب، ولذلك فان هذه الوزارة لم تعش الا عمرا قصيرا. وما ان وضعت الوزارة، من دون عائق او اثارة، نهاية لوجود الاحكام العرفية، فانها قد نجحت فيما اخفقت فيه الوزارات الاخرى في هذا الشأن. اما بالنظر الى القضايا الاخرى، فقد صدت عن ذلك، ولم تعلن اية سياسة لها، وتعرضت للنقد نتيجة اقدامها على تمديد مدة جلسات مجلس النواب لفترة خمسة واربعين يوما.

وحين زار مزاحم الباجه‌جي مصر، ووافق اثناء وجوده هناك على التخلي لفترة عدة سنوات، عن كل الخطط الرامية الى الوحدة مع سوريا، وجدت الوزارة نفسها منقسمة انقساما عميقا فيما بينها، فقدمت استقالتها من الحكم. ولكن وزير الخارجية ورئيسه قد اساءا الحكم تماما في الآراء التي انبعثت من زملائهما ولذلك رفضت سياسة مزاحم، من قبل مجلس تألف من كبار رجال الدولة، دعا الى عقده عبد الاله بعد عودته[22].

---

(٢١) فات المؤلف بان عبد الرزاق الظاهر وزيرا لاقتصاد كان واحداً من الوزراء الجدد الذين استوزروا لاول مرة في وزارة الايوبي هذه.

(٢٢) عقد هذا المجلس، او الاجتماع بكلمة اوضح في قصر الرحاب في مساء اليوم الذي عاد فيه مزاحم الباجه‌جي وسعد عمر ونجيب الراوي من مصر، بعد عقد الاتفاق المصري العراقي، وحضره بعض الساسة من رؤساء الاحزاب والوزارات السابقة وقد ابدى عبد الاله امتعاضا ظاهرا من الاتفاق المصري فغادر الاجتماع غاضبا، والحقيقة ان احلام عبد الاله، وعمه عبد الله من قبل ومن بعد، كانت من العوامل الاساسية لكل محاولات التقارب بين العراق وسوريا، وتحقيق الوحدة بينهما. فلقد كان عبد لاله يحلم بان تتاح له، بمثل هذه الوسائل الخادعة، تولى الحكم في سوريا في اعقاب بلوغ الملك فيصل الثاني السن القانونية،=

وقبل ان يعود نوري السعيد من جولته الصحية في مياه الخليج العربي، كانت الوزارة في الاسبوع الاول من شهر شباط سنة ١٩٥٠، قد افسحت الطريق امام وزارة جديدة تخلفها« الفها توفيق السويدي الذي احتفظ لنفسه بمنصب وزارة الخارجية الى جانب الرئاسة. ولقد تألفت وزارته تلك من كل من نوري السعيد، ومن صالح جبر الذي تولى وزارة الداخلية فيها(٢٣) واذ كانت هذه الوزارة قوية في مظهرها، فانها - بعد سبعة اشهر من وجودها في الحكم - غدت تعاني خيبة الامل في انجازاتها، وقد استخدمت خدمات كل من الحكيم الكردي توفيق وهبي، وشاكر الوادي، وضياء جعفر، الذين تولوا وزارات الشؤون الاجتماعية، والدفاع، والاقتصاد بالتعاقب، في حين عين عبد المهدي لوزارة الاشغال، وسعد عمر للتربية، والسيد عبد الكريم الازري (شقيق عبد الرزاق الازري)(٢٤) الرجل القدير المتثقف في لندن، لوزارة المالية، وحسن سامي تاتار، وهو محام من كركوك، لوزارة العدل، ولما لم يكن هذا الوزير الاخير نائبا في مجلس النواب، فقد استقال من منصبه في شهر أب، بعد ان امضى ستة اشهر فيه، فخلفه فيه جميل الاورفه‌لي، وهو محامي واقتصادي. تولى ثلاثة اشخاص وزارات بلا وزارة في وزارة السويدي وهم حامد شمدين اغا، وهو نائب كردي من منطقة زاخو، وذو تجربة برلمانية طويلة، وجميل الاورفه‌لي، وخليل كنة احد المعتقلين خلال سنة ١٩٤١، لكنه يرتبط الان بمصاهرة مع نوري السعيد(٢٥).

وكان السوريون لا يفتأون يستغلون هذا الحكم ويضربون على هذا الوتر كلما اعوزتهم النقود، التي كان العراق، على الرغم من فقره الواضح وتدهور ماليته، ما يفتأ يغدقها بكميات كبيرة على الساسة السوريين لاقناعهم بالوحدة مع العراق. فكان هؤلاء ما ان يتسلموا الاموال المطلوبة من العراق حتى يعمدوا الى تغيير الوزارة القائمة لكي تتخلى الوزارة التي تخلفها عن مشروع الاتحاد وهكذا كانت هذه اللعبة السورية تتجدد طيلة العهد الملكي، وقد تجددت في عهد حكومات البعث من سنة ١٩٦٣ ومابعدها عدة مرات.

(٢٣) تألفت وزارة توفيق السويدي في اليوم الخامس من شهر شباط سنة ١٩٥٠ واستقالت في اليوم الخامس عشر من شهر ايلول ١٩٥٠ وهذه الوزارة هي التي اصدرت قانون اسقاط الجنسية عن اليهود والذي كان وامثاله في البلدان العربية الاخرى من المقومات الاساسية لدولة اسرائيل.

(٢٤) عبد الكريم الازروي شقيق عبد الامير عبد الرزاق.

(٢٥) كان خليل كنه من جماعة الاهالي قبلا ثم انفصل عنهم وانضم الى القوميين وساهم في حزب الاستقلال لكنه ما ان لوح له نوري السعيد بمنصب وزاري حتى انشق على حزب الاستقلال ونشر استقالته تلك في كراس اتهم فيه الحزب بالتعاون مع الشيوعيين، ولم يلبث بعد ذلك ان تزوج احدى بنات هادي العسكري شقيق جعفر العسكري فاصبح من المقربين جدا لنوري السعيد، بل من اصفيائه فعلا، واندفع في خدمة اغراض نوري السعيد وعبد الاله اندفاعا شديدا، فبقي يتقلب في احضان المناصب الوزارية حتى القضاء على النظام الملكي في صيف ١٩٥٨، وجرت محاكمته امام محكمة المهداوي، ومن ثم غادر العراق نشر كتابا يدافع فيه عن الحكم السابق بعنوان «العراق امسه وغده». ولقد عاد الى بغداد مؤخرا.

أعلنت سياسة توفيق السويدي بأنها تنطوي على الأخوة العربية واقامة علاقات اوثق مع الدول الشرقية الأخرى وتحقيق الاصلاح القانوني والداخلي، والاعمار الصناعي والاقتصادي.

والحقيقة ان سنة ١٩٥٠ كانت واحدة من السنين التي تميزت بالتحسن المادي، ذلك لأن السنة المالية ١٩٥٠ - ١٩٥١ كانت أحسن من السنة السابقة لها، واستطاعت ان تقضي على النقص المالي الضئيل حيث بدأت الخزينة خلال سنة ١٩٥٠ بالامتلاء مجددا واجريت اقتصادات ملموسة في نفقات الأدارة في كل مكان أكثر مما جرى في الخدمات الاجتماعية،وغدت ايرادات الكمارك والضرائب الجديدة تعمل عملها، وفي نهاية السنة استطاعت وزارة المالية ان تعلن بأن الأيام السيئة قد أنتهت.والواقع ان السنة المالية ١٩٥٠ - ١٩٥١ كانت على وشك الانتهاء انذاك، بفضل عوائد النفط المتزايدة، والموازنات المربحة في الميزانية الجارية، وفي ميزانية الأشغال الرئيسة. ومع ذلك فان خسارة مهارة «اليهود» ومساهمتهم في ميدان التجارة والصيرفة والالتزامات الثقيلة التي فرضها قانون الصيرفة الذي اصدر في شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٠، كل هذه الأمور كانت عقبة من الناحية الاقتصادية[٢٦].

لم يعد يسمح بالمزيد من اجازات الاستيراد في هذا الوقت، ولذلك بقيت السلع المتوفرة في البلاد قليلة، وقد ارتفعت اسعار المواد المستوردة، وكذلك المواد الغذائية عند اندلاع نيران الحرب الكورية. كان موسم الحصاد لسنة ١٩٥٠ جيدا على الرغم من حدوث فيضانات مدمرة، وبروز ظاهرة الاعاصير في البصرة في شهر ايار من تلك السنة. وقد بلغت قيمة الصادرات الى حد الضعف اذا ماقورنت بصادرات سنة ١٩٤٩، وأصبحت زيادة عوائد النفط تمثل مطمحا متعاظما بصفة دائمة.

تم التوصل الى اتفاق بشأن العملات النادرة مع بريطانيا في شهر اب ١٩٤٩، وقد أفتتحت المفاوضات بعد عقد ذلك الاتفاق بمدة قصيرة لتمديده او تعديله. ومنح المصرف الدولي العراق قرضا جديدا جوهريا بالدولار في شهر تموز للأنفاق على انجاز مشروع الثرثار[٢٧].

---

(٢٦) لانعتقد أن تخلي اليهود عن جنسيتهم العراقية، عند صدور قانون اسقاط الجنسية عنهم في عهد هذه الوزارة، قد ترك فراغا في ميدان الأعمال التجارية والصيرفة، ذلك لأن مثل هذا الفراغ سرعان مانم سده بالنازحين من النجف وكربلاء والناصرية والديوانية ومختلف انحاء الجنوب وكذلك الموصل، والذين حلوا محل اليهود في اعمال الصيرفة وصياغة الذهب والفضة ومخازن السلع الكبرى والخانات التي كان اليهود يديرونها في بغداد والتي سلموها الى الخدم والعمال الذين كانوا يعملون معهم فيها ومن بينهم هؤلاء قسم كبير من «الفيلية».

(٢٧) يقصد به مشروع سد الثرثار الذي اقيم على نهر دجلة في سامراء والذي كمل في سنة ١٩٥٤ وكان الهدف الأول من اقامة هذا السد الذي كلف في حينه ستة عشر مليون دينار، وهو وقاية بغداد من الغرق، واقامة محطة كهربائية عليه لتوليد الطاقة وقد تحقق الغرضان تماما، ولكن لم تتم الاستفادة من المياه الفائضة التي تتسرب عبر السد الى البحيرة الكبرى لأغراض الزراعة وماشا كلها.

وجدت وزارة السويدي وكذلك وزارة نوري السعيد التي اعقبتها في الحكم ان الوضع الحكومي العربي الداخلي اقل تماسكا مما كان عليه قبلا، فبالاضافة الى التصادم الاعتيادي في المصالح والمشاعر بين الدول العربية، كانت توجد مظاهر خاصة من الحيرة بشأن اقامة دولة اسرائيل وتوطيد اقدامها، وبشأن التصرف بالقسم الشرقي من فلسطين، والثورة ضد السلطة في سوريا (حيث وقع انقلاب ثالث في سوريا في اوائل ١٩٥٠ اطاح بالعقيد سامي الحناوي، وتنصيب اديب الشيشكلي مكانه) وتوتر العلاقات بين مصر وبريطانيا ذلك التوتر الناجم عن عدم جدوى المفاوضات التي جرت بينهما. ولم تتخذ اية خطوات حاسمة بشأن الوحدة مع سوريا سنة ١٩٥٠ وان كان رئيس وزراء سوريا قد زار بغداد خلال تلك السنة،وكان موقف العراق ينطوي دوما على الادعاء «بأننا مستعدون طالما كنتم انتم مستعدين».

كان السبب الرئيس لاضطراب مكانة العراق في جامعة الدول العربية ناجما عن مساندته للأردن الذي قام حاكمه بتبادل الزيارات الأخرى-غير أن هذه المساندة كانت محدودة عندما اشارت الدول الأعضاء في الأجتماع الذي عقدته الجامعة العربية في شهر نيسان الى المفاوضات المزعومة التي كان الأردن يقوم بها مع اليهود.

كانت مهمة ايجاد تبرير لضم ماتبقى من فلسطين الى المملكة الأردنية (وقد تبين بأن هذه الخطوة لا معدى عنها من الناحية العملية) من الأمور التي يصعب تسويتها بالرغبة المستطاعة في تهدئة عواطف مصر، ولذلك صوت توفيق السويدي، في اجتماع جامعة الدول العربية، على قرار يعلن بأن فلسطين يجب ان تكون ارضا مودعة تحت عهدة الجامعة العربية،كما صوت في اجتماع اخر للجامعة عقد في شهر ايار،على قرار يعلن بأن تصرف الأردن في ضم القسم الشرقي من فلسطين اليه، يعد خرقا لهذا المبدأ الذي وضع على تلك الشاكلة. ومن ثم استطاع السويدي بكل مشقة ان ينجح في تأجيل القرار الذي اتخذته الجامعة العربية والداعي الى طرد الأردن من الجامعة نفسها،كما نجح في وضع صيغة مقبولة للمصالحة من لدن كل الدول الأعضاء ماخلا الأردن ذاته،والتأكيد على أن فلسطين، بعد تحررها سوف يتم التصرف بها وفق قرار جماعي من لدن الجامعة.

لم يكن التفكك بين الدول العربية اقل بروزاً بالنسبة الى الانضمام الى ميثاق الأمن الجماعي الذي اقترحته مصر في سنة ١٩٤٩، ولكن الميثاق او الحلف بقي غير مقبول من لدن العراق لعدة شهور، وذلك لأن الناطقين بأسم العراق لم يروا سوى قيمة ضئيلة في حلف لايشمل الاردن-غير أن هذا التصادم في الاراء والذي لم يتم حله حتى نهاية سنة ١٩٥٠،لم يمنع رئيس الوزراء العراقي من عرض تأييده الشفوي لمصر في كفاحها الدبلوماسي ضد بريطانيا.

اما بالنسبة الى (اسرائيل) فقد استمرت الوزارات العراقية المتعاقبة ترفض اي نوع من التفاوض معها، بل ان الوزارة القائمة كانت قد اعترفت مع ساسة اخرين غير متسامحين من

الدول الأخرى ، بأنها ترى تهديدا جديدا من الأمبريالية في البيان الذي سوف يصبح اداة تحذير، والذي اصدرته كل من بريطانيا وأمريكا وفرنسا في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار ١٩٥٠ ، والذي عارضت فيه هذه الدول الثلاث ، استعمال القوة العدوانية من قبل اية دولة من دول الشرق الأوسط بما في ذلك اسرائيل ذاتها، وأنه لن يسمح بعد ذلك الا بتزويد الاسلحة الضرورية لكل بلد في الدفاع عن نفسه. ولقد وافق توفيق السويدي على ذلك البيان، مع ابداء تحفظات عليه افضى بها الى كل من سفيري بريطانيا وأمريكا[٢٨] .

وفي ميدان الشرطة تولى «علوان حسين» مدير الشرطة العام السابق ، القيادة مجددا ، في اعقاب ماقيل عن محاولة انقلاب قام بها «علي خالد» وادت الى طرده ، حيث استعادت الشرطة انضباطها وقوتها ، ولكن الجيش بقي غير راض عن التجهيزات التي توفرت له ، وعن قلة الشواغر المتوفرة لطلاب الكلية العسكرية في انكلترا ، وراح الجيش يحاول بكل اصالة ، تحسين كفاءته ، ويتطلع عبثا الى الحصول على المساعدة العسكرية الامريكية . ولقد قام القائد البريطاني العام في الشرق الاوسط بزيارة الجيش العراقي،كذلك شرع محافظو المحافظات ، بعد بداية بطيئة قبل سنة ١٩٥٠ ، يستعملون ، بصفة جدية ، السلطات المخولة لهم وفقا لقانون ادارة المحافظات ، والادارة الاقليمية ، بحيث اصبح من المؤمل ان تبرز فيما بعد ، صورة لمبادرة اكثر حيوية في توفير اموال اوسع .

كانت مظاهر الشيوعية المحلية ، اقل وضوحا ، وما ان ظهرت حتى تم القضاء عليها بعمل الشرطة ، ولكن حيوية الحركة الشيوعية كانت مازال واضحة في لهجة المقالات الصحفية ، وفي الشوارع ، والاجتماعات التي كانت تعقد في السليمانية ، وفي الخلايا النشطة غير المنظورة بشكل مؤقت بين عمال الموانئ ، والسكك ، والنفط. غير ان قوة الحركة الشيوعية الصامدة كانت تكمن بين هؤلاء العمال وبين الشبان السياسيين المتشددين المتذمرين الذين يئسوا من الاصلاح الاجتماعي للشعب ، ومن التقدم المفتوح امامهم انفسهم ، الا عن طريق الثورة ، اولئك الذين لم يعودوا يثقون ، بل الواقع انهم كان يمقتون كل الدول الغربية نتيجة السياسات التي طبقتها تلك الدول في فلسطين ، وبسبب مظاهرتها ومساندتها الواضحة لروح المحافظة ، حيث كان اولئك الشباب المتذمرون يدافعون عن سياسة الحياد الدولي الشديد ، ان لم يكن الانضمام

---

(٢٨) فات المؤلف او تغاضى عامدا عن قانون اسقاط الجنسية العراقية عن اليهود الذي شرعته وزارة توفيق السويدي، والسماح لهم بالسفر الى اسرائيل فلقدكان هذا القانون الموحي به حتما من قبل الدوائر الأستعمارية والذي شرعته بقية الدول العربية الأخرى اثر تشريعه في العراقهمن اخطر المؤمرات التي شاركت بها الدول العربية مجتمعة ضد عروبة فلسطين وتشريد سكانها العرب الاصليين والتسهيل على اليهود احتلالها وتوسيع دولة اسرائيل حسب الاحلام التي ظل اليهود خلال قرون عديدة يحلمون بها، وهي دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

الايجابي نحو الكتلة الروسية ، تلك السياسة التي كانت قوية في تخاطبها مع العناصر الواسعة ، بدلا من العناصر الشيوعية .

وحين ارغمت الحرب الكورية ، الدول العربية ، على ان تحدد موقفها ازاء المجموعتين العالميتين ، الشيوعية والرأسمالية ، سار العراق في اعقاب اكثرية دول الجامعة ، في تأييد مقاومة الدول الغربية ؛ لكنه لم يقدم ، مثل تركيا ، اية مساعدة عملية في هذا المضمار . فاذا كان مستطاعا وقف الغزاة الكوريين الشماليين فلماذا لايمكن وقف الغزو الصهيوني ؟

ومع ان مسألة الموقف الدولي الذي ينبغي اتخاذه ، كانت السبب الرئيس للانقسام في بغداد ، الا انه كانت توجد اسباب اخرى لذلك . تمت مجابهة مشكلة اليهود العراقيين الذين تجرأوا خلال السنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ على الهرب من العراق الى اسرائيل ، وما اعقب ذلك من كثرة الهاربين منهم بعد ان اوقف العمل بالاحكام العرفية ، عن طريق القانون الذي صدر في شهر اذار سنة ١٩٥٠ . فهذا القانون الذي هوجم بشدة في مجلس الاعيان ، قد سمح لليهود بالتخلي عن جنسيتهم العراقية ، ومغادرة العراق ، وان يعطي الحق لكل مهاجر بان يخرج معه مبلغ خمسين ديناراً من العراق(٢٩) .

وفي نهاية سنة ١٩٥٠ كان تسعون الف يهودي قد سجلوا اسماءهم لمغادرة العراق ، في حين بلغ عدد الهاربين قبلا عشرين الف . وكان نقل هؤلاء اليهود المغادرين قد تم توفيره على يد احدى شركات النقل الجوي الامريكية التي كانت تتمتع بالاحتكار في ذلك الشأن، وذلك باتفاق سابق مع الوكالة اليهودية .

كان موقف الحكومة ، بعد ان وضعت هذه السياسة ، ينطوي على الالحاح على حصول المزيد من عمليات مغادرة اليهود ، والاسراع بها ، في حين كانت الاصوات الشعبية تتعالى وتسمع (ولكن من دون ان يؤبه بها بصفة رسمية) وهي تدافع عن انشاء معسكرات اعتقال لليهود الذين بقوا في العراق ، وطردهم . والحقيقة ان فقدان مركز اليهود بين طبقة الموظفين ، وحتى عندما تم التعويض عنهم بمشقة ، ولاسيما في دوائر البرق والسكك ، وذلك عن طريق جلب الباكستانيين ، وحتى في حالة تساوي الحقوق والفرص في ميدان التجارة ، فان البقية

---

(٢٩) لم يطبق هذا التحديد في اخراج اليهود للاموال الا بصفة ظاهرة فقد سبق لاكثرية الذين تخلوا عن جنسياتهم ان هربوا اموالهم الى اسرائيل والى غيرها من البلدان الاخرى عن طريق بلاد فارس في الدرجة الاولى . كما ان اليهود الذين اقدموا على مغادرة العراق قد باعوا كل ماكانو يمتلكون من اثاث وحوانيت وخانات ومنازل وحتى الاشياء التافهة من المواد باسعار متهاودة، وحولوها الى نقود جرى تهريبها عن طريق وكلاء وعملاء ، الى اسرائيل والى مختلف البلدان الغربية والشرقية الاخرى التي لجأ اليها اليهود بعد خروجهم من العراق ، وعلى الاخص بلاد فارس وتركيا وعن طريق هذه الاموال اليهودية المبيعة اصبح عدد كبير من الذين كانوا يعملون لدى التجار اليهود ، من اغنى الاغنياء في العراق ومن اعاظم التجار فيها في الفترة التي اعقبت خروج اليهود من العراق .

الباقية من اليهود ، لم تعد تتوقع مستقبلاً مشجعاً لها في العراق . ومع كل ذلك فضل بضعة الاف منهم ، البقاء في العراق كان من بينهم عدد من الاشخاص المبرزين المشهورين ، كما ان عددا كبيرا منهم الذين وصلوا الى فلسطين قد اسفوا اسفا مريرا لتغييرهم موطنهم .

في اليوم السابع من شهر اذار ، وفي اوائل حياة وزارة توفيق السويدي ، وقع حادث في مجلس النواب تمثل في استقالة جميع افراد كتلة النواب المعارضين لحزب نوري السعيد ، حزب الاتحاد الدستوري ، الذي كان في الواقع يحتفظ بسيطرته على وزارة السويدي ، وبهيمنته على مجلس النواب ، ولقد ذكر المستقيلون انهم قد فعلوا ذلك بواقع اليأس من المساواة البرلمانية الحقة ولقد كانت هذه الاشارة مدعاة للأسف لانها انهت كل ادعاءات الحكومة بشأن الاسس الحزبية . غير ان العطف الذي كسبه النواب المستقيلون لم يكن يعايش خصوماتهم الخاصة ، وانعدام الهدف المشترك فيما بينهم ، ولذلك فان الانتخابات التي اجريت في شهر حزيران لملء المقاعد الشاغرة في المجلس ، لم تأت باعضاء متجانسين[٣٠] .

لم تبق في مجلس النواب اية عناصر ملموسة للمعارضة فيما بعد تلك التي كانت قد مددت حياة هذه المعارضة لمدة سنتين او ثلاث سنوات ، غير انه لم يمكن الحفاظ بيسر داخل الوزارة ، على التوازن الثلاثي للقوى والمؤلف من رئيس الوزراء ، وانصار نوري السعيد ، وانصار صالح جبر . فقد كان من بين انصار صالح جبر اثنان من رجال الدولة سرعان ما اختفت مودتهما القديمة ، ولم تعد مساهمة صالح جبر في بناء الحزب يجري ذكرها الا قليلا .

وفي منتصف صيف ١٩٥٠ لم يستطع رئيس الوزراء الحفاظ على مركزه الا بمشقة. لقد كانت المشروعات المفضلة لديه هي : سن قانون جديد للصحافة الذي عرقل وزراؤه صدوره . وكان غياب عبد الاله ونوري السعيد في لندن ، ايذانا بتغيير الوزارة حتى الخريف ، ولكن توفيق السويدي ارغم على تقديم استقالته في اليوم الثاني عشر من شهر ايلول .

بعد مرور اربعة ايام على ذلك التأريخ اعلن عن تأليف نوري السعيد وزارته الحادية عشرة ، ولقد وجد نوري السعيد حتى في تأليف هذه الوزارة نوعا من الصعاب التي عاناها توفيق السويدي قبله ، في الملاءمة بين الشخصيات كل حسب قيمتها ، ولذلك فان نوري السعيد لم يشرك معه في وقت متزامن لا توفيق السويدي ولا صالح جبر ، وانما فضل في تلك اللحظة ان يقنع بهيكل الوزارة التي اقترح بان يعززها ويوسعها ، اذا ماسنحت الفرصة لذلك ، في صفة وزارة حقيقية للوحدة الوطنية ، كما اعلن عن نيته في انجاز الاعمال الاقتصادية والادارية الملحة .

---

(٣٠) استقال نواب المعارضة عند عرض قانون اسقاط الجنسية العراقية عن اليهود على المجلس.ولما كانت استقالاتهم تلك لم تعرض على المجلس بعد، فقد اوفدت المعارضة بعض نوابها الى المجلس عند انعقاده لمعارضة القانون المذكور.

ومع انه قد وضع منصب وزير الداخلية في يده فقد عين شاكر الوادي لوزارتي الدفاع والاشغال . وعبد الوهاب مرجان للمالية .

وعهد بوزارات العدل والتربية والشؤون الاجتماعية والاقتصاد بالتوالي الى كل من حسن سامي تاتار ، وخليل كنة ، وماجد مصطفى ، وضياء جعفر . ولكن غدا واضحا في وقت مبكر ان التصادم مع انصار صالح جبر قد اخذ يتسع .

ولذلك اقدم هذا الاخير، اي صالح جبر ، الذي كان كثير من المراقبين يعتبرونه هو الخليفة المطلق الذي يخلف نوري السعيد ، على تأسيس حزبه المعروف باسم «حزب الامة الاشتراكي» في اوائل سنة ١٩٥٠ (٣١) وكان هذا الحزب مولفا من مجموعة من العناصر المحافظة على الرغم من اسمه الذي اسيء اختياره بصفة فردية . ومع ان هذا الحزب كان حزبا شخصيا لمؤسسه صالح جبر على نطاق واسع ، الا ان تأسيسه قد نظم على اسس شيعية ، وكان يتطلع الى مساندة الاكراد (٣٢) كذلك انضم «حزب الاصلاح» الذي اسسه سامي شوكت الى حزب صالح جبر هذا. وفي الوقت ذاته اخذ قادة المعارضة من مختلف الميول من امثال طه الهاشمي ، ومزاحم الباجة جي ، ورضا الشبيبي ، وصادق البصام ، يتجهون سوية نحو «حزب الجبهة الشعبية» الهش والمؤثر في ذات الوقت ، والذي اعلن عن تشكيله بمنهاج غامض في اواسط سنة ١٩٥٠ (٣٣) .

كان الحزب الوطني الدمقراطي قد استأنف نشاطه الكامل في سنة ١٩٥٠ ، ومع ذلك فالظاهر بانه لم يكن هنالك من سبب كان يجعل نوري السعيد ، باغلبيته البرلمانية وسلطته الشخصية التي تجاوزت في السنوات السابقة كل ماكان يتمتع به اي عراقي آخر ، بان لايخضع للتغييرات وللفرص غير المنظورة ، وان يبقى في الحكم طالما كانت صحته وطبيعته القلقة تسمحان بذلك . ففي الايام الاخيرة من سنة ١٩٥٠ جاء نوري السعيد بعمر نظمي ، ومحمد حسن كبة ، وصادق البصام الى الوزارة بمثابة وزراء بلا وزارة ، في حين عين عبد المجيد محمود مدير المصرف الزراعي العام وزيرا للاقتصاد ، ونقل ضياء جعفر الى وزارة الاشغال ، وابقى عبد الوهاب مرجان في وزارة المالية ، ومع كل ذلك فلم تتم اية وحدة حقيقية ، ولم تظهر السياسات الداخلية

---

(٣١) تأسس حزب الامة الاشتراكي في ٢٠ حزيران ١٩٥١ ، وليس في اوائل ١٩٥٠ كما ذكر المؤلف ذلك خطأ وكانت هيأته المركزية مؤلفة من صالح جبر وعبد المهدي وعبد الكاظم الشمخاني ، وجواد جعفر ، ونظيف الشاوي ، وحنا خياط ، ومحمد النقيب واحمد الجليلي وحبيب الطالباني وعز الدين النقيب وعبد الرزاق الازري .

(٣٢) هل كان صالح جبر وزمرته من ابناء طائفته مساندا للحركة الاقتصادية الكردية . ام كان لهم قصد آخر ؟

(٣٣) تأسس حزب الجبهة الشعبية ٢٦ ايار ١٩٥١، وكان كامل الجادرجي من بين الجماعة الذين ارادوا الانضمام الى الحزب المذكور قبل اجازته .

اي دليل على الترفع عن الخصومات المعتادة بين الشخصيات المتناقضة .

واجهت نوري السعيد في وزارته هذه سلسلة شاقة من المشاكل المستعصية داخل البلاد العربية وفي الميدان الدولي . اضافة الى المشاكل السياسية والمالية . غير ان ايا من هذه المشاكل لم يكن اكثر وضوحا للعيان من مشاكل اسرائيل واللاجئين الفلسطينيين ، وتعديل معاهدة ١٩٣٠ . وضمان الحصول على ارباح اوسع من النفط ، ولذلك وجدنا هذا السياسي المقتدر يتحول الان الى هذه القضايا .

اكمل الملك فيصل الثاني . الذي صادف تأريخ ميلاد الخامس عشر في اليوم الثاني من ايار سنة ١٩٥٠ . ايام دراسته التحضيرية في انكلترا ، فاصبح منذ ربيع سنة ١٩٤٩ طالبا سعيدا وناجحا في كلية «هارو» وكان من المقرر ان يتم تتويجه في اليوم الثاني من شهر ايار سنة ١٩٥٣ . ولقد حصلت العائلة المالكة العراقية على منزل لها على مقربة من «ستينس» في انكلترا ، حيث امضت الملكة الام «عالية» معظم السنة هناك ، ومع ذلك فقد اخذت صحتها تسبب القلق منذ سنة ١٩٤٩ . وبعد المرض الطويل الذي الم بها ، والعملية الجراحية التي اجريت لها ، اعيدت الى بغداد حيث توفيت فيها في شهر ايلول سنة ١٩٥٠ ، ولم تكن قد تجاوزت التاسعة والثلاثين من عمرها . وكانت وفاتها خسارة لابنها الملك ، ولاخيها المفضل لديها الوصي عبد الاله [٣٤] .



(٣٤) توفيت عالية بالسرطان في صباح اليوم الحادي والعشرين من كانون الاول ١٩٥ ، واحتفل في اليوم التالي بدفنها في المقبرة الملكية في الاعظمية وقد حضر الملك عبد الله حفلة التشييع ، واقيمت «الفواتح» على روحها في عدة اماكن في بغداد .

٤. ثروة الامة

وردت في الصفحات السابقة اشارات الى الوضع الخطير لمالية الدولة خلال الفترة ١٩٤٧ – ١٩٤٩، والى استعادة ذلك الوضع لمركزه بصفة جوهرية، حيث تحقق ذلك في نهاية سنة ١٩٥٠. فقد غدا متوقعا بعد ذلك التاريخ المتأخر، بان الموارد الموضوعة تحت تصرف الحكومة، سوف تكون – مادامت بعيدة عن الضائقة المالية – اكثر وفرة في المستقبل، ليس للاغراض الاعتيادية للخدمات العامة بالشكل الذي كان ينظر اليها به قبلا حسب، بل لوضع منهاج موسع للتنمية، على شرط ان تظل الرقابة على الصرف كافية، مثلما كانت عليه قبلا (ما خلا سنة ١٩٤٨) ذلك لانه لا يوجد سبب يدعو الى الشك في هذا الامر، لان قابلية اشخاص الحكومة وكفاءتهم لم تنحط، ولان الجهود قد بذلت لاكمال تخصيص وجمع المصادر الرئيسة الاعتيادية للايرادات، من امثال الكمارك والمكوس، والضرائب على السلع الطبيعية، واحتكار التبوغ، وضرائب الملكية والدخل، والتي ماتزال متواصلة، وذلك عن طريق الاستعمال الكامل للسجلات، والاسس الفنية، ومشورة الخبراء المتحسنة.

ولقد غدا مستطاعا، حتى على حدة من عوائد النفط الذي يجري تصديره، ان يعتبر وضع الخزينة بانه لن يثير القلق مرة اخرى. فمن بعد هذه الفترة يجب ان يعقب ذلك الاقدام على تسديد ديون الحكومة وقروضها، وتهيئة السكن الجيد، ومرتبات الادارة ذاتها، واحتمال توسيع التجميد في الخدمات الاجتماعية.

لقد خصصت من تخمينات ميزانية سنة ١٩٥٠ – ١٩٥١ خارج نطاق الانفاق الاعتيادي البالغ مقداره اربعة وعشرين مليون دينار، نسبة تبلغ ثلاثين في المائة للجيش، وللقوة الجوية العراقية، وست عشرة في المائة للتعليم، وثلاث عشرة في المائة للادارة العامة، واحدى عشرة في المائة للشرطة، وثماني في المائة للخدمات الصحية، واثنتين وعشرين في المائة لكل الدوائر والوظائف الاخرى. ولقد قدرت الاموال المخصصة للانفاق على الاعمال الكبرى في تلك السنة باقل من اربعة ملايين دينار.

كانت الايرادات من اعظم مصدر مفرد لثروة البلاد، ونعني بها منابط النفط وصناعة استثمارها، يجري تخصيصها منذ بداية ظهورها بصفة اعتيادية، لغرض التنمية العامة. ولقد

عززت هذه القاعدة، التي كان يجري خرقها في الايام العسيرة، بانشاء مجلس الاعمار الذي اسس في سنة ١٩٥٠، وفقا لقانون كان يقضي بان تحول الى مجلس الاعمار كل الايرادات الناجمة عن النفط(٥) ذلك ان هذه الايرادات التي بلغت اقل من اربعة ملايين دينار في سنة ١٩٥٠، سوف تصبح، كما هو واضح، اكثر من ضعف، بل اربعة اضعاف ذلك المبلغ في السنوات المقبلة(١).

ولقد ابطل العمل بقاعدة تقسيم تخمينات موارد الدولة الى ميزانية اعتيادية، واخرى للاعمال الرئيسة بانشاء مجلس الاعمار.

لقد ظهر بان مجلس الاعمار الذي كان بعض العراقيين يمقتون وجوده على اساس انه يمثل حكومة داخل الحكومة(٢) قد غدا ينظر اليه من قبل الاخرين، ومعظم المراقبين الاجانب بانه يوفر الامل في الاستمرار، والكفاءة، والتحرر من الاعتبارات السياسية التي لم تكن موجودة قبلا الا بصفة نادرة(٥). فقد كان المجلس يتألف انذاك من ثمانية اعضاء، من بينهم رئيس الوزراء ووزير المالية الموجودين انذاك، وستة اعضاء من غير الموظفين الذين يتلقون المرتبات، تعلن اسماؤهم بارادة ملكية ويمكثون في الوظيفة خمس سنوات. وكان من المقرر ان يكون ثلاثة من هؤلاء الاعضاء الستة من الخبراء في شؤون المالية والري، واخر لم يحدد ميدانه. وطبقاً لذلك ازداد العداء الموجه ضد الاجانب، عندما تم استخدام سكرتير بريطاني عام للمجلس، وخبير مالي بريطاني هو السرملر ومهندس امريكي للري.

---

(٥) عدل هذا التحديد في سنة ١٩٥٢ بتعديل التشريع الذي كان يشترط منح مجلس الاعمار سبعين في المائة من عوائد النفط، وتخصيص ثلاثين في المائة منها للايرادات العامة. وهو اجراء كان يسمح بصفة حكيمة، بتعويض السلطات الاقليمية حق القيام بمشاريع تنمية وخدمات صغيرة.

(١) تحدث الي المرحوم الدكتور نديم الباجهجي وزير الاقتصاد والذي لا انسى فضله. في صيف سنة ١٩٥٦ عندما سألته عن الاسباب التي دفعت الحكومة الى رفض العروض التي تقدمت بها «شركة الخليج الامريكية» لاستثمار موارد الكبريت في العراق، وقد رد على ذلك السؤال بقوله «انا بعد اربع سنوات من الان. سوف لا نعرف اين ننفق موارد النفط. ذلك لان معظم المشاريع التي خططها مجلس الاعمار. سوف تكمل خلال تلك الفترة. ولن نحتاج بعدها الى مشروعات اوسع يحتاج للانفاق عليها، وعلى هذا فاذا ما تأخرت الموارد المتوقعة من استثمار الكبريت الان فان ذلك لن يؤثر في الوضع الاقتصادي الجيد للبلاد خلال السنوات القادمة.

(٢) كان مجلس الاعمار يتمتع، خلافا لاية مؤسسة حكومية اخرى، بامتيازات فيما يخص تعيين الموظفين والمرتبات والمخصصات فيه. ومن بين هذه الامتيازات حق المجلس زيادة مرتبات المستخدمين لديه دون الرجوع الى استحصال موافقة مجلس الوزراء على ذلك ولطالما اعترض ديوان الرقابة المالية العام على ذلك ولكن من دون ادنى نتيجة.

(٥) ومع ذلك فان مجلس الاعمار سرعان ماتعرض للهجوم من قبل بعض الصحف غير المسؤولة والمتجنية دوما لانه اخفق في ان يرفع خلال اسابيع قلائل، من مستوى معيشة الجماهير».

استطاع مجلس الاعمار الذي كان ارشد العمري يمثل الشخصية البارزة فيه، في سنة ١٩٥١، ان يضع له منهاجا لمدة خمس سنوات. وان يخصص مبلغ مائة وخمسة وخمسين مليون دينار عراقي لانفاقه خلال تلك المدة(*). ولكن سرعان ما غدا واضحا بعد ذلك مباشرة، بان الايرادات المخصصة لذلك سوف تكون متوفرة. وفقا للتعديل الذي ادخل على اتفاقات النفط (٣).

اصبح جليا للجميع في هذه المرحلة ان تأكيد الحصول على هذه الايرادات الفائضة التي سوف تتحقق في حينه، اذا لم يحدث تصرف انتحاري احمق، او كارثة خطيرة، سيكون — بشكل يمكن الاعتماد عليه خلال سنوات كثيرة مقبلة، اداة لتحول اقتصاد العراق، ومعدل التطور فيه. والحقيقة ان تاريخ العراق من سنة ١٩٥١ وما بعدها، ينبغي ان يعتبر تاريخ بلاد كانت تؤيد بصفة استثنائية كل ما كان يتعلق او ينبع من المصادر تحت تصرف حكومته. بقيت الآفة التي تشكو البلاد منها طيلة قرون عديدة تتمثل في الفقر. وبفضل اكتشاف النفط واستثماره اصبحت البلاد الان تقف على عتبة من الثروة الوفيرة، ولابد لهذه الثروة الى جانب بركاتها، ان تصاحبها المسؤوليات. وان تجلب الكوارث والمخاطر الاخلاقية والاقتصادية معا(؟؟).

كان الميزان التجاري المباشر للبلاد، والذي مايزال وخاؤه المقبل امرا مشكوكاً فيه فعلا، ما يزال حتى سنة ١٩٥١ يبرز النقص المعتاد فيه. ولقد تم سد هذا النقص جزئيا عن طريق سحب ما تبقى من احتياطي الاسترليني الذي توفر خلال الحرب من ناحية، وبالمواد غير المنظورة من ناحية اخرى، على غرار ما كان عليه الامر في الايام السالفة. وكانت استيرادات البلاد على الدوام، وبصفة رئيسة، تتألف من المنسوجات القطنية والصوفية، والحريرية، والالات والسلع الكهربائية والسيارات، والشاي والقهوة،والسكر، والمواد الكيمياوية والسمنت والاخشاب.

وكانت بريطانيا توفر نصف هذه المواد تقريبا، بالاشتراك مع الهند وامريكا وبلجيكا باعتبارها هي البلدان المصدرة الرئيسة، وعلى نطاق اقل كانت هناك مواد تستورد من ايطاليا وهولندا وفرنسا، في حين اختفت كل من المانيا واليابان من قائمة البلدان التي كانت تجهز العراق بمواد. اما الصادرات التي لم يحدث تطور البلاد، سوى تغيير طفيف فيها طيلة سنوات عديدة،

---

* كان القرار الذي اتخذ في سنة ١٩٥١ يقضي بتخصيص (بالاف الدنانير) ٩٣٦٤ لسنة ١٩٥١، و ٢٠٤٦٠ لسنة ١٩٥٢، و ٢٨٣٩٠ لسنة ١٩٥٣، و ٣١٦٠٠ لسنة ١٩٥٤، و ٣٢٣٣٥ لسنة ١٩٥٥،و ٣٣٢٢٥ لسنة ١٩٥٦

(٣) بدأت مفاوضات الحكومة العراقية مع شركات النفط العاملة في العراق لتعديل الامتيازات الممنوحة لها منذ اوائل شهر تموز سنة ١٩٥٠ حيث صدر بيان عن تلك المفاوضات في اليوم العاشر من شهر اب ١٩٥٠ والحقيقة ان العراق قد استفاد من الحركة التي اقدم عليها الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء بلاد فارس الذي اعلن تأميم النفط في بلاده، فسرعان ما وافقت الشركات العاملة في العراق على تقبل مبدأ المناصفة في الارباح. وعندما اثيرت في البرلمان ضجة حول المطالبة بتأميم النفط رد نوري السعيد على المطالبين بان العراق سوف يحصل على اكثر من نصف الارباح اذا ما حصل اي قطر اخر في المنطقة على مثل ذلك المقدار.

فقد بقيت تتألف في الغالب بشكل قاطع من منتجات العراق الزراعية والطبيعية. فقد بلغ مقدار الشعير الذي يجري تصديره سنويا بمعدل ربع مليون طن، وكان يتم شحن الحنطة بالبواخر بصفة عرضية، وبدون انتظام، ومع ذلك فلم يصدر منها شيء على الاطلاق خلال الفترة ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٩، في حين كانت الذرة والشوفان والبذور الزيتية (بذور القطن والسمسم، والكتان) متوفرة في العادة ولكن بكميات قليلة.

ولغرض تنسيق الصلاحية المتعلقة بتصدير كل صادرات القمح، فقد تم انشاء «مجلس الحبوب» التابع للدولة[٤] والذي كانت تعمل الى جانبه شركة التصدير والاستيراد الزراعي... ولقد بلغت صادرات التمور مستوى سنويا مهما: هو ربع مليون طن، من التمور التي تم تصديرها الى اكثر من اربعين بلدا. واختفى القطن من قائمة الصادرات بعد سنة ١٩٤١، لكنه ما لبث ان اخذ يزحف الى هذه القائمة في سنة ١٩٤٧. اما المواد الاخرى ذات الحجوم الصغيرة من الصادرات، فكانت تتألف من المواشي التي كانت تساق الى بلدان المشرق، في حين كان الصوف يصدر الى كل من فرنسا وامريكا: والقرون، والجلود، والصمغ والعفص، كانت ترسل الى بلدان مختلفة.

وكانت الآمال المعقودة على احتمال اضافة التبوغ الى قائمة الصادرات، تعتمد على التحسن في هيكل وانتاج التبوغ المحلية[٥]. وكان ايجاد طرق جديدة للتجارة الدولية يجري البحث عنها باستمرار وفق مبادرات عراقية او اجنبية. ولقد جرت خلال السنوات ١٩٤٥ – ١٩٥٠ اتصالات مع الهيئات التجارية الاهلية والحكومية في ايطاليا ويوغوسلافيا. وبلجيكا، واسبانيا والباكستان واليابان. ولكن على قياس لا يمكن أن يقارن بما كان عليه قبل جيل مضى، وبأمل ضئيل في الزيادة، واستعملت كل من تركيا وبلاد فارس الطرق المارة عبر العراق لتصدير كميات قليلة من سلعها.

كان المظهر العام لتجارة العراق الخارجية في نهاية سنة ١٩٥٠ في نطاق، يعتبر من باب المفارقة. حقيرا في كميته وقيمته بالنسبة الى حجم القطر وامكانياته. وقد عكس ذلك النقص والتخلف الحاصلين في الزراعة بصفة متواصلة. وتضاؤل ونقص الموارد الطبيعية القابلة

---

(٤) المقصود به «لجنة تنظيم الحبوب» التي حولت الى مجلس الحبوب فيما بعد.

(٥) استقدمت الحكومة في اواخر سنة ١٩٥٤ خبيرا امريكيا في التبوغ يدعى «جارلس بنت داردن» عمل في مديرية انحصار التبغ ولما كنت قد عينت في تلك السنة مترجما في المديرية المذكورة فقد كنت اصحب ذلك الخبير في جولاته واسفاره. ولقد قام بجولات مكثفة في مختلف المناطق التي تزرع التبوغ فيها، ثم قدم تقريرا الح فيه على ضرورة بناء مخازن حديثة لخزن التبوغ، وقد نفذت هذه التوصية حيث اعلنت المديرية في اوائل سنة ١٩٥٦ مناقصة عامة لانشاء هذه المخازن اشتركت فيها عدة شركات اجنبية، وبنتيجة ذلك فازت احدى الشركات الايطالية بعقد انشاء تلك المخازن التي بنيت في بغداد في كركوك والسليمانية وكويسنجق والموصل وغيرها.

للتسويق، ماعدا النفط. على ان العصر الجديد للتطور المتزايد الذي كان يتوقع ان يبدأ تاريخه في سنة ١٩٥١ لم يتحقق، واخفق على وجه التاكيد في ان يؤثر في ذلك التطور، وان يزيد من تحقيقه، وقدرته على الامتصاص.

كانت المصارف الاجنبية والعراقية، وكذلك الصيارفة الذين تناقص عددهم بخروج اليهود من العراق، تعرض الخدمات الاعتيادية للتجارة في مجال الائتمان والخصم. وكانت تسهيلات التأمين تمنح من لدن فروع او وكلاء لشركات تأمين بريطانية عديدة، وعلى هذا الاساس كان تأسيس شركة تأمين وطنية تقوم بكل هذه الاعمال قد صمم في سنة ١٩٥٠ حسب اسس وطنية ترمي الى تقليص الاعتماد الاقتصادي على العالم الخارجي.

بقيت العملة التي اشرف المصرف الوطني منذ شهر تموز ١٩٤٩ [٦] على اصدارها وادارتها، ممثلة بالدينار الذي كان يقوم على اساس قاعدة الاسترليني، وهي الكتلة التي كان العراق ينتمي اليها. غير ان ذلك لم يخل من حركة او صراخ انطلق من بعض الاقتصاديين او القوميين الذين كانوا يؤيدون الانفصال عن كتلة الاسترليني [٧].

كان لابد من ان تظل الزراعة تؤلف المصدر الرئيس للبلاد، وكانت الزراعة ماتزال تعتبر وظيفة الحياة لاكثر من ثلثي السكان. ولقد اشرنا في الصفحات السابقة الى المشاكل الجوهرية التي كانت تبذلها تلك الدائرة الصغرى [٨] لحل تلك المشاكل. غير انه لم يصنع سوى الشيء الضئيل لتعديل الممارسات القديمة الواسعة في القطر، ولمعالجة الجهل، ونقص الكفاءات، ودرء الاخطار. ولكن ببروز نصف قرن يمر على قيام الحكومة العراقية، كانت تلوح في الافق عوامل مشجعة كثيرة. فلقد نمت دراسة المشاكل، واصبحت الاهمية الاقتصادية والاجتماعية لاقامة ريف ينعم بالرخاء، وارتباط هذا الامر بالامن وبالسياسة، من القضايا التي يجري تثمينها.

اجتذبت الزراعة العصرية اهتمام وجهود قسم من المثقفين، واصحاب رؤوس الاموال من الجمهور. فلقد وجد عدد من الاشخاص الذين اخذوا يفضلونها حتى على السياسة. وكان شيوخ العشائر والاقطاعيون الساكنون في المدن، يشاهدون هنا، وهناك، يعملون على ادخال الالات الحديثة في استثمار مقاطعاتهم الزراعية، والتخلي عن الطرق القديمة، والمشاركة مع العلماء الذين

---

(٦) المقصود بذلك المصرف المركزي.

(٧) كان خروج العراق من كتلة الاسترليني من المطالب الرئيسة التي حققتها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في الايام الاولى من قيام الجمهورية، علما بان العراق كان قد تسلم كل ما توفر له لدى كتلة الاسترليني من عملات نادرة خلال الحرب الثانية.

(٨) المقصود بذلك «مديرية الزراعة العامة» التي كانت تنهض بتطوير الزراعة واستصلاح الاراضي وما شاكل ذلك. وكانت نجاحاتها في هذا الميدان اوسع بكثير جدا حتى بعد ان قامت في مكانها وزارتان منفصلتان في اول الامر هما «وزارة الزراعة» و «وزارة الاصلاح الزراعي» اللتان ما لبثتا ان ادمجتا بعد ذلك في وزارة واحدة هي وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي.

كانوا يقومون بالتجارب بصفة مشوقة. ولم تتم تجربة انتاج انواع جديدة من الحاصلات، ولكن قوة المضخات المستعملة في الارواء، ونطاق بنائها، كان قد تضاعف بصفة ظاهرة. يضاف الى هذا ان ادخال الالات في الزراعة، قد قلل الاعتماد على العمل الفردي الذي يقدمه الفلاحون الذين كانوا يشتركون في الحاصل. لم يعد مشروع اللطيفية هو المشروع الوحيد للمقاطعة الزراعية العصرية ذات النطاق الواسع القائم في ميدان العمل. ذلك ان مجلس التمور[٩] الذي عمل الشيء الكثير لادخال الطرق العصرية وتوطيدها في ميدان انتاج التمور وتسويقها، والتي لم تقتصر على تمور شط العرب وحدها، ان هذا المجلس هو الذي كان يتولى احتكار تصدير التمور، بعد ان ادخل تعديل مناسب على الشروط والاسعار اثناء الحرب وما بعدها. غير ان فترة التمديد البالغة ثلاث سنوات والتي منحت الى شركة اندرو ير في سنة ١٩٥٠، كان ينظر اليها بانها يجب ان تكون هي الاخيرة. وفي تلك السنة ذاتها تم تأسيس الشركة الوطنية لتجارة التمور حيث افترض بان تكون تلك الشركة هي التي تحتكر تصدير التمور. وقد خصصت ٤٩ في المائة من اسهم هذه الشركة لجمعية التمور و ٢٦ في المائة للجمهور، و ٢٥ في المائة للاجانب الذين يقومون بتصدير التمور وكبسها.

احتفظت الحكومة بمدرسة الزراعة التي كانت فترة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وضمت اليها مقاطعات زراعية تجريبية في منطقة «ابي غريب» (وذلك لتطبيق اصول الفلاحة وتربية الحيونات، ومكافحة الحشرات، واصلاح التربة)، كما انشئت مزرعة الزعفرانية (للبستنة، والفواكه والخضراوات) بالاضافة الى انشاء محطات زراعية على نطاق اصغر في كل من «بكرهجو» والحويجة، ونينوى، واسكي كلك والبصرة، ومحطة رئيسة للغابات في اربيل، ومشاتل في كل محافظة من المحافظات.

ولقد تم اعداد الخبراء لهذ المزارع واختيارهم، واصدار انواع جديدة من البذور صمم استعمالها لغرض رفع نسبة المنتوج ونوعيته، ومدى مقاومته، ولمكافحة الحشرات، وعلى الاخص لتنظيم حملات مكافحة الجراد بالطرق الفنية التي جعلت العراق يدعي بانه يتفوق على العالم في ذلك، الامر الذي ادى الى انشاء «سايلو» للحبوب في بغداد، ووضع الخطط لانشاء اخرى امثاله اكثر سعة في البصرة، مع اقامة مخازن حديثة لخزن الحبوب فيها في مراكز كثيرة.

كانت الدائرة الزراعية في ارتباط مع الصناعة المحلية التي تستطيع ان تستعمل الحاصلات العراقية من البذور الزيتية، والقطن، والتمور، والشعير، وقصب السكر، والصوف، والتبوغ في صفة مواد خام. كذلك وضعت الخطط للمبادرة بتجارب على نطاق اوسع لادارة المزارع،

---

(٩) يقصد بذلك جمعية التمور التي كان مقرها البصرة.

وللبحث عن دورات للحاصلات تقلل من استعمال النظام الدوري في الزراعة الذي اصبح الان بغير مضيعة بصفة متواترة .

ولذلك تم تشجيع انشاء التعاونيات، وفقا للقانون الصادر في هذا الشأن سنة ١٩٤٤، وزيادة دوائر التفتيش فيها، وتأسيس غرف للزراعة. ولقد اهتمت هذه الخطط ذاتها بالتعليم الريفي، وتأسيس المدارس الزراعية في كل محافظة وتشجيع التوطن في القرية، كما تم توسيع مشروع الدجيلة المهم والمشجع للامال، والذي كان يقوم على اساس المجموعة التي تمتلك قطعا صغيرة من الاراضي، واكماله، كذلك بوشر بانشاء مشاريع اخرى في منطقة الحويجة وفي اي مكان اخر.

خصص مجلس الاعمار في سنة ١٩٥١ اكثر من اربعة ملايين دينار لتوفير الآبار الارتوازية ومياه الشرب. كذلك تعاظم استعمال الالات الزراعية في الريف عن طريق انشاء نظام لتهيئة مستودعات للالات ومشاغل للتصليح عبر الريف، تدار حصراً من قبل الحكومة وفقا لقانون خاص بذلك، مع انشاء مديرية عامة لهذه المشاريع. والحقيقة ان كل الاهمية التي اعطيت للمكننة، حتى مع وجود الصعوبات الجديدة لاعمال الصيانة الصحيحة وللتموين، قد جرى تقييمها على اساس انها تؤلف جزءا من مستقبل الزراعة العراقية التي كانت تستطيع – بوجود المناطق الجديدة الواسعة التي تخضع للارواء المسيطر عليه – ان تحقق ليس الارض والماء حسب بل وحتى اليد العاملة، وتعتبرها العامل الرئيس المحدد لها.

اعطي الاهتمام لزيادة الحيوانات ولتحسينها، حيث خصصت لذلك مناطق واسعة من الريف. ولقد تم استيراد الثيران من انواع «ايرشير» و «فرايسن» وتم توزيعها، كما بيعت اكباش من قطيع مختار الى الزارع الذين يعتمد عليهم، وانجز بناء المختبرات الخاصة بالاصواف. ومع كل ذلك فقد وضعت اسس اخرى من التقدم، كان من بينها انشاء معامل للالبان، وبدء التجارب لانتاج الجبنة، وتربية انواع محسنة من البغال والحمير، وزيادة انتاج البيض، وذلك عن طريق ادخال التحسن في تربية الدجاج.

كانت المبالغ التي خصصها مجلس الاعمار للسنوات الخمس المارة خلال الفترة ١٩٥١ – ١٩٥٦، قد بلغت زهاء مليوني دينار للانفاق على البحوث الزراعية، وثلاثة ملايين ونصف المليون من الدنانير لمشاريع الاستصلاح ذات النطاق الصغير، ومليون دينار لاستصلاح المستنقعات، ومليون وربع مليون دينار لتربية الحيوانات. ولقد تحققت الحاجة التي اهملت قبلا الى تطبيق الاجراءات القاضية بالتفريق بين تربية الحيوانات وانتاج الحاصلات، وانه يقتضي تشجيع الجهود الفردية الضرورية الواسعة في ميدان الزراعة، والري، والتعليم الريفي، وتسوية الاراضي، وتوفير الرأسمال.

ولقد غدا محققا بان سني الخمسينات قد بدأت، اذا ماتعزز مثل هذا الجهد ولم تقع اية نكبة عامة، تفتح الطريق والمطامح امام تطور زراعي في هذه البلاد الواسعة المفضلة، وضمن حدود مثبتة بشكل مطلق، من مياه انهارها وامطارها، وان ذلك سوف يتجاوز ليس التطور الموجود في اي من بلدان الشرق الاوسط حسب، بل وحتى اي بلد من ذات المساحة في العالم، ذلك لان زراعة المواد الغذائية وتوفيرها للامم غير المحظوظة سوف تبرهن في الواقع على ان العراق يستطيع ان ينهض بالدور الرئيس في المساهمة المادية للانسانية!.

وفي مجال العناية بالغابات، لم ينجز اي شيء خارج حدود الدراسة والتجربة، وانشاء مشاتل للاشجار، وماتزال مناطق واسعة ومهملة من شمالي العراق، غير مزروعة وغير مستصلحة، وينقصها سن تشريع عصري بشكل واضح للغابات، واعداد موظفين متدربين على العناية بالغابات، بل ويعوزها حتى الكتشف التفصيلي على المواقع التي يمكن ان تنشأ الغابات فيها. والحقيقة ان بعض الخطوات قد اتخذت لتوفير الوقاية من الحرائق، وانجاز اول الكشوف عن الغابات، باستخدام الطائرات العمودية، والتصوير الجوي. ولكن لم يكن مستطاعا الحيلولة دون قطع الاشجار الا بصفة قليلة، لان الغابات لاتخضع للرقابة، وبسبب الرعي فيها واجتياحها على الدوام من قبل القرويين. ولقد خصص مجلس الاعمار مبلغ مليون دينار لتطوير الغابات خلال السنوات ١٩٥١ – ١٩٥٦، وتمت دراسة اهمية مثل هذه الخطط والمناطق بالنظر الى تآكل التربة، وترسبات الغرين، وفيضانات الانهار، حيث اعدت الخطط عن هذه القضايا والامور المتعلقة بها،غير انه لم تطبق سوى البداية لحل هذه المشاكل، والتحرك نحو العمل الواسع الذي ينبغي ان تشتمل هذه البداية عليه، وان توفر لجمهور العراقيين مصادر للوقود، وللاخشاب، وذلك امر لم يكن متوفرا في ذلك الوقت.

ومع ان صيد الاسماك من البحر، والذي وضع على اساس الصيد في شط العرب، لم يكن سوى مورد محدود، فان انهار البلاد واهوارها كانت مصدرا لصيد الاسماك التي كانت تقدر بالاف الاطنان في كل سنة، حيث كان تصدير الاسماك الى سوريا ولبنان، وعلى الاخص الى اليهود في فلسطين، يعتبر من الامور الاعتيادية ابتداء من سنة ١٩٣٢ حتى منتصف فترة الحرب العالمية الثانية. لقد كان متوقعاً – نتيجة البحث وايجاد سلطة مسؤولة لم توجد قبلا – ان يزداد انتاج الاسماك في الوقت الحاضر بصفة واسعة. اما تطوير مصائد الاسماك، فقد وجد منذ سنة ١٩٤٨ سبيله الى المناهج الوزارية، حيث تم في سنة ١٩٥٠ تسليم سفينة صيد لاستخدامها في مداخل مياه شط العرب، كما شرع بانشاء مخزن للاسماك على حساب المصرف الزراعي.

كان تأريخ الري في العراق من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥٠ يعتبر تأريخ اتصال سريع، بل وحتى تأريخ انجاز جزئي للمطامح المرغوب فيها منذ امد بعيد، وذلك عن طريق ايجاد مصادر

جديدة للثروة، ولذلك اصبحت هذه المطامح في سنة ١٩٥١ قابلة للتطبيق. وكانت الدعوة الى اتخاذ اجراءات بطولية اكثر وضوحا منذ ان حدثت الفيضانات الخطيرة المدمرة في سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٨، وحصول النقص الحاد في انتاج الحبوب، وذلك في بلاد اشتهرت بطاقتها الانتاجية. وفي اواخر سنة ١٩٤٦ تمت اضافة ملاحق الى مصادر دائرة الري ذات الجهد السامي للغرض ذاته، وذلك بتعيين لجنة من موظفي الري تحت امرة «هي» من مصلحة المهندسين الهندية.

كان هدف اللجنة اعداد دراسة ووضع تقرير عن السيطرة على الانهار وامور الري، وتقديم مناهج عنها. وفي شهر حزيران ١٩٤٩ قدمت هذه اللجنة تقريرها المذكور. وكانت مهمة السيطرة على الفيضانات، وخزن مياهها، قد بوشر بانجازها في نهر الفرات، وذلك عن طريق اكمال مشروع الحبانية – ابو دبس، وتمديده. اما في نهر دجلة فقد تقرر ان يتم توسيع ذلك بتوسيع مشروع الثرثار (على مرحلتين) وذلك بانشاء سد (على غرار جبل طارق) على نهر ديالى في النقطة التي يجتاز فيها جبل حمرين، وكذلك بانشاء سد «دوكان» على نهر الزاب الصغير.

فهذه المشاريع التي ذكر عنها بان قابلة للتحقيق، لابد ان تنقذ العراق من الفيضانات، وتحدث زيادة في موارد المياه التي تنخفض خلال الفصل الذي تهبط فيه مياه الانهار. ويمكن ان يصحب هذه المشاريع، تطوير الري في مناطق جديدة، وذلك عن طريق شق القنوات، واقامة رؤوس القنوات، والسداد، والجداول المغذية بالماء في مناطق اواسط الفرات، والزاب الصغير، واواسط نهر دجلة وذلك في مناطق تسيطر عليها قناتا «الاسحاقي» و «النهروان» وعلى نهر ديالى، ونهر الغراف، والقسم الادنى من نهر دجلة.

كانت المبازل واعمال تصريف المياه تنفذ باليد بصفة شاملة وذلك في المناطق المروية الموجودة فعلا، او المخطط ايجادها معا ؛ وفق اسس اظهرت التجارب التي اجريت بشأنها من سنة ١٩٤٠ الى ١٩٤٦، بانها قابلة للتنفيذ. كذلك كان من المقرر ان تقام محطة لاستحصال القوة الكهربائية من التيار في رؤوس كل من سد «سامراء» والسد الماثل لجبل طارق، وسد دوكان. يضاف الى هذا ان اقتراحات قدمت بشأن استصلاح الاهوار الواقعة في جنوبي العراق، واعادة تشكيل القسم الادنى من نهر دجلة، غير ان هذه المقترحات لم يتم تنفيذها.

من هذا المنهاج الهائل الذي كان يتوقع ان يكلف انجازه حوالي تسعين مليون دينار، بوشر بتنفيذ الربع منه بصفة مباشرة، وتم انجازه خلال عشر سنوات، وقد شمل ذلك، القسم الاول من توسيع بحيرة الحبانية، ومشاريع وادي الثرثار، والسد الماثل لسد جبل طارق، واعمال البزل والتصريف، وتوسيع الري في منطقتي النهروان والغراف، وفي مناطق نهر الفرات ايضا. ولقد اقر مجلس الاعمار قسما كبيرا من هذه الخطط (٠) في اجتماعاته الاولى التي عقدها سنة ١٩٥١ مع

---

(٠) كان مشروع السنوات الست الذي وضعه مجلس الاعمار في اوائل سنة ١٩٥٢، قد وفر الانفاق سنة بعد اخرى ابتداءا من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٦ على مشروع الثرثار (بما يبلغ مجموعه ١٥٣٠٠٠ دينار، ومشروع الحبانية (٢٠ الف دينار) وسدود

التعديلات المتوقعة، وذلك لاعداد قاعدة لفعالية الري المقبل في العراق، والذي لابد وان يستغرق انجازه التام، على الرغم من نفاد صبر الجمهور والصحافة، مالايقل عن خمسين سنة .

كانت المشاريع التي اكملت فعلا قبل سنة ١٩٥١ تتمثل في اعادة استقامة مدخل بحيرة الحبانية (قناة الورار) ومخرج العودة الى النهر (قناة سن الذبان) وضمان الحماية من الفيضان، وامكانية استعمال المياه التي يتم خزنها. وكانت القناة التي تصب في وادي الثرثار تعتبر من الاعمال العظيمة حقا، وقد عرضت مناقصتها من قبل مجلس الاعمار في سنة ١٩٥١. اما سد سامراء ورؤوسه، ومشروع الحبانية الكبير، فقد كان من المقرر ان يجري تنفيذهما بعد ذلك. ومع هذا فقد بقيت مخططات وتصاميم تفصيلية ينبغي القيام بها، ومنها منهاج السنوات الخمس التالية الذي بوشر به الان حالا، وقبل ان يوضع المنهاج المخصص للجزء الادنى من نهر دجلة والعمارة والبصرة والغراف

اما مدى هذه المشاريع بالنسبة الى الخطط التي وضعها «وليم ولكوكس» قبل اربعين سنة من ذلك التأريخ، والتي ثبتت فيها جميع الاختيارات اللازمة لذلك، فقد كان هذا المدى واسعا جدا في الواقع. فلم يتم التخلي الا عن سد الفلوجة، وسد «بلد». كما ان المشروع الذي وضع لتطوير منطقة البصرة – هور الحمّار، فانه قد يتعقب الخطط التي وضعها «ولكوكس» في النهاية او لايتعقبها. وقد بدا الان ظاهرا ان الارواء بواسطة المضخات قد بلغ حده الاقتصادي في كثير من مناطق البلاد، ولكن كان هناك، مع ذلك، مجال وافر للمزيد من الزراعة المكثفة في الاراضي التي تروي بالمضخات .

كان الارتباط المعقول بين الصيغ الثابتة لحق منح اللزمة في الاراضي، قد اعترفت به الحكومة منذ امد طويل، وذلك بالنشاط الذي اظهرته في موضوع تسوية الاراضي. ولقد برزت في الاخير شواهد على النطاق المعتمد من الانجازات بعد عهد من الجهد الشاق استغرق مدة ثماني عشرة سنة. ذلك ان الانتقادات التي وجهت في اول الامر الى الاجراءات التي بوشر بتطبيقها، والتقدم الذي حصل في العمل ذاته في كل انحاء العراق؛ قد تم وصفها في كل مكان. في غضون خمس سنوات اخرى بعد انتهاء الحرب، تم تحديد وتقييد وتسجيل الحقوق الشخصية في مناطق واسعة اخرى .

لم تكن مشكلة حقوق الاراضي في المنتفق والتي كانت المطالبة بحلها تجري على الدوام، قد حلت بعد. وفي العمارة لم تكن الاجابة عن ذلك لتختلف عن صيغة «الامر الواقع !». غير انه تم

ديالى وقنواتها (٦٧٥٠٠ دينار) وسد الحويجة وسد العظيم وقنواتها (٦٧٥٠٠ دينار) وسد بخمة (٨٧٠٠٠ دينار) واعمال الري في محافظتي الموصل واربيل (١٩٠٠٠ دينار) وسد نهر دجلة وقنواته جنوبي مصب نهر العظيم (١٨٠٠٠ دينار) ومشروع البزل الرئيس (٤١٠٠٠ دينار) واعادة شق القنوات في اواسط نهر الفرات وادانيه، وكذلك في اداني نهر دجلة ونهر الغراف ومنطقة البصرة (١٠٤٢٥٠ دينار) .

بدور ضمان طويل الامد للشيوخ. ولتقسيم الاقطاعات الى قطع على حد سواء. وفي كل مكان لم تكن المشكلة العسيرة التي يعيشها الفلاح الذي لايملك ارضا، قد حظيت الا بتغيير طفيف[10] ذلك لان الفلاح كان على الدوام غير قادر على وضع قاعدة للاستحقاق. ويواجه في ذلك المعارضة الشديدة. في حين ان اصحاب الحظوظ الحسنة الذين يتمتعون بالمشيخة بمحض الولادة، او اصحاب المشروعات التجارية الاخيرة، كانوا قد حصلوا على استحقاق تملك الاراضي. كل هذه الامور كانت من التصرفات الواضحة التي تثير الحسد والغيرة.

والواقع انه كان يوجد مجال وافر للنقد على اسس متباينة. ذلك لان الحكومة قد تخلت عن حقها في التصرف الحر بالاراضي الواسعة التي لم تكن مسجلة قانونيا من قبل. وان كانت تلك الاراضي مأهولة في الواقع. فمثل هذه الامور كانت في النهاية تعيق خطط التنمية. فلقد تم الاعتراف بالمصالح المخولة بسخاء جدا، ولذلك كان اصلاح الاراضي وفق منهاج متعادل في نظر الجناح اليساري من الساسة في بغداد (وفي نظر بعض المراقبين الاجانب ايضا) من الامور التي يكثر الالحاح عليها دائما.

ومع كل ذلك. وضمن حدود المجتمع والاقتصاد بالشكل الذي كانت عليه تلك الحدود، فان اجراءا واسعا لتحقيق الاستقرار قد تم انجازه. ذلك لان المنازعات على الارض غدت قليلة، وازدادت الثقة. ولم يعد احد يفكر في العودة الى الاحوال التي سبقت تسوية الاراضي، حيث كان قانون الغاب هو الذي يتحكم في الزراعة. فبالنسبة الى الاراضي الصغيرة والكبيرة، والى ملكية الفلاح ومزرعة الرأسمالي التي تقوم على الاسس العلمية، كان هناك مجال واسع امام العراق في المستقبل. لتأسيس شركة للتنمية الزراعية، والمباشرة بتنفيذ مشروع حكومي واسع النطاق في ميدان المزارع الواسعة غير المستغلة التابعة للدولة.

• • •

ومع ان الحدود التي كانت الصناعة سوف تتطور ضمنها خلال نصف قرن. قد تمت دراستها بصفة مطلقة من قبل لجنة البحث الصناعي ومديرها العام، فقد كان هنالك مجال للتوسع اثناء

---

(١٠) ماذا حصل بعد ان حرر الفلاح من الاقطاع والظلم والارهاب؟ واعطيت له اراضي يمتلكها وزود بالبذور وبالمياه وبالالات ليزرعها؟ اين هو الانتاج الذي انتجه الفلاح بعد تحرره في العهد الجمهوري؟ ولماذا هبط هذا الانتاج الى الصفر، وهجر الفلاح ارضه وحيواناته ونزح الى المدن يعيش في جحور ضيقة قذرة ويشارك سكان المدن طعامهم ومشاكلهم ، في الوقت الذي كان فيه يملك له كوخا خالصا يسكنه ويربي المواشي والدجاج ويفيد من بيع البيض والحليب ويأكل الخبز من الحاصل الذي ينتجه؟ لقد كان من نتائج هجرة الفلاحين لاراضيهم بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ان اصبح العراق يستورد باثمان النفط وبقية الموارد الاخرى كل مايحتاج اليه من غذاء ابتداء من الحنطة والرز الى البيض والدجاج والفواكه والخضراوات وحتى العلف الحيواني هذه هي حصيلة تحرر الفلاح!!

السنوات الخمس الاخيرة. غير ان الاساس القانوني لتشجيعها، والذي يمثل سياسة كل الوزارات المتعاقبة، كان قد تغير بالغاء قانون ١٩٢٩، والاجازات التي اصدرت وفقا له، وذلك لصالح القانون الذي شرع في سنة ١٩٥٠. فهذا القانون الاخير قد منح امتيازات مهمة للمشروعات التي تدار بالقوة،والتي كانت تستخدم تسعين في المائة او اكثر من ذلك، من العمال المحليين، وكانت اقامة كل مشروع منها يكلف خمسة الاف دينار عراقي على الاقل، وتستخدم اكثر من نصف رأس المال العراقي.

في سنة ١٩٥١ تم قبول خمسة وثلاثين من هذه المشاريع التي تحققت فيها هذه الشروط، ولذلك منح المصرف الصناعي قروضا الى عدد منها.

اما الناتج الصناعي لهذه المشروعات فقد كان البعض منه في ادنى نطاق واضعف اهمية من امثال صنع الحلويات، والمعكروني، والدبس، والمواد التي تصنع من المرمر الكردي، والخزفيات، والشخاط الشمعي، والازرار، ومعالجة الزجاج،والقاشي غير المزجج، واواني الالمنيوم. اما المعامل التي كانت تقوم على نطاق اوسع فهي تتمثل في معامل الطحين، والزيوت النباتية، والمقوى واوراق التغليف (التي كانت تصنع من سوق الحبوب والرز) والصابون، والسلع المحاكة بالابرة، والسجق، واللحوم المعلبة، والزيوت المثلية، والعرق، والانابيب الكونكريتية، والبلاستيك، وشبابيك الالمنيوم، والاثاث المجوف.

ولقد فشل مشروع انشاء معمل مبكر لصنع البيرة، ومن ثم بدأت معامل عصرية للبيرة تستعمل الشعير المحلي في انتاج الجعة الفاخرة في سنة ١٩٤٩[١١] وكان هنالك مشروع طموح لانشاء معمل لصنع الاكياس المصنوعة من الجوت قيد الانشاء.

واستمرت معامل الطابوق في التطور حسب الاسس العصرية وكانت قادرة على سد الاحتياجات المحلية، في حين مضت معامل السكاير قدماً في تزويد المدخنين في كل انحاء القطر بالسكاير، سواء في ذلك السكاير التي تصنع بالطريقة العصرية، ام التي تصنع باليد. ولقد حدث تقدم كبير تحت اشراف جمعية الجلود، في معالجة الجلود المحلية بصفة افضل، فكانت تنتج منها جلود مدبوغة جيدة، ولذلك زاد نطاق معامل الاحذية التي كانت تدار بالقوة الكهربية، وارتفعت نوعيتها.

ولقد بدأ معمل السمنت الذي انشئ خارج بغداد، والذي كان يستعمل الجبس الذي

---

(١١) كان اول مصنع للجعة قد انشأته شركة الخضيري وجماعته واقامته في منطقة الزعفرانية وكانت البيرة التي انتجتها هذه الشركة تحمل علامة «ديانا» وظلت تعتبر من افخر الانواع، ولم يكن سعر القنينة بالمفرد انذاك يزيد عن تسعين فلسا. على ان الاقبال على البيرة المحلية، كان قليلا في اول الامر، ثم مالبث ان ازداد وتعاظم بمرور الايام بعد ان وجد كثيرون ان في الامكان التعويض بها عن «العرق» وغيره من المشروبات الروحية الاخرى.

يوثق به من طوزخرماتو ، انتاجه بصفة مهمة منذ سنة ١٩٤٩[١٢] وسرعان ما اصبح يبيع في اليوم الواحد مائتين وخمسين طنا من السمنت . وكانت هنالك ثلاثة محالج للقطن قد انشئت ايام الحرب الثانية ، بقي واحد منها ، وهو الذي انشأه المصرف الزراعي في العزيزية ، قائماً ، وكانت طاقته الانتاجية تزيد كثيراً عن حاصل القطن المتوفر هنالك .

وبقيت جميع المطابع ، وكلها صغيرة ، عدا مطبعة واحدة يملكها بعض الاوربيين[١٣] ومطبعة الحكومة ، بصفة جوهرية على ماكانت عليه قبل الحرب ، عدا ما احدث من تجهيزات عصرية فيها.وتوسعت امام صناعة الغزل والنسيج ، والتي كانت تقوم في بعض الحالات بصبغ الغزول وانتاجها ، في اوائل سنة ١٩٥٠،مجالات للتطور الذي كانت عليه قبل الحرب ، فكانت تستعمل القطن المحلي في جزء من انتاجها.كذلك اخذ احد المعامل التي انشئت في الموصل ينتج اقمشة «الريون» ايضا . وكان هنالك عدد اخر من المشروعات الصناعية ، قل او كثر ، على وشك ان يتحقق في سنة ١٩٥٠ ، ومنها معامل لصنع قماش «الريون» من القش ، وانتاج المخصبات المحلية ، وتكرير السكر .

ولقد تمت دراسة معالجة اوراق التبوغ دراسة مكثفة ، ولكنها ظلت متخلفة . وكان الاعتقاد الراسخ ان صناعات اخرى سوف تتطور بصفة اكثر ، وذلك باستعمال الخامات العراقية ، وتقليص الحاجة الى الاستيراد . ومن بين هذه الصناعات ، صناعة السمنت ، والصابون ، والكحول ، والزيوت النباتية ، والجلود والاحذية والسكاير ، والجعة والمنسوجات . اما الصناعات الاخرى فقد ظلت امكانياتها دون المستوى ، ولو ان لها مكانتها النافعة ، ذلك لان ايا من هذه الصناعات ، لم ينتج فائضاً لغرض التصدير ، الا اذا كان البعض يعتقد ويأمل ان في الامكان ايجاد صناعة تستخدم لهذا الغرض ، من امثال صناعة المخصبات او غيرها ، ووفرة منتجات النفط.وكان مجلس الاعمار يعتزم ان ينفق نفقات واسعة على مشاريع الصناعة والتعدين خلال فترة السنوات الخمس من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٦ ، وعلى اسس يتم الكشف عنها مؤخرا .

• • •

(١٢) يقصد به معمل السمنت الذي اقامته الحكومة على مقربة من معسكر الرشيد وكان اول معمل من هذا النوع .

(١٣) المعتقد ان هذه المطبعة هي المطبعة التي كانت تطبع بها جريدة «الاوقات العراقية» التي كانت تصدر باللغة الانكليزية وتمثل وجهة نظر الحكومة ، واراء الدبلوماسية الانكليزية في ذلك الوقت . وكانت هذه الجريدة تصدر في اربع صفحات واحدة منها بالعربية ، وتصدر بمناسبة عيد الميلاد عددا خاصا يصل الى حدود اربع وعشرين صفحة في تلك الايام .

لقد ظهر بان الفقر الذي يعانيه العراق في المعادن ، ماعدا النفط ، قد تحسن بفضل ما اكتشف في اواخر سني الاربعينات من مناجم مهمة للنحاس ، واحجار النحاس في الاجزاء الجبلية من منطقة «قلعة دزة» . كما قدم احد جيولوجي الحكومة تقارير عن امكانية انتاج نوع فاخر من المرمر قرب «رايات» ، وتموينات في اماكن اخرى من مادة «الكرومبت» وخامات الحديد والمنغنيز . فلقد كان يظن بان هذه المعادن وغيرها غير قابلة للاستثمار التجاري . وكان العمل جاريا للكشف عن حجر الجير الصلب الملائم لاقامة السدود ، وقد تم العثور عليه فعلا ، وكان الملح ، والجبس ، وطين الآجر ، وحجر الموصل الذي يستخدم في البناء ، والمواد التي تدخل في صناعة السمنت ، تستعمل على مثل ماكانت عليه فعلا . كما تم التخطيط بتجديد النشاط الذي ادى اثناء الحرب الى انتاج خمسة عشر الف طن سنويا من الفحم في كفري .

وعلى الرغم من التأخيرات والمعوقات التي فرضتها فترة الحرب ، كان الوضع الذي انجز في صناعة النفط في سنة ١٩٥٠ ، قد وضع العراق في مقدمة الاقطار المنتجة للنفط ، مع الوعد ، بل التحقق من حدوث استثمارات اوسع في متناول اليد . فلقد اصبح مشروع انشاء مصفى حكومي للنفط والذي فكر فيه منذ سنة ١٩٤٥ ، على وشك الانجاز في نهاية سنة ١٩٥٠ (١٤) وذلك بعد ان اكملت الخطط التي وضعت لانشائه ، ووفرت الاموال اللازمة له . وكان حقل النفط الصغير ومصفاته التي انشأتها الشركة المستثمرة ، وهي شركة نفط خانقين ، في كل من نفطخانة وخانقين ، مايزال يباشر عمله ولكن على نطاق محدود كان يتلاءم وتموين شمالي العراق واواسطه بالمنتجات من قبل شركة نفط الرافدين. هذا في الوقت الذي لم يكن فيه لتوزيع هذه المنتجات من قبل شركة نفط الرافدين اي مستقبل الا في سنة ١٩٥١ ، وذلك بعد ان اوقفت تموينات النفط التي كانت تصل من عبادان الى البصرة ، في الوقت الذي كانت فيه تموينات نفطية اخرى ترد من الشمال تجابه مشاق ونفقات تتطلب التحسين .

اما التطور الذي حصل في عمل شركة نفط الموصل (شركة استثمار النفط البريطانية سابقا) والتي ولدت توأما لشركة النفط العراقية على الضفة اليمنى ، من اعالي نهر دجلة ، فان هذه الشركة قد باشرت منذ سنة ١٩٤٧ وما بعدها في حفر ابار اخرى في منطقة «عين زالة» وماجاورها ، ولكن هذه الاعمال لم تكشف الا عن حقل ذي ابعاد معتدلة ، واستغلال غير

---

(١٤) هو مصفى الدورة ولقد نشرنا عدة مقالات في حينه طالبنا فيها بضرورة انشاء هذا المصفى في منطقة الفتحة عند قضاء بيجي وبينا اسباب ذلك التفضيل ، ولكن الحكومة لم تلتفت الى اهمية الفتحة ولا الى الاخطار التي يمثلها وجود مصفى الدورة في بغداد ، وسبب ذلك يعود الى ان كثيرين من اصحاب الاراضي الزراعية في منطقة الدورة قد تدخلوا لكي تباع اراضيهم باثمان عالية في ذلك الوقت . وقد تحققت خطورة موضع مصفى الدورة في الايام الاولى من وقوع العدوان الفارسي على العراق اذ كان المصفى من اول الاهداف التي قصفتها الطائرات الفارسية المعتدية والحقت الاضرار به وبالساكنين حواليه .

مؤكد . ولكن الامتياز الذي منح الى شركة استثمار النفط البريطانية هناك ، لابد وان يؤدي بعد فترة قصيرة ، الى الانتاج التجاري . وكان مد خط انابيب من عين زالة الى المحطة «ك ٢» قرب بيجي ، تحت الانشاء في سنة ١٩٥٠ – ١٩٥١ لغرض تصدير نفط شركة نفط الموصل من هناك (١٥) .

اما في منطقة البصرة ، من الناحية الاخرى ، فقد استأنفت شركة نفط البصرة بحثها عن مواطن النفط بعد انتهاء الحرب . وبعد الانتهاء من القيام بعمليات جيوفزائية ، باشرت باعمال الحفر في منطقتي «نهر عمر» والزبير ، فحققت في ذلك نجاحا مباشرا هناك ، وركزت اكتشافها في الموقع الاخير ، الذي كان يقع على بعد اثنى عشر ميلا جنوبي غربي البصرة ، كما حفرت ابار اخرى ، واقيمت منشآت الحقل ، ومد خط انابيب الى الفاو في سنة ١٩٥٠ ، لتصدير النفط من هناك بمعدل اولي ، حيث غدا ممكنا في الايام الاخيرة من سنة ١٩٥١ تصدير مايقرب من مليوني طن في السنة .

وكانت حقول نفط الزبير التي عززت بحقول اخرى في ذات الموقع ، من المستطاع ان تأخذ مكانتها كجزء له قيمته من موارد العراق .

كانت العمليات التي قامت بها شركة النفط العراقية بعد الحرب العالمية الثانية ماتزال مكثفة وفعالة . ذلك لان السنين الاخيرة من الحرب لم تشهد سوى انتاج محدود بسبب ظروف ايام الحرب المقيدة . ولذلك فان استئناف تصدير النفط بعد سنة ١٩٤٣ الى موانئ البحر الابيض المتوسط بنفس المستوى الذي كان عليه قبل الحرب ، والذي كان يندر ان يتجاوز اربعة ملايين طن في السنة ، واعلان الهدنة ، والغاء القيود المفروضة على التموينات واليد العاملة بصفة تدريجية ، قد مكن الشركة من ان تجدد بصفة فعالة مشروعها الذي وضعته في سنة ١٩٣٨ لمضاعفة خط انابيبها ، فبدأت في سنة ١٩٤٦ ببناء خط انابيب جديد من قطر ست عشرة بوصة (*) يسير موازياً للخط القائم آنذاك وهو من قطر اثنتي عشرة بوصة ، من كركوك الى حيفا ، كما مد خط اخر بعد اشهر قليلة الى ميناء طرابلس . وقد اكمل الخط الاول في اوائل سنة ١٩٤٨ ، ماعدا الجزء الذي يمتد منه الى حيفا ، حيث فضل عدم انشائه ، وذلك بسبب ظروف الحرب ، وعدم التأكد من المستقبل بعد قيام دولة اسرائيل في شهر ايار من تلك السنة . كما انه لم يعد مستطاعا استمرار العمل بالخط من قطر اثنتي عشرة بوصة . وكانت خسارة الحكومة من

---

(١٥) كان المخطط لدى شركة نفط الموصل ان يتم نقل ماتنتجه من النفط الى محطة ك ٢ في بيجي ومن هناك يجري ضخه في الانابيب الرئيسة القادمة من كركوك الى ساحل البحر الابيض المتوسط .

(*) كان هذا اكبر قطر للانابيب امكن الحصول عليه من مصادر المنطقة الاسترلينية آنذاك .

وراء ذلك ماتقرب من سبعة ملايين طن كانت تصدر سنويا ، ومايقابلها من الخسارة في عوائد النفط .

اما بالنسبة الى الخط الشمالي المتجه نحو طرابلس فقد اكمل الخط من قطر ست عشرة بوصة في منتصف سنة ١٩٤٩ ، وبذلك اصبح تصدير النفط من طرابلس ثلاثة اضعاف عما كان عليه قبلا . وفي اقل من سنة بعد ذلك التأريخ ، بادرت الشركة ببناء خط جديد من قطر ثلاثين بوصة. ولما كان هذا الخط قد تم تصميمه على ان يبدأ من كركوك الى ميناء بانياس في سوريا على ساحل البحر الابيض المتوسط (وهو خط مواز للخطين من قطر ١٢ بوصة و ١٦ بوصة الا بالنسبة الى نهايته الغربية) فان هذا الخط سوف ينقل نفط العراق الى الاسواق العالمية بمعدل اربعة عشر مليون طن في السنة ، وهو اوطأ معدل من ضخ النفط فيه ، اذ يمكن رفع هذا المعدل بصفة اكثر عن طريق زيادة محطات الضخ(**) .

صاحبت هذا التوسع في خطوط انابيب النفط ، زيادة مهمة في مشروع الضخ والتسهيلات اللازمة له ، وذلك عن طريق اقامة سبع محطات للضخ ، على جانبي النقطة التي تنفصل بها الخطوط عن بعضها البعض على مقربة من «حديثة» وفي حقل كركوك ذاته[17] اما التطور الذي حصل في حقل كركوك فقد انجز توسيعه يمتد شمالا الى محافظة اربيل فيما وراء نهر الزاب الاصغر ، وذلك عن طريق القيام بحملة نشطة لحفر ابار النفط والعمليات المتنوعة التي رافقت ذلك .

واذ مضت عمليات حفر الابار قدما ، فقد بوشر بتوفير خطوط التجميع وبناء الصهاريج ، ومحطات تخليص النفط من الغاز ، وانشاء وحدات جديدة في مشروع التنقية والافراز ، وبناء مساكن للادارة والسكن ، ونصب المشاغل والمخازن والمستودعات ، والمختبرات ، واقامة مشروع القوة الكهربية، ومد انابيب اسالة الماء .

ولقد كان العراقيون محظوظين حقا ، وذلك لان استغلال اعظم ثروة في اراضيهم ، قد تم تحقيقه حسب الطرق العصرية والاقتصادية ، ومن دون اضاعة لتلك الموارد او تعريضها الى الخطر . ولقد تمت مواجهة حاجات العمل عن طريق المبادرة ببناء البيوت العصرية للمستخدمين

(**) تم بناء خط انابيب ذي ٣٠ بوصة بسرعة فائقة حيث بدأ العمل فيه في اواخر ربيع سنة ١٩٥٢[16] .

(١٦) تعهدت شركة «بكتل» الامريكية وهي من اكبر الشركات الاستشارية العالمية ، بمد هذا الانبوب فانجزته في مدة تقل حوالي سنة عن المدة المحددة في العقد،وقد منحت العمال في العمل اجوراً افضل بكثير مما كانوا يحصلون عليه من الشركات الانكليزية .

(١٧) هذه المحطات السبع تتألف من ثلاث محطات على الخط الممتد الى ميناء بانياس في سوريا ، واربع محطات على الخط الممتد الى ميناء طرابلس في لبنان . اما الخط الذي كان يمر الى ميناء حيفا فقد اوقف العمل به منذ ان بدأت الحرب العربية الاسرائيلية في شهر ايار ١٩٤٨ عند المحطة الرابعة (حيفا ٤) داخل الاراضي الاردنية وفي داخل الاراضي المحتلة في فلسطين .

العراقيين ، والحوانيت ، وساحات الالعاب ، وتوفير وسائط النقل الى مواقع العمل ومنها ، ومنح العلاوات ، وتعديل المرتبات ، وذلك لمواجهة الارتفاع الحاصل في نفقات المعيشة ، وانشاء صناديق التوفير ، وتوسيع المستشفى والتدريب الفني داخل العراق وفي بريطانيا معا .

وعلى الرغم من المصاعب النفسية ، والمادية ، والسياسية (التي كان التظاهر بها يتم بصفة مصطنعة) والتي لايمكن فصلها عن وجود الهوة الاقتصادية المتقدمة بالنسبة الى اقتصاديات الفلاحين البدائية ، فان معيشة عمال النفط ، وظروف عملهم ، على الرغم من انها كانت اقل كمالا ، كانت دون شك من افضل ماوجد في ميدان الصناعة العراقية المعاصرة ، ولم تكن تلك الظروف تستحق تلك الهجمات المنطوية على الكذب الصارخ ، والتي اعتادتها صحافة بغداد التي كانت تتحدث عن اهوال العمل لدى شركة نفط العراق ، وقسوة المستثمرين من الاجانب[18] .

كذلك حققت الصناعة النفطية ايضا فوائد جوهرية غير مباشرة للجمهور في عمليات الشراء المحلية ، والتعهدات ، وزيادة القوة الشرائية ، وتوفير النقد الاجنبي ، وتعليم المهارة الصناعية ، وممارسة الخدمات القيمة ذات النفقات الواسعة في كركوك ، اذ استطاعت في سنة ١٩٥١ ان تحقق بان وجود شركات النفط وعملياتها الموسعة ، سيظل من المنافع الاقتصادية الواسعة والاجتماعية للشعب العراقي . ذلك لانه بعد التخريب ، العظيم الذي اصاب صناعة النفط في فارس،والذي اوجدته الحكومة الفارسية نفسها[19] اصبح وضع العراق باعتباره بلدا مجهزا للنفط الخام ، لابد وان تكون له اهمية دولية ، نتيجة لذلك ، اعظم مما كانت عليه قبلا . غير ان عقول الوطنيين المحليين وعواطفهم ، والذين لم تحدث المأساة الفارسية بالنسبة اليهم اية اخطار

(١٨) لاتوافق المؤلف في ذلك فلقد كانت انتقادات الصحافة لاوضاع عمال النفط ، حتى وان كان مستوى معيشتهم آنذاك ارفع نسبيا عن مستوى بقية العمال الاخرين العاملين سواء في القطاعات الحكومية او الاهلية ، نقول كانت اوضاع عمال النفط في الدرك الادنى ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار مستوى امثالهم في البلدان الغربية ، وليس الشرقية ، وكذلك مقدار الارباح المفرطة التي كانت تصيبها الشركات ، وكلها اجنبية ، من وراء استخراج النفط وتسويقه . ذلك لانه حتى حصة الحكومة لم تكن لتزيد في ذلك الوقت عن النسبة المئوية الضئيلة جدا من الارباح ، فكيف باجور العمال التي كان معدلها بالنظر الى اكثرية العمال يتراوح بين ربع دينار وثلثمائة وخمسين فلسا في اليوم الواحد . وفضلا عن ذلك فان السكن الذي وفرته الشركة لم يكن يستفيد منه سوى عدد ضئيل جدا من العمال والمستخدمين ، ذلك لان مشروع السكن قد اقتصر في الدرجة الاولى على منطقة كركوك وحدها ولم يشمل محطات الضخ الاخرى القائمة على امتداد خطوط الانابيب الى البحر الابيض المتوسط .

(١٩) يشير المؤلف بذلك الى حركة تأميم نفط الاحواز التي اقدمت عليها حكومة الدكتور محمد مصدق في سنة ١٩٥٠ وكيف تطورت تلك الحركة بعد ان تحالفت امريكا مع بريطانيا في الحيلولة دون تسويق النفط المؤمم الى العالم، الامر الذي مهد لاسقاط حكومة مصدق اثر الانقلاب الانكلو امريكي الذي نفذه الجنرال زاهدي ، ومن ثم تفاهمت واشنطن ولندن فيما بينهما على اقتسام نفط الاحواز . انظر كتابنا (معركة النفط في ايران سنة ١٩٥١

او خسائر ، سوف لن تتخلى عن «التأميم» الذي قد يسمح اولا يسمح (بالنظر الى طريقته وصيغته) باستمرار تلك الصناعة [٢٠] .

غدا واضحا تماما ان وجود مشاريع اوربية ناجحة وثرية ومنظمة تنظيما حسناً في العراق تحت الاشراف الاجنبي ، وتوفير المستويات العالية للمعيشة والمميزات التي يهيؤها امتياز النفط ، لابد وان يمثل اعتداء على الاحساس القومي ازاء ، واحدة على الاقل ، من مدارس الساسة المحليين ، مهما كان سلوك اولئك الساسة صحيحا ، ومهما كانت سياستهم متفتحة ، وفي فترة قد لايصبح فيها استثمار النفط الذي يمكن ان يستمر على مثل هذه الاسس ، منظورا بشكل موثوق به على الرغم من كل المنافع التي يوفرها للبلاد .

وفي الوقت ذاته فبالنسبة للخزينة العراقية ، لم يعد ماكانت تتسلمه من موارد النفط ، مجرد ايرادات لاحقة لايرادات اخرى ، وانما اصبحت موارد النفط هي العمود الرئيس للحكومة ذاتها ، واسس كل آمالها في التنمية والتحسين . ولذلك كان رجال الدولة في العراق يتطلعون بلهفة الى تسلم ايرادات متواصلة من صناعة النفط ، اعظم من تلك الايرادات التي توفرت في امتيازي سنة ١٩٢٥ او سنة ١٩٣١ والتي كانت محددة باربعة شلنات ذهبية عن الطن الواحد ، وادعاء تلك الامتيازات بان كلمة «الذهب» يجب ان تترجم الى كلمة «جنيه استرليني» حسب معدلات الاسعار غير الرسمية في الاسواق المفتوحة ، والتي ادت من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥١ الى محادثات متكررة بين الحكومة العراقية وشركة النفط . ذلك لان قضية النفط التي وافقت فيها الشركة،بناء على طلب الحكومة العراقية في سنة ١٩٤٩ ، ان يسمح بتسويتها من قبل محكمة بريطانية بدلا من التحكيم ، ان هذه القضية ظلت خارج نطاق التسوية،عندما انتهت الفترة ، مع الاشارة الى ان حكومة بغداد كانت تعتزم ان توالي الضغط على مطاليبها الكاملة (*) .

---

(٢٠) لابد وان المؤلف قد اطلع جليا على معركة العراق لتأميم النفط والنجاح الذي اصابته هذه المعركة التي اعادت للعراق حقوقه الطبيعية في موارد نفطه ، والاستثمار بها دون بقية الشركات الاجنبية الامر الذي وفر للبلد اموالا طائلة جدا بوشر بانفاقها على المشاريع النافعة وعلى الاخص في ميدان الاعمار والبناء ،ذلك لان الحكومة الوطنية التي نفذت التأميم ، لم تحذ حذو الحكومات النفطية في الخليج العربي والسعودية ، في استثمار عوائد النفط في المصارف والشركات الاجنبية من امريكية وانكليزية وفرنسية ، ومنها عدد كبير من الشركات الصهيونية ، وانما اوقفت الحكومة الوطنية كل عوائد النفط للاعمار ولرفع مستوى معيشة السكان ، بحيث كاد الفرق ان ينعدم تماما بين الريف والمدينة .

(*) كانت هذه المطاليب تبلغ زهاء عشرين مليون باون استرليني حيث تم الاتفاق على رقم مطابق لمبلغ خمسة ملايين باون استرليني بين المتفاوضين في سنة ١٩٥١ . ولكن ذلك لم يكن يؤلف جزءا من التسوية التي صادق البرلمان عليها في اوائل سنة ١٩٥٢ .

نجم عن تعديل قضية العوائد في سنة ١٩٥٠ ، التوصل الى اتفاق شرطي يسري بصفة جزئية على ماسبقه ، ويقضي برفع الشلنات الذهبية الاربعة الى ستة شلنات ذهبية . غير ان هذه الزيادة التي كانت بصفة مباشرة مساعدة للخزينة العراقية كما هو واضح ، قد تم ايقافها نتيجة مفاوضات اخرى طويلة الامد تقوم على اساس مبدأ جديد هو مبدأ المناصفة في الارباح ، الذي اعلنته لاول مرة شركة النفط العربية الامريكية (ارامكو) في المملكة السعودية في اخر يوم من سنة ١٩٥٠ ، ذلك الشرط الذي كان يتفوق على كل الشروط التي كانت اقل تفضيلا [٢١] والتي كانت تتمتع بها البلدان المجاورة . ولقد سارت المحادثات الجارية في بغداد حول هذا المبدأ قدما ، بين الشركة والحكومة خلال النصف الاول من سنة ١٩٥١ ، وكانت تشمل التزامات الانتاج من لدن كل الشركات العاملة في العراق ، وكذلك العوائد ، والضرائب ، التي يتوقع الحصول عليها من تلك الشركات**.

---

(٢١) في الوقت الذي اظهرت فيه الحكومة الامريكية تأييدها لحكومة مصدق في موضوع التأميم ، ودفعها الى ذلك بكل الوسائل ، عمدت امريكا الى احراج وضع حليفتها بريطانيا في بلدان الخليج والسعودية والعراق ، فشجعت الحكومة السعودية على ان تطالب بتطبيق مبدأ المناصفة بالارباح ، وذلك لكي تحمل الحكومات الاخرى في البلدان المنتجة للنفط ومنها العراق ، على المطالبة بتطبيق هذا المبدأ الذي قد يؤدي تطبيقه الى وقف الاندفاع نحو المطالبة بتأميم النفط، وعلى الاخص بعد ان اممت حكومة مصدق النفط في بلاد فارس .

(**) تم القبول باتفاق النفط الجديد الذي يقوم على اساس مبدأ المناصفة المتعادلة في الارباح في شهر آب ١٩٥١ بين الحكومة والشركة، ولقد صادق البرلمان عليه في شهر شباط ١٩٥٢ ، وكان لهذا الاتفاق اثر رجعي يسري الى اليوم الاول من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥١ ، مع قيام مبادرة متوقعة (خلال سنة كاملة) لمد خط انابيب من قطر ثلاثين بوصة (يستطيع ان ينقل مايتراوح بين اربعة عشر مليون وخمسة عشر مليون طن من النفط ، اضافة الى الخطين اللذين ينقلان حوالي ثمانية ملايين طن) الى طرابلس وهما الخطان من قطر ١٢ بوصة وقطر ١٦ بوصة . وكان المتوقع ان تبلغ ايرادات العراق من هذا المصدر ، وفقا لقواعد النفقات والاسعار المعمول بها ، مايزيد عن ثلاثين مليون باون في سنة ١٩٥٢ ثم ترتفع الى ستين مليون باون في سنة ١٩٥٥ . ولقد تم الاتفاق على ان يكون الحد الادنى من الانتاج اثنين وعشرين مليون طن سنويا (بالنسبة الى شركة النفط العراقية وشركة نفط الموصل مشتركا) وذلك ابتداء من سنة ١٩٥٤ ومابعدها ، وان يكون انتاج شركة نفط البصرة ثمانية ملايين طن ابتداء من نهاية سنة ١٩٥٥ . واكدت الحكومة العراقية ان مقدار ما تتسلمه من العوائد يجب ان لايقل عن قيمة الربع من النفط الخام الذي توفره شركة النفط العراقية وشركة نفط الموصل على ساحل البحر لتصديره ، ومقدار الثلث من النفط الذي توفره شركة نفط البصرة للتصدير . ولقد اخذت تقلبات النفقات والاسعار في النفط العالمي بنظر الاعتبار عند التأكد من الارباح المنظورة ، وان في مستطاع الحكومة – ان رغبت – ان تحصل على مايعادل نسبة اثنتي عشرة ونصف في المائة من النفط الخام المستخرج ، وان يتم التصرف به او بيعه ثانية الى الشركات العاملة . وكان ينبغي ان يتم تسليم الحكومة جزءا كبيرا في صفة ضريبة للدخل ، في حين يكون الحد الادنى الذي تتسلمه الحكومة مضمونا ، ولايخضع الا لحالة القوة القاهرة ، بحدود عشرين مليون باون في سنتي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ وبمقدار خمسة وعشرين مليون باون في سنة ١٩٥٥ وما بعدها . وفي حالة حدوث فشل مادي لا مجال الى تجنبه في الانتاج يصبح الحد الادنى قابلا للدفع عن سنتين . كذلك اشتمل الاتفاق على مضاعفة عدد الممثلين العراقيين في المجالس الادارية للشركات ، ووضع قيود على تعيين غير العراقيين في الشركات ، وحصول زيادة (تصل الى حد خمسين في المائة كل سنة) في عدد العراقيين الذين يقبلون في الجامعات البريطانية لاغراض الدراسات العليا ، وتوسيع التعليم الفني الذي كانت شركة النفط العراقية تديره في حقول كركوك .

وتحت تأثير حركة التأميم ، ولكن بطريقة اكثر اعتدالا من الطريقة القاسية ذات التشويه الذاتي الذي اقدمت عليه حكومة طهران، قررت الحكومة العراقية في سنة ١٩٥١ ان تؤمم عملية تصفية نفطها وتوزيعه ، مادام هذا النفط يتم استهلاكه داخل العراق ، حيث طبق ذلك التأميم على شركتي نفط خانقين ، ونفط الرافدين . وادت المفاوضات التي جرت مع هاتين الشركتين ومع رئيستهما «شركة النفط الانكلو فارسية» ، الى اتفاق يقوم على اساس ان تحول تلكما الشركتان مشروعيهما وموجوداتهما الى الدولة العراقية حسب القيمة القائمة آنذاك ، وان تظلا تمارسان العمل لمدة عشر سنوات في صفة وكلاء عن الدولة .

• • •

تمت صيانة ميناء البصرة خلال السنوات ١٩٤٦ – ١٩٥٠ وتحسين خدماته بصفة جوهرية ، وذلك باستخدام المزيد من الارصفة والمظلات ، والرافعات ، والالات . وعلى الرغم من ازدياد نفقات العمل والتموينات ، امكن تحقيق ارباح في عمليات كل سنة من السنين . فقد استمرت ادارة الميناء تدفع كل سنة ماكان في ذمتها من دين رئيس ، واكمال العمليات التي بدأت بها في سنة ١٩٥١ ؛ واستطاعت ان تصون وتوسع على نطاق واسع تزويد مدينة البصرة بالقوة الكهربية ومياه الشرب . اما مطار البصرة فقد بقي هو ومصلحة اللاسلكي والفندق الموسع القائم فيه ، ملكا للميناء . وادخل التوسع على مستودع الكراكات في الفاو ، وتم انشاء طريق بري يربط الفاو في كل الاجواء بمدينة البصرة . وانشئ مستودع عند شاطئ شط العرب في (حرمق) مقابل عبادان ، وقد تناقصت وسائل النقل التي كانت تستخدم ارصفة المعقل ، بشكل مفاجئ ، عن المستوى الذي كانت عليه خلال سنوات الحرب الخمس ، غير ان الناقلات التي كانت تنقل النفط الانكليزي الفارسي حتى سنة ١٩٥١ ، قد ازداد عددها اكثر مما يكفي للتعويض عن النقص الذي حدث في استخدام ارصفة المعقل . وكان تطوير ميناء ثانوي (ميناء ام قصر) على «خور عبد الله» يعتبر واحدا من المشاريع المقرر البدء بها .

وفي ذات الوقت سارت عمليات كري جرف الفاو لضمان عمق من المياه الواطئة مقداره ثلاثة وعشرون قدما عبر قناة «روكا» التي جرى تعميقها وتوسيعها بصفة جوهرية ، لقد سارت هذه العمليات قدماً من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٥٠ ، ولكن الفيضانات الواسعة ، واضرار حركة تراكم الطمى نتيجة لذلك ، كان يسبب مصاعب خطيرة ، بحيث برهنت الاوضاع على عدم امكانية صيانة القناة المذكورة . ولذلك تمت اعادة النظر في سنة ١٩٥١ في تخطيط المدد الخاصة بانشاء قناة جديدة ، وتغيير الظروف المحيطة بحوض البحر .

ولغرض انجاز انشاء هذه القناة الجديدة ، والتي اصبحت اكثر ضرورة ، منذ ان تضاعفت

عمليات نقل النفط التي يقوم بها العراق ، وبصفة خاصة من حقل الزبير ، مرات عديدة . ومن هنا اصبحت الخسائر الواسعة التي اصابت الايرادات التي كان الميناء يحصل عليها من وراء عمليات الناقلات التي تنقل النفط من عبادان ، من العوائق الخطيرة امام تنفيذ ذلك المشروع(*) غير ان قناة الفاو الحيوية ، ومستقبل ميناء البصرة بصفة عامة ، كان يجري تقييمها في الواقع بكل حكمة ، وبعد نظر .

كان مجموع حمولات السفن التي تستخدم ميناء البصرة يبلغ اكثر من نصف ، وفي بعض السنين اكثر من ثلثي مجموع حمولات السفن البريطانية والسفن الهولندية والامريكية واليونانية والسويدية والنرويجية ، والممثلة تمثيلا جيدا في هذه النقليات . وقد استمر التفكير في انشاء شركة شحن عراقية خالصة ، وكان ذلك يؤلف هدفا لهذا المطمح بين اصحاب التفكير من القوميين المهتمين بهذا الموضوع ، باعتباره من الوسائل التي ترمي الى تقليص اجور الشحن التي تتقاضاها خطوط النقل البحري الاجنبية .

تولى منصب المدير العام لميناء البصرة ، بعد التزامين قصيري الاجل ، العقيد جونسون في سنة ١٩٤٧ ، و «كلث» في سنة ١٩٥١ . وقد اتخذت خطوات متلاحقة من سنة ١٩٤٨ ومابعدها لتدريب العراقيين ، غالبا في اوربا ، بغية تعيينهم في كل مناصب الادارة ، بما في ذلك اعلى المناصب ، وبهذا اصبح تعيين مدير عراقي للميناءمن الامور المتوقعة في مستقبل قريب . ومع ان النقل بواسطة الانهار في العراق كان له دوره الذي لايمكن التعويض عنه في حياة المدن التي تقوم على ضفاف الانهار ، باعتباره الشريان الرئيس للنقل بين البصرة وبغداد ، الا ان وسائط النقل المتوفرة آنذاك لم تكن تسمح ، بالنسبة الى جيل لم يكن يسمح له الا في وقت الحرب ، باي تطور واسع لتنمية استخدام الفن في نهر دجلة ، ذلك لان النقل العسكري قد توقف بحلول الحرب ، وبازدياد المنافسة من قبل وسائل النقل البري ، وسكك الحديد ، والجو ، ولذلك تخلت «شركة الفرات ودجلة» سنة ١٩٤٦ عن معظم ما بقي لديها من اسطولها النهري ، بما في ذلك الباخرة «زبيدة» ومن ثم تحولت في سنة ١٩٥١ الى التصفية الاختيارية ، وبيع القسم الاعظم من وحداتها الى المنافس المحلي لها ، وهو «حنا الشيخ» . ولقد بقي هذا الاخير ، وافراد من اسرة الخضيري ، نشطين في ميدان النقل النهري لكي يملأوا ذلك الفراغ الذي تخلت عنه كة بيت لنج بعد تسعين سنة ، لانه لم يعد مربحاً لها .

اما سكك حديد الحكومة العراقية ، التي تركزت في سنة ١٩٤٥ الاهتمام في مشروعات مهمة ، فانها واجهت هي الاخرى ايضا ، منهاجا موسعا من خدمات التأهيل والتحسين التي

(*) اشتمل العمل الذي اقدمت الحكومة الفارسية عليه بجعل صناعة نفطها في حالة توقف وركود ، اضافة الى تدمير تلك الصناعة ، على الحاق خسارة بميناء البصرة وبمشاريع الكري فيه ، بما لايقل عن مليون باون استرليني كل سنة .

يحتاج اليها ، وادخال اضافات على الخطوط المستعملة ، حيث شهدت السنوات الخمس التي اعقبت ذلك اكمال مد سكة حديد بين كركوك واربيل ، وبناء جسر على نهر الزاب الاصغر ، وكذلك انشاء جسر لسكة الحديد للمرور عليه في بغداد** (٢٢) .

وفي اواخر سنة ١٩٥٠ دشن جسر في المسيب يؤدي الى كربلاء ، واقامة محطات جديدة للسكك في بعقوبة ، والديوانية ، والناصرية وفي كل مكان . وكانت قضبان الحديد التي اعلنت بالمناقصة قد تم تسليمها في سنة ١٩٥٠ ، وحصل تقدم في انشاء محطة موسعة ومقرات ادارية في غربي بغداد ، واعادة تصميم الساحات والمستودعات هناك . على ان النفقات المرتفعة لهذه المشروعات ، ونقص الايرادات المستلمة نتيجة المزاحمة للسكك ، برا وجوا ، (على الرغم من حسن انتظام نقل الحبوب ومواد حقول النفط) والخسائر الناجمة عن الفيضانات المتكررة في الانهار ، قد التهمت ، وبمنتهى السرعة ، الفائض من الاموال التي توفرت اثناء الحرب ، مما ادى الى حصول حاجة تدعو الى الاقتراض ، من الحكومة اولا في سنة ١٩٤٦ ، ومن ثم الحصول على قرض بمبلغ ثلاثة ملايين باون ، من لندن في سنة ١٩٥٠ ، وقبل ان يتم دفع اجور المجهزين والمتعهدين ، وسير العمل قدما .

اضطربت احوال العمل في سكك الحديد بالاضرابات التي سبقت الاشارة اليها ، والتي حدثت خلال السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ و ١٩٤٩ . وتم التعويض عن اليهود والمستخدمين في فرع النقل سنة ١٩٤٩ بجلب موظفين من الباكستان ، وتدريب العراقيين على الحلول محل هؤلاء الباكستانيين ، وكذلك البقية الباقية من البريطانيين . غير ان وضع مجلس ادارة السكك وتركيبه لم يحصل اي تغيير فيه ، ولو ان الصحافة قد وجهت النقد اليه ، باعتباره مجلسا قديما ، وعدم كفاءة العناصر القوية فيه.ولقد انتقل منصب مدير السكك العام من «سمث» الى «موفت» في سنة ١٩٥٠ ، ومن ثم تولاه موظف عراقي هو الفريق اسماعيل صفوت في سنة ١٩٥٢ .

كانت مصلحة السكك الحديدية هي التي بادرت بانشاء مصلحة الخطوط الجوية العراقية في سنة ١٩٤٥ ، باعتباره مشروعا تابعا لها . ولقد بدأت مصلحة الخطوط العراقية الجوية عملها في سنة ١٩٤٦ بخمس طائرات خفيفة استؤجرت من بريطانيا ، وفي السنة التالية استبدلت الطائرات المستأجرة بطائرات تملكها المصلحة ذاتها ، ووسعت من مدى رحلاتها بين بغداد والبصرة ، الى الموصل ، والقاهرة ودمشق . وفي سنة ١٩٤٨ ، وبفضل الاتفاقات الثنائية

** قامت شركة السادة «هولواي اخوان» ببناء هذه الجسور ، في حين تولت شركة بلفور بيتي انجاز الاعمال الترابية .

(٢٢) هذا هو جسر الصرافية الحالي الذي يربط سكة حديد بغداد – كركوك – اربيل ، بالمحطة الرئيسة في غربي بغداد ، وكان يجري قبلا نقل البضائع عن طريق معابر تنقل الشاحنات من الضفة اليسرى الى الضفة اليمنى من نهر دجلة كما يتم سحبها بعد ذلك الى المحطة الرئيسة .

اصبح مستطاعا ممارسة النقل الجوي الى طهران ، وكراجي ، وانقرة .

ولقد تمت صيانة مصلحة الخطوط الجوية العراقية هذه ، والتي عملت شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار ، بصفة مستشارين فنيين ووكلاء لها ، غير انها لم تكن مربحة بسبب المنافسة ، والنفقات المرتفعة . وكذلك استمرت شركات الطيران البريطانية والامريكية والهولندية والفرنسية ، وغيرها تستخدم المطارات العراقية ، وكان انفاق حوالي مليوني دينار على انشاء المطارات يؤلف جزءا من مشروع انمائي مدته ست سنوات .

اما مصلحة الانواء الجوية التي بدأت في سنة ١٩٣٦ بغرفة واحدة ، فقد اصبحت الان تدير ، تحت اشراف وزارة الدفاع ، اثنتي عشرة محطة ، وكثيراً من الدوائر المهيأة لتوقعات سقوط الامطار ، وتستخدم اتصالاتها اللاسلكية الخاصة بها ، واعداد التقارير عن التوقعات الجوية في منطقة بغداد كل نصف ساعة . وعند اختتام هذه الفترة بلغت المواصلات السلكية واللاسلكية مستوى رفيعا . ذلك لان الخطوط الرئيسة لهذه المواصلات قد تم تجديدها بصفة شاملة ، وتضاعفت اعدادها ، وتوسعت على نطاق واسع ، كما انشئت البدالات الذاتية للهاتف في البصرة وفي بغداد ، والضواحي المحيطة بهما ، واصبح استعمال الهاتف والبرق مألوفاً ، ومن الامور التي لايمكن الاستغناء عنها من لدن كل الطبقات ، ماخلا الطبقات المتأخرة كثيرا . كذلك تم اكمال محطة البث اللاسلكي في ابي غريب في سنة ١٩٥١ بمدى وتصميم عصريين واسعين يضمنان الاتصال باوربا وامريكا ، وكانت هذه المحطة تستخدم للاذاعة القومية ، كما اعد مجلس الاعمار خطة لانفاق مليوني دينار على المواصلات السلكية واللاسلكية خلال الفترة مابين ١٩٥١ و ١٩٥٦ .

حدث تأخير في تحسين الطرق خلال السنوات ١٩٤٦ – ١٩٥٠ ، وذلك بسبب الضيق المالي في السنوات التي اعقبت الحرب . وكان تحسين الطرق مع بناء الجسور يؤلف جزءا من المشاريع التي كانت النية معقودة على انجازها عن طريق مجلس الاعمار خلال السنوات الخمس المارة بين ١٩٥١ – ١٩٥٦ *** ذلك لان اكمال هذا المنهاج سوف يحدث تحولا اساسيا في اوضاع النقل والسفر داخل العراق ، وما يتبع ذلك من نتائج اقتصادية بعيدة المدى .

كان الطريق الذي تستخدمه سيارات «شركة نيرن» الى دمشق ، ما يزال يستخدم بصفة منتظمة ، وقد نظمت وسائل النقل فيه بصفة رفيعة ، وذلك باستعمال السيارات المزودة باجهزة

*** قدرت نفقات المشاريع التي اهتمت بالطرق الرئيسة مع الجسور اللازمة بمقدار مليونين وثمانمائة الف دينار لطريق البصرة – العمارة الكوت – بغداد ، ومليونين ونصف مليون دينار لطريق بغداد – كركوك – اربيل ، وثلاثة ملايين واربعمائة وخمسين الف دينار لطريق بغداد – الشرقاط ، كما خصص مبلغ اربعة ملايين واربعمائة وخمسين الف دينار للطرق الجبلية ، وستة ملايين ومائة وسبعة وستون الف دينار للجسور المتنوعة ، ومليون وخمسمائة وخمسون الف دينار لطريق الحلة – النجف ، ومليون وثلاثة الف دينار لطريق الحلة – الديوانية – الشامية وخمسة ملايين وربع المليون دينار لانشاء عدد من الطرق القصيرة الاخرى .

تكييف الهواء من قبل الشركة الاصلية او وكلائها . ولم يكن طريق داوتجون يستعمل الا قليلا . كما ان الطرق التي تؤدي الى نجد وبلاد فارس لم يكن استعمال وسائط النقل فيها يعد من الامور المهمة ، في حين فقدت الطرق الرئيسة المارة الى الاردن وفلسطين قيمتها، عندما اقدمت دولة اسرائيل على اغلاق منفذ البحر الذي كانت تمده تلك الطرق .



٥. المدينة والريف بعد نصف قرن

في نهاية عملية احصاء النفوس التي اجريت سنة ١٩٤٧، اعلن ان عدد سكان العراق قد بلغ اربعة ملايين وثمانمائة الف نسمة[١] وبهذا يكون عدد السكان قد تضاعف منذ بدء القرن الحالي. ولكن توزيع السكان لم يتغير بصفة عامة[٥] بالنسبة الى المدن والقرى الممتدة، والى مناطق الريف العشائرية والبدو. ذلك لان حوالي الربع من مجموع السكان كانوا من سكنة المدن، وخمس السكان كانوا من البدو الرحل، والباقي من الفلاحين المتوطنين في الارياف. ولقد بقيت مناطق واسعة من السهوب الصحراوية، والجبال القفراء، غير مسكونة في الواقع[٢]

---

(١) هذا العدد بل اكثر منه كثيرا جدا يعيش الان في مدينة بغداد وحدها من العراقيين انفسهم، ومن دون ادخال الاجانب فيهم، وكل هذه الزيادة الواسعة قد نتجت عن الهجرة المكثفة من المدن الاخرى والارياف. ولقد بدأت هجرة ابناء الريف منذ اوائل سني الثلاثينات هربا من سوء الاوضاع في الريف ومن قسوة رجال الاقطاع وبحثا عن مصادر الرزق ولتحقيق بعض المآرب السياسية في الدرجة الاولى. ولكن طوفان الهجرة انفجر بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ فلم يستطع قانون الاصلاح الزراعي الذي شرع في الايام الاولى للثورة، ان يوقف تلك الهجرة او ان يخفف من غلوائها واثارها الوخيمة على اهم واضمن مورد من موارد البلاد وهو الزراعة. وكانت المبادرة بالتصنيع، ومن دون تخطيط ودراسة متقنة من العوامل الفعالة التي ساعدت على اتساع نطاق الهجرة، ذلك لان الفلاحين الذين تركوا اراضيهم وهاجروا الى المدن، قد امتصتهم المعامل والمشاريع الصناعية الجديدة، دون ادنى عناية بتدريبهم واعدادهم لهذه الأعمال مما ادى الى خسائر عظيمة وخطيرة. فقد ادى ذلك الى توقف الانتاج الزراعي توقفا عاما في البلاد، والى اخفاق اكثرية المعامل والمصانع في الانتاج وفي نوعيته واسعاره حيث مايزال العراق حتى الان يعاني من اخفاق معظم هذه المعامل وعدم كفايتها، واضطراره الى استيراد ذات المواد التي تنتجها هذه المعامل ذاتها من البلدان الاخرى وبالعملات النادرة وفي مقدمة ذلك معامل انتاج الزيوت النباتية، والصابون، والسمنت والسكاير والعدد الكهربائية وغيرها.

(٥) يراجع توزيع السكان حسب الوحدات الادارية في الملحق (ب) من الكتاب.

(٢) مازال امثال هذه السهوب والجبال غير مستغلة وخالية من السكان حتى الان. مثال ذلك المناطق الواسعة الصالحة للزراعة والممتدة زهاء سبعين كيلومتر طولا من الكوت الى بدرة وجصان وبين العزيزية وهاتين البلدتين. فهذه الاراضي الشاسعة مازال ارضا خلاء لانبت فيها ولابشر وكذلك الاراضي الواسعة جدا والقائمة على ضفاف نهر الثرثار سواء منها المحصورة بين الضفة اليسرى من الثرثار ونهر دجلة، او المحصورة بين الجهة اليمنى ونهر الفرات فهذه المناطق، وهي من اكثر الاراضي خصبا، مازالت مهملة غير مستثمرة، ولايعيش فيها سوى عدد قليل من ابناء الريف الذين اعتادوا تربية المواشي والاعتماد على العشب وحده في ذلك ناهيك عن الاراضي الواسعة الممتدة بين الحضر وسنجار فان معظمها غير مستغل وغير مأهول حتى الان.

ولابد ان تظل على هذه الحالة لمستقبل منظور. ولعل اوسع هذه المناطق هي التي بقيت منفصلة عن الادارة في الانحاء الشمالية والمناطق الجنوبية من صحراء الشامية والتي تبلغ مساحتها زهاء الخمس من جميع اراضي العراق. وكانت كثافة السكان بالنسبة الى القطر كله في نطاق احد عشر شخصا للكيلو متر الواحد، او في حدود ثمانية عشر شخصا، اذا ماحذفنا المناطق الصحراوية. وكانت المحافظات التي تضم اكبر عدد من السكان هي محافظة بغداد التي كان عدد سكانها يبلغ ثمانمائة الف نسمة، وتليها في ذلك محافظة الديوانية، وذي قار (الناصرية) والعمارة. وكانت اعظم كثافة للسكان تبلغ تسعة واربعين شخصا في كربلاء، واربعين شخصا في بغداد، ومن ثم تأتي في اعقاب ذلك كل من محافظات البصرة، والناصرية والسليمانية.

وفي كل انحاء القطر التي تتباين في منظرها وتقاليدها، بقيت طريقة الحياة التي فرضها المحيط المحلي، والموارد، والتكتلات الاجتماعية طيلة قرون، وكأنها لم تتغير، لاول نظرة، تغيرا جوهريا، ولسوف تقدم الصفحات التالية النتائج الناجحة عن القاء نظرة اقرب عن المجتمع العراقي خلال نصف قرن.

فبالنسبة الى التطور الذي طرأ على جماهير كانت اقل تجانسا واقل براعة مما كانت عليه الجماهير التي وجدت قبل سنة ١٩٠٠، شهدت الخمسون سنة التي انصرمت نوعا من التقدم في هذا المضمار. غير ان التحول كان ناقصا بشكل واضح. فلقد بقي الانشقاق والتمييز الطائفي، ليس بالنسبة الى المذهبية حسب بل وحتى من الناحيتين السياسية والاجتماعية، امرا معروفا ومميزا.

صحيح انه لم يبق سوى تمييز ضئيل في ميدان المصالح الحكومية، والحرف والصناعات. ذلك لان الشيعة سارعوا في ميدان التجارة الى ملء الفراغ الذي حدث بخروج اليهود من العراق، وتقلص نفوذ المجتهدين من الشيعة كثيرا، ولكن مع كل ذلك بقي الانقسام الطائفي القديم يعتبر عنصرا ملحا من عناصر الانقسام العام، وانعدام الوحدة، سيما وان العقيدة الشيعية التي كانت تستخدم لاغراض التجمع السياسي، كان من شأنها ان تثير رد الفعل لدى اهل السنة دون ريب.

على ان حركة البعث الاسلامي الواعية من الناحية السياسية، والتي لم تخل من تطلعاته، مثل حركة الاخوان المسلمين في مصر، لم تستطع ان تقدم اية دلالة على تطورها داخل العراق، وذلك لان الدين السلفي فقد الكثير من قبضته على الشباب المثقف، لان التعليم كان بمجموعه تعليما دنيويا، وبهذا اصبحت العقيدة الاسلامية والتقيد بها، اكثر ندرة الا بين النساء وكبار السن من الرجال. واذا كان الاسلام لم يستخدم سلاحا لمعاداة الاجانب الا قليلا، فان ادعاءات الشيعة، وتذمرهم مازال ملتهبا، ومايزال عنصر التطرف بينهم قائما، اذ كان افراد العشائر الشيعية اكثر انقيادا، وان لم يكن ذلك اقل استعدادا واكثر عمي عما كان عليه في

السابق، بالنسبة للتوجيه الرجعي الذي تتمسك به مدن الشيعة المقدسة، ولاسيا بالنسبة الى الفرس المقيمين في العراق، والذين كانت تنظر اليهم حكومة طهران نظرة التشجيع .

• • •

تحقق مستوى طيب من الامن والعدل، كان اعلى، دون شك، من اي مستوى عرفه العراق خلال قرون، في كل المناطق او في معظمها. فلقد تطورت المحاكم خلال السنوات الخمس الاخيرة، بانشاء محكمة البداءة في مقر كل محافظة، وبانشاء محاكم للاستئناف في كل من البصرة، والموصل، والحلة، وبعقوبة وكركوك وفي العاصمة بغداد ايضا. ولكن قانون دعاوى العشائر بقي ساري المفعول مع ادخال تعديلات جديدة عليه. كذلك اصبح القانون المدني الذي شرع في سنة ١٩٥١ نافذ المفعول بعد مرور سنتين على تشريعه، في حين تم العمل بتنفيذ القانون التجاري الجديد قبل ذلك الوقت. واحتفظ القانون الجنائي الذي شرع في سنة ١٩١٨ بنفوذه[٣]. وبصفة عامة ابرز النظام القضائي، بالقوانين، والمحاكم، والحكام والقضاة، كل مظاهر الكمال بالنسبة الى حاجات العراق الراهنة، وذلك هدف تم التوصل اليه خلال ثلاثين سنة، وبجهود موجهة توجيها جيدا حيث غادر اخر حاكم بريطاني، هو السرير يجادر، العراق في سنة ١٩٥١[٤].

• • •

كانت قوات الشرطة التي يقرب عددها من حوالي عشرين الف رجل، من كل الاصناف، تضم اقساما من الشرطة السيارة المجهزة بالاليات يبلغ عددها حوالي ستة الاف رجل. ولقد استعادت الشرطة مستوياتها التي فقدتها بصفة مؤقتة، في سنة ١٩٤٨[٥] وغدت يحس بوجودها، وعلى فترات عرضية، بانها قوة كافية يمكن الوثوق بها. ولقد غدت هذه القوة منظمة تنظيما تاما، ومدربة، ومخصصة للنهوض بواجبات مختلفة متعددة في المدينة وفي الريف، والمناطق الجبلية والصحراوية. وكان مستوى ضباطها رفيعا بصفة غالبة، ومدعاة للاعجاب. في حين

---

(٣) يقصد بذلك قانون العقوبات البغدادي الذي ادخلت عليه تعديلات كثيرة منذ تشريعه بعد احتلال بغداد مباشرة، كانت معظمها تنطوي على التشديد وتضييق الخناق على الحريات وكان اخر تعديل عليه قد اجرى سنة ١٩٧٩ .

(٤) كان بريجارد يتولى رئاسة محكمة تمييز العراق في بغداد طيلة مدة تزيد على اكثر من عشرين سنة .

(٥) اشارة بذلك الى حوادث الوثبة ضد معاهدة بورتسموث، في كانون الثاني ١٩٤٨ .

اصبحت ادارة السجون تدار حسب الاسس العصرية والانشائية، وتؤلف عالما مغايرا عن الادارة التي اتسمت بالقذارة والفساد خلال العصور الوسطى، وفي العهد الحميدي.

اما الجيش الذي شهد خلال حياته التي امتدت ثلاثين سنة، كثيرا من الايام الجيدة والسيئة معا، فقد اصبح الان يحوي مادة جيدة نوعا ما، ومغايرة الى حد ما. ذلك ان قيادته قد غدت هي الاخرى فاخرة، في الوحدات الصغرى، ومن المشكوك فيها في الوحدات الكبرى، وكانت حماسته القتالية تبرز دوما في جزء محدد من قيادته على الدوام، واصبحت تنظيماته(٥) ومؤسساته التدريبية، وتركيزه على الوحدات الالية والجبلية ملاءمة بصفة جيدة لواجباته الداخلية المتوقعة. اما بالنسبة لارسال الجيش للخدمة خارج البلاد، ماخلا ذلك لاغراض احتفالية، فلم يتم تطبيق ذلك في الوقت الحاضر.

على ان مدى مقاومة الجيش في المستقبل، للاغراء الذي يؤكد لافراده بانهم لسيوا خدما للدولة بل اسيادا لها، لابد من ان يظل من الامور المنظورة. في مدى عشر سنوات منذ المغامرة التي قام بها العقداء الاربعة(٦)، لم تظهر اية دلالة تشير الى تكرار الانقلابات التي حدثت منذ سنة ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٤١، او اي تقليد للعقداء الدكتاتوريين السوريين في تلك الايام(٧).

غير ان الخطر كان حقيقيا، ذلك لان قادة الجيش كان يعوزهم الاحساس المخلص بالخدمة للدولة والطاعة لها. فهم لايشعرون الا بقدر ضئيل من الاحترام لمؤسسات الدولة المدنية، او التضامن مع الجماهير، ولايدركون شيئا ما سوى انه لاتوجد اية قوة او سلطة، في اية حالة، تستطيع ان تصدهم وتردعهم.

نعود الان الى العناصر التي كان المجتمع العراقي يتألف منها. ان الذي يزور خيام البدو الحقيقيين الذين لايزالون يحيون حياة شاقة ملؤها الجوع والفاقة والتي لايحسدون عليها، يرى فيما بينهم ان كل مظهر وكل حالة وكأنها لم تتغير خلال الخمسين او الخمسمائة سنة التي انقضت اخيرا. ذلك لان قبائل عنزة وشمر، وهما اكثر تأثيرا، وكذلك قبيلة الضفير، لم تظهر سوى القليل

---

(٥) كانت الخدمة في الجيش العراقي اجبارية (مع وجود اعفاءات اصولية يمكن شراؤها بالمال) لمدة سنتين، تعقبها خدمة احتياطية الى حد سن الخامسة والاربعين. اما الخدمة الطوعية فكان يستعاض بها عن الخدمة الاجبارية، اما خلال السنتين الاوليين، او مابعدهما، وتستمر لمدة احدها سنتين بعد تلك الفترة، ومن دون ان يؤثر ذلك في احتمال تعرض الفرد لاداء خدمة الاحتياط اذا مالزم الامر.

(٦) اي ثورة ايار سنة ١٩٤١.

(٧) اشارة الى الانقلابات العسكرية الثلاثة المتلاحقة في سوريا في اواخر سنة ١٩٤٩، واوائل سنة ١٩٥٠ التي قام بها كل من العقيد حسني الزعيم، والعقيد سامي الحناوي، والعقيد اديب الشيشكلي والتي كانت في الدرجة الاولى من نتائج اخفاق الحكومات العربية في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨.

من دلالات التجدد. ذلك لان الفقر الشديد الذي تعيش فيه قد منعها من الحصول حتى على القليل من التجهيزات المادية البدائية. ولذلك كان تنظيمها الاجتماعي، وعزلتها، تحولان في الغالب، دون كل وسائل التقدم الثقافي. صحيح ان بعض كبار مشايخ البدو اصبحوا يمتلكون السيارات التي تحمل اجهزة اللاسلكي، ويزورون المدن باستمرار، وان اولادهم غدوا يختارون، مصادفة، وسائل الحياة الغربية الغريبة عن الوطن. كذلك اصبح جليا ايضا، ان القوى الالية الحكومية اصبحت تستطيع الان ان تتغلغل الى ابعد المناطق في البادية[٨] وذلك لان تيسير الاتصال مع الحكومة، منذ العهود التركية، قد تم تشجيعه عن طريق استعمال لغة البلاد في الادارة،بدلا من اللسان الاجنبي الذي لم يكن معروفا لدى افراد العشائر[٩]. كما ان الميل الى التوطن والاستقرار عائلة فعائلة على اطراف الصحراء المتاخمة للمناطق المزروعة لم يكن اقل، بل ربما غدا اوسع مما كان عليه قبلا.

ولذلك اصبحت الحياة البدوية في الجبال الكردية في الوقت الحاضر، اكثر تعقيدا بالاغراءات التي تمثلها الحياة القعيدة غير المتحركة من ناحية، ومن ناحية اخرى، مقيدة بقيود الحدود المعقدة، وان كانت اقل تشددا. فكل هذه العناصر كانت تعمل عملها، وقد قلصت كثيرا من سلطة شيوخ البدو في مضايقة الحكومة او الجيران، غير انها مع كل ذلك، لم تغير من طريقة قيام المشيخات واشكالها، ولا اسسها الاجتماعية والاقتصادية. فبين البدو الحقيقيين مايزال التنظيم العشائري القائم هو الذي يؤلف الوحدة الجوهرية للتجمع، ووجوب اتباع الشيوخ او الاغوات.

في انحاء الريف التي يسكنها افراد العشائر غير الرحل، ادى استمرار المظهر الخارجي من الهيئة والملبس والسكن والحديث والطعام، الى اخفاء النصف من التغييرات التي احدثتها الخمسون سنة الاخيرة. ومع ان المنطقة التي تسودها الحياة القبلية قد تقلصت محليا نتيجة اضعاف الرابطة العشائرية في القرى الممتدة، الا انه مع كل ذلك تستطيع اول نظرة، ان تكشف، بالنسبة الى البقية، عن عالم يبدو بانه لم يتغير عما كان عليه قبل خمسين سنة، لا في النفوذ الذي مايزال يحتفظ به شيوخ كثيرون بين عشائرهم، ولا في الاحتمالات المتواصلة لحدوث الانفجارات العشائرية، وفي التأخر الملح للعقلية العشائرية الجاهلة الساذجة، وفي مستويات العيش الواطئة بصفة محزنة، للفقراء ذوي الاحساس المتبلد، بما هم عليه من سوء التغذية،

(٨) ذكر المؤلف كلمة البادية بالفظ العربي وبالحروف الانكليزية Badia.

(٩) يقصد بذلك اللغة التركية التي فرض استعمالها في دوائر الدولة وفي التعليم ايام الحكم العثماني، والتي ظل سكان الارياف والعشائر بعيدين عنها ولم يتعلموها، مثلما كان الامر بالنسبة الى سكان المدن وعلى الاخص المدن الرئيسة بغداد والبصرة والموصل.

والمرض وقصر الحياة .

ومع كل ذلك ، وفي اقل من العشرين سنة التي اعقبت الاستقلال،حدثت تغييرات في الاتجاهات ، اذا ما لخصناها نرى انها يمكن ان تعد اربعة اضعاف عما كانت عليه قبلا. وكانت اولى هذه التغييرات اقتصادية ، وذلك بفضل السيطرة ، بصفة افضل ، على امور الري ، والمساعدة الكثيرة التي يجري تقديمها من قبل الدولة او الافراد في ميدان الزراعة ، وتحسين المواصلات. كذلك حصل تقدم ، وان كان طفيفا وحذرا بالنسبة الى امن المعيشة وضمانها .

وكان التغيير الثاني نفسيا ، وقد برز في التوسع الجزئي للعقلية العشائرية لكي يشمل جزءا ما ، من الاهتمامات بالعالم الخارجي الذي اصبح الان يمكن الوصول اليه عن طريق وسائط النقل اليسيرة ، والتجارة الحيوية ، وانتشار الخدمات الاجتماعية الحكومية ، واجهزة اللاسلكي للاستقبال ، وازدياد استخدام المصنوعات الالية ، والادوات الغربية. فكل اكتشاف جديد ، وكل بحث للشرطة عن تعداد النفوس ، واستعمال خطوط البرق او كل تخطيط لقنوات الري ، كان يعتبر خطوة منفصلة عن العزلة القبلية القديمة .

ويكمن العنصر الثالث للتغيير في تغلغل قوات الدولة في الارياف ، تلك القوات التي اصبحت الان متحركة ومجهزة جيدا بالاليات التي لم تكن تملكها من قبل ، وغير مرتشية ، وتستطيع في مدى يوم واحد ان تتقدم وتشتت اي تمرد قد يحصل في اقصى المناطق. لقد اصبحت العشائر الان في الحقيقة ، ولاول مرة والى الابد ، لاتحظى بالمساعدة من الناحية العسكرية. واخيرا فان انقاذ الروحية القبلية بحد ذاتها ، قد خطا خطوات اخرى نحو ذلك التقدم المحتوم ، والذي لابد ان ينتهي سواء في العراق ، او في سكوتلاندا ، ومن دون ريب ، عن طريق تقليص القبائل والعشائر ، وتحويلها الى مجرد بقايا صورية تثير الحنين الى المباهاة والمفاخرة !.

في سنة ١٩٥٠ قدمت كثرة واسعة من الجماهير غير العشائرية ، اهتمامات وولاءات يمكن ان تنافس تلك التي كانت تتسم بها الاصول العشائرية القديمة. ذلك لانه بعد استقرار السكن ، والامن من الغارات ، ووجود الحكومة ، لم يعد يسمح الا بالاقل والاقل من المجالات لقيام زعامات حسب الاسس القديمة. كما ان الاقتصاد الجديد الذي تمثله الزراعة ، قد شارك – في كثير من الحالات – ضد التجمع والموالاة الجديدة. فالشيوخ الذين لم يعودوا يعينون من قبل الدولة ، او ان تعترف بهم ، وغالبا ماكان هؤلاء من بين النواب ، او من متصيدي المناصب الوزارية ، كانوا يسكنون بكثرة في بغداد ، او في مراكز محافظاتهم المحلية ، وقد اصبحوا الان بعيدين عن التزمت القبلي، في اقبالهم على مسرات المدينة ، في حين كان ابناؤهم يستطيعون الذهاب ، بل كانوا يذهبون فعلا الى الدراسات العليا ، او يقبلون على تلقف السفسطة الغربية ، في بيروت ، او كمبرج او كولومبيا .

لقد اصبحت صورة العالم العشائري العراقي في سنة ١٩٥٠، في الواقع، صورة مرحلة مبكرة، ولكن ليس اقدم مرحلة من الانتقال القلق، ولربما الانتقال غير السعيد، من احوال فوضوية نائية وتقليدية، الى حضارة كانت ذاتها حضارة انتقالية وغير مصاغة لبلد واسع او الى مدنه الكبرى. فهنا بدأ الالتئام والتوافق بين الشعب القبلي واللاقبلي بصفة جيدة. ومهما كانت عوامل التأخر المستمر المحيطة به، فان العراق لم يكن في سنة ١٩٥٠، يتوقع، وللمرة الاولى، من تجمعاته القبلية ماكان يتوقعه في العهد القديم، من مجرد الاضطراب، والمقاومة، بل على العكس من ذلك؛ المشاركة الاقتصادية والسياسية النافعتين للدولة.

كان كل من يراقب الاحوال في سنة ١٩٥٠ يواجه في المدن ذات المشاكل التي يواجهها لدى العشائر. واذن فما هو مدى التغيير الواسع، ان وجد مثل هذا التغيير، الذي جاءت به الخمسون سنة؟ الحق ان ذلك التغيير كان ملموسا على اقل تقدير. فاذا كانت بعض اقسام المدن ضيقة، خالية من الهواء، وغير مخططة كما كانت عليه المدن القديمة، واذا كانت الحمير ماتزال تحمل ذات السلع التي تعرض للبيع وسط الذباب وضجيج ذات الاسواق، فمع ذلك نجد الشوارع الرئيسة للنقل، والاحياء الجديدة قد تغيرت كلها، ولم يعد احد يستطيع تمييزها، وان الضواحي العصرية المحيطة بها، والخدمات العامة التي وفرتها الدولة الآن، لابد وان تساهم في تقييم الوجود المدني الجيد.

لقد اصبحت لكل المدن مواصلات متحسنة، وضواحي تتألف من عدد قليل من المساكن الغربية الحديثة «فيلات» وتمتد هذه المواصلات الى كل المناطق ذات الشوارع المخططة، والارصفة المزروعة، والحدائق العامة والبنايات العصرية العامة(*)، والتي تفوق، في نطاق اوسع، تلك االبنايات التي عرفتها تركيا العثمانية. ومع ان هذه البنايات كانت قليلة، ومشيدة بنفقات اقل، فالظاهر ان ذلك قد حصل نتيجة الضغط والاجبار(**).

ولم تكن خدمات تنظيف الشوارع، ماعدا مداخل بعض الاحياء القديمة، تامة، ولكن امكن صيانة الشوارع بصفة جيدة، وازداد تبليطها وتوسيعها كلها اصبح ذلك مستطاعا. وكانت مشاريع تخطيط المدن تحت التنفيذ، وتنطوي في النهاية على الامل في تطوير بناء المساكن للفقراء العاملين ولموظفي الحكومة، ولقد شجعت المشروعات الخاصة بالبناء نظرا لتحسن حالة الامن، والمحافظة على حقوق التملك، وتطوير المرافق في المدن، والحاجة الى منافذ للاستثمار السليم.

(*) تعد مقبرة الملك فيصل الاول التي شيدت خلال الفترة ١٩٣٤ – ١٩٣٦ من اجمل الابنية العصرية في العراق.

(**) خصص مجلس الاعمار مبالغ كبيرة لمشاريع البناء خلال الفترة ١٩٥١ – ١٩٥٦. فلقد خصص مبلغ خمسة ملايين واربعمائة الف دينار للمستشفيات والمؤسسات الصحية، وخمسة ملايين للمباني العامة الاخرى، ومليون وستمائة وخمسون الف دينار لاسكان الموظفين والفقراء.

وفي العاصمة انشئت مصلحة عصرية للنقل يديرها مجلس بغداد لنقل الركاب، تقوم بتجهيز كل الحاجات. ومن الطبيعي فان مثل هذه المصلحة سوف يتم انشاؤها، كما هو الامر حاصل في البصرة، في كل حواضر المحافظات. واصبحت سيارات الاجرة وفيرة في كل مكان، واستطاعت ان تطرد العربانة[10] من الشوارع تقريبا ولكن ليس بصفة تامة. وكانت السيطرة على وسائل النقل فاخرة، وحلت الجسور الحديدية والحجرية في كثير من الاماكن، عدا بغداد، والموصل، محل القوارب الصغيرة البدائية التي تعبر بها الانهار. واخذت حوانيت عصرية تظهر الى حيز الوجود سنة بعد اخرى، وتستطيع ان تجهز المشترين من كل الطبقات بجميع الحاجيات حتى الاستثنائية منها، كما اخذت الفنادق تقترب من الخدمة التي تقدمها الفنادق الاوروبية، وتم انشاء دور للسينما بصفة حسنة، فاصبحت الاشرطة الامريكية والاوربية والمصرية يجري عرضها في حوالي ستين دارا لعرض الصور في العراق.

وانشئت خدمات وافية لاطفاء الحريق في المدن الرئيسة فبررت وجودها فيها بصفة جيدة. واعدت خدمات اسالة الماء والقوة الكهربائية في كل المدن الكبيرة، وكانت محطة توليد القوة الكهربائية في بغداد ملكا لشركة بريطانية[11] في حين كانت محطة البصرة تعود الى مصلحة الميناء، وكانت شركة النفط العراقية تقوم بتجهيز مدينة كركوك بالتيار الكهربائي الذي كانت توفره هذه الشركة.

* * *

كان تعديل قانون العمل الذي شرع في سنة ١٩٤٢[12] والنشاط الذي تمارسه وزارة الشؤون الاجتماعية، والاهتمام بادبيات مكتب العمل الدولي ومستوياته، واستخدام خبير بريطاني بقضايا العمل في سنة ١٩٤٩، من الامور التي ضمنت، ولو ان قسما من قانون العمل لم يتم تطبيقه، حصول تقدم حقيقي نحو الاهتمام الفعال باحوال العمل والحماية بالنسبة الى الاعمال

---

(١٠) كتب المؤلف كلمة «عربانة» باللفظ العربي ARABANA الشائع لدى العامة.

(١١) استحوذت هذه الشركة البريطانية في سنة ١٩١٧ على الشركة العراقية الموجودة لتنوير بغداد بالكهرباء وظلت تحتكر هذا المشروع حتى سنة ١٩٥٢.

(١٢) الحقيقة ان اول قانون للعمل كان قد شرع سنة ١٩٣٦ في عهد وزارة ياسين الهاشمي لكنه لم ينفذ وقد تم بعثه مجددا لكن القانون لم ينفذ بصفة عملية الا في سنة ١٩٤٢ وبعد ادخالات تعديلات كثيرة عليه.

المدنية. وقد امتد هذا التقدم الى تأليف نقابات العمل ووضع تعويضات للعمل، ومشاريع الاسكان والرفاه، وخطط السلامة الاجتماعية التي لم يتأخ تحقيقها الا بسبب كثرة نفقاتها العالية.

وفي الوقت ذاته انشئت تسهيلات محددة للرفاه من امثال المستوصفات والحوانيت العامة، والنوادي، وساحات الالعاب، تلك المرافق التي كانت تتم طواعية من قبل قلة من اصحاب الخدمات، مثلما كان عليه الامر بالنسبة الى مصلحة الميناء، ومصلحة السكك، والمزيد من الشركات الصناعية المعتبرة، حيث جهزت هذه التسهيلات على نطاق اوسع كثيرا، واصبحت جزءا من التنظيم الشامل من قبل شركات النفط.

• • •

اما بالنظر الى مستويات المعيشة الداخلية، فاذا كان صحيحا ان حركة التحديث، واقتباس الاسس الغربية التي برزت بين افراد الطبقات المتوسطة والتي هي اوطأ من المتوسطة في المدن، ماتزال تدع «الفقراء» يصيبون قليلا من التحسن في مساكنهم الخاصة، مما كانوا عليه قبل خمسين سنة خلت، فان نسبة العوائل التي غدت قادرة على ان ترتفع عن مستوياتها المنحطة القديمة، قد ازدادت، فاصبحت حياة الطبقة المتوسطة مثل الطبقة العليا، تبرز ظاهرة في تجهيزاتهم، وفي بيوتهم الداخلية، وامور الصحة والملبس، كما ان سلسلة من الاهتمامات والتغييرات الكبيرة، قد اخذت تؤثر الى حد ما، في الجيلين المتأخرين.

في الملابس التي يرتديها الرجال والنساء سوية، وفي مظاهر الاسر وسلوكها، وتهيئة وجبات الطعام، بل اكثر من ذلك بصفة عامة، في العائلة والحياة الاجتماعية، اخذت الطرق الغربية تفوز بمكانة كبيرة لها. ذلك ان مقاومة تحرر المرأة غدت الان في نطاق ضيق، كما ان الحجاب الذي اعتادت المسلمات استعماله. قد اصبح منبوذا بصفة متواصلة، واصبحت النساء يتعلمن ويدرسن، ويقبلن على الالتحاق بمؤسسات الطب والقانون، ويعقبن القضايا السياسية (بما في ذلك القضايا الشيوعية ايضا) ويساهمن في العمل الاجتماعي. وعن طريق «جمعية المرأة» الخاصة

---

(١) كانت الالعاب التي تجري ممارستها، هي: كرة السلة. وكرة القدم. وكرة الطائرة وبعض الالعاب الرياضية الاخرى، واللاكمة والمصارعة، ورفع الاثقال. ولعبة كرة المنضدة، و «الدومينو». والشطرنج. وكانت تنظم عدة فرق وبطولات بالنسبة لكرتي القدم والسلة. وكانت مهارة العراقيين في العابهم المختارة. فاخرة جدا.

بهن (١٣)، كانت اصواتهن تسمع بشأن المطالبة بالتحرر والانعتاق (١٤) ومع ذلك فان الاوساط التي مازالت النساء معزولات عنها بشدة، كانت ماتزال واسعة وكبيرة، وهي تشمل بيوتات عدد كثير من الوجهاء البارزين وبيت العائلة المالكة نفسها.

تشعبت الحياة الاجتماعية نتيجة الزيارات المتزايدة بين العوائل، وانتشار دور السينما والملاهي من الطرازين الشرقي والغربي معا، والمقاهي العصرية. وحافظت المقاهي التقليدية على روادها الرجال من مختلف الطبقات، وضمن درجة اجتماعية ينتمي اليها كل فرد، في حين بقي النادي ومقر العمل، يعتبران هما المركزان اللذان يتجمع فيهما الالوف. وتطورت حياة النوادي كي تشتمل على نوادي اجتماعية واسعة للاغنياء ولاصحاب الحرف من افراد الطبقة المتوسطة، ونوادي المحامين وضباط الجيش والموظفين من مختلف فروع الحكومة، بالاضافة الى وجود اكثر من عشرة نواد رياضية، غير ان هذه النوادي الرياضية التي كان لها انصارها المتحمسون، قد اعيق تطورها نتيجة نقص الملاعب والاموال، ولربما نتيجة وجود بعض البقايا من روح المحافظة. والحقيقة ان الالعاب (*) لم تكن موجودة في العراق قبل جيلين ماعدا الالعاب العشائرية، والمصارعة التي كانت ماتزال ابعد عن التكوين حتى بين جماعات الشباب، من ان تصبح الموضوع الرئيس للاهتمام الشعبي الذي تحتله في اوربا في امريكا والذي يتمثل في سباق الخيل، وهو في كل مكان يعتبر عملا نصفه رياضي ونصفه الاخر تجاري، والذي كان يحظى بالدعم الجبار. فقد كانت لعبة سباق الخيل هذه تنظم وفق القانون، وتطبيق ترتيبات الاجهزة العصرية التي تنظم بها عملية جمع الارقام، واماكن الوقوف ووسائل المسرة، وكان يجري تنظيم لعبة السباق هذه من قبل شركتين،ومن هاتين الشركتين بدأت اخلاف من نوادي السباق وشركاته تتألف من سنة ١٩١٨ ومابعدها، حيث استطاعت احدى هذه الشركات ان تحافظ على دورها في ضاحية بغداد الجديدة (١٦) في حين تركزت الشركة الثانية في احدى المزارع الملكية التي يجري اعدادها الان (١٧) وكانت العاب الصيد والبولو من الالعاب التي تمارسها طائفة صغيرة من

---

(١٤) تأسست جمعيتان رئيستان لمساعدة المرأة العراقية على التحرر في اوائل سني الاربعينات. اولاها الاتحاد النسائي العراقي الذي ضم عضوات من الاسر الكبيرة والمتنفذة وقد ترأسته السيد «اسيا وهبي» زوجة الاستاذ توفيق وهبي. والثانية هي «جمعية تحرير المرأة» وكانت يسارية الاتجاه وقد ترأستها «نزيهة الدليمي» واصدرت الجمعيتان مجلتين باسم الاتحاد النسائي وتحرير المرأة.

(١٥) اللعبة المعروفة عندنا بالدومنة.

(١٦) كانت هذه هي شركة محمود نديم الطبقجلي وشركاه وقد انشئت في سنة ١٩٤٩ وبعد المباشرة بانشاء بغداد الجديدة في سنة ١٩٤٧.

(١٧) هي ساحة سباق الخيل الحالية في ضاحية المنصور وكانت تستغلها الشركة الاصلية التي انشئت للسباق في سنة ١٩١٨ وكان مدراء هذه الشركة من الانكليز منذ انشائها حتى الى وقت متأخروقد الغيت سباقات الخيل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مباشرة ولكن ارتؤي مؤخرا اعادتها فاعيدت. وكانت ساحة السباق على اثر احتلال الانكليز بغداد تقع في المنطقة التي تقوم فيها الان كلية الاداب، والسايلو، ومحطة قطار كركوك القديمة.

ضباط الجيش وبعض الاغنياء تحت رعاية عبد الاله .

* * *

كان للزيادة الواسعة في الحركة والسفر للجميع ، حتى بالنسبة الى اكثر الطبقات فقرا ، تأثيرات اجتماعية ونفسية قوية ، ادت الى تبسيط الافق الضيق القديم ، وتشجيع اهتمامات اوسع نطاقاً . ويصدق ذات الشيء على السفرات التي يقوم بها كل سنة ، الوف من ذوي الاوضاع المالية الجيدة الى تركيا ، او سوريا او لبنان او اوربا ، حيث كانت هذه البلدان تعتبر مناطق للتخلص من حر الصيف ، وتفضل بشكل متزايد على مواطن التلال العراقية في كردستان والتي لا توفر سوى البرودة والمناظر ولكن في ظروف كالحة صارمة (*) وكان انفاق مبلغ يزيد عن مليونين ونصف المليون من الدنانير العراقية على المصايف ودور الاستراحة يمثل في سنة ١٩٥١ جزءا من مشروع خمس سنوات اعده مجلس الاعمار.

* * *

ومع ان الامية والجهل العميق ، ما يزالان منتشرين في المدن ويسودان العشائر بصفة واسعة ، الا ان الهزات التي اصابت عالمي المدينة والعشائر خلال خمسين سنة قد احدثت زيادة واسعة جدا في الاتصال مع الغرب ، ذلك لان تيسير السفر والمواصلات ، واتساع التطور المادي ، ووفرة الصحافة والاذاعة ، ومضاعفة عدد المدارس مضاعفة كبيرة ، وممارسة السياسات القومية والمحلية ، كل هذه الامور قد عملت عملها في تخفيف العزلة القديمة للحياة التي يحياها الفقراء وعقولهم ، والتي ازدادت بشكل لا يقاس ، بين الطبقات المتعلمة ، ومعرفتها بالعالم وبالازمان . فمثل هذه المعرفة ، والتي كانت في الغالب سطحية ومضطربة ، كانت مع كل ذلك .

(*) كانت هذه الاماكن التي بدأت تأريخها في اواخر سني الثلاثينات تتمثل في موقع صلاح الدين (بيرمام سابقا) الذي اقيم فيه فندق واسع مع منازل خاصة يمكن استئجارها ، وشقلاوة ، وحاج عمران اللذين توجد فيها فنادق صغيرة ، وسرسنك الذي انشيء فيه فندق متوسط مع سكن ملكي جعله اكثر حداثة. وكانت جميع هذه الاماكن يمكن الوصول اليها بطرق مطروقة[١٨].

(١٨) استحدثت في السنوات الاخيرة بعض المصايف كان من اهمها السولاف ، وسره رش ، وزاوية ولكنها ما تزال ضيقة ولا توجد فيها سوى فنادق قليلة لا تسد حاجة المصطافين اليها،والحقيقة ان انعدام الخدمة والروحية الحقيقية للاصطياف سواء عند الحكومة او الاهالي ما يزال من العوامل الاساسية التي تقلل من الاقبال على المصايف العراقية الا في الاوقات التي يحظر السفر فيها خارج العراق.

تمثل عالما بعيدا عن عالم ذلك «الافندي» العراقي الذي كان يعيش في سنة ١٩٠٠، في محتوى وفي نطاق ذات التسلسل الاجتماعي لاولئك الذين تأثروا به. ذلك لان عدم الاهتمام بالتعليم العالي مايزال نادرا، وقد انحصر علم الفقه لدى مجرد اثنى عشر طالبا من دارسي التاريخ المحلي، او الاثار، او الحكايات الكردية والتقاليد القبلية، حيث انتج البعض منهم في هذا المجال رسائل لها اهميتها وقيمتها. اما الخريجون العائدون من الجامعات الاجنبية فقد بلغوا، على الاقل، مستوى تشير اليه شهادات الدكتوراه التي حصلو عليها، غير ان قلة من هؤلاء قد اجتذبتهم ثقافة الغرب التي كانت اكثر عمقا.

لم تزل دراسة الاصول الاسلامية والتاريخ مطبقة لدى جميع الاوساط الاسلامية المتمرسة بالقضايا الوطنية، على اختلاف طوائفها. وما تزال هذه الدراسة تجتذب الطلاب اليها، غير ان انفصالها الظاهر عن العالم الحي، كان يسبب النفور لدى الجيل الصاعد المتميز بالنشاط وبالحيوية، ذلك لان هذه الدراسة كانت تعرض صفة اقل اهتماما من الحرف او السياسة، وكانت مغرياتها مجردة من القوة في مجتمع فقد فيه الاسلام الكثير من سلطانه، (بل فقد كل هذا السلطان تقريبا في ميدان السياسة).

ومن ناحية اخرى كانت المستويات الحرفية في ميدان الدراسات الطبية والاثرية والشرطة والعسكرية، وفي ميدان الهندسة، والاقتصاد، والعلوم التطبيقية، قد تجاوزت حد المقارنة بما كانت عليه قبل جيل سابق، وقد افسحت المجال امام افضل صفات العقل العراقي. وكان نتاج التأليف الادبي الاصيل ضئيلا، ذلك لان المطابع الحديثة (من طراز لاينو تايب) التي انشئت منذ الحرب العالمية الثانية، لم تنتج بصفة رئيسة، سوى المؤلفات والكراريس الخاصة بالدوائر الحكومية او المؤسسات الاخرى، وكانت معظم هذه المؤلفات من الكتب المدرسية، ولم تكن طرق النشر الغربية قد استعملت بعد، اذ كانت المؤلفات تطبع على حساب مؤلفيها وتباع، بمشقة، عن طريق باعة الكتب(١٩).

وكانت المهارة في اخراج الكتب، وعلى الأخص في ميدان التجليد والتصوير ضعيفة، كما أن نقص الطلب (بعد خروج اليهود بصفة خاصة) وعدم رغبة الأغنياء في رعاية الاداب، وفي الأوقات التي تؤمن فيها الرقابة الشديدة، كل ذلك لم يشجع الكتاب على التأليف. ولم تكن هناك سوى اثار تافهة للجهد المبدع، وكانت هذه الاثار منحصرة في ميدان الشعر (وهو الميدان الذي يحتل به العراق على الدوام مكانته في العالم العربي)، وفي نطاق أضيق من كتابة القصص،

(١٩) اخفقت كل الجهود والمحاولات التي اجريت لانشاء دور نشر في العراق على غرار ما هو موجود فيها في الغرب. وسبب ذلك ان ضعف رواج المطبوعات في ذلك الوقت لم يكن يشجع اصحاب الادخارات على المغامرة بانفاق ادخاراتهم في طبع الكتب او الصحف. كما ان انعدام حرية الرأي والنشر كان من اولى العوائق امام ذلك.

وكان للنسوة الكاتبات مكانتهن في الميدانين.

وكان الأهتمام بالادب العربي المعاصر، ماخلا ماينشر عنه في الصحف، ضئيلا ولكن دراسة الكتب العربية القديمة، وان كانت تعتبر الى حد ما من التراث القومي، لم تكن تجتذب جيل الشباب كثيرا، لأن هذا الجيل كان يفضل كتابات اوربا الحديثة. وكانت المجلات الشهرية او الدورية، التي بلغ عددها زهاء اثنتي عشرة مجلة، والتي كانت تصدر في كل من الحلة، والنجف، والبصرة، والموصل وكركوك، وفي بغداد ايضا، تعتبر في معظم الحالات من الالسنة الناطقة بمختلف الجمعيات او الدوائر الحكومية. ومع ان هذه المجلات كانت تتبارى في الكتابة، الا أنها لم تنل سوى القليل من المشتركين فيها، ولم تكن لها ادعاءات ادبية موسعة.

وكان النشاط الأدبي الكردي، ولو انه كان في نطاق ضيق، يبعث كل الحيوية والأمل، في حين كان الفنانون العراقيون، من الناحية الأخرى، ينتجون نتاجات لها بعض الأهمية، وان كانت في الغالب، تنهل من الهامات غربية. وكان يجري تدريس الموسيقى والدراسات التمثيلية في معهد الفنون الجميلة، وهناك أكثر من موسيقار عراقي، وعلى الأقل ممثلة سينمائية واحدة، وقد ظفر كل هؤلاء بمكانة مرموقة.

كانت أوضاع الحياة العامة، والفئة المثقفة الحية من الطبقة المتعلمة،قد جعلت الصحافة في الواقع واسعة الوفرة في كميتها،بالاضافة الى عشرات من الصحف سريعة الزوال التي كانت تظهر وتختفي. ولم تكن الكتابة فيها تتسم بالمرح والاهتمام على الدوام، ولكن يبدو بان الصحافة، بصفة عامة، قد أخفقت في اجتذاب خيرة العقول والأذهان الموجودة في البلد، وكانت في صفة حرفة، ينظر اليها بقليل من الأهتمام من لدن العامة. وباستثناءات غير مستديمة، معتادة * كان اختيار الأنباء وتقديمها، فجا وغير ماهر، ومتخلفا عما هو موجود في الوسائل الفنية الغربية، بل وحتى المصرية واللبنانية. ذلك لأنه كان يندر أن تكون مصلحة الانباء مغرية، وأنما هي مجرد فصاحة سياسية، وعمل مضن لعبارات منتحلة تأخذ مكان الواقع او تحليل او تعليق صارم حاد.

كانت الاذاعة تذاع من محطة اذاعة بغداد التي أخذت بعد سنة ١٩٥١ تستعمل محطة الارسال العصرية الجديدة في ابي غريب تماما. وكانت تقدم كل يوم منهاجا يمتد عشر ساعات

---

* كان من من خيرة الصحف اثنتين او ثلاثا من الصحف المستقلة، وفي الدرجة الأولى هي جريدة الزمان و «الشعب» والصحف المنتمية الى الأحزاب السياسية، وكانت هذه الصحف الأخيرة معتدلة، مثل «الأتحاد الدستوري»، والأخبار وجريدة الحوادث المسائية، والتي كانت تنطق بلسان حزب الأتحاد الدستوري، و«الأمة» و «النبأ» الناطقتين بلسان حزب الأمة الأشتراكي، ولواء الأستقلال لسان حزب الأستقلال، وصدى الأهالي، وهي اقرب الى الشيوعية، الناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي، والجبهة الشعبية، لسان حزب الجبهة الشعبية. فهذه الصحف التي صدرت في سنة ١٩٥١ وكانت ثابتة تماما، ومدعمة بصفة دائبة، كانت تنطق بلسان الأحزاب، وهي غير معرضة نسبيا للتعطيل الحكومي، اما الصحف اليومية في المحافظات فقد كانت تشتمل على ثلاث صحف (واكثر من هذا العدد في الغالب) في البصرة والموصل، وأخرى في السليمانية وكركوك باللغات الدارجة في تلك المحافظات، وقد حققت مستويات طيبة.

باللغة العربية، وثلاث ساعات باللغة الكردية وساعة واحدة او نصف ساعة باللغة الأنكليزية. ومع ان العمل في الأذاعة لم يكن هينا، الا أنه قد تحسن بصفة مادية في السنوات الأخيرة في ميدان التحرير، وفي طاقة الأستماع الموثوق بها. وكانت الاذاعة تلق المساعدة من بعض خيرة الكتاب العراقيين، وكانت غنية بمناهجها الموسيقية العربية، غير أن كثرة التغييرات الأدارية المتلاحقة فيها، قد أثرت في صفتها وفي استمرارها، ولذلك كان كثير من المستمعين يفضلون الأستماع الى المحطات الأجنبية، وعلى الأخص اذاعات لندن، وباريس، ومحطة الشرق الأدنى في جزيرة قبرص.

كان نظام التعليم المطبق في العراق في سنة ١٩٥٠ يمثل - بكل ما كان يكتنفه من النواقص، نتاجا ملموسا لجهود مضنية ذات مواهب. فلقد سار العمل على مدى هائل قدما، ولكن فترة البطء والبدايات العسيرة قد تخلفت، وأصبح مستطاعا الحصول على مواطىء قوية سنة بعد أخرى. كانت أخطار التعليم في العراق تتمثل في السطحية، ونفاد الصبر، وفي المستويات الواطئة والاضطراب الطاغي للسياسة في المدارس، والذي لم تستطع العوائق القانونية ان تضبطه[٢٠].

على أن فضائل هذا التعليم كانت تتركز في الحماسة الأصلية وفي استعمال الطرق الفنية العصرية، واستخدام المدرسين والمشرفين الذين اكتسبوا التحسن في مهنة التعليم والأشراف. ولقد كان المأمول أن يعقب ذلك وعلى الفور انشاء الكثير من ابنية المدارس الجيدة[٢١] كان التعليم مجانيا في كل المستويات[٢٢] وأدخلت الأسس العصرية على أنظمة التعليم، وأصبح التعليم الأبتدائي اجباريا من الناحية النظرية[٢٣].

---

(٢٠) أنحط مستوى التعليم والمعلومات لدى الطلبة في كل مراحل التعليم تقريباً عن المستويات السابقة، وذلك في العهد الجمهوري نتيجة التسلط الحزبي ومارافق ذلك من اضطراب في الحياة العامة في البلاد. فقد أصبح مستوى طلبة الاعداديات يقل حتى عن مستوى المدارس الأبتدائية في بعض الحالات، ولم تعد مستويات بعض الكليات توازي المستوى المتوسط او الأعدادي بين المدارس التي وجدت قبلا.

(٢١) ومازالت آفة نقص ابنية المدارس الجيدة قائمة حتى الان فما تزال هناك ثلاث مدارس او اربع احيانا تستعمل بناية واحدة غير ملائمة من ناحية الصحة والكفاءة، وذلك بسبب نقص عدد المدارس وعدم توفرها.

(٢٢) كان التعليم العالي غير مجاني ويخضع الطلبة لدفع اجور سنوية سواء كان ذلك بالنسبة الى كليات الحقوق والطب والهندسة والصيدلة وماعداها، ولم تتحقق مجانية التعليم في كل مراحله الا بعد سنة ١٩٧٤.

(٢٣) شرع بتطبيق نظام التعليم الاجباري منذ سنة ١٩٧٦ حيث نظمت حملة واسعة النطاق لمكافحة الأمية تعاظمت نفقاتها وجهودها ولكن النتائج التي اسفرت عنها لم تكن حسب المأمول.

وكان مجلس التعليم العالي يمثل كل المؤسسات التعليمية، ويحظى بمساعدة وزير التربية ومدير التربية العام بالنسبة الى وضع السياسة والتنسيق. ولقد اصاب التعليم النسوي حقوقاً متساوية مع تعليم الذكور. فمن مجموع الستة آلاف معلم الذين كانوا يعملون في المدارس الحكومية، كان عدد المعلمات مايقرب من الثلث. ومثل هذه النسبة كانت موجودة بين معلمي المدارس الثانوية والعالية، ولم يكن عدد الأطفال الذين كان يجري تعليمهم في المدارس الحكومية والمدارس الأهلية من كل الدرجات (بما في ذلك المدارس الأجنبية) يزيد عن مائتي الف طفل، وذلك رغم انه اخذ يزداد كل سنة بسرعة فائقة. ولم تبق سوى بقية ضئيلة من المدارس اليهودية، فقد اغلقت مدرسة الاليانس، في حين استمرت مدرسة التفيض التي اسست سنة ١٩١٩ في صفة هيأة تعليمية شعبية غير سياسية، تواصل عملها في مكافحة الامية، وتحتفظ بمطبعتها[٢٤].

مايزال الطلاب يتمتعون بالاعفاءات والامتيازات المهمة بالنسبة الى الالتزام باداء الخدمة العسكرية، ولقد شملت هذه الاعفاءات، المدارس الحرفية، والتعليم التقني، والعلوم الداخلية، والزراعة، والصحة العامة، وواجبات الشرطة. وازدادت تسهيلات تدريب المعلمين في سنة ١٩٤٩، وذلك بافتتاح صفوف اضافية في مراكز عدد من الثانويات القائمة، وبذلك ارتفعت المستويات. اما الجامعة فعلى الرغم من التوصيات المتكررة التي تقدم بها الخبراء ماتزال من المشاريع التي لم تتحقق[٢٥]، غير ان التعليم العالي كان متوفرا في مدرسة الحقوق، وكلية الهندسة التي اسست في سنة ١٩٤٢، وتوسعت في سنة ١٩٥١. كما اسست كلية الطب والمدارس المرتبطة بها، وهي مدرسة الصيدلة والتمريض وكلية الزراعة، وكلية العلوم والفنون سنة

---

(٢٤) كان لتأسيس مدرسة التفيض الأهلية هدف وطني اوسع من نطاق التعليم انه اعداد الشعب للاستقلال والتحرر من الأحتلال الانكليزي، وذلك ان بعض مؤسسي هذه المدرسة والمدرسين فيها، وعلى رأسهم المرحوم علي البازركان، كانوا من الأعضاء النشطين الفعالين في الثورة العراقية الكبرى. فقد كانت التفيض اولى المراكز التي اخذت تهيء اذهان الشعب العراقي، والمخلصين من ابنائه للثورة ضد الأنكليز، كما أن المدرسة وسعت نطاقها التعليمي وذلك بأفتتاح عدد من المتوسطات خارج بغداد منها متوسطة تكريت وسامراء وعانة والفلوجة وخانقين وغيرها مما اتينا على تفصيله في الجزء الأول من مذكراتنا المخطوطة. اما مطبعة التفيض فقد كانت اول مطبعة اهلية من طراز اللاينوتايب يتم نصبها في بغداد بعد مطبعة الحكومة، وقد استوردت هذه المطبعة في سنة ١٩٣٨ ونصبت في السرداب الذي يقع تحت بناية المدرسة في العاقولية وكانت تطبع بعض الكتب المدرسية ومؤلفات عدد من الكتاب والمؤرخين في مقدمتهم المورخان الكبيران المرحومان عباس العزاوي وعبد الرزاق الحصان، وفي اوائل سنة ١٩٣٩ باشرت بأصدار مجلة نصف شهرية بأسم التفيض صدر عددها الأول في اليوم الرابع من نيسان واوكل الي امر الاشراف والتحرير على هذه المجلة التي استمرت تصدر سنتين.

(٢٥) تأسست جامعة بغداد بصفة تدريجية ابتداءا من سنة ١٩٥٦ وقد خطط لها ان تكون ادارتها والكليات الملحقة بها في منطقة الجادرية، الواقعة جنوب بغداد كما تكون بعيدة عن العاصمة وضواحيها ولكن لم يتم سوى انشاء بناية الادارة وبعض الكليات هناك، وبقيت الكليات الاخرى في مواقعها التي اقيمت فيها داخل بغداد.

١٩٤٩ [٢٦] وانشئ معهد الفنون الجميلة وكلية التجارة والاقتصاد في سنة ١٩٥١، الى جانب الكلية العسكرية، وكلية الاركان، والمدرسة العالية لتدريب الشرطة. واخذ عدد كبير من الطلبة يلتحقون بالجامعات الاوربية والامريكية، ولسوف يزداد عدد هؤلاء بعد ان تتوفر الاموال الطائلة نتيجة التطور الذي سوف يحدث في منهاج شركة النفط للتدريب التقني والعلمي، كما ان المكتبات العامة غدت متوفرة في مقر كل محافظة.

استمرت مديرية الاثار في تطوير متحفها الغني بالاثار بشكل يدعو الى الأعجاب (ولسوف تستبدل ابنيتها بأبنية أكثر كمالا) لكي تتعامل مع عالم العلوم، او تشرف او تقوم، بأعمال التنقيب، في المواقع القديمة [٢٧].

وفي الفترة من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ أصبحت حملات التنقيب التي تمارسها مديرية الاثار، نشطة في مواقع «تل ابو شهرين» على مقربة من موقع «اور» وفي اسافل محافظة ديالى، وسهل أربيل وجوار جمجمال، والسليمانية وفي الحضر قرب الشرقاط «وأقدمت حملات من الجامعات الامريكية «من أمثال جامعة شيكاغو وبنسلفانيا، وهارفارد» على التنقيب في المواقع الواقعة في منطقة كركوك وفي مناطق جمجمال وبرادوست في كردستان، وعلى مقربة من «عفك» في اواسط الفرات. كما نقبت بعثة من مدرسة الاثار البريطانية لمدة ثلاثة فصول في «نمرود».

وبالعمل الذي قام به هؤلاء الباحثون، بغض النظر عن جنسياتهم ومارافقه من حسن النوايا، تعاظم اهتمام العالم الأكاديمي بثروة العراق الاثرية وبكنوزه الراهنة «ذلك أن المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية التي تأسست في سنة ١٩٣٢، وكذلك المدرسة البريطانية التي تأسست في سنة ١٩٢٩ قد أحتفظتا سوية بمقرات لهما في بغداد، ونشرتا نتائج البحوث التي توصلتا اليها. وفي ميدان الصحة العامة حققت الخدمات الحكومية الشيء الكثير في هذا الميدان. ولكن ايا من ذلك لم يكن بالأمر الذي يستحيل تحقيقه، ولقد واجهت هذه الخدمات ميدانا واسعا جدا ينبغي لها أن تشمله وتفتحه، بعد ان بدأت من لاشيء، وكانت هذه الخدمات على الدوام مقيدة بنقص الأموال المتوفرة ونقص الموظفين المدربين لديها.

وفي الوقت ذاته، وبصفة حتمية، استمر المرض او العوامل التي تسبب الضعف في البلاد، وكذلك البلادة، وروحية المحافظة لدى السكان. وكانت مشكلة نقص التغذية بصفة عامة والنقص الحاصل في القوة الجسمانية، يؤلفان في الواقع مشكلة الفقر القائم، وكان علاج ذلك،

---

(٢٦) كانت كلية الطب قد أنشئت في سنة ١٩٢٧ وقبل فيها عشرون طالبا سبعة من المسلمين وثمانية من اليهود وخمسة من المسيحيين (الدكتوران هاشم الوتري ومعمر خالد الشابندر : تاريخ الطب في العراق ص ١٠٩ طبعة ١٩٣٩).

(٢٧) اكملت بناية المتحف الجديد ومقر مديرية الاثار في سنة ١٩٦٥ وبذلك انتقلت المديرية الى هذه البناية من المكان القديم الذي مايزال قائما على مقربة من مدخل الجسر القديم. (المأمون).

وهو امر مايزال بعيد المنال، يكمن على الأكثر في ازدياد الثروة مثلما يكمن في التثقيف. ويصدق ذات الأمر على موضوع تربية الاطفال. فعلى الرغم من نشاط الأمومة ومضاعفة مداها، وتوفير العيادات التي تعني بالأطفال،كان معدل وفيات الأطفال مايزال مرتفعا بشكل يدعو الى الأسى، ذلك لأنه لم تقدم سوى دراسة ضئيلة بدلا من أن نكون دراسة شاملة بصفة متزايدة، لمكافحة امراض الانكلستوما والملاريا، او البلهارزيا،كما ان بذل مجهود شامل لمكافحة هذه الأمراض، وكذلك امراض السل الرئوي، والعيون، ومجموعة امراض التيفوئيد، كانت تتطلب المزيد من الوقت والمزيد من الأموال، وكذلك المزيد من الموظفين الأخصائيين.

كانت الخطوات لمكافحة الأمراض الوافدة ناجحة فلم يعد الطاعون ولا الهيضة يظهران الا بصفة نادرة مرة واحدة كل ربع قرن[٢٨] كما تمت معالجة الجدري معالجة جيدة بالموارد العصرية النامة. كذلك تحسنت الأوضاع الصحية في المدن اذ طبقت فيها مشاريع المجاري، كما تطور تدريب المفتشين الصحيين. غير أن الظروف بالنسبة الى هذا المضمار بقيت في معظم أنحاء البلاد بدائية كلها، ولم يهتم الأطباء العراقيون بالادارة الصحية العامة الا قليلا. فقد كانت تجري خدمة البلاد صحيا على نطاق واسع بوجود ثمانين مستشفى كانت ثلاثة ارباعها من المستشفيات العامة، في حين خصص الربع الباقي منها للحميات وللأمراض العقلية والتناسلية والجذام (العمارة) والأمراض الصدرية والعيون وللأطفال.وكان زهاء الربع من مجموع هذه المستشفيات موجودا في بغداد.

اما المستشفيات غير الحكومية، فكان من بينها مستشفيات شركات النفط، ومستشفيات البعثات الأجنبية والاقليات[٢٩] وكان مستشفى ميرالياس اليهودي مايزال مفتوحا امام جميع المراجعين من المرضى[٣٠] في حين اغلقت المستشفيات والمستوصفات اليهودية الأخرى.

وحافظت مستشفيات السكك والميناء والشرطة والجيش على تقديم خدماتها الصحية المنفصلة. ولقد تحسن جهاز الأطباء كثيرا بفضل كلية الطب منذ سني الثلاثينات،غير أن الأعتماد على بعض الأطباء الأجانب مازال من الأمور الضرورية،وقد أستخدم حوالي ثلاثين من هؤلاء الأطباء الأجانب في سنة ١٩٥١، وكان تجنيد المزيد منهم يسير سيرا متقدما، كما بلغ عدد

---

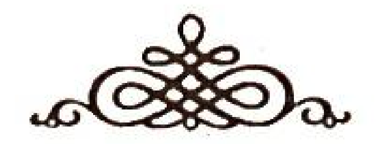
(٢٨) اخر مرة حدثت الكوليرا فيها، كانت في سنة ١٩٦٤ ولكن الاصابات كانت طفيفة جدا.

(٢٩) من أمثال مستشفى الراهبات (مستشفى القديس ميخائيل الذي لم يجر تأميمه.

(٣٠) اممته الحكومة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وعرف باسم مستشفى الشعب ثم هجر بعد أن شيد مستشفى جديد بهذا الأسم على مقربة من مستشفى دار السلام.

المدربين المسجلين حوالي ثلثمائة متدرب في سنة ١٩٤٥، ثم أرتفع هذا العدد الى اربعمائة وعشرين متدرب في سنة ١٩٤٩.

وكان التردد الذي يبديه الأطباء العراقيون في الخدمة في المناطق النائية والتي تقع في اية مناطق عدا بغداد، مايزال يعتبر من الأمور التي تربك الوضع الصحي، ومع كل ذلك فقد انتشت المستشفيات والمستوصفات التي لها قيمتها في كل أنحاء العراق، وكانت هذه المؤسسات تلعب دورا أكثر انسانية واستقرار موسعا، مما يجعل الآمال العالية المتوقعة في المستقبل، في مكانها حقا.



٦. الدولة

سوف تخصص الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب لمراجعة تقييم علاقات العراق، خلال نصف قرن من الزمن، مع جاراته وبقية العالم على نطاق اوسع، ولتركيب وضع حياته العامة، دون التطرق الى سجل جامعة الدول العربية في سنة ١٩٥٠، وذلك في عبارات تعيد بشكل محزن ذكرى الجامعات الاخرى التي كانت تقوم على اساس الاتفاق الدولي، من امثال عصبة الامم، ومنظمة الامم المتحدة ذاتها. ولقد ابرز ذلك السجل مشقة بالغة في التنسيق بين الخلافات. كما ان الصفحات السابقة من الكتاب قد اتت على وصف العوامل العامة التي لا تساعد على قيام الوحدة العربية، والقضايا الخاصة التي ادت منذ سنة ١٩٤٥ الى احداث الثغرات والفجوات الواسعة. ولذلك فلم يكن الوضع عند ختام هذه الفترة التي نؤرخها مشجعا على اقامة جبهة موحدة دائمة بين الدول العربية.

واذا كانت التلميحات الوحيدة السخية المفردة ما تزال يمكن التلميح بها، فان ارسال القوات العراقية مثلا الى دمشق في ربيع سنة ١٩٥١، ومواثيق الدفاع الجماعي، التي امكن تشريعها، فان ضغط الولاءات والمصالح القومية والتنافر الملح، لابد ان يعيق في مستقبل منظور، اي شيء يمكن ان يتجاوز التعاون العرضي، والحفاظ على نوع من الواجهة الوحدوية.

لقد وجهت الاتهامات باستمرار الى بعض الدول، وعلى الاخص الى بريطانيا بعدم رغبتها في تكوين وحدة عربية كاملة، او حتى وحدة اقليمية، [1] والى بعض الدول الاخرى التي كانت

---

(١) ان معاداة بريطانيا للوحدة العربية ليست وليدة هذا العصر وانما كانت تؤلف خطا بارزا لموقفها حيال هذا الامر حتى قبل ان تنتهي الحرب العالمية الاولى، حين تفاهمت مع فرنسا على اقتسام الاقطار العربية التي انفصلت عن تركيا، حسب معاهدة سايكس بيكو. ومع ان موقف امريكا لا يختلف عن مواقف بريطانيا وفرنسا من موضوع الوحدة العربية، وعلى الاخص بعد ان قامت دولة اسرائيل قاعدة امبريالية كبرى في قلب الوطن العربي، مع كل ذلك فان امريكا مافتئت حتى الان تعمل وتشجع قيام التكتلات داخل البلاد العربية وربط هذه البلاد بمشاريع تحالفية ودفاعية. ذلك لان امريكا التي تفضل التعاون مع اي عسكري يتولى السلطة في اي بلد كان، لان ذلك اضمن لمصالحها من وجود حكومة لها معنى الحكومة الحقيقي بوجود برلمان واحزاب او صحافة، ان امريكا هذه تفضل قيام وحدة من نوع ما بين بعض الدول العربية لكي تستطيع عن طريق مثل هذه الوحدة ان تربط هذه المجموعة من الدول بعجلتها الاستعمارية وعلى الاخص اذا ما وجدت ان مثل هذا التكتل لن يكون موجها ضد اسرائيل، بل ضد عدو مبهم كالاتحاد السوفياتي او الشيوعية.

تعمل على تحطيم مثل هذه الوحدة، وان اياً من هذين الموقفين كان يمثل، الى حدما، مظهراً من مظاهر الامبريالية. والحقيقة ان امم الغرب بدت بصفة عامة مؤيدة لتضامن دول الجامعة العربية الى الحد الذي يمكن له ان يعطي الوعد بانتاج استقرار وتفاهم في اسيا الغربية. ولكن الامم الغربية كانت من الناحية الاخرى، راغبة او مجبرة على ان تدع هذه القضية في ايدي الامم المختصة بها.

لقد كان دور العراق البارز في السياسات الداخلية للجامعة العربية، واهتمامه الحي بالعروبة حيثما تعلق الامر بذلك، يعتبر من المظاهر الدائمة لسياسته الخارجية وللمطاليب التي تعتبر اعظم اهمية بالنسبة الى الجماهير العراقية.

فبالنظر الى علاقات العراق مع بلاد فارس، لم يكن هناك اي سبب يدعو الى توقع حدوث تغيير في الموقف الفعلي السائد على اي من جانبي الحدود العراقية الفارسية. كما كان من المشكوك فيه ان يستمر مثل هذا الموقف لسنوات عديدة، بحيث يصبح واحداً من اسباب الاحتكاك والتنافر، ولكن هذا الموقف لن يكون من اسباب الاعتراف بالمصالح الواسعة المشتركة.

ولم تكن العلاقات مع الجمهورية التركية بحاجة الى ان تسوء، في غياب اي تصادم خاص بين المصالح، الى درجة قد تؤدي فعلا الى حالة من التوتر التي تسببها اضطرابات الحدود، والتدخل في مياه الاقسام العليا من نهري دجلة والفرات، اوباختلاف الاستقامة الدولية..

كان موقف العراق في سنة ١٩٥٠ هو موقف الامن المحروس، او الموقف الودي على الاقل بين اولئك الذين يدعون الى الوحدة العربية، والذين كانوا يخشون التأثير المناقض الذي تثيره الصداقات مع الدول غير العربية. فعلى حدة من الشرق الاوسط، استطاع العراق ان يحتل مكانة امة في العالم[٥]، ولم يستطع ان يتهرب من المسؤوليات او المخاطر المترتبة على مثل هذه العضوية في العالم. ولهذا كان موقفه ازاء الاتحاد السوفياتي، خلف واجهة من التبادل الدبلوماسي الصحيح، قد تم تعزيزه فعلا بموقفه المتشدد ازاء الشيوعية المحلية، حيث لابد من ان تعتبر المفوضية السوفياتية في بغداد، هي المساند الرئيس لتلك الشيوعية المحلية.

---

(٥) كانت للعراق في سنة ١٩٥١ سفارات في لندن وواشنطن وطهران، ومفوضيات في دلهي وكراجي، وباريس، وبروكسل، وانقرة، وبيروت، ودمشق. وعمان والقاهرة، وروما، وكابل، وجدة. وكانت لديه قنصليات عامة في بومباي، ونيويورك، واسطنبول، وقنصليات اخرى في المحمرة وكرمنشاه، وحلب. اما السفارات الاجنبية في بغداد فتمثل في السفارة البريطانية، والامريكية والفارسية، والمفوضيات الافغانية والسعودية والمصرية والاسبانية والفرنسية والايطالية واللبنانية والروسية. وكان الوزيران البلجيكي واليوناني المعتمدان للعراق يقيمان في بيروت في حين يقيم وزراء الصين الوطنية، والدانمارك والسويد وجيكوسلوفاكيا في طهران. وفي خارج بغداد كانت للبريطانيين والفرس قنصليات عامة في البصرة، وقنصل فارسي عام في السليمانية، وقناصل بريطانيون او نواب قناصل في كل من العمارة والموصل، وقناصل فرنسيون وسعوديون وباكستانيون في البصرة، وقنصل تركي في الموصل.

ذلك ان روسيا القوية والتوسعية، والجارة القريبة، لم تكن مجهولة بالنسبة الى رجال السياسة، كما ان هؤلاء لم يكونوا يجهلون بان الشوعية سوف تعترض القانون والنظام والملكية الفردية ايضا، بالشكل الذي كانوا يتصورونه. غير ان محاربة الشيوعية المحلية بشدة لم تكن لتمنع جزءا جوهريا من العالم السياسي، من الدفاع عن الحياد القوي بين الكتلتين الشرقية والقومية.

والواقع ان السياسة الموالية للغرب، والتي يتم الجهر بها دوما، لم تكن خالية من العار الذي تسم به. ذلك لان ماساة فلسطين قد حطت، بصفة خطيرة (وليست مدهشة) من الاحترام، والحنكة السياسية، بل وحتى الشرف الذي كان يحظى به الغرب لدى الشعوب العربية[٢]. لقد كان الغرب ومن ضمنه بريطانيا، والحقد الذي كان بعض العراقيين يظهرونه تجاه بريطانيا، كان يمثل المنبع الرئيس لامثال اولئك العراقيين، حتى في الوقت الذي كان فيه الاخرون، ولربما ممن هم اكثر حكمة وتجربة، يشعرون فيه بان بلدهم سيكون في وضع اكثر امنا مع اصدقاء اقوياء مألوفين لديهم، وان لم يكونوا من الاصدقاء الكاملين مع الاسف[٣].

والغرب يشتمل على فرنسا ايضا، والتي لا يمكنْ مسامحتها عن الحكم التعسفي الذي فرضته طيلة عشرين سنة على سوريا (كما كان ذلك الحكم يحس به على مثل هذا الصورة) يضاف الى هذا تخلي فرنسا عن لواء الاسكندرونة، وما يذكر عن استعمارها المزعوم لبلدان شمالي افريقيا[٤].

---

(٢) كانت الشعوب العربية في الحكومات التي ظهرت الى حيز الوجود بعد الحرب العالمية الاول، تشعر جيدا بوطاة الاحتلال الاجنبي لبلادها، وتصرفها فيما تصرف الحاكمين بامرهم. كما كانت الشعوب العربية تدرك جيدا ان الحكومات التي تألفت في البلاد العربية، لم تكن تستطيع ان تقرر سياستها بحرية وبمعزل عن اوامر المستعمرين واتجاهاتهم، ولذلك فقدت تلك الشعوب ثقتها بالحاكمين من ابنائها، وراحت تنظر اليهم بانهم مجرد صنائع للمستعمرين، في الوقت الذي لم تكن فيه هذه الشعوب لتثق بوعود المستعمرين وعهودهم او ما يدعونه من شرف، لان كل ذلك قد انكشف زيفه منذ ان بدأ التآمر على البلاد العربية اثناء الحرب الاولى والتنصل من الوعود والعهود التي خدع بها شريف مكة، وما اعقب ذلك من تجزئة البلاد العربية واقتسامها بين المتصرين من المحاربين المتحالفين.

(٣) لقد كان امثال هذا الصنف من ساسة بعض البلاد العربية في ضلال عظيم نتيجة وثوقهم بالانكليز وسواهم من الغربيين. ذلك لان البلاد العربية لم تحظ بالامن نتيجة تحالفها مع الغرب، لانه لم يكن هناك من يهدد ذلك الامن غير الغرب وحده. ولقد القم العدوان الثلاثي الاستعماري على مصر في اواخر سنة ١٩٥٦، امثال اولئك الساسة العرب حجرا، لان العدوان الذي وقع على مصر لم يأت من دولة معادية اخرى بل من حلفاء مصر ذاتها، بريطانيا في الدرجة الاولى، ومن ثم فرنسا وربيبة الكل اسرائيل، وهكذا فعل الاصدقاء الاقوياء، كما يدعي المؤلف،بالعرب، اشنع واقسى مما كانوا يتوقعونه من الاعداء. ذلك لان الحلفاء، كانوا على الدوام هم الاعداء المعتدون.

(٤) لا يقل سجل فرنسا الاستعماري في البلاد العربية خاصة سوادا عن سجل الانكليز والايطاليين فيها. فلقد اتسم حكم فرنسا في سوريا ولبنان والمغرب وتونس والجزائر بمنتهى العنف والشدة. واكثر من هذا ان الفرنسيين في الوقت الذي كانت فيه بلادهم فرنسا، تحت وطأة نعال النازيين، فانهم اي الفرنسيين، لم يتخلوا عن الروح الاستعمارية الاستبدادية حيث اعتدت قوات فرنسا الحرة التي سلم الانكليز لها سوريا ولبنان مجددا بعد طرد ممثلي حكومة فيشي منها في صيف ١٩٤١، اعتداءا شنيعا على الشعب السوري اللبناني لانه طالب باستقلاله فضربت مدنه وقراه بالقنابل من الطائرات والمدافع والرشاشات في شتاء ١٩٤٣.

ومن دول الغرب ايضا الولايات المتحدة الامريكية، وهي الدولة التي اشتهرت بمساندتها للصهيونية، والتي لم تعد، بالتزاماتها الحالية في استثمار النفط في العالم العربي، تعتبر دولة قديمة وغير مهمة. ولذلك كان من الطبيعي، بسبب رد الفعل الواقع من جانب الغرب، ان تجعل الامبريالية التي تكونت على هذه الشاكلة، واصبح مشكوكا فيها، كثيرا من العراقيين يبدون استعدادهم للتقليل من المخاطر العالمية في ذلك الوقت(٥)، وان يفترضوا بان الحياد الذي لا يثير اللوم سوف يحقق الامن اذا ما وقعت حرب عالمية ثالثة، وكان هؤلاء يهزون رؤوسهم بشأن الاقتراحات والعروض التي كانت تطرح عن التحالفات الدفاعية مع الكتلة الغربية.

اما الاخرون الذين اتجهوا وجهة اخرى، فقد وجدوا انجذاباً لهم في التوجيه الشرقي المنظم بصفة خاصة، ولذلك راحوا يعطون قيمة جدية للوحدة العسكرية بين بلدان جامعة الدول العربية، كما عثروا على الالهام في المؤتمرات الاقتصادية الاسلامية التي عقدت في كراتشي وطهران، او انهم كانوا يرغبون الانضمام الى الباكستان، ودول ميثاق سعد اباد لاقامة كتلة شرقية مضمونة من الناحية الاسلامية، ومتحررة من كل الالتزامات، والامبريالية الغربية.

غدا واضحا بالنسبة الى المراقبين المعاصرين، بان تفكير العراق حول هذه الامور، كانت تنقصه الواقعية، وانه في تردده، وفي رغبته اشراك السياسة الخارجية مع الانقسامات الداخلية، وعدم قدرته على ان يقف امام مخاطر الزمن، انما كان يمثل نموذجا للامم الصغرى. التي تطالب، وتهتف باستمرار، في سبيل الاستقلال التام الذي لا يمكن ايجاده في العالم المتمدن، الا على سطحية متزعزعة جدا، الا اذا استطاعت، بصفة ثابتة، ان تنضم الى دولة مدافعة من دول الاصدقاء الاقوياء!؟

ففي ميدان الادارة الداخلية، حيث كان من النادر على الحكومة التركية ان تمارس سوى سلطة جزئية لم تكن فعالة في وقت من الاوقات، على جميع انحاء البلاد، استطاعت الحكومة العراقية في سنواتها الاولى ان تدعي بوجود سلطة اوسع لها، لكن تلك السلطة لم تكن مطبقة بصفة صائبة. اما في سنة ١٩٥٠ فلم تعد توجد هناك اية هوة لانعدام الحكومة، سواء في

---

(٥) لابد ان المؤلف يقصد الاتحاد السوفياتي بعبارة «المخاطر الدولية». ولكن الاتحاد السوفياتي لم يكن يمثل خطراً انذاك على الشعوب العربية بل كان يقف الى جانبها في كفاحها في سبيل التحرر والاستقلال ولكن الدول الاستعمارية الممسكة بخناق الشعوب العربية انذاك هي التي كانت تحاول ان تخدع هذه الشعوب وغيرها بما كانت تتحدث به عن خطر الاتحاد السوفياتي. ولم يتغير موقف الاتحاد السوفياتي من العرب الا بعد ان انضم الى الدول الاستعمارية في الاعتراف بدولة اسرائيل بعد اعتراف امريكا بها مباشرة، وتلكؤه في كثير من المواقف الحاسمة في اظهار مساندته للدول العربية في صراعاتها مع اسرائيل ومع الدول الامبريالية ذاتها. ولاشك في ان موقف الاتحاد السوفياتي هذا قد احدث خيبة كبيرة لدى الشعوب العربية، واضعف من ثقتها القوية فيه، فلم يبق له في البلاد العربية غير الشيوعيين المحليين الذين كانوا يطبقون السياسة الذيلية بأجلى مظاهرها ومازالوا حتى الآن سائرين في ظل هذه السياسة، اي سياسة التبعية للاتحاد السوفياتي.

الصحراء، او الاهوار، والجبال، فمن مدير الناحية حتى الوزير، ومن الحاسب حتى المدير العام، كانت الادارة في ذلك التأريخ، وباعتبارها اداة عاملة وحاكمة، تواجه المقارنة مع الادارة القائمة في اي بلد قابل للمقارنة به، بل يمكن اعتبارها متفوقة على كثير من الامم التي تكونت قبل وقت اطول.

لقد حققت الفترة من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٥٠ اقل مما كان يخشى منه ان يضعف الادارة او يفسدها. فلقد عاشت الادارة مستويات واطئة، ومع انها كانت ملموسة الا انها لم تكن مدمرة. واذا كانت الادارة قد استفادت من الحكم البريطاني الذي امتد ثلاث سنوات[٦] ومن السنوات الاثني عشرة من سني الوصاية المقيتة[٧] الا انها مع كل ذلك قد استخلصت مواهبها في الدرجة الاولى، من صفات وكفاءة لاشخاص القائمين بتلك الادارة، وهي صفات كان من المألوف للزائرين، ولكثير من العراقيين انفسهم، ان يزدروا بها، في حين كان يجري تقييمها تقييما واسعاً من لدن اؤلئك الذين كانوا يعرفونها معرفة افضل.

ان العيوب المتوطنة في كل الاوساط البيروقراطية، والحداثة النسبية لاداة الحكم، وعدم استمرارية الوزارات الموجهة، وندرة المتنفذين من الكبار المجربين، والزلات الخلقية التي كانت تقع عرضا، كل هذه العوامل قد اخفقت في ترجيح النوايا الطيبة، وفي ذكاء واخلاص الاكثرية الساحقة من الموظفين المدنيين. كما كانت ماكنة الحكم ذاتها، بكل علاقاتها المتشابكة، وانقسامات اجزائها، والسيطرة على الدوائر، وعلاقتها بحكام المناطق، ومن ثم علاقات هؤلاء الحكام بالوزارات التي يتبعونها وبالجماهير. كل هذه الامور قد وصلت، في بحر ثلاثين سنة، الى حالة من الكفاءة المتحققة اختيرت للتطبيق على عكس ما لم يجر به الحكم التركي على اوضاع البلاد.

ذلك لانه ما ان غدت منافع العراق، وموارده الطبيعية البارزة، على وشك ان تنال الاستثمار التام، وبوجود الحكم الملكي النافع والمحبوب(؟؟) والراسخ في بيت ملكي قديم، و بما يملكه من اداة حكومية غير كاملة، وبالجهود التي كان مجتمعه يبذلها للتطور على اسس عصرية، عن طريق الاستعارة المتشعبة عن الفكر الغربي وطرائقه، وعن تقنيته ايضا، حتى توفر، في الواقع، مقياس طيب من الامل في قيام مستقبل ثابت ومرفه ايضا.

اما بالنسبة الى اولئك الذين كانوا على نقيض ذلك يقارنون امكانيات البلاد في المجالات، والحياة، والثروة، بالبؤس الذي تعانيه بعض جارات العراق، من امثال الشقاء الاقتصادي

---

(٦) يقصد بها سنوات الاحتلال العسكري البريطاني للعراق من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢١.

(٧) المقصود بذلك فترة الانتداب البريطاني على العراق من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٣٣.

الصارخ في اسرائيل، والدمار المؤسي الذي تعيش فيه بلاد فارس، والدكتاتوريات العسكرية قصيرة الامد في سوريا، وحكم المملكة السعودية الذي يبدد الثروات، والذي اخفق حتى الان، وكذلك الخطر الذي تمثله كثرة السكان في مصر ووحشية الشعب فيها، ان كل هذه الامور انما تبرز في الواقع ان اضطرابات العراق المتفاقمة جزئيا قد تم توطيدها بصفة حسنة عن طريق الامن والتقدم. فلقد غدا مستطاعا بفعل التفاؤل الذي يؤمن به المتنبؤن، وبعد بضع سنوات من الهدوء، ان يظهر مدى من الانسجام، وان تحدث موجات غير منظورة من موجات الحظ، اذا ماسارت هذه الامور في الواقع سيرا حسنا كما اشترطتها المعاهدة الاولى، وان تحتل الامة العراقية مركز الزعامة بلا منازع او منافس بين الاقطار العربية، وتنال المكانة المحترمة في العالم الدولي الاوسع.

غير ان هناك احتمالا اقل مسرة ولامعدي عنه، ذلك الاحتمال هو ان عدم الاستقرار الذي صورته العشرون سنة الاخيرة بصفة مستمرة، قد لا يمكن احتواؤه نهائيا. فلسوف يظل عدم الاستقرار هذا قائما بنخر كيان الامة العراقية، ويبرهن على تدمير شعبها، ذلك لانه في الوقت الذي تستطيع فيه اقلية مسلحة ان تستولي على الحكم وتمسك بزمامه، يصبح من الضروري جدا للنظام الدمقراطي ان يوطد اساسه بشكل ثابت على ولاء الجماهير المتلاحمة تلاحما سياسيا، فمثل هذا النوع من الحكم لم يوجد في العراق، وان مواهب ادارته بل وحتى حسن نوايا الكثير من افراد طبقته الحاكمة والسياسية، لا تستطيع، كما يشعر بذلك المراقبون ممن هم اقل املا، ان تحميه من عدم الاستقرار الشامل.

يبدو ان الظاهرة الحالية للحياة السياسية في العراق سوف تظل – لسنوات كثيرة مقبلة – تعيق الامل في قيام حكم دمقراطي اصيل، بالشكل الذي سبقت الاشارة اليه قبلا، ومن النوع الذي توفر في سنة ١٩٣٢، ذلك لان الحكم الدمقراطي الذي كان قائما في سنة ١٩٥٠، كان اقل دمقراطية وبصفة نادرة. فالنواب لم يكونوا ممثلين للناخبين تمثيلا تاما، في حين كانت الوزارة ذاتها تستطيع ان تتجاهل وجود النواب، بل انها كانت تتجاهل وجودهم فعلا. اما الوزارة التي يتم اختيار اعضائها من قبل رئيس الوزراء والوصي، وتقوم على اسس من التقبل الشخصي، فانها كانت في الواقع وبشكل اعتيادي، عبارة عن هيئة من رجال قادرين وبارزين، لكنها في الوقت ذاته لم تكن تمثل الاكثرية البرلمانية، ولا تمثل الكيان الثابت للقواعد.

لقد وجد بان السبع والاربعين وزارة التي تألفت خلال الثلاثين سنة الاولى من الحياة الدستورية، والتي كان المجال مفتوحا امامها، كانت تسقط بسبب الخصومات داخل الوزارة ذاتها، وكذلك بسبب الازمات، وعدم تأييد القصر لها، ولم يكن سقوطها ذاك ناجما عن سحب التأييد المنظم من قبل الجماهير، او من قبل البرلمان. فمثل هذه الوزارات لم تكن تمثل الديمقراطية البرلمانية، وانما كانت تمثل حكومات وزارات ليس الا.

وكان مجلس النواب نفسه عبارة عن هيئات تتبارى في النقاش ويضم اعضاء من ذوي التجربة والذكاء الكاملين(٥)، لكن هذا المجلس كان يشغل وقته بتهدئة الخصومات الانشقاقية فيما بين اعضائه، وقد اعتاد - حسبما تنظر اليه اكثرية النواب المستقلين - تأييد رغبات الحكومة يوما بيوم. ولم يكن البرلمان يعتبر نفسه ميدان المعركة ضد السياسات المنافسة، ولا ان يصبح - مثلما نص الدستور على ذلك - حكما للوزارات التي كانت، على النقيض من ذلك، تتمتع غالبا بوجود مستقل.

وفي الوقت ذاته كانت طريقة الانتخاب على مرحلتين، والانتخابات التي تسيطر عليها الحكومة، والهوة الواسعة بين معظم النواب وناخبيهم، قد جعلت نشاط النواب، في الغالب، مستقلا عن الناخبين، وذلك وضع لايعكس الكثير من العيوب في الدستور حسب، من امثال التأخر الذي يعيش فيه الناخب الامي الذي لم يجعله قادرا على ممارسة الاختيار الحر المستقيم في انتخاب النواب الناطقين باسمه، ولا السيطرة عليهم بعد ان يتم انتخابهم، حتى وصل الامر الى درجة ان الاحزاب السياسية اخذت تقوم مقام المحافظ بصفة ناخبين نشطين لانتخاب النواب، كما تغيرت عمليات الانتخاب تغيرا اساسيا (لان الاحزاب المعارضة قد كفت عن المطالبة بذلك) فثل هذه الحالة، وبما لها من ضرورات، لابد وان تظل قائمة لسنوات عديدة.

لقد اظهرت الديمقراطية البرلمانية التي فرضت على العراق، في كل مكان، اثناء طفولة البلد السياسية، انها كانت بحاجة الى وجود احزاب سياسية مسؤولة لكي تمثل المنافسات السياسية، وان تتطلع عن طريقها الى الحكم. غير ان مثل هذه الاحزاب، وبالصيغة التامة لواجباتها، لم يكن لها من وجود في العراق. والحقيقة ان صفحات هذا الكتاب قد اشارت مرات كثيرة الى الاحزاب التي عادت الى الظهور، بعد حظر استمر بضع سنوات، في سنة ١٩٤٦ او مابعدها ولكن هذه الاحزاب كانت في سنة ١٩٥٠ مسؤولة عن جزء اوسع من النشاط السياسي بصفة خاصة في البلاد. ولقد ازداد مداها، ولربما ديمومتها الى درجة ما، اذا ماقورنت مع الاحزاب التي سبقتها في جيل سابق.

بعد نصف قرن من الزمن، كانت الاحزاب النشطة، اذا ماتجاهلنا الحزب الشيوعي السري. الذي مايزال يعمل في الخفاء، تتمثل في خمسة احزاب في عددها، وكان احد هذه الاحزاب الخمسة (٥٥) حزبا بالاسم ليس الا. ويبدو بانه لم تكن له اية سياسة او مبدأ، سوى سياسات ومبادئ شخصيات، وامال مجموعة متنوعة من الوزراء السابقين الذين لم يكونوا من غير الراغبين

---

(٥) استقال كل النواب والاعيان اليهود من البرلمان في سنة ١٩٥٠. وفي اوائل سنة ١٩٥٢ تألفت لجنة حكومية لاعادة النظر في مستقبل تمثيل اليهود في البرلمان اذا ماارید ذلك في المستقبل.

(٥٥) هو حزب الجبهة الشعبية الذي كان يرأسه طه الهاشمي. وفي اواخر سنة ١٩٥١ ظهرت عليه دلائل الانقسام والتفكك.

في الوصول الى الحكم. وهناك اثنان من الاحزاب(**) كان يوجهان اهتمامها الى اكثر العناصر التقدمية في الاوساط المتعلمة والمثقفة في المدن، وبدافعان بخطى حثيثة عن كثير من الاسس مع التأكيد دوما على الاستقلال التام، والحياد، والاصلاح الاجتماعي والثقافي. وكانت للحزبين صحافة مجندة، بل شديدة العنف في الواقع. وكانا، في وقت من الاوقات، قادرين على اثارة عواطف الجماهير، ولكن من دون التمكن من كبح جماحها، غير انهما لم يكونا يظفران بتأييد واسع بين المواطنين.

اما الحزبان الاخران فهما حزب نوري السعيد، وحزب صالح جبر، وكان كلاهما يتألفان من كيان مختلط، ومتفرق، من الطبقات المالكة والراضية عن الاوضاع بصفة اساسية، تلك الطبقات التي كانت تضم الاشراف، والاقطاعيين وشيوخ العشائر واتباعهم المحترمين. ومع ان كلا الحزبين كانا اصلاحيين بشكل معتدل، ومسؤولين نسبيا، الا انهما لم يقوما على اساس من المبادئ المتفق عليها، وانما على اساس الشخصيات المنضمة الى هذين الحزبين وقادتهما، واما لها في التحرر من الاضطراب، وعلى اساس الخوف الطبيعي من التغييرات المفاجئة غير المتوقعة.

ولقد كانت المناهج السياسية الرسمية لكل هذه الاحزاب، متشابهة بصفة ملحوظة تتمثل في خلط المطامع والتطلعات الشخصية بالمثالية، ولم يكن المبدأ الرفيع في كل منها يختلف اختلافا كبيرا. وكان للبعض منها فروع صغيرة في المحافظات، في حين لم يكن البعض الاخر يملك مثل هذه الفروع. ومع ان حزبي نوري السعيد وصالح جبر كانا يحظيان بتأييد اوسع، الا ان جميع الاحزاب كانت تتحدث عن البركات العظمى التي ترضي الشعب في ميدان الحياة القومية بكامله، وتوضح مثل هذه البركات في مناهجها.

ولقد ازدهرت الحدة الحزبية، بصفة رئيسة، نتيجة السخط الذي ادى الى نفاد صبر اعضاء حزبي الاستقلال والوطني والديمقراطي، من السيطرة المتواصلة التي كانت تمارسها الطبقة التي تملك الثروة والراضية بالاوضاع الراهنة، وكذلك من السياسات المؤدية الى امتلاك السلطة المتحزبة للغرب ولبريطانيا بصفة خاصة، والقيود التي كانت تفرضها تلك السلطة على الصحافة، وسيطرتها (عن طريق السلطة التنفيذية) على الانتخابات، وفشلها الذريع في تحقيق التقدم العصري المنشود.

لم يكن هناك سوى قليل من الخيار بين المستوى العقلي والحدة الوطنية التي اتسمت بها الاحزاب. ذلك لان معظم القادة والكتاب كانوا اقل عنفا، واكثر حصافة، عندما كانوا

(**) هما الحزب الوطني الديمقراطي الذي يتزعمه كامل الجادرجي. وحزب الاستقلال الذي يتزعمه محمد مهدي كبة وفائق السامرائي.

يستعرضون، في احاديثهم الخاصة، المآسي القائمة في البلاد، ويكونون اكثر ظرافة من الناحية الاجتماعية، في خطبهم الخالية من المعاني او التي غالبا ماكانت تتضمن الحماسة الكاذبة بصفة قاسية، وكذلك في مقالاتهم التي كانوا يدبجونها. ولقد بقي نوري السعيد هو رجل الدولة الوحيد الذي يحظى بمكانة دولية، وكان واحدا من القلائل الذين استعادوا التجربة الواقعية الكاملة للجيل في الداخل وفي الخارج معا.

ونظرا لانعدام وجود احزاب سياسية، طيلة سنين عديدة، تقوم على اسس مناهج مختلفة اصلا، لكنها تكون عملية مع ذلك، وظهور منظمات واسعة في كل انحاء القطر تجعلها ممثلة بصفة معقولة للناخبين، فقد كان من العسير في سنة ١٩٥٠، عدم التوقع بان تستمر الوزارات الحاكمة لمدة طويلة، وماكان يرافق ذلك من الحذر الذي لااساس له، بالنسبة الى نظام حكم كان يبدو في اي وقت بان مؤامرة، او انقلابا عسكريا ناجحا ومن نهج مألوف جدا، من شأنه ان يقلب نظام الحكم القائم ويقوضه.

فعلى حدة من الضعف الدستوري او السياسي الموجود، ظهر ان عوامل اخرى قد طرحت نفسها، والتي لابد وان تعيق التفاؤل الهين بالنسبة الى الشرط الوحيد لتحقيق كل آمال البلاد، المتمثلة في استقرار حكومتها واستمرارها.

ولقد كان الاول بين هذه العوامل يتمثل في الصفة العربية التي لم تتغير، بكل ظرفها وذكائها، وعطفها المتجاوب، اذ انها بنفاد صبرها، وبرفضها سياسة «اعط وخذ» التي اسيء اختيارها بصفة خاصة ازاء الضغوط، وكبت الحريات، والحلول الوسط التي تحتاج اليها السياسات والحكومة العصرية.

اما العامل الثاني فهو يتمثل في طبيعة القومية المحلية التي لم يفقد فيها التمجيد الذاتي العنيف، والضيق، والمرتاب والبالغ الحساسية، وغير الواقعي، شيئا ما، من الصفة التي اتينا على وصفها في الفصل السابع (الاستقلال التام).

فما تم اعتباره رأس الفضائل، بقي يعتبر من اسوئها، مدمراً للثقة وللتقدم، مفضيا الى اساءة علاقات العراق مع افضل الاجانب الذين يحسنون الظن به، واقحام البلاد في مشاكل الدول الاخرى، بدلا من افادة جماهيره الفقيرة المتخلفة.

وكان العامل الثالث يتركز في انعدام التجانس بين ابناء العامة انفسهم، بالنظر لوجود مستويات متباينة تبايناً واسعاً في تطورهم، وبسبب ولاءاتهم الاقليمية، والضغوط الطائفية القوية، شيعية كانت تلك الولاءات ام كردية، وكذلك بالنسبة الى امتلاك الاراضي، او الثقافة. اما رابع العوامل فهو التأثير المدمر او الممزق الذي احدثته الهزات الاخيرة (والتي لايعود سببها الى خطأ العراقيين) والتي وقعت بصفة مفاجئة على الدولة، وعلى مجتمع مازالت اسسها مفقودة، وغير ناضجة من الناحية السياسية، من امثال فقدان الملك فيصل الاول، والاثارات

القوية التي احدثتها الامبراطورية النازية لفترة وجيزة، ومسألة فلسطين، والضغائن والفجوات التي احدثتها الحرب العالمية الثانية، فلقد كانت كل هذه الويلات امتحانات غير مقدرة للدولة الفتية، وقد قوضت استقرارها بصفة مؤلمة.

وفيا وراء كل هذه القوى كان هنالك احساس بالالتباس الروحي، وحيرة الشعب الذي مايزال غير مضمون من النواحي الثقافية والذهنية، بين القيم الشرقية والقيم الغربية، بين التقليد والابداع، بين الاسلام والالحاد. لقد كانت هذه الامور اعظم ارباكا واوسع خطرا، في وقت تفاقم فيه التهديد الدولي المربك والذي اصبحت فيه الدول الممعنة في القدم والقوة يندر ان تشعر بالطمأنينة في الكيفية التي كانت تصرف بها شؤونها الخاصة. لقد كان العراق انذاك[٨] يعاني من الوهن والفشل، ومن المخاوف التي رافقت فترة من فترات الانتقال السريع المحفوف بالخطر، والتي وجد ان من العسير عليه ان يحقق هدفه الواسع بشكل هادئ.

اما بالنسبة الى تصرف الامة الخاص الذي يمكن ان يفضي الى تحقيق هذا الهدف، فكان ينبغي التطلع الى تحقيق ذلك، بعمليات وصفات يسهل وصفها، وهي وان كانت عسيرة، الا انه ليس من المستحيل تحقيقها، ونعني بذلك التعزيز العضوي والتدريجي لمؤسساتها، وزيادة التثقيف والتلاءم بين جماهيرها، ورفع مستوى معيشة الفقراء، وتحقيق الولاء والضبط اللذين يجب ان تتمسك بهما قواتها المسلحة، وكيفية تدبير سياستها الخارجية، بل الداخلية منها على الاخص، بالعقل، والحكمة، والديمومة.

فبمثل هذه الوسائل كان شعب العراق يستطيع بجهوده الخاصة ان يحقق مثل هذا الحظ والسعادة، وذلك بالشكل الذي تسمح به القيود البشرية، وظروف العالم المضطرب، والذي يعتبر العراقيون اعضاء منه ولايمكن فصلهم عنه.

---

(٨) تتميز تلك الفترة باشتداد الحرب الباردة بين الغرب والشرق، بل بعبارة اوضح بين الامبريالية والاتحاد السوفياتي. فقد وجدت دول الغرب التي خرجت من الحرب منتصرة، وعلى الاخص امريكا، ان الخطر الذي يتهددها من الاتحاد السوفياتي يعد في نظرها اعظم واوسع من خطر النازية والفاشية اللتين تم القضاء عليهما عسكريا، ولذلك بدأت امريكا تسعى الى فرض زعامتها ليس على العالم الغربي حسب بل وحتى على البلدان التي عانت من الاستعمار الغربي طويلا، والتي كانت تنزع الى التحرر والاستقلال، ولذلك تعددت مشاريع امريكا لتحقيق هذه الزعامة، سواء في ذلك مشروع مارشال الذي اعاد تسليح اوربا الغربية لتقف قوية في وجه الاشتراكية، ومختلف مشاريع الاحلاف بمختلف مسمياتها سواء في ذلك الحلف العسكري التركي الباكستاني، ومن ثم حلف بغداد وما الى ذلك من المشروعات.وكان اخطر ماتكشفت عنه الحرب الباردة في العالم انذاك هو تسابق دول الغرب والشرق الى دعم اسرائيل ومدها بكل اسباب الحياة والقوة لكي تصبح الاداة الوحيدة بيد الغرب للسيطرة على الشرق الذي اخذت كنوزه الغنية ولاسيما النفط بالظهور وعلى نطاق واسع بعد سنة ١٩٥٤. ولقد كان العراق، وهو اكبر بلد منتج للنفط في الشرق الاوسط انذاك، في خضم هذه الحرب الباردة بعد ان برز الى الوجود حلف بغداد العدواني الذي لم يستهدف الوقوف بوجه الاتحاد السوفياتي كما زعم في حينه، وانما ابقاء السيطرة الاستعمارية للغرب على بلاد الشرق الاوسط في الدرجة الاولى (انظر كتابنا والشرق الاوسط في اعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ - ١٩٥٠) الماثل للطبع.

الملحق الأول

الملحق الاول

مقارنة السنين الهجرية بالسنين الميلادية
خلال الفترة ١٨٩٥ - ١٩٥٥

السنة الهجرية	السنة الميلادية
١٣٠٨	١٧ اب ١٨٩٠
١٣٠٩	٧ اب ١٨٩١
١٣١٠	٢٦ تموز ١٨٩٢
١٣١١	١٥ تموز ١٨٩٣
١٣١٢	٥ تموز ١٨٩٤
١٣١٣	٢٤ حزيران ١٨٩٥
١٣١٤	١٢ حزيران ١٨٩٦
١٣١٥	٢ حزيران١٨٩٧
١٣١٦	٢٢ ايار ١٨٩٨
١٣١٧	١٢ ايار ١٨٩٩
١٣١٨	١ ايار ١٩٠٠
١٣١٩	٢٠ نيسان ١٩٠١
١٣٢٠	١٠ نيسان ١٩٠٢
١٣٢١	٣٠ اذار ١٩٠٣
١٣٢٢	١٨ اذار ١٩٠٤
١٣٢٣	٨ اذار ١٩٠٥
١٣٢٤	٢٥ شباط ١٩٠٦
١٣٢٥	١٤ شباط ١٩٠٧
١٣٢٦	٤ شباط ١٩٠٨
١٣٢٧	٢٣كانون ثاني١٩٠٩

السنة الهجرية	السنة الميلادية
١٣٢٨	١٣كانون ثاني١٩١٠
١٣٢٩	٢كانون ثاني١٩١١
١٣٣٠	٢٢كانون اول١٩١١
١٣٣١	١١ كانون اول ١٩١٢
١٣٣٢	٣٠ تشرين ثاني
١٣٣٣	١٠ تشرين ثاني
١٣٣٤	٩ تشرين ثاني ١٩١٥
١٣٣٥	٢٨ تشرين اول
١٣٣٧	٧ تشرين اول ١٩١٨
١٣٣٨	٢٦ ايلول ١٩١٩
١٣٣٩	٥ ايلول ١٩٢٠
١٣٤٠	٤ ايلول ١٩٢١
١٣٤١	٢٤ اب ١٩٢٢
١٣٤٢	١٥ اب ١٩٢٣
١٣٤٣	٢ اب ١٩٢٤
١٣٤٤	٢٢ تموز ١٩٢٥
١٣٤٥	١٢ تموز ١٩٢٦
١٣٤٦	١ تموز ١٩٢٧
١٣٤٧	٢٠ حزيران ١٩٢٨
١٣٤٨	٩ حزيران ١٩٢٩
١٣٤٩	٢٩ ايار ١٩٣٠
١٣٥٠	١٩ ايار ١٩٣١
١٣٥١	٧ ايار ١٩٣٢
١٣٥٢	٢٦ نيسان ١٩٣٣
١٣٥٣	١٦ نيسان ١٩٣٤
١٣٥٤	٥ نيسان ١٩٣٥

السنة الهجرية	السنة الميلادية
١٣٥٥	٢٤ اذار ١٩٣٦
١٣٥٦	١٤ اذار ١٩٣٧
١٣٥٧	٣ اذار ١٩٣٨
١٣٥٨	٢١ شباط ١٩٣٩
١٣٥٩	١٠ شباط ١٩٤٠
١٣٦٠	٢٩ كانون ثاني ١٩٤١
١٣٦١	١٩ كانون ثاني ١٩٤٢
١٣٦٢	٨ كانون ثاني ١٩٤٣
١٣٦٣	٢٨ كانون اول ١٩٤٣
١٣٦٤	١٧ كانون اول ١٩٤٤
١٣٦٥	٦ كانون اول ١٩٤٥
١٣٦٦	٢٥ تشرين ثاني ١٩٤٦
١٣٦٧	١٥ تشرين ثاني ١٩٤٧
١٣٦٨	٣ تشرين ثاني ١٩٤٨
١٣٦٩	٢٤ تشرين اول ١٩٤٩
١٣٧٠	١٣ تشرين اول ١٩٥٠
١٣٧١	٢ تشرين اول ١٩٥١
١٣٧٢	٢١ ايلول ١٩٥٢
١٣٧٣	١٠ ايلول ١٩٥٣
١٣٧٤	٣٠ اب ١٩٥٤
١٣٧٥	٢٠ اب ١٩٥٥

الملحق الثاني

الملحق الثاني

مساحة كل محافظة وعدد سكانها فيها

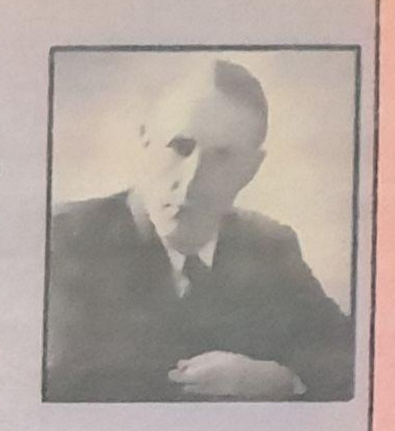
المحافظة	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	الاقضية	المساحة	عدد السكان
بغداد	٢٠٠٠٠	٨٠٥٠٠	بغداد	١٩٠٠	٥٥٢٠٠٠
			الكاظمية	١١٠٠	١١٤٠٠٠
			سامراء	١٥٦٠٠	٩١٠٠٠
			المحمودية	١٤٥٠	٤٨٥٠٠
الموصل	٤٨٠٠٠	٦٠٢٠٠٠	الموصل	١٢٠٠٠	٣٤٠٠٠٠
			العمادية	٢٧٠٠	٥٠٠٠٠
			زاخو	٢٢٥٠	٣٧٠٠٠
			دهوك	٢٢٥٠	٤٠٠٠٠
			عقرة	١٩٥٠	٣٢٠٠٠
			سنجار	١٦٠٠٠	٣٢٠٠٠
			شيخان	١٤٠٠	٢٤٧٠٠
			تلعفر	٨٢٥٠	٤٥٥٠٠
البصرة	١٢٣٠٠	٣٥٢٠٠٠	البصرة	٤٧٠٠	٢٠٦٠٠٠
			ابو الخصيب	٤٠٠٠	٨١٠٠٠
			القرنة	٣٦٥٠	٦٥٠٠٠
كركوك	١٩٩٠٠	٢٨٦٠٠٠	كركوك	٧٠٠٠	١٤٨٠٠٠
			كفري	٥٢٠٠	٤٨٠٠٠
			جمجمال	٢٤٠٠	٣٠٠٠٠
			طاووق	٥٢٠٠	٥٠٠٠٠

اربيل	١٨٤٠٠	٢٤٠٠٠٠	اربيل	٣٥٠٠	٨٠٠٠٠
			مخمور	٣٥٠٠	٤٤٠٠٠
			كويسنجق	١٩٠٠	٣١٠٠٠
			راوندوز	٥٥٠٠	٤٦٠٠٠
			رانية	٢١٠٠	٢٧٠٠٠
			زيبار	١٩٥٠	٦٦٠٠
سليمانية	٩٤٠٠	٢٢٣٠٠٠	سليمانية	٣٠٠٠	٧٧٦٠٠
			حلبجة	٣١٠٠	٧١٠٠٠
			شهربازار	٢٠٠٠	٣٨٧٠٠٠
			بشدر	١٢٥٠	٣٥٦٠٠
الدليم	٤٥٤٠٠	١٩٣٠٠٠	الرمادي	١٥٦٠٠	١١١٠٠٠
			الفلوجة	٤٧٥٠	٤٩٠٠٠
			عانة	٢٥٠٠٠	٣٣٦٠٠
الحلة	٥٣٠٠	٢٦٢٠٠٠	الحلة	٩٦٠	٨١٠٠٠
			الهاشمية	١٩٠٠	٥٢٠٠٠
			الهندية	١٢٠٠	٨٢٠٠٠
			المسيب	١٢٠٠	٤٦٠٠٠
الكوت	١٦٠٠٠	٢٢٥٠٠٠	الكوت	٤٠٠٠	٨٢٠٠٠
			الحي	٣٠٠٠	٦٧٠٠٠
			بدرة	٣٨٠٠	١٦٢٠٠
			الصويرة	٥٢٥٠	٥٩٢٥٠
كربلاء	٦٠٠٠	٢٧٧٠٠٠	كربلاء	٥٦٠٠	١٥٠٠٠٠
			النجف	٤٠٠	١٢٧٠٠٠
الديوانية	١٤٩٠٠	٣٨٤٠٠٠	ديوانية	٩٨٠٠	٦٣٠٠٠
			سماوة	٤٧٠٠	٨٢٠٠٠
			الشامية	٢٩٠٠	١١٤٠٠٠
			ابوصخير	١٣٠٠	٧٩٠٠٠
			عفك	٤٢٠٠	٤٦٠٠٠

الناصرية	١٤١٥٠	٣٧٠٠٠٠	الناصرية	٥٥٠٠	١١١٠٠٠
			الرفاعي	٣٢٠٠	٨٢٠٠٠
			سوق الشيوخ	٣٨٠٠	١٠٩٠٠٠
			الشطرة	١٦٠٠	٦٨٠٠٠
ديالى	١٦٠٠٠	٢٧٣٠٠٠	بعقوبة	٢٠٥٠	٩٤٥٠٠
			الخالص	٣٦٠٠	٦٩٠٠٠
			خانقين	٣٧٥٠	٥٧٠٠٠
			مندلي	٦٥٠٠	٥٣٠٠٠
العمارة	١٨٧٥٠	٣٠٨٠٠٠	العمارة	٨٦٥٠	٨٤٠٠٠
			علي الغربي	٥٧٥٠	٣٦٠٠٠
			قلعة صالح	٤٣٥٠	٨٨٥٠٠

منطقة الصحراء الشمالية ٩٤٧٠٠
منطقة الصحراء الجنوبية ٧٥٧٠٠
} السكان من الرحل ويدخلون ضمن المحافظات الملحقة .



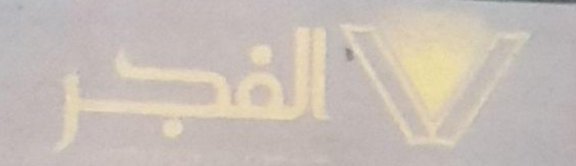


من ضباط الحملة العسكرية في العراق اثناء الحرب العالمية الاولى . تولى عدة مناصب استشارية في الحكومة العراقية ثم انصرف الى التاريخ فاخرج اول دراسة عن تاريخ العراق الحديث بعنوان اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، وهذا الكتاب الذي يعتبر المتمم للكتاب الاول وله كتاب عن حكومة الملك فيصل في سوريا ، وكتاب عن استثمار النفط في الشرق الاوسط ، وكتاب آخر عن العراق نشره بعد ثوة ١٤ تموز ١٩٥٨ . تولى في سنة ١٩٥٠ منصب المدير الادراي لشركات النفط في العراق .



خريج كلية الحقوق ١٩٤٣ مارس العمل في الصحافة منذ سنة ١٩٣٦ ومارس المحاماة الى جانب ذلك اخر وظيفة له المترجم الاول في وكالة الانباء العراقية ورئاسة تحرير الوقائع العراقية بالانكليزية سنة ١٩٦٩ الى سنة ١٩٧٢ احيل على التقاعد في ايلول ١٩٧٢ وانصرف الى الترجمة والتاليف بلغ عدد المطبوع من كتبه المؤلفة والمترجمة خمسة وستين كتابا معظمها تخص تاريخ العراق الحديث والخليج العربي . من الكتب الجاهزة للطبع دور العسكرية في السياسة : انقلاب بكر صدقي وثورة ايار ١٩٤١ نوري السعيد ، اسمهان والمخابرات البريطانية ، مصرع الملك غازي وغيرها .

السعر : خمسة دنانير



نشر وتوزيع المكتبة العلمية شارع السعدون بغداد هاتف ٨٨٨٥٤٨٨ - ٧١٩٨٤٢٢

التصميم ليث متي